

بساتين عربستان (٦)
أسامة المسلم
ساحر الكتب

«نُزلزل الأَرض تحت أقدام من يستبيح أرضَنا . . ونُريق دِمَاءَهم لنسقِيها حينَ تشح السماء بمائِها . .»

نافجة ابنة أملج



أرض العرب ..



جنة للكرام ..



وجحيم على اللئام ..



دَوِيُّ السنداوة



كتاب يرمى داخل الغرفة ..

قادماً من مدخل منزل ساحرة اليمامة ..

يصطدم بقدرها ويقع جانبه ..

تنهض (القيقبون) من أمام القدر وتسير بخطواتٍ حذرة تجاه الكتاب ..

تلتقطه بوجهٍ متعجب .. تفتحه ..

تقع عيناها على إحدى صفحاته ..



تقول منبهرة :

«كتاب سليمان الحكيم!.. هذه هي المعجزة التي كنا بانتظارها..!»

وجه الجميع أنظارهم نحو مدخل المنزل ليروا امرأة تغطي رأسها بخمارٍ أسود أخفى ملامحها تقف صامتة ..

(هند) رافعة كفها مستعدة لمواجهتها : خذوا الحذر منها!

تشد (كُميت) سهماً ..

تسل (رافدة) سيفاً ..

(عوراء) المرعوبة تحتمي خلف (زمجد) المتجهم ..

(القيقبون) منادية على المرأة الغريبة :

«من أنتِ يا أخت العرب؟!»

رفعت المرأة الغطاء عن رأسها كاشفة عن وجهها المجعد وشعرها الأبيض الخالي من السواد موجهة نظرها للعرجاء..

(القيقبون) : ما زلت لا أعرفكِ يا أختي .. عرفينا بنفسك!

(نافجة) وقد تعرفت على المرأة وبابتسامة دامعة : «المعروف لا يُعرَّف يا عجوز القدر..»



أمعنت (القيقبون) النظر أكثر بملامح تلك المرأة العجوز ثم قالت :

«عن أي معروف تتحدثين؟ .. أنا لا أعرفها ولم أرها في حياتي قط .. عرفينا أنتِ عليها إن كنتِ تعرفينها ..»

حاولت العرجاء النطق مجاهدة رغبتها في البكاء لكن الكلمات لم تخرج منها وهي تشاهد المرأة تسير مقتربة منها حتى وقفت أمامها واضعة كفها على وجنتها باسمة :

«كيف حالكِ يا ابنة النخيل ..»

(نافجة) بصوت يغص بَالحزن والعبرات : أتألم ..

– هذا يعني أنكِ لا تزالين على قيد الحياة .. قالتها العجوز باسمة

(نافجة) : وكيف تكونين أنتِ كذلك؟ .. لقد رأيتكِ في أحلامي

– الأحلام ليست محصورة على رؤية الأموات يا (نافجة)..

(نافجة) : وهل أنا أحلم الآن؟

تبسمت المرأة قارصة خد (نافجة) برفق وقالت : «لا .. لا يا جدعاء ..»

لم تتمالك (نافجة) نفسها وعانقتها بقوة وشدت من عناقها ودموعها الصامتة تنهمر على كتفها مبللة رداءها .. فكت المرأة العناق



متفحصة صدر وأكتاف (نافجة) بكفوفها قائلة ممازحة :

«فقدتِ الكثير من اللحم .. أين عافيتكِ التي عهدتها؟»

(نافجة) بوجه محمر من البكاء : استعدتها اليوم برؤيتكِ ..
مسحت المرأة على رأس العرجاء بكفها المجعدة متأملة عينيها قائلة : «أنتِ متعبة وتجيدين إخفاء ذلك لكنه لم ينطلي عليّ ..»
سحبت (نافجة) كف المرأة المسنة من وراء رأسها وقبلت باطنها بأعين مغمضة مطلقة زفرة ساخنة : «أنتِ لا تعرفين كم اشتقت إليكِ ..»
دمعت عين العجوز وضمت رأس (نافجة) لصدرها وهي تقول بحزن مكبوت :

«أعرف .. أعرف يا بنيتي ..»

(نافجة) بنبرة راجفة وأعين منهمرة : «افتقدتِك .. افتقدتكِ كثيراً ..»

(القيقبون) بتجهم وانفعال : ما الحكاية؟! .. من هذه؟!
فكت (نافجة) عناق المرأة ماسحة دموعها بظهر كفها مجيبة عجوز القدر :

«إنها الدعجاء .. دعجاء هجر ..»



(القيقبون) باستنكار : دعجاء ابنة وصبان؟ .. ابنة وصبان ماتت منذ سنين طويلة

(دعجاء) لـ (القيقبون) وهي تقرب رأس (نافجة) لصدرها وتحتضنه مجدداً : «نعم .. و(نافجة) هي من دفنتني ..»

(عوراء) مطلة من وراء (زمجد) بفم مفتوح وأعين متسعة دهشة : هل أنتِ غول ..؟

تقدمت (هند) بوجه مصدوم وقالت : أنتِ .. أنتِ من قتل (جهنم) ..؟

(دعجاء) تفك عناق العرجاء موجهة نظرها لـ (هند) آخذة بضع خطواتٍ تجاهها ممعنة النظر في ملامحها قائلة بشيء من التشتت : «هنان ..؟»

وضعت (هند) كفها على اللفافة المطببة لضلعها المكسور وقالت : لا .. أنا (هند) .. (هند ابنة معناد) .. هنان تكون أختي الصغرى ..

أنزلت الدعجاء نظرها للأرض وعلى وجهها تجلى خليط من الهم والحزن وهي تستذكر عصبتها وما حل بهنّ في الماضي ولم ترد ..

(هند) : لمَ أخذتِ بثأرها؟

(دعجاء) رافعة رأسها وبغصة حزن مختنقة : «لأنها ابنتي ..»



تقدمت (هند) بوجه صارم نحو الدعجاء وقالت : كنت أبحث عمن أدخلها في هذا العالم لأقتص منه ..

(نافجة) بنبرة مهددة : عداؤكِ لها عداء لي يا ابنة معناد .. تذكري ذلك

(هند) لـ (نافجة) وعيناها مرتكزتان على (دعجاء) : لن ألحق بها الأذى .. لكن .. سأكتفي بقول ما قلته لـ (روشني) عندما أخبرني بأنها هي من أخذ بثأر أختي

(دعجاء) : قولي ما تشائين ولكِ مني الأمان ..

مدت (هند) كفها اليمنى في إشارة للدعجاء بمصافحتها ففعلت وما أن تلامست يداهما حتى حنت ابنة معناد رأسها وقبلت ظهر كف (دعجاء) وقالت : «سلمت يداكِ ..» .. لقد أرحتِ قلبي المحروق عليها وأنا في عتمة البحث عنها .. لا أنا ولا أختي سننسى معروفكِ هذا يا ابنة وصبان

(دعجاء) بغصة : كانت ذئبة لا ترضى بالذل والهوان وماتت في سبيل الذود عن كرامتها وكرامتنا جميعاً

(هند) رافعة رأسها : ماذا تقصدين بـ «عنا جميعاً»؟

(دعجاء) : لم تخضع لمشيئة الفرس ولم ترضَ بإهانتهم لي ولأخواتها ولحقت بهم وأذاقتهم من كأس الثأر المر في عقر دارهم .. كل من



يملك ذرة كرامة من العرب يجب أن يذكرها ويندب رحيلها ..
جنهم قبل شياطينهم ..
(هند) : لم يندبها أو يفتقدها أحد سواي .. عاشت وماتت إنسية منسية ..
شعرت (دعجاء) ببعض الضيق وكان ذلك بادياً على وجهها ولم تقل شيئاً واستدارت وخرجت من المنزل الطيني الواقع في الزقاق الضيق بمدينة ((اليمامة)) تاركة بابه مفتوحاً خلفها. وجهت (نافجة) نظرها للجميع وشدت على عكازها وقالت قبل أن تهم باللحاق بها : «لا يخرج أحد منكم حتى أعود ..»
(القيقبون) بتذمر : أنا لا أعمل عندكِ كي تملي عليّ الأوامر!

تجاهلت (نافجة) تعليق عجوز القدر وعكزت بعكازها لخارج المنزل تاركة البقية في حيرة وتساؤل ..

(كُميت) معيدة سهمها للجراب : ما الذي شهدناه للتو؟
جلست (رافدة) مسندة ظهرها للجدار قائلة : لا أعرف ..
(عوراء) مبتعدة عن (زمجد) جالسة بجانب البدوية : هل رحلوا وتركونا؟
(القيقبون) : أرجو ألّا يحدث ذلك فأنا لا أملك زادًا يكفي لأفواهكم جميعًا.



(عوراء) : هل ستعود العمة (نافجة) يا (رافدة)؟

(هند) : لن تسمح العرجاء برحيل الدعجاء عنها مجدداً .. رأيت ذلك في عينيها وسمعته في نبرة صوتها

(رافدة) : هذه الدعجاء .. ساحرة مثل العمة أليس كذلك؟

(القيقبون) عائدة لقدرها والكتاب بين يديها : وليست أي ساحرة.. تلك العجوز هي الكبيرة الحقيقية لساحرات العرب .. أسطورة نرويها للصغار قبل المنام .. لكن لم يتبادر إلى ذهني أنها لا تزال تتنفس

(رافدة) بتهكم : أنتِ تلقبينها بالعجوز؟ .. كم عمرها؟

(القيقبون) متربعة أمام قدرها : بدأت أومن بأنها مخلدة ..

(كُميت) معيدة سهمها إلى الجراب خلف ظهرها : «المخلدون يولدون بعد ما يموتون ..»

(القيقبون) : لكنها فيما يبدو لم تلفظ أنفاسها الأخيرة بعد

(كُميت) جالسة عند إحدى زوايا المكان : هل تعتقدين أنها ستنضم إلينا؟

(القيقبون) خلال تصفحها للكتاب : لقد أحضرت كتاب سليمان لنا .. هذه بادرة حسنة

(عوراء) : لمَ كانت العمة (نافجة) تبكي حين رأتها؟



(رافدة) سارحة في الباب الذي خرجت منه (نافجة) والدعجاء :

«أعتقد أن بينهما ماضياً طويلاً .. ماضياً مؤلماً ..»

في الخارج وقفت العرجاء عند باب منزل عجوز القدر تمسح على جبين فرسها (الغبساء) وهي تفكر محاولة تخمين الاتجاه الذي سلكته الدعجاء وبعد سرحان لم يدم طويلاً في أعين فرسها الواسعة عكزت يميناً خارجةً من الزقاق الضيق وجالت بنظرها بعد وقوفها عند مخرجه حتى شاهدتها على بعدٍ منها تجلس تحت نخلتين تستظل بظلهما تتحدث مع صبي صغير. تبسمت (نافجة) وعكزت تجاهها حتى وصلت عندهما ولم تعلن عن حضورها وبقيت تنصت لحديث (دعجاء) مع الصبي الذي حمل فوق ظهره قربة ماء صغيرة :

(دعجاء) بنبرة ممازحة : ألن تسقيني بعض الماء أيها الكريم؟

(الصبي) بتجهم : أخبرتكِ بثمن الشربة الواحدة!

(دعجاء) وهي تتمسكن للصبي بطريقة مضحكة : لكني فقيرة ولا أملك أي مال!

مد الصبي القربة لها بوجهٍ عابس وقال : حسناً! .. خذي لكن لا تشربي أكثر من كفايتكِ!

(دعجاء) متناولة القربة متظاهرة بالخوف من الصبي الصغير : حاضر يا سيدي



بقيت (نافجة) متكئة على عكازها تراقب وتتأمل ما يحدث وعلى وجهها ارتسمت ابتسامة خفيفة ..

بعد ما انتهت الدعجاء من شرب الماء مسحت فمها بظهر يدها وأعادت القربة للصبي الذي أخذها وهم بالرحيل لكنها أمسكت معصمه وقالت : «انتظر ..»

(الصبي) بتذمر : ماذا تريدين أيضاً؟! .. ليس معي طعام!

ضحكت الدعجاء وهي تخرج صرة جلدية من جيبها وتضعها في حجرها وتسحب الخيط الرفيع لعقدتها قائلة : لا لا .. لا أريد طعامًا يا عزيزي ولو أني أعرف أنك لن تبخل به عليّ لو كنت تملكه فالكريم يجود بقليله ولو جاع والبخيل يشح بكثيره ولو غرق فيه ..

(الصبي) واضعاً القربة على ظهره مراقباً الدعجاء تبحث في الصرة بأناملها : ماذا تريدين إذاً؟

أخرجت الدعجاء حجراً أصفرَ لامعًا بحجم حبة الجوز ومدته له قائلة : خذ ..

شد الصبي القربة وثبتها على ظهره بيد وباليد الأخرى أخذ الحجر وقربه من عينيه قائلاً : ما هذا؟ .. حلوى؟



ضحكت (دعجاء) بقوة أكبر من السابق ساحبة الصبي من ملابسه بيديها مقبلة وجنتيه عدة مرات قائلة : أنت الحلوى!

(الصبي) متفلتًا منها بسخط : لا تقبليني بهذا الشكل!

جرى الصبي هارباً منها وهي مستمرة بالضحك و(نافجة) تتأملها وابتسامتها تزداد اتساعاً ..

بعد لحظات من تأمل العرجاء لعمتها خلال مراقبتها للصبي يهرول مبتعداً لاحظت أن ملامح وجهها تبدلت من السعادة لتحديق حزين في المارة المتجولين فقاطعت ذلك السرحان قائلة : «لم أرَكِ بتلك السعادة من قبل يا عمة ..»

(دعجاء) وشرودها ينقطع ملتفة إلى (نافجة) بوجه تخلله بعض الضياع : أهلاً ابنتي ..

(نافجة) تعكز مقتربة منها : هل ضايقكِ شيء كي تخرجي من منزل (القيقبون)؟

(دعجاء) تربت على الأرض الترابية بجانبها : تعالي واجلسي بقربي ..

أسندت العرجاء عكازها لجذع النخلة وجلست بجانب عمتها واضعة ذراعها على كتفها منزلة رأسها على الكتف الآخر مشاركة تأملها للمارة دون أن تقول شيئاً ..



بقيت الاثنتان صامتتين تراقبان الناس حتى تحدثت (دعجاء) وقالت بعد أن زفرت نفساً عميقاً أخذته : «أرضنا جميلة ..»

(نافجة) ورأسها لا يزال مسندًا لكتف عمتها : وأهلنا أجمل ..

(دعجاء) بنبرة مهمومة : لمَ لا يتركوننا وشأننا ..؟

(نافجة) : عمن تتحدثين يا عمة؟

(دعجاء) : عن غيرنا من هم ليسوا منا .. ما شأنهم بنا ..؟

(نافجة) : هل تقصدين العجم؟

(دعجاء) : أقصد كل من يريد تعكير صفونا ..

(نافجة) : لا وجود للحياة الهادئة يا عمة .. اسأليني أنا

(دعجاء) : فلمَ نحاول؟ .. لمَ نقاوم؟

(نافجة) رافعة رأسها من على كتف الدعجاء : لأننا لسنا أذلاء .. نموت ولا نحني رؤوسنا لأحد ..

(دعجاء) : هل رأيتِ الانكسار في أعين أخت (هنان)؟

(نافجة) بتساؤل : (هند)؟

(دعجاء) : أنا من تسبب لها بذلك .. أنا من زرع الحزن في قلبها وقلب أهلها ..



(نافجة) : الحزن أهون من المهانة ..

(دعجاء) : لو كنت قد تركتها على قارعة الطريق في سوق ((شبوة)) ولم آخذها معي لكان خيراً لها ولأهلها

(نافجة) : (هنان) خُلِّدت وخَلَّدت من بعدها مجدنا ورسخت عزتنا وكرامتنا في أذهان من أهانونا واستهانوا بنا .. عاشت عزيزة وماتت بعزة .. من منا لا يريد ذلك؟ .. الموت سيأخذنا جميعاً في نهاية المطاف .. بعضنا سيذهب معه سائراً شامخاً والبعض الآخر زاحفاً مسحوباً ..

(دعجاء) : لكن الموت لا يريد أخذي؟

(نافجة) بخليط من الحزن والقلق : ولِمَ تريدين تركنا يا عمة؟ .. نحن بحاجتكِ؟

(دعجاء) : أهي الحاجة التي تربطكم بي؟

(نافجة) : أنا أحوج للكِ اليوم من السابق .. لا لقوتكِ وحكمتكِ .. بل لأنكِ الدعجاء ..

(دعجاء) زافرة : الموت يراوغني ويتلاعب بي .. واجهته عدة مرات وفي كل مرة أنجو من قبضته وكأن الحياة غير مستعدة لمفارقتي ..

(نافجة) : الموت يخشى من لا يخشونه ..



التفتت الدعجاء إليها مسقطة خمارها من على رأسها جراء نسمة هبت في المكان كاشفة عن غرتها البيضاء وقالت : «ومن قال لكِ بأني لا أخشاه؟ .. كل يومٍ ينقضي من عمري أقترب منه أكثر .. وفي كل مرة أظنها النهاية وأنه لن يُفلتني .. هذا شعور مخيف يا عرجاء ..»

صمتت (نافجة) محدقة بأعين الدعجاء لفترة وجيزة ثم قالت :

«لقد دفنت جسدكِ البارد بيدي .. كيف تدب الروح في قلب توقف نبضه؟»

(دعجاء) معيدة نظرها أمامها وبعضُ خصلات شعرها الأبيض تتراقص مع الهواء : تريدين معرفة لمَ عدت ..؟

(نافجة) : يُبتر لساني قبل أن أنطق بهذا .. لكن لا أنكر أني أريد معرفة كيف .. كيف نجوتِ ..؟ وكيف عدتِ ..؟ .. ولمَ لم تظهري إلا الآن وبقيتِ بعيدة عنا كل تلك السنوات؟ .. عني أنا بالذات .. أسئلة كثيرة تعصف برأسي .. من المخيف أن ينتحل المرء صفة الموت، متغافلاً صوت العويل والنحيب على روحه

(دعجاء) : ربما لأنه أدرك أن هذه الحياة لا ينجو منها إلا الأموات ..

(نافجة) : وهل هذا ما حدث معكِ؟ .. نجوتِ بتلك البساطة؟

أخذت الدعجاء نفساً عميقاً وزفرته قائلة : هل تذكرين الخواتم التي كنت ألبسها؟

(نافجة) مستذكرة : كان ذلك منذ زمن بعيد .. لكن نعم .. كانت خمسة .. في يدك اليسرى ..

(دعجاء) : بل ستة .. خاتم ابنتي رتيكة كان على خنصري

(نافجة) : لا أفهم .. أنا متيقنة من أنها كانت خمسة فقط

رفعت الدعجاء كفها اليسرى الخاوية من الخواتم للأعلى متأملة أصابع كفها المبسوطة ثم قالت :

«خواتمي في الأصل عشرة .. خاتم (عاشق نورة) ذو الفص الأصفر أخذته (ربوح) .. خاتم الشيطان الأسير ذو الفص الأبيض طلبته (هنان) .. خاتم أميرة الجن الأزرق أعدته لأخيها (أزرق) والخاتم الفضي ذو الفص الأسود كانت (ضنة) تريده بشدة فوهبته إياها والخاتم المنقوش بلا فص منحته لاحقاً لـ (رتيكة) لتنحل عقدة لسانها المقطوع وحبيبتي (خود) اكتفت بالخاتم الأخضر .. خاتم شيطان الهرم (ديموس) ..»

(نافجة) : وهبتِ ستة منها إذاً .. لكني أذكر أن الخاتم المنقوش الذي وهبته لـ (رتيكة) كان معكِ عندما تقابلنا أول مرة



(دعجاء) : نعم .. استعدته من يدها الميتة بعد ما نبشت قبرها وقبر أخواتها مع (عمرة)

(نافجة) : معنى ذلك أصبح معكِ خمسة وليس ستة خواتم يا عمة

(دعجاء) : بل ستة ..

(نافجة) : كيف لا أفهم

(دعجاء) : الخاتم العظمي .. خاتم ملك الشمال (بيهارك) .. الخاتم المنقوش والخاتم «ذو الفصين» .. أما خاتما يأب ومآب فهما خاتمان بخاتمٍ واحد .. خاتم فضي بفص ذهبي وآخر ذهبي بفص فضي .. عند لبسهما معا يتطابقان بعضهما ببعض وكأنهما خاتم واحد ولا يفترقان أو يُفرقان إلا حين استخدامها لكنهما في الأصل خاتمان

(نافجة) : نعم تذكرت شكله .. كانا على أصبعك الأوسط

(دعجاء) : نعم أصبتِ ..

(نافجة) : وأين هي الآن؟ .. لا أرَى أيّاً منها على يدك

(دعجاء) منزلة يدها المبسوطة قابضة عليها : الفارسية أصابتني في مقتل ذاك اليوم لا شك في ذلك أبداً فقد أغمضت عينيّ وأنا أشعر بأن روحي تنسل من بدني .. كنت واثقة من ذلك .. لكن .. لكن فيما يبدو أنها وقبل أن تنسل بالكامل توقفت وعادت لجسدي ..



(نافجة) : وأنا متيقنة بأني دفنتكِ جثة هامدة .. لم تكن أنفاسكِ تزفر حتى (عقربة) أكد لي ذلك

(دعجاء) : لا أعرف يا جدعاء .. كل ما أعرفه هو أن بدني انتفض وخرج من قبره البارد .. ليلاً .. ظلمة حالكة أحاطت بي .. ظننت وقتها أني في زمهرير الجحيم .. ولم أرَ مصدراً للنور حتى لمع ((ذو الفصين)) على إبهامي ..

(نافجة) : هل بث الخاتم الروح فيك؟

(دعجاء) : لم أرَ روحاً تعود بعد رحيلها لكني أظن أن الخاتم له القدرة على منح من يقف على شفا الموت فرصة ..

(نافجة) : فرصة ماذا؟

(دعجاء) : فرصة أخرى للحياة .. تُمنح للابسه إن لم يُسرق منه الخاتم بعد سقوطه مثلما فعلت أنا مع كبير سحرة اليمامة دون علمٍ مني ..

(نافجة) : ولمَ تخلصتِ منه ومن بقية الخواتم؟

(دعجاء) : توهج نور الخاتم أكثر وشكل أمامي شيطاناً معمراً سكن الخاتم .. ثوراً أحمر وقف على قوائمه الخلفية برأس أبيض وقرون



مذهبة .. تحدث معي وأخبرني بأني سأولد من جديد وسيقايضني مقابل تلك الولادة

(نافجة) : يقايضكِ بماذا؟ .. بالخواتم؟

(دعجاء) : لم يطلب شيئًا محددًا .. لكن حديثه معي ذكرني بحديث (شَبَث) حين التقيت به أول مرة .. عندما كنت هاربة من (بني جديس) بعد ما قتلت شيخهم .. وقتها بقيت أسيرة له حتى خلصني منه أحد قاطني مدينة ((تاج الملوك)) .. كنت أعرف أنه (ذو الفصين) يريد موافقتي فقط كي يمنحني حياة جديدة .. والشياطين لا تعطي بلا مقابل أبداً ..

(نافجة) : وهل وافقتِ على تلك المقايضة؟

(دعجاء) : أنا أمامكِ الآن .. هززت رأسي مبدية عدم اعتراضي دون أن أنطق بشيء أو أعرف الثمن المطلوب مني فتوهج قرناه ولمعا كالشمس المشرقة ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أستيقظ نهار اليوم التالي .. كما ولدتني أمي .. بلا ملابس .. بلا خواتم .. بلا شيء سوى جلدي وشعري ..

(نافجة) موجهة نظرها لشعر الدعجاء الأبيض باسمة : «شعركِ أطول مما أذكر يا عمة ..»

(دعجاء) ماسحة عليه : لكن الزمن سلبه سواده ..

(نافجة) لامسة خصلة تدلت من غرتها : أنا كذلك خصلات الشيب غزتني

(دعجاء) ملتفتة إليها رامقة خصلتها البيضاء في غرتها السوداء : وزادتكِ جمالاً على جمالكِ اليافع .. لا تبدين يوماً فوق الأربعين يا ابنة أملج

(نافجة) باسمة : وهذا الأمر هوَ ما يثير جنون (القيقبون) ..

(دعجاء) : تقصدين (سديرة)؟

(نافجة) بشيء من العجب : هذه أول مرة أعرف اسمها

(دعجاء) : (سديرة) ساحرة قديمة من أهل نجد .. أصغر مني وأكبر منكِ

(نافجة) : عمراً؟

(دعجاء) : وعلماً .. اشتهرت بشدة البأس والغلاظة لكن ما لا يعرفه الكثير عنها هو أنها صاحبة نخوة ولا ترد من يلجأ إليها أو يحتمي بها حتى وإن كان عدوّاً لها .. منذ متى وأنت تعرفينها؟

(نافجة) : علاقتي بها كعلاقة البعير بالشوك .. لا أعرف إن كان



عداءً أم مصاير مربوطة لكنها حاولت عدة مرات قتلي في السابق

(دعجاء) : لكنكما اليوم على قلبٍ واحد

(نافجة) : أرضنا جمعتنا وعداء العجم وحدنا ..

(دعجاء) : وفي وقت من الأوقات .. فرقونا ..

احتضنت العرجاء خصر الدعجاء بذراعيها باسمة مسندة رأسها لكتفها بحنان وقالت :

«ولن أسمح بأن يحدث ذلك مجدداً ..»



ذات الرداء الممزق



مجموعة من الذئاب المفترسة تقترب من جثة الساحرة الهجينة

يغرس أحدها أنيابه في قدمها ويشدها بقوة وعنف ..

تشهق .. تنتفض أناملها .. تفتح أعينها مفزوعة ..

ترى أنها محاطة بقطيع عازم ومزمجر ..

تبتسم وهي تراقبهم يقتربون منها ..

تمد يدها في حقيبتها الجلدية ..

تخرج القناع الذهبي ..

تضعه على وجهها ..

تعقد أصابعها ..

تتمتم ..



تمزقت الذئاب المزمجرة بلمح البصر إلى أشلاءٍ صغيرة تطايرت في الهواء وتشربت الرمال دماءهم الساخنة بينما وقفت الساحرة الهجينة على قمة الجبل المطل على المدينة المكتظة حيث واجهت (العطبول) قبلها بساعات. تحسست جرح ظهرها لتجده لا يزال مفتوحاً لكن نزفه توقف. عقدت أصابعها وقرأت طلسماً للانتقال.

تصل ليلاً وسط صحراء خاوية ..

خارج حدود ((هجر)) ..

تجول بنظرها من حولها والقناع الذهبي لا يزال عليها ..

بحثاً عن شيء ما ..

تلمح نبتة خضراء مزهرة بورود صفراء صغيرة ..

تقطفها وتقربها من نظرها لتتحقق منها ..

تضع كفها على وجهها وترفع القناع عنه ..

تحس بألم صاعق يجري في بدنها مع جريان سم الخنجر ..

تدفس النبتة على عجالة في فمها وتلوكها بسرعة ..

تنزل على ركبها من شدة الألم ..

يسقط القناع الذهبي من يدها قبل أن تعيده على وجهها ..



تضم بطنها بذراعيها بعد ابتلاع المضغة الخضراء ..

تضرب الأرض بقبضتها صارخة بأعين دامعة ..

وكأنها تدخل مخاضاً مؤلماً ..

تفقد توازنها وتقع على الرمال الباردة مغشيّاً عليها ..

بعد أقل من ساعة فتحت الساحرة الهجينة عينيها ووجنتها مسندة على الرمال لترى القناع الذهبي ملقىً على جانبه أمامها وكأنه يحدق بها. تجلس بتثاقل ماسحة بكفها حبيبات الرمل الملتصقة بخدها مدركة أن الترياق الذي تناولته قد أثمر وأن بدنها المسموم تعافى.

التقطت القناع خلال نهوضها ووضعته في حقيبتها الجلدية المعلقة على كتفها ثم قامت بجمع بعض الحطب وراكمته بعضه فوق بعض في كومة متراصة وأشعلتها بحركة من أناملها .. جلست مقابل النار تراقب لهبها المتراقص على أنغام الكصيص بصمت.

برقت السماء .. رفعت الهجينة رأسها لتراها تلبدت بغيومٍ سوداء كثيفة فقالت محدثة نفسها : «لا تمطري الآن .. حتى وإن كان الظمأ سيقتلني .. لا تمطري الآن ..»

اهتزت السماء مجدداً بغضب صاحبه ومضات وبريق بين الغيوم



الكثيفة تبعه هطول مطر غزير أطفأ النار المشتعلة وبلل شعر وملابس (أنهار) التي بقيت مكانها متربعة تنظر للحطب المبتل ببرود وتبلد موجهة حديثها للسماء قائلة بعبوس :

«أنتِ مصرة على جعل يومي أكثر سوءًا مما هو عليه .. حسناً..
هاتي ما عندكِ فأنا لم أعد أكترث ..»

ومضت السماء بومضة بيضاء قوية وكأن الشمس أشرقت للحظة نزل بعدها سيف الرعد وضرب مكان النار أمام (أنهار) محدثاً انفجاراً دفع بها بعيداً للخلف لتسقط هابطة برأسها على صخرة صغيرة شجت جبينها محدثة جرحًا غائراً في وجهها. لم تحاول الهجينة النهوض واكتفت بالبقاء منبطحة بوجه مدار عن المكان الذي ضربته الصاعقة وقطرات المطر تتساقط على ظهرها. توقف المطر تدريجياً وتفرقت الغيوم كاشفة عن القمر المكتمل تلك الليلة والهجينة على حالها تراقب الكثبان الرملية البعيدة أمامها وهي مستلقية على جنبها تتأمل وتفكر. في نهاية المطاف رفعت رأسها النازف وجلست تتحسس جرحها وشعرها المبتل بالماء والدماء وتضرب بكفيها على لباسها لتنظيفه من حبيبات الرمال العالقة به وخلال قيامها بذلك لمحت ضوءاً يشع عن يسارها حيث نزل سيف الرعد فأدارت نظرها نحو مصدر الضوء لترى منظراً باهراً



وصادماً .. شاهدت سيفاً براقًا تلألأ بشعاعٍ متوهج يحيط به لهيب أزرق كلون السماء مغروساً حيث كانت نارها تشتعل.

(أنهار) بهول وأعين متسعة : لقد عاد .. (((سيف السماء))) عاد ..

نهضت الساحرة الهجينة وسارت بخطا بطيئة نحو السيف المغروس فيما تبقى من ركام الحطب المحروق غير مصدقة ما تراه حتى مدت يدها وقبضت على مقبضه ليخمد الوهج الأزرق وينتقل لعينيها اللتين اشتعلتا به. سحبت (أنهار) السيف من الرمال وخلال قيامها بذلك التأمت جروحها بالكامل بما فيها الجرح الممتد من جبينها نزولاً إلى شفتها العلوية تاركاً ندبة كبيرة. رفعت السيف أمام ناظريها تتأمله وتتمعن في تفاصيله الباهرة ثم قالت وهي تتبسم بابتسامة جنونية بينما كان نور الفجر يشرق :

«أنا قادمة يا (دوسر) .. الهجينة قادمة إليك .. ستهلك أنت وأسيادك الذين أرسلوك ..»

ربطت (أنهار) السيف في خرقة مزقتها من ردائها وثبتته على ظهرها منزلة أجفانها عاقدة أصابعها متمتمة بطلسم الانتقال ..

تفتح عينيها لترى بحراً ممتدّاً أمامها يضرب بأمواجه الشاطئ



الرملي حيث وقفت .. تتبسم بسعادة محدثة نفسها قائلة: «لقد عدت لـ ((ديلم)) ..»

كان الوقت أول الصباح حين أدارت نظرها خلفها تتأمل أشجار النخيل المنتشرة على امتداد الشاطئ وبعض مرتاديه يلعبون مع صغارهم على الرمال. سارت الهجينة مشياً متوجهة نحو وسط المدينة الصغيرة وعند وصولها لسوقها المتواضع أخذت نفساً عميقاً وزفرته باسمة:

«كل شيء على حاله كما تركته ..»

أمضت الساحرة الهجينة معظم النهار تتجول في أركان مدينتها الصغيرة تستذكر حياتها السابقة عندما كانت فتاة بسيطة لا تعرف عن العالم شيئاً سوى اللعب والمرح واستأنفت المسير غرباً حتى طرف المدينة وتوجهت لمبنى يقع هناك .. ملجأ الأيتام الذي تربت فيه قبل أن تأخذها (أفسار) معها لضمها لعصبتها.

كان حنينها لكل شيء حولها يتصاعد مع كل خطوة تخطوها لكنه وصل إلى ذروته حين اقتربت من الملجأ ومع كل زاوية وبقعة تقع عينها عليها تتفجر الذكريات الجميلة والمؤلمة في رأسها وصدرها مسببة تقلبًا عاصفاً في مشاعرها المشتتة في الأصل. وجدت (أنهار)



نفسها نهاية العصر تقف أمام باب الملجأ تطرقه بعد ما رفعت خمارها وغطت رأسها ونصف وجهها. سمعت الهجينة بعد طرقها للباب رفرفة أجنحة طائر ما كان فيما يبدو أنه يقف فوق باب المنزل فوجهت نظرها نحوه لترى غراباً أسودَ يحلق في السماء باتجاه الغرب وخلال تمعنها فيه فُتح الباب .. أطلت سيدة في منتصف الأربعين من شقه بوجه متعب ومرهق وقالت : «من الطارق؟»

(أنهار) وكفها المغطي لفمها بخمارها يرتفع أكثر : هل يمكنني الدخول؟

أمعنت المرأة النظر بأعين متفحصة ملاحظة ملابس (أنهار) الممزقة بعض الشيء وقالت : «لقد أتيتِ للمكان الخطأ بحثاً عن الإحسان ..»

(أنهار) : أنا لم آتِ لطلب المال أو الطعام أنا ..

– ماذا تريدين إذاً .. ومن أنت ؟

(أنهار) : أنا كنت أسكن هنا منذ عدة سنوات وأريد مقابلة خالتي (بريهان)

فتحت المرأة شق الباب لتمعن النظر بـ (أنهار) ثم قالت : هل كنت تعرفين الخالة؟



(أنهار) منزلة خمارها كاشفة عن وجهها ذي الندب الحديثة : نعم.. كنت أساعدها هنا

تنحت المرأة عن الطريق بوجه مرتاب وأشارت لها بالدخول قائلة : تفضلي..

دخلت الهجينة ونظرها يجول ويجوب زوايا وأركان المكان وأعينها تدمع وحلقها يغص بالحزن لأن ذكرياتها هنا لم تحمل أي نوع من الألم بل لعله المكان الوحيد الذي شعرت فيه بالسعادة والأمان طيلة حياتها وبقيت تتجول وترفع بعض الأشياء بين الفينة والأخرى تتأملها لثوانٍ بوجه حزين تارة ومحتضنة بعضها بأعين مغمضة تارة أخرى ثم تعيدها بصمت ماسحة عليها برفق والسيدة تراقبها باهتمام دون أن تقاطعها حتى استدارت الهجينة نحوها وقالت : «متى ماتت؟»

- بعد عامين من عملي هنا

(أنهار) : ومتى كان ذلك؟

- أنتِ (أنهار) أليس كذلك؟

(أنهار) : لقد حدثتكِ عني..

تبسمت المرأة وسارت نحو وسط المنزل وجلست قائلة : لن



تصدقيني إن قلت إن معظم حديثها كان عنكِ لدرجة أني ظننت أنكِ من صنع خيالها

(أنهار) مقتربة منها جالسة أمامها : حقّاً؟

- أشعر بأنها كانت نادمة أشد الندم على التفريط بكِ ..

(أنهار) سارحة في باب المنزل المفتوح : كانت تريد لي الأفضل ..

- وهل حظيتِ به؟

قبل أن تجيب (أنهار) دخل مجموعة من الأطفال المنزل يجرون بسرعة محدثين جلبة كبيرة واجتمعوا حول المرأة يحدثونها بحماس ..

«نريد أن نشتري الحلوى والسمك المجفف من البائع!»

قالها صبي بملابس رثة ممزقة ..

تدخلت فتاة كانت أكبر وأطول من جميع الأطفال المجتمعين ذات بشرة حنطية وأعين سوداء واسعة وشعر أسود طويل منسدل حتى نهاية ظهرها وقالت :

«أخبرتهم يا خالة (بيروز) أننا لا نملك المال لكنهم أصروا على الحديث معكِ ..»

شاركت صبية أخرى أصغر منها الحديث معترضة : الخالة وعدتنا!

تحدث صبي سمين يقف خلف المجموعة وسبابته في أنفه قائلاً :

«يمكننا أن نسرقها إذاً إن كنا لا نملك المال ..»



(بيروز) بتجهم : لا! .. لا تلجؤوا للسرقة أبداً مهما بلغت حاجتكم!.. أنا لم أربِّكم على هذا!

أنزل الصغار رؤوسهم خجلاً بينما مدت الفتاة الأكبر ذراعيها محاولة للمتهم وإخراجهم من المكان قائلة : هيا .. لنذهب للشاطئ .. سوف نلعب لعبة جميلة هناك ..

استوقفت (أنهار) الفتاة وقالت لها : «تعالي إلى هنا يا حبيبتي ..»

سارت الفتاة ووقفت أمامها بينما قامت الهجينة بتأملها خلال تمرير كفها على خدها نزولاً على كتفها ثم عبر ذراعها وساعدها حتى وصلت لكفها لتقبض عليها قائلة :

«تذكرينني بـ .. ما اسمك يا جميلة؟»

- .. (آصال) ..

(أنهار) باسمة : اسمك جميل يا (آصال) .. لكنه ليس فارسياً ..

(بيروز) : (آصال) عربية الولادة فارسية المنشأ

(أنهار) موجهة نظرها لـ (بيروز) وهي لا تزال تشد على يد (آصال) : وكيف انتهى بها الحال هنا؟

صمتت (بيروز) وكأنها لا تريد الحديث أمام الفتاة ففهمت (أنهار) وأخرجت بعض القطع الفضية من حقيبتها الجلدية ومدتها للفتاة قائلة : خذي يا (آصال) ..



(آصال) وهي تأخذ المال : ما هذا يا خالة؟

(أنهار) : اشتري لكِ وللأطفال الحلوى والسمك المجفف ولا تبخلي عليهم

(آصال) ناظرة للقطع الفضية بين كفوفها : لكن هذا أكثر من قيمة الحلوى والسمك يا خالة

(أنهار) : أعرف .. اشتري بما يتبقى لباسًا وحذاءً جديدين لكِ

وجهت (آصال) نظرها لـ (بيروز) قائلة : هل أقبلها؟

(بيروز) مومئة برأسها بالقبول : نعم واشكري السيدة على إحسانها

همت (آصال) بتقبيل يد (أنهار) لكن الهجينة سحبت يدها بسرعة ورفعت رأس الفتاة قائلة: اذهبي يا حبيبتي مع إخوتكِ .. هيا

هزت (آصال) رأسها باسمة بسعادة وخرجت من المكان جرياً ..

(بيروز) : شكراً لإحسانك يا سيدة (أنهار) ..

(أنهار) سارحة مراقبة قفز الفتاة مع الأطفال فرحاً في الخارج : «هل أصبح الحق إحساناً .. هذه الفتاة محرومة من حقها ..»

(بيروز) : الحياة ليست عادلة

(أنهار) وهي لا تزال تنظر للفتاة خلال ملاعبتها الأطفال : أخبريني بحكايتها ..



(بيروز) تشارك الهجينة التأمل قائلة : حكايتها لا تختلف عن الكثير من الأطفال هنا .. أبوها وأمها قدما من عربستان لـ ((ديلم)) للتجارة على ما أظن وقتها كانت لا تزال في الثالثة أو الرابعة

(أنهار) : ثم ماذا حدث؟

(بيروز) : أغار عليهم مجموعة من اللصوص وقتلوا أبويها ولحسن حظها أنهم تركوها ولم يخطفوها

(أنهار) بخليط من الحزن والتهكم وعيناها لم تنفكا عن الفتاة : نعم لحسن حظها ..

(بيروز) : أحضرها لي شيخ البلدة وطلب مني الاعتناء بها إلى أن يأتي أحد ويسأل عنها

(أنهار) : ولم يأتِ أحد ..

(بيروز) : لا .. بقيت معي وكل من كانوا في عمرها وقتها وجدوا بيوتاً تؤويهم لكنها لم توفق في ذلك بسبب لون بشرتها .. أكثر من يطلبون التبني يريدون أطفالاً فرساً أنقياء

(أنهار) : هل تتعرض لمضايقات؟

(بيروز) : لا شيء مختلفاً عما يتعرض له جميع الأيتام هنا .. لكن ..

(أنهار) : لكن ماذا ..؟



(بيروز) : (آصال) وبسبب جمالها تتعرض من وقتٍ لآخر لبعض التعدي من الرجال حين أرسلها للسوق لذا أنصحها دوماً بتغطية شعرها ووجهها حين تختلط بالناس

(أنهار) : إظهار الجمال ليس دعوة للسطو عليه ..

(بيروز) : الحيوان المسعور لا يفهم ذلك .. الأطفال هنا فرائس سهلة بسبب الفقر والحرمان اللذين يعانون منهما .. أحاول جاهدة أن أحميهم من الوقوع في هاوية التسول أو ما هو أسوأ لكن الأمر مرهق وصعب والمحسنون بلا مقابل في تناقص والطامعون أكثر .. (آصال) تتحمل أكثر مما تحتمل وأخشى يوماً من الأيام أن تنكسر ..

زفرت الهجينة وقالت : كنت مثلها .. الأخت الكبرى في الملجأ .. وأفهم شعورها ..

(بيروز) : لكنكِ كنتِ من المحظوظين الذين وجدوا من يتبناهم

(أنهار) ملتفتة إليها : هل تظنين ذلك؟

(بيروز) : أي شيء أفضل من الحياة هنا بلا شك .. من النظر لحالكِ الآن أعتقد أنكِ عشتِ حياة لا بأس بها

(أنهار) معيدة نظرها للخارج سارحة مجدداً : العناية بالأطفال هنا واللعب معهم كانا أسعد أوقات حياتي ولم أرَ أياماً أجمل منها بعد رحيلي عن هنا



(بيروز) : ألم تحظي بأطفال خاصين بكِ؟

(أنهار) وسرحانها ينقطع : لا .. لم أقترف تلك الجريمة

(بيروز) بتعجب : جريمة؟

(أنهار) : ما رأيته في حياتي لم يزدني رغبة إلا بتركها والرحيل عنها فما

بالكِ بجلب روحٍ أخرى لتتعذب فيها معي

(بيروز) : الأطفال قد يغيرون حياتنا للأفضل

(أنهار) : أكاذيب صنعناها لنلبي رغباتنا دون تفكير أو النظر

لحاجات غيرنا

صمتت (بيروز) منزلة رأسها بوجه مكتئب ولم تجادل ..

(أنهار) : ماذا عنكِ؟ .. هل لديكِ أطفال؟

(بيروز) : لا .. لكني أتمنى أن أرزق بصبي وفتاتين

(أنهار) : وأين ستربينهم؟ .. هنا؟

(بيروز) : لا أعرف .. لم أفكر في الأمر

(أنهار) : هذا ما عنيته تماماً ..

وقفت الهجينة ودنت عند النافذة الوحيدة في المنزل والمطلة عل باحة كبيرة قريبة من البحر وقالت وهي تتأمل الأطفال يلعبون مع (آصال) وانعكاس شعاع الشمس الغاربة على سطح البحر يداعب عينيها : «نهاية العالم تقترب ..»

(بيروز) : إنها نهاية اليوم فقط يا عزيزتي ..

لمحت (أنهار) طفلاً ينشق عن المجموعة ويهرول تجاه المنزل ومع اقترابه واتضاح ملامحه تحولت تعابير وجهها لخليط من الدهشة والعجب وقالت محدثة نفسها : (دوسر)؟

دخل الصغير من الباب ولم يتوقف إلا عند (بيروز) وقال باكياً : «(آصال) تغش في اللعبة!»

(بيروز) ماسحة على رأسه باسمة : لو قلت (بسيل) لصدقتك لكن (آصال)؟

ضرب الطفل بقدمه على الأرض عابساً باكياً : أنا أقول الحقيقة!

شدت (أنهار) الصبي من ذراعه الصغيرة بقوة وهزت جسده بعنف وبدأت تصرخ فيه وتوبخه بسخطٍ ولومٍ قائلة : «لمَ فعلت ذلك! .. لمَ غدرت بي! .. لقد أحببتك!»

نهضت (بيروز) من مكانها مفزوعة وخلصت الصبي من قبضتها وضمته لصدرها قائلة : «ماذا تفعلين يا مجنونة؟»

(أنهار) مستعيدة صوابها بعد ما أمعنت النظر أكثر في وجه الصبي مدركة خطأها وأن عقلها بدأ يتفلت منها : أنا .. أنا أسفة .. لقد ظننته ..



(بيروز) بعصبية : كاد أن يموت في يدكِ!

(أنهار) بهدوء : ليس هو من يجب أن يموت ..

(بيروز) صارخة فيها محتضنة الصبي أكثر : ارحلي عن هنا ولا تعودي أبداً!

مدت (أنهار) يدها في حقيبتها الجلدية بينما راقبتها (بيروز) بترقب وجزع وأخرجت صرة كبيرة وثقيلة ورمت بها على الأرض أمامها قائلة :

«هذا كل ما أملك .. غيري به حياتكِ وحياتهم ..»

خرجت الساحرة الهجينة من المنزل مع اختفاء آخر نور من النهار وأغمضت أجفانها عاقدة أصابعها عند عتبة الباب وقبل أن تنطق شعرت بشيء يشد لباسها ففتحت عينيها لترى (آصال) تتبسم لها قائلة : تعالي والعبي معنا يا خالة!

(أنهار) باسمة بحزن : لا وقت عندي يا عزيزتي فأنا راحلة

(آصال) بإحباط : راحلة إلى أين؟

(أنهار) ناظرة للبحر الهائج في الأفق : إلى حيث سأنتهي ..

(آصال) : هل ستعودين مرة أخرى؟

(أنهار) ودمعة تهرب من أحد محاجرها : أنا هنا بالفعل .. أنا أنت وأنتِ أنا ..



(آصال) : كنت أريدكِ أن تري لباسي الجديد حينما أشتريه .. سأبحث عن لباس يشبه رداءكِ هذا

(أنهار) باسمة بالرغم من عينيها اللتين بدأتا تفيضان دمعاً وغصة خانقة تقبض على عنقها : «أنا واثقة من أنه سيكون أجمل بكثير من ردائي الممزق ..».

(آصال) محتضنة الساحرة الهجينة : سأكون بانتظاركِ يا خالة حتى لو لم تعودي ..

بعد عناقٍ قصير عقدت الهجينة أصابعها وأغمضت عينيها الدامعتين وقرأت طلسماً لنقلها إلى مكانٍ آخر ..



الأجل المؤجل

بعد وهلة من الصمت والسرحان قالت العرجاء ورأسها لا يزال على كتف الدعجاء ونظرها أمامها: «لمَ قتلتِ الماران؟»



(دعجاء): هل يهمكِ معرفة لماذا؟

(نافجة) وهي لا تزال تحتضنها بوجه باسم متأملة المارة: لا .. لا يهم .. المهم أنكِ عدتِ ..

تبسمت الدعجاء واستأنفت حديثها قائلة:



«بعد استيقاظي اخترت أن أتوارى عن الأنظار وأعيش ما تبقى من عمري الذي منح لي وحدي بسلام .. لذ شددت رحالي لـ ((جبل الرباع)) أنتظر أجلي المؤجل .. مكثت في كهوفه لعامين .. بلا مؤنس أو أنيس سوى ذئابه .. ومع الوقت أنسوني واستأنست بهم ..»

(نافجة) : بقيتِ قريبة من ((هجر)) إذاً؟

(دعجاء) : لم أقوَ على الابتعاد عنها وكنت من وقتٍ لآخر أترك الجبل وأزورها لقضاء بعض الحوائج وعندها علمت بأمر (اليعاقبة) وما يقومون به ويوماً بعد يوم رأيت كيف كانوا يفسدون الناس بتجارتهم المسمومة .. بدلوا بطرقهم الملتوية الأنفس وجعلوا الذهب والفضة غايتهم ومنتهى أحلامهم .. وعندما علمت أن الحال في ((اليمامة)) و((الحجاز)) أسوأ وأن هذا الطاعون الخبيث سيتفشى وينتشر ليصيب كل بلاد العرب عاجلاً أم آجلاً انتقلت للجنوب قبل عام لأرى حال أرض أمي وقبيلتها .ووجدت أن الوضع مشابهٌ لما هو عليه في أرض أبي ..

(نافجة) رافعة رأسها من على كتف الدعجاء باسمة : أملكِ من الجنوب وأبوكِ من ((هجر)) .. كحالي إذاً ..

(دعجاء) : ألم أخبركِ بذلك من قبل؟

(نافجة) : لا .. قلتِ بأنكِ ستخبرينني عندما نعود من أرض الفرس



معاً .. ولم أعدْ إلا لأدفنكِ مع (عقربة) البابلي .. ليتكِ عدتِ لي في
وقتها
(دعجاء) : معلمتي (عانكة) أخبرتني يوماً بأن «من لا يرحم
نفسه لن ترحمه الناس ..» وأنا كنت مستنزفة .. جسدي يتهاوى
وقلبي يدق ببطء .. أصدقكِ القول أني لم أكن مستعدة للحياة مرة
أخرى .. وخروجي كان سيلفت أنظارهم لي وسيزيد من بطشهم
بقومي .. فبقيت ساكنة وآثرت الانتظار ..
(نافجة) : لكنكِ لم تبقي ساكنة .. والدليل دماء الماران على يدكِ
وكتابه بحوزتكِ ..
(دعجاء) باسمة بحزن : هل تذكرين سبب هلاك ساحرات العرب
الذي أخبرتكِ به عندما كنا في ((فارس))؟
(نافجة) : نعم .. وكأنه بالأمس .. قلتِ: «نحن لا نستخدم عقولنا
بقدر ما نستخدم عواطفنا ..»
(دعجاء) : في كل مرة أولي عقلي على حياتي ليقودها يقفز قلبي
الأحمق ليطيح به ليقودني هو حيث يشاء .. خبر مطاردة المتنورين
لكِ وصل إلى أقاصي أرض العرب وبلغني ما قام به الماران من
عقد اتفاقه مع المتنورين لقتلكِ مقابل كتاب سليمان وكنت أعلم
أنهم لن يتوقفوا حتى ينجزوا تلك المهمة ويحصلوا عليه فاختصرت



الطريق عليهم وقتلت ذلك الوغد لأحميكِ .. سلبت الكتاب من تحت أنوفهم كي ينفكوا عن ملاحقتكِ .. لم أكن سأقف دون حراك وأنا أرى هؤلاء العجم يحاولون قتل من أنقذت حياتي يوماً

(نافجة) : لكنهم لم يتوقفوا ولن يتوقفوا ..

(دعجاء) : أعرف .. لذا أتيت لكِ اليوم ..

(نافجة) : لتبقي بجانبي لحمايتي؟

(دعجاء) : لا .. بل لآخذكِ معي .. سوف نتوارى عن أنظارهم

(نافجة) : ماذا؟ .. ألا تنوين القتال معنا؟

(دعجاء) : قتال من ..؟

(نافجة) : العجم .. الطائفة الجنتية .. المتنورين

(دعجاء) موجهة نظرها للعرجاء : هذا أمر يفوق ما نحن قادرون عليه يا (نافجة) .. المرض انتشر واستفحل في الجسد ولا علاج أو دواء سيبرئ المعتل

(دعجاء) : هل هذا حديث عقلكِ أم قلبكِ؟

(دعجاء) : روحي .. روحي المشتاقة للسكينة يا جدعاء

(نافجة) متحسسة أذنها المقضومة وبنبرة حزن وخيبة أمل ناظرة للأرض أمامها : هل تريدين منا أن نهرب؟ .. نهرب من المواجهة .. أن نبقى مطاردين في أرضنا؟



(دعجاء) : أنا لا أهرب .. أنا أحاول زرع جذور لي ..

(نافجة) : ألم تختاري حياة الطائر المهاجر بدل النخلة المثمرة كما أخبرتني في السابق؟

(دعجاء) : بلى ..

(نافجة) : ما الذي تغير الآن؟

(دعجاء) : الطائر أصيب بالإرهاق يا جدعاء .. جناحاه ذبلا ومنقاره انحنى وعيناه نعستا .. أريد أن أرتاح .. أنا لن أحمل عبء العالم على عاتقي للأبد .. أريد أن أسلم ويسلم الناس مني .. كل من عرفتهم وأحببتهم وعاشرتهم رحلوا .

(نافجة) : أعرف أنكِ تحملين الكثير من الذكريات المؤلمة لكن استذكري الجميل منها وشدي عليه كما أشد أنا على عكازي كي لا أتوقف عن السير

(دعجاء) : معظمها في عقلي كالسراب المائج أو السحب المتبددة ولم يرسخ بها إلا ذكرى واحدة .. اليوم الذي نبشت فيه قبور بناتي والحسرة التي شعرت بها وقتها وأشعلت رغبتي في الاقتصاص لهنّ لكن تلك الشعلة انطفأت وخمدت معها عزيمتي ورغبتي في الحياة وتحولت لتوق للحاق بهن

(نافجة) : أفهم ما تقصدين ..

(دعجاء) مشيرة بسبابتها للنخلة من ورائهما : انظري لهذه النخلة ..

(نافجة) ملتفتة إليها : ما بها يا عمة؟

(دعجاء) : هل ترين جذورها؟

هزت (نافجة) رأسها بالنفي ..

(دعجاء) : لكن ومع ذلك هي مصدر حياتها ودعامتها التي جعلتها تقف شامخة .. أصلكِ وجذوركِ هي أساسكِ الناصب لظهركِ .. نحن عرب وأهلنا عزوتنا ومصدر قوتنا وهم الشيء الوحيد الذي لا يمكننا نزعه من نفوسنا

(نافجة) : أتفق يا عمة ..

بقي الاثنتان صامتتين لوهلة حتى تحدثت (دعجاء) وقالت : متى تنوون الرحيل؟

(نافجة) : أصدقكِ القول بأني لا أعرف .. قبل أن تدخلي علينا كنا في حيرة من قدرتنا على مواجهة الطائفة الجنتية بالقليل الذي نملكه من علم وإمكانيات لكن بعد أن أحضرتِ لنا كتاب سليمان تجدد الأمل وأصبح لدينا فرص..

(دعجاء) مقاطعة : الكتاب لا نفع منه ولا مضرة ..

(نافجة) وهي مصدومة : كيف؟ .. ما أعرفه هو أن ..



(دعجاء) مقاطعة مجدداً : قيمة كتاب سليمان الحكيم لا يمكن الاستفادة منها الآن .. لأنه كتاب لا يمكن أن يُسرق أو يُقتنى .. لا يمكن لأحد أن يلمسه عدا صاحبه أو من يهبه له وإلا فسد وأنا انتزعته غيلة من الماران ولم يهبه لي لذا فالكتاب الآن مجرد كلمات وحروف مخطوطة .. ثم إن علم الكتاب غزير ومتشعب وكان سيستلزم سنين طويلة لفك رموزه واستخلاص منافعه حتى لو وهب لنا ..

(نافجة) بخيبة : نحن لا نملك سنوات .. لا نملك سوى ما معنا ومن معنا فقط ..

(دعجاء) : تقصدين عصبتكِ؟

(نافجة) : بل عائلتي ..

(دعجاء) : هل بناتكِ ساحرات متمكنات؟

(نافجة) : ليس بيننا أي ساحرة سواي وعجوز القدر .. (رافدة) فارسة و(كُميت) رامية و(هند) .. (هند) متنورة سابقة ..

(دعجاء) : المتنورون العرب خونة .. هل تثقين بها؟

(نافجة) : لقد برهنت لنا عن صفاء نيتها وقدمت ولاءها

(دعجاء) : اعدلي عن فكرة الرحيل لأرض الفرس يا جدعاء .. النهاية حتمية ومحسومة وهي لن تكون في مصلحتكنّ



(نافجة) : تعرفين أني أستطيع تحمل العواقب .. مثلكِ تماماً

(دعجاء) : وهل ستتحملين وتحملين على عاتقكِ ذنب بناتكِ مثلي؟ .. دعيني أخبركِ سلفاً بأنه همٌّ ثقيلٌ يشيب له الرأس وتنحني له الظهور

صمتت العرجاء منزلة نظرها دون أن ترد ..

بعد مضي فترة وجيزة من الزمن رفعت (نافجة) رأسها ووجهت عينيها نحو الدعجاء وقالت : كيف وجدتني؟ .. كيف علمتِ بأني عند (القيقبون)؟

مدت الدعجاء يدها في جيب صدرها مخرجة صرة جلدية معقودة تشابه تلك التي أخرجت منها الحجر الأصفر للصبي الصغير ومدتها لـ (نافجة) قائلة : بهذه ..

(نافجة) : ما هذه يا عمة؟

(دعجاء) ممسكة الصرة من طرف الخيط العاقد لقمتها تتأملها تهتز بخفة مع نسمات الريح أمام وجه العرجاء : «قدمك .. أو ما تبقى منها ..»

(نافجة) وهي تأخذ الصرة باسمة بحزن : تعقب الأثر بالأثر .. شيء يسير عليكِ

(دعجاء) : أبقيها معكِ حتى ترحلا معاً ..



(نافجة) تضم الصرة لصدرها قائلة : وإن رحلت هي قبلي نجدها

(دعجاء) موجهة نظرها للأفق : في النهاية ستجتمعان تحت الأرض .. المهم أن تكون هذه الأرض وليس بقعة سواها

مدت العرجاء يدها للخلف وأمسكت بعكازها وهمت بالنهوض..

(دعجاء) دون أن تلتفت إليها : لن ترافقيني إذاً

(نافجة) بعد أن وقفت على عكازها : يعز علي فراقكِ يا عمة لكني قطعت عهداً ..

(دعجاء) : عهداً لـ (سديرة) أم لبناتكِ؟

(نافجة) : لنفسي .. بألّا أسكت على مهانة أو أرضى بذل .. لن أهنأ بنومي وهناك من يتربص بأرضي .. لن أعيش في ذل الخوف .. ولن أتولى أو أتخاذل .. سأسير حتى أُطرح .. سأتنفس حتى أُخنق .. لكن لن أسلم أو أستسلم أبداً ..

(دعجاء) باسمة : من أين لكِ بكل تلك العزيمة يا ابنة أملج؟

(نافجة) : تعلمتها منكِ يا ابنة وصبان .. وتعلمت منكِ كذلك أن الهش يُكسر واللين يُطوع .. وهؤلاء العجم لا يفهمون سوى لغة القوة

(دعجاء) : لكنكِ لستِ أقوى منهم ..



(نافجة) وهي تهم بالرحيل : لم أقصد قوة البدن يا عمة .. لدي رسالة أريد إيصالها لهم .. وستصلهم .. بعدها .. فليحدث ما يحدث ..

بقيت الدعجاء تراقب (نافجة) تعكز مبتعدة عنها عائد لمنزل (القيقبون) وقبل أن تختفي عن أنظارها في الزقاق الضيق قوطع سرحانها بها بصوت الصبي الصغير الذي سقاها الماء سابقاً وهو يقول : «خذي ..»

التفتت إليه باسمة لكن بسمتها تبددت وذابت حين رأت عينه مزرقة وشفته مجروحة ويده ممدودة لها بكسرة خبز. أخذت (دعجاء) كسرة الخبز لكن نظرها لم ينفك عن ملامح الصغير المملوءة بالضيق وقالت : ما هذا يا صغيري؟

(الصبي) ماسحاً أنفه بكمه مستنشقاً ما بدا أنه نهاية بكاء سابق : طعام .. ألم تقولي بأنكِ جائعة؟

(دعجاء) تأخذ كسرة الخبز من يده : ومن أين جلبتها؟

(الصبي) : وما دخلكِ؟ .. كلي فقط!

قضمت الدعجاء كسرة الخبز ومضغتها وهي تتأمل الصبي بتفكر للحظات ثم قالت : أين قرَبتك؟

(الصبي) بنبرة مكسورة : لم تعد معي ..



(دعجاء) : ولمَ خدك محمر؟

صمت الصبي ولم يجب ..

وهي تلوك قطعة الخبز وتحدق بالصبي بحدة : بكم بعت قربتك؟

(الصبي) متعجباً : كيف عرفتِ؟

(دعجاء) : نخوتك أيها الصغير لن تغفل عني .. هيا أخبرني .. كم حصلت مقابل بيعها؟

(الصبي) : ما بيدك الآن فقط ..

(دعجاء) : لكن هذا ثمن بخس

(الصبي) : هذا ما أعطاني إياه التاجر مقابلاً لها وعندما طلبت المزيد ..

(دعجاء) مقاطعة : ضربك ونهرك ..

(الصبي) بانكسار : نعم

(دعجاء) : هذا التاجر .. يعقوبي؟

(الصبي) بشيء من التوتر : ولمَ تسألين عنه؟

(دعجاء) باستياء : ما الذي أراه في عينيك؟ .. هل أنت خائف؟

هز الصبي رأسه بالإيجاب ..



(دعجاء) : أريدك أن تأخذني لدكانه

(الصبي) وقلقه يتصاعد : لا! .. لا أريد جلب المشكلات لأمي فهي تشتري منه أغلب حاجياتنا وقد يحرمها من بضائعه وقد فعلها من قبل!

(دعجاء) : ألا يوجد تاجر غيره لتشتروا منه؟

(الصبي) : بضاعته لا يبيعها إلا أقرانه وهم عندما يُحرم أحدهم الشراء على شخص يتفقون جميعاً على حرمانه

(دعجاء) : ماذا تشترون منه؟

(الصبي) : غالباً التمر والبلح .. وبعض اللبن أحياناً إن كان معنا ما يكفي من المال

(دعجاء) : ومنذ متى كانت خيرات أرضنا في أيدي غيرنا وتباع لنا؟

(الصبي) منزلاً رأسه : هذا هو الحال دوماً ولم أشهد غيره منذ أن ولدت

مدت العرجاء يدها ورفعت ذقنه الصغيرة بسبابتها وإبهامها محدقة في عينيه قائلة : خذني إليه ..

(الصبي) وعيناه ترتجفان وتلمعان بالدموع : لكن لماذا يا عمة؟!

(دعجاء) : لأني لا أريد رؤية تلك النظرة في عينيك مجدداً ..



(الصبي) بخليط من الانفعال والبكاء : لقد بعت القربة وانتهى الأمر ولن أتراجع عن كلمتي!

(دعجاء) بهدوء : نحن لن نذهب لاستعادة قربتك يا صغيري

(الصبي) مستنشقاً دموعه وذقنه لا تزال مسندة لأصابع الدعجاء:

لمَ سنذهب إليه إذاً؟

(دعجاء) ماسحة على خد الصبي :

«لنستعيد شيئاً آخر ..»





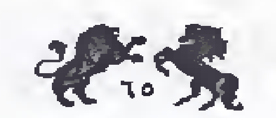
السباع السبعة

«حاول أن يحاكي الشمس فاحترق ..»

«وأنتِ الشمس التي أحرقته؟» ..

قالها السيد الكبير متهكماً وهو يراقب تلك الفتاة الحافية بالملابس الخفيفة تتحدث معه بكل ثقة ..

(مهرناز) بأعين تتوهج نورًا : هل تريد أن أحرقك أنت أيضاً؟



تجهم سبعة متنورين يقفون حول عرش السيد الكبير عُرفوا بـ ((السباع السبعة)) وهم الحرس الخاص الموكلون بحراسته..

(آغ) بسخط وتجهم شديد : احترمي السيد الكبير!
(السيد الكبير) ملوحاً بيده باسماً بلا مبالاة : دعها تقلْ ما تشاء يا (آغ) ..
(مهرناز) : وسأفعل ما أشاء أيضاً
(السيد الكبير) مشيراً لجسدها بسبابته : ولمَ ملابسكِ خفيفة بهذا الشكل؟
(مهرناز) باسمة : «الجمال الحقيقي لا يغطى ..»
(السيد الكبير) ممعناً النظر أكثر بقوامها الممشوق : نحن في الشتاء والبرد قارس
(مهرناز) ولهب أصفر يلف حولها : النار المشتعلة بداخلي كفيلة بتدفئتي لا تشغل بالك
(روشني) : تحدثي بلباقة أكثر مع السيد الكبير
(مهرناز) : سيدكم أنتم وليس سيدي ..
تبسم السيد الكبير وأشار لأحد حراسه الواقفين حوله بحركة من يده قائلاً : تعالي يا (سبلج) ..

تقدمت فتاة معصوبة العينين برباطٍ أسود وشم على جبينها أربع دوائر سوداء مصمتة وعشر نجوم أحاطت بتلك الدوائر وجسدها امتلأ بوشوم لحيوانات مختلفة وشعرها مربوطٌ خلف رأسها كذيل الفرس واحتضنت كف السيد الكبير وقبلتها قائلة :

«أمرك يا صاحب العظمة ..»

(السيد الكبير) : ما رأيكِ؟ .. هل تستطيعين تلقينها درساً؟

(سبلج) : ستركع عند أقدامك تطلب الرحمة قبل أن يرتد طرفك ..

طبطب السيد الكبير على رأسها وكأنها حيوان أليفِ قبل أن تقفز على أحد الأعمدة الرخامية بالمكان بحركة رشيقة وسريعة أتبعتها بقفزة أخرى وقوفاً خلف (مهرناز) ..

(مهرناز) متهكمة بلا مبالاة مشيرة لبقية الحراس : دعهم يتقدموا جميعاً كي لا نضيع الوقت ..

(السيد الكبير) وهو معجب بثقتها : حسناً لكِ ذلك ..

نادى السيد الكبير على حراسه الستة المتبقين وهم :

.. (باباعوت) ..

رجل أسمر طويل القامة صلب البنية يلبس طوقاً نحاسياً حول عنقه



يحمل سلسالاً حديدياً بحلقات كبيرة بين يديه ويلف جزءاً منه حول رقبته .. وشم بسبع نجوم ودائرتين مصمتتين على لسانه ..

.. (ماكانوس) ..

عجوز يلبس جلباباً أبيضَ يمسك بيده عظمة كبيرة وثعبان أصفر مستقر على أكتافه وشم على ذراعه الأيمن خمس دوائر مصمتة ونجمتان على كل ذراع ..

.. (قردوس) ..

كتلة ضخمة من الشحوم تعادل عشرة رجال وزناً .. ضيق العينين عاري الجسد. ملامحه شرقية ولا يغطيه سوى خرقة بسيطة حجبت عورته الأمامية .. أملس الجلد معدوم الشعر عدا حاجبيه النحيلين .. وشومه استقرت على أكتافه من الخلف .. أربع عشرة نجمة ودائرة واحدة فقط ..

.. (زومر) ..

كاهن يلبس رداءً فضفاضًا من الحرير الأزرق يغطيه من رأسه لأخمص قدميه ولم يظهر من وجهه سوى شفتيه وأذنيه ذواتا الأقراط الذهبية المتدلية ولحيته السوداء الطويلة. وشم فوق شفته

العلوية مكان شنبه المحلوق خمس دوائر سوداء مصمته ونجمة على قمة أنفه ويحمل بين كفوفه أرنباً أبيضَ صغيراً بأعين حمراء يداعبه بأنامله.

.. (كمشل) ..

شاب هزيل البنية شاحب البشرة بملامح أنثوية وأعين خضراء لامعة يلبس رداءً من الحرير الأبيض ببطانة وزخارف ذهبية.
يغطي نصف قمة رأسه بخمار من القماش نفسه مخفياً جزءاً من شعره الأسود الناعم المسدل على أكتافه وبالرغم من صغر سنه إلا أنه صنف ضمن الكهنة وكان يملك أربع دوائر مصمتة على فخذه الأيمن أضيف لها خمس نجوم.

.. (مرناصة) ..

امرأة شديدة البأس تلبس لباساً يشبه ما يلبسه الفرسان في أرض المعركة لكنه من الجلد المَحُوك ببعض القطع القماشية الرمادية كلون أعينها الجاحظة وشعرها الخمري الطويل لم يزد ملامحها إلا حَدة وصلابة. وشمت بثلاث دوائر بجانب نجومها العشر على صدرها لتفوقها المتكرر في المهام الصعبة التي توكل إليها.



أعطى السيد الكبير الأمر لـ ((السباع السبعة)) بالتقدم بإشارة من سبابته قائلاً :

«أرينا قدراتكِ يا حافية ..»

تقدم الحرس وحاصروا (مهرناز) وسط القاعة الكبيرة في ((عرين الأسد)) وبالرغم من أنهم نظروا إليها بحدة وعبوس إلا أنها تبسمت لهم بلا اكتراث قائلة بنبرة ساخرة :

«هيا .. ماذا تنتظرون؟»

أول المتقدمين كان (باباعوت) الذي سار وهو يجر سلسلته الحديدية الكبيرة وراءه تبعه الكاهن العجوز (ماكانوس) من الجهة المقابلة مقلباً العظمة الطويلة بحوزته. بدأ الكاهن بالهجوم باندفاع سريع نحو الفتاة الحافية ذات الأعين المشعة والتي لم تتحرك من مكانها واكتفت برفع كفها في وجهه لصد هجومه ليطير بعيداً خارج الدائرة المحاصرة لها وقبل أن تنزل يدها شعرت بسلسال (باباعوت) يلف حول جسدها. التفتت (مهرناز) برأسها نحو المتنور الأسمر الضخم ورأته يبتسم وهو يحاول سحبها تجاهه وفي اللحظة نفسها رفعت نظرها للأعلى لتشاهد القاتلة المعصوبة الأعين (سبلج) قافزة



نحوها ممسكة بخنجرين بيديها. توهجت الفتاة الحافية بوهج أصفر دفع معظم الحاضرين لرفع أياديهم لحجب قوة الضوء عن أعينهم ومع ذلك الوهج صعق المتنور (باباعوت) بتيار محرق سار في سلسلته الطويلة وتحول معها لكومة من الرماد والحال ذاته أصاب (سبلج) حيث إن أقدامها لم تحط على الأرض أبداً لأنها هي الأخرى تبددت لغبار أبيض تساقطت ذراته كالدقيق على السطح الرخامي.

نهض المتنور (ماكانوس) بعد ما أفاق من سقوطه السابق منطلقاً بأقصى سرعته وتمكن من توجيه ضربة لظهر (مهرناز) بعظمته فما كان منها إلا أن استدارت نحوه وكأنها لم تشعر بتلك الضربة رافعة كفها المفتوحة أمامه محركة أناملها بحركات خفيفة تبعها صراخ المتنور العجوز بعد ما بدأت عظامه بالتحطم واحدة تلو الأخرى حتى تساوى جسده تاركاً بقعة من الدماء والعظام المسحوقة اشتعلت بلهب كبير حين طرقت (مهرناز) إبهامها بسبابتها. لم يتحمل (قردوس) تساقط زملائه واحداً تلو الآخر بتلك الطريقة السريعة والمهينة وصرخ بأعلى صوته رافعاً قبضتيه للأعلى قائلاً :

الهلاك قادم!



لم يكمل المتنور السمين جملته حتى انفجر في مكانه محدثاً فوضى دموية في القاعة ..

المشهد كان باهراً ومرعباً للجميع عدا السيد الكبير الذي راقب كل شيء وذقنه مسندة لقبضته وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة رضا وعندما لمح أن من تبقى من حراسه ينوون التقدم قال : «توقفوا!» انحنى الثلاثة المتبقون من السباع السبعة استجابة لأمر سيدهم لكن (مهرناز) وقفت أمامه تنظر إليه بأعينها المشعة قائلة : هل انتهينا؟

(السيد الكبير) : (كلكامش) كان محقّاً .. الهالة النجمية لها وجود ولا بأس بها

(آغ) متقدماً بحذر : عندما وجدتها كانت تائهة ولا تعرف مدى القوة التي تملكها لذا حملت على عاتقي إكمال ما بدأه (كلكامش) وقمت بتعليمها فنون استخدام الطاقة وأخفيت الأمر حتى تيقنت من أنها جاهزة للانضمام للطائفة وكما أخبرتك يا صاحب العظمة العربيات لن يتمكنّ من الوصول إلى هنا لأن (مهرناز) ستسحقهن جميعاً بقوتها الهائلة .. هي مفتاح نصرنا

(السيد الكبير) : أو نهايتنا ..

(آغ) باستغراب : ماذا تقصد يا صاحب العظمة؟



(السيد الكبير) موجهاً حديثه لـ (مهرناز) : لا شك بأن لديكِ قوة هائلة .. لكن قوتكِ هذه لا تعني لي شيئًا إذا لم تقسمي لي وللطائفة على الولاء

(مهرناز) : وإن لم أقسم؟

(السيد الكبير) : سترحلين عن ((جبال الملح)) بلا عودة

(مهرناز) : وهذا ما أريد

(آغ) بتعجب : ماذا تقولين يا (مهرناز)؟ .. أنت ابنة الطائفة؟ .. لقد قدمنا لكِ ..

(مهرناز) مقاطعة دون أن تلتفت إليه محدقة بالسيد الكبير : أنتم لم تقدموا لي سوى العذاب والحسرة والقهر ولا أحمل في قلبي تجاهكم إلا الحقد! .. لقد جاريتك في هرائك الذي أخبرتني به وأجبرتني عليه فقط كي أقف هنا أمام سيدكم وأخبره ذلك بنفسي .. لا أريد أن يكون لي علاقة بهذا المكان أو طائفتكم الخبيثة!

(السيد الكبير) مشيراً بيده لمخرج القاعة وبنبرة هادئة وباردة : رافقتكِ السلامة إذاً ..

(مهرناز) بملامح متفاجئة بعض الشيء : يمكنني الرحيل؟

(السيد الكبير) : أليس هذا ما تريدين؟ .. المدخل هو ذاته المخرج ..



استدارت الحافية بتردد وبدأت تخطو نحو مخرج القاعة وقبل ان تترك المكان سمعت (آغ) يحدث السيد الكبير بصوت مرتفع بعض الشيء وكأنه يريد إسماعها قائلاً :

«سأكمل لك يا صاحب العظمة تقريري عن الساحرة الهجينة .. المدعوة (أنمار) ..»

في تلك اللحظة توقفت (مهرناز) عن تقدمها واتسعت عيناها وعادت أدراجها بخطوات متسارعة وقالت لـ (آغ) بخليط من الحماس والتوتر :

«أختي (أنمار)؟! .. أين هي؟! .. هل هي مع خالتي أفسار؟! .. أخبرني!»

(آغ) بشيء من التهكم والتجاهل لها : هذا شأن لا يعنيكِ ..

(مهرناز) ممسكة بأذرعه تهزها بقوة قائلة بعصبية وأعين متوهجة : أخبرني وإلا أنهيت حياتك!!

(روشني) مقترباً منهما : هذه أسرار خاصة بالطائفة ولا يحق لغير أعضائها معرفتها

مهرناز دافعة بـ (آغ) بسخط موجهة حديثها لـ (روشني) : يمكنني أن أجدها بنفسي! .. لا أحتاجكم!



(مهرناز) ملتفتة نحو السيد الكبير بوجه محتقن ومقهور : أبايعك!

(السيد الكبير) واضعاً ساقاً على ساقٍ : كنت أظنكِ راحلة ..

(مهرناز) منزلة رأسها بشيء من الخنوع : أريد البقاء .. أرجوك اقبل بي بين صفوف الطائفة

(السيد الكبير) لقد قتلتِ أربعة من حراسي الأوفياء .. سأقبل بكِ فقط إذا أقسمتِ على أن تكوني أحدهم وتقدمي حياتكِ فداءً لي ..

(مهرناز) نازلة على ركبتها : أقسم لك أني ساقف في وجه ما يُصوّب صوبك ليصيبك وسأذود عنك وأدفع كل خطر يقترب منك أو يريبك .. حتى وإن كلفني ذلك حياتي .. أخبروني الآن بمكان أختي (أنمار)

(السيد الكبير) باسماً : قسم جميل .. لكني لا أصدقكِ

(مهرناز) وقد بدأت تبكي : ماذا تريد مني؟! .. لقد أقسمت لك!!

(السيد الكبير) : أريد إثباتًا أنكِ بالفعل ستكونين وفية لقسمكِ ولن تحنثي به

(مهرناز) تقف بأعين محمرة : وما الذي سيثبت لك ذلك؟!

السيد الكبير مشيراً لـ (آغ) : استدعِ (مايزك) ..

عندما سمعت (مهرناز) هذا الكلام تجهمت واشتعلت عيناها
ببريقٍ أبيض وهمت بالاندفاع نحو المتنور ذي الشعر الأبيض
الواقف بجانبها لكن السيد الكبير استوقفها قائلاً:

«تذكري أني لن أغفر لكِ لو فعلتِ وحنثتِ بعهدكِ معي..»

كظمت الحافية غيظها وبدأت تتنفس بثقل وهي تحدق بـ (مايزك)
بأعين تتفجر غضباً وهو يروي الأحداث التي مر بها منذ تشكله كـ
(دوسر) وخداعه لـ (أنمار) لتأخذه معها إلى لحظة طعنها بالخنجر
المسموم وتركها فريسة لذئاب الجبل وخلال ذلك كانت أعين
السيد الكبير تراقب (مهرناز) تصارع رغبتها في الانقضاض عليه
لكنها لم تفعل بالرغم من أن أنفاسها الثقيلة وأعينها المتوهجة لم تهدأ
أو تخمد خلال إنصاتها لحديثه حتى انتهى.

(السيد الكبير): أحسنت يا (مايزك).. سوف نشمك بدائرة رابعة
كمكافأة لك.. يمكنك الرحيل الآن

رحل المتنور ذو الشعر الأبيض تاركاً (مهرناز) تشتعل وتحترق
غضباً وسخطاً من الداخل والخارج لأنها تعرضت للخداع
والإيهام بأن أختها كانت لاتزال على قيد الحياة..



(السيد الكبير) : لقد أثبتِّ ولاءكِ .. منذ اليوم أنت حارستي الوحيدة وستقفين معي وبجانبي

(زومر) : ماذا عن السباع السبعة أيها السيد الكبير؟

(السيد الكبير) : هل ترى أمامك سبعة؟ .. لا أرى سوى ثلاثة .. سوف تنضمون لفريق القتلة

شعر من تبقى من أعضاء السباع السبعة بالعار والذل وهم يراقبون (مهرناز) تتقدم وتقف بجانب السيد الكبير آخذة مكانهم وخلال ذلك تحدث (روشني) قائلاً : فريق القتلة بعد مقتل (فايو) بلا قائد يا صاحب العظمة

(السيد الكبير) : استلم قيادتهم أنت .. ألم تكن هذه رغبتك؟

(آغ) : لكن يا سيدي لا يقود القتلة سوى القتلة

(السيد الكبير) : وماذا جنينا من قيادة (فايو) سوى الهزائم النكراء .. لنمنح العقل فرصة ولا أرى أعقل من الوزير (روشني) لتولي هذه المهمة

(روشني) حانياً رأسه وبنبرة ممتنة : إنه لشرف كبير يا سيدي أن تمنحني هذه الثقة وأعدك بأني سأكون عند حسن ظنك بي

(السيد الكبير) : ارحلوا الآن واتركوني وحدي



(آغ) : ألا تريد منا وشم الحارسة الجديدة؟

(السيد الكبير) ملتفتاً على (مهرناز) الواقفة بجانبه والمحدقة أمامها بوجه صارم وأعين غارقة بالدموع : لا يوجد عدد كافٍ من النجوم لتصنفها يا (آغ) .. دعها كما هي وشِمْ كاهنك فقط

(آغ) حانياً رأسه قبل أن يهم بالرحيل : كما تشاء يا صاحب الحكمة

أشار (روشني) للحراس المتبقين من السباع السبعة بأن يتبعوه قبل أن يرحل هو الآخر ..

(السيد الكبير) لـ (مهرناز) خلال مراقبته للجميع وهم يخرجون من القاعة الكبيرة :

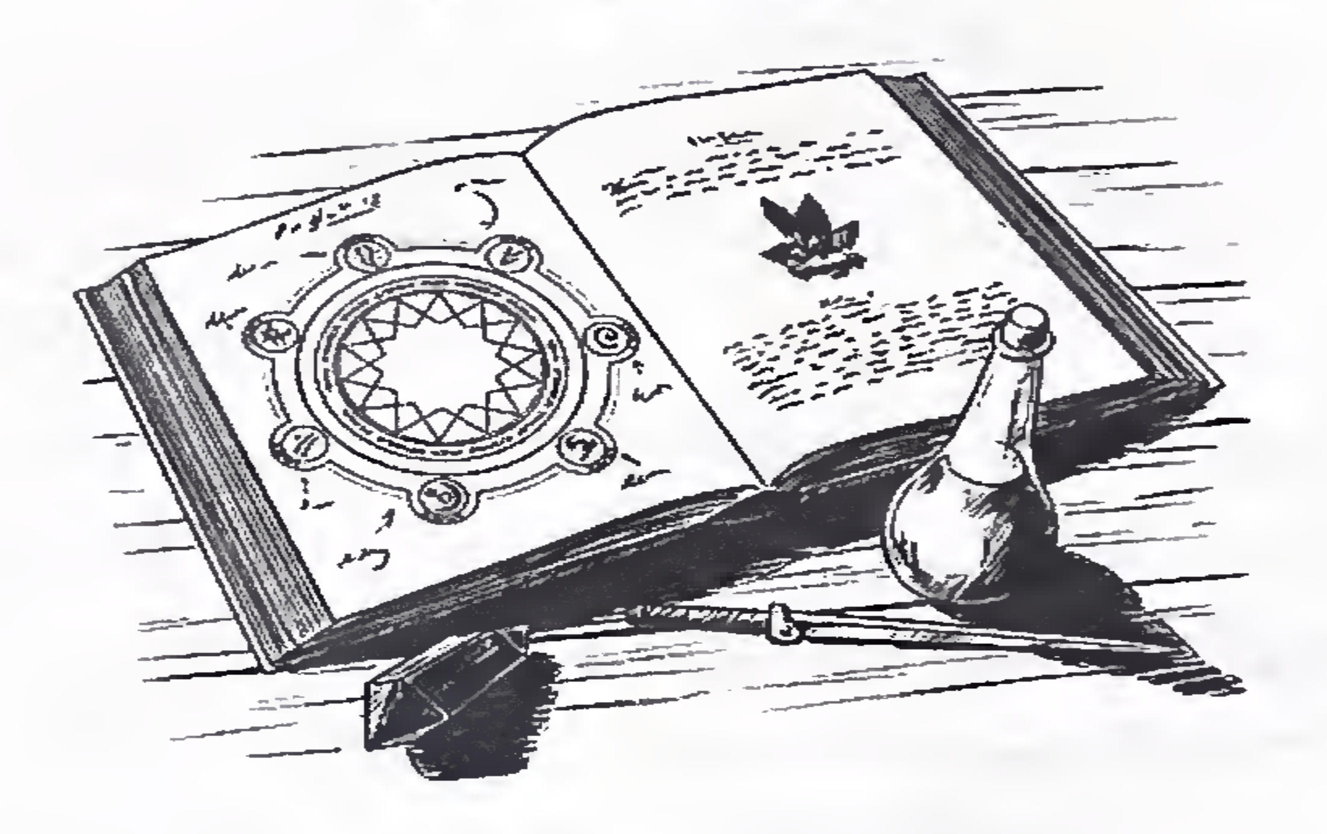
«القوة ليست فيما نستطيع إطلاقه وتحريره بل ما نستطيع السيطرة عليه ..»

(مهرناز) دون أن تحيد بنظرها :

«كما تشاء يا سيدي ..»



حفنة الحفاة



باب منزل ساحرة اليمامة الخشبي المتهالك يُفتح ..

تتحرك درفته ببطء محدثة صريرًا حادّاً ..

يتأهب الموجودون بالداخل لأي مفاجأة بسبب توترهم العالي ..

يتنفسون الصعداء عند رؤيتهم العرجاء تدخل عليهم مغلقة الباب خلفها ..

تعكز نحوهم ببطء بوجه امتزج فيه السرحان بالتيه ..



(القيقبون) بخليط من السخط والسخرية : «مرحباً بعودتكِ .. أراكِ خاوية اليدين يا عرجاء .. أين ابنة وصبان؟»

(نافجة) وهي تعكز لوسط المكان : رحلت ..

(هند) : رحلت إلى أين؟

(كُميت) : ألن ترافقنا؟

(نافجة) بعد ما أسندت ظهرها وعكازها للجدار وجلست سارحة أمامها : لا ..

مدت (القيقبون) يدها في قدرها رافعة كتاب سليمان الحكيم فوق رأسها ملوحة به قائلة : «لسنا بحاجتها فالكتاب بحوزتنا!»

(نافجة) زافرة بخيبة : ولا هذا معنا .. أعيديه لقدركِ

(رافدة) : ماذا تقولين يا عمة؟ .. لماذا؟

(نافجة) : لأننا لا نحتاجه

(القيقبون) بتعجب : عمَّ تتحدثين يا ابنة أملج؟ .. هل فقدتِ صوابكِ؟! .. هذا الكتاب هو ..

(نافجة) مقاطعة : نحن لا نحتاج الكتاب كي نقهر المتنورين لا نحتاج إلا عزيمتنا وإرادتنا فقط

(القيقبون) بتهكم : وماذا أيضاً يا ساحرة ((هجر))؟

(نافجة) : وأن نستخدم عقولنا دون تغليب قلوبنا .. أن تكون غايتنا واضحة وهدفنا نصب أعيننا

(القيقبون) : هذا الكلام المشحون بالعواطف المقززة يقلقني

(كُميت) : لذلك ومثلما قالت القائدة سنستخدم عقولنا

(رافدة) ساخرة : معنى ذلك أن عجوز القدر لا فائدة منها أيضاً

(القيقبون) : اخرسي يا بدوية وإلا دفنتكِ حيثِ تقفين!

(رافدة) تجلس متقرفصة على الأرض : ماذا عن الآن؟ .. هل ستدفنينني حيث أجلس؟

ضحكت (عوراء) لكن عجوز القدر رمقتها بنظرة متجهمة دفعتها لوضع كفها على فمها والاختباء خلف (زمجد) ..

(هند) : لا حاجة لنا بهذا السجال الآن .. يجب أن نفكر في خطوتنا التالية

(كُميت) : وعن ماذا سنتحدث؟ .. لم يتغير شيء .. نحن ما زلنا على عزمنا .. أليس كذلك يا قائدة؟

(نافجة) مستأنفة حديثها لكن بنبرة أقل حماسة : نعم .. والأهم من هذا كله .. أن نكون يداً واحدة وعلى قلبٍ واحد .. شق الصف سيقضي علينا جميعاً .. لا مجال للخلاف أو المناكفات يجب أن نكون صخرة مصمتة خالية من الشقوق



نهضت (رافدة) وسارت نحو عجوز القدر وقبلت رأسها قائلة : حسناً .. اصفحي عني يا ملكة اليمامة المعظمة

أبعدت (القيقبون) البدوية عنها بدفعها بكفها برفق من أمامها موجهة نظرها العابس وحديثها الصارم للعرجاء وقالت : ما بكِ .. لمَ أنت مكسورة؟

(نافجة) : لا شيء .. متعبة فقط

سارت عجوز القدر نحو العرجاء وجلست بجانبها وقالت بصوت مسموع للجميع وهي تشير لهم بسبابتها : هؤلاء يحتاجون إلى قائد .. قائد يقودهم للتهلكة التي نحن بصدد شد الرحال إليها .. تطلبين منهم التماسك وأنتِ منهارة أمامهم .. بالنسبة لي فأنا لا أمانع الموت فقد وهبتكِ عهدي .. لكن هم يحتاجون منكِ عزيمة أكبر مما تطلبين أنتِ منهم.

(نافجة) وهي مكسورة : عزيمتي كما هي لكني ..

(القيقبون) مقاطعة : أنا لا أعرف ما الذي دار بينكِ وبين ابنة وصبان لكني لن أسمح لكِ بالرحيل لأرض الفرس معنا وأنتِ بهذه الحال

(نافجة) ملتفتة إليها : ماذا تعنين؟

(كُميت) : القائدة يجب أن تذهب معنا

(رافدة) : بدونها لن نملك فرصة

(عوراء) : لن أرحل بدون العمة!

(هند) : نحن بحاجتها في أي حالة كانت

(القيقبون) : أنصتنَ لأنفسكنّ .. ولا واحدة منكنّ تملك هدفاً حقيقيّاً للذهاب عدا أنها تريد إرضاء ابنة النخيل .. أنتنّ لستنّ جاهزات .. لو كنتنّ تُردنَ الذهاب حقّاً لما ترددتنّ سواءً كانت بصحبتنا أم لا

(كُميت) : غير صحيح!

(نافجة) : بل عجوز القدر محقة ..

(رافدة) بتعجب : محقة في ماذا يا عمة؟

(نافجة) : أنتنّ لستنّ جاهزات .. وهناك فرق بين أن آخذكن معي وأن أجبركن على ذلك

(هند) : أنا لست مجبرة وراحلة بكن أو بدونكن

(القيقبون) موجهة الحديث للبقية بوجه عابس : ماذا عنكنّ؟! .. هل سترافقنني أنا والجنوبية؟

صمت الجميع وبدت على وجوههن الحيرة والتردد لكن (كُميت) قطعت صمتها قائلة : أنا سأذهب .. حتى وإن بقيت القائدة



(القيقبون) : ماذا عنك يا بدوية؟

(رافدة) : أنا ذاهبة حيث تذهب (كميت)

(عوراء) : أنا لا أستطيع ترك العمة

(القيقبون) ناهضة من جانب العرجاء : ابقي معها إذاً ..

(نافجة) : إلى أين؟

(القيقبون) رافعة حقيبة جلدية من على الحائط : للسوق .. سنحتاج بعض الحاجيات قبل رحيلنا غداً

أشارت عجوز القدر للفتيات باللحاق بها ففعلن ووجوههنّ تراقب ملامح (نافجة) وكأنهنّ يخشين أنهنّ قد ارتكبن خطأً ما لكنهنّ لم يتكلمن وتبعن (القيقبون) للخارج تاركات (عوراء) و(زمجد) مع العرجاء. جلست الصبية بجانب عمتها وقالت بحزن : هل حقّاً سيرحلن ويتركننا؟

(نافجة) ماسحة على رأس الصبية باسمة : نعم ..

(عوراء) : ولمَ لا نرافقهن؟

(نافجة) : أنا لم أمنعكِ

(عوراء) بحزن : لا أستطيع الذهاب لأي مكان دونكِ

(نافجة) : لماذا؟ .. أنت لستِ مملوكة لي ويمكنكِ فعل ما تشائين أم أنكِ تريدين البقاء مع من سيعتني بكِ فقط



(عوراء) : أخبرتكِ من قبل يا عمة .. أنا من سيعتني بكِ وليس العكس

تبسمت (نافجة) ولم تعلق على كلام الصبية لكنها وجهت كلامها لـ (زمجد) وقالت : خذها للسوق واشترِ لها ملابس جديدة

(عوراء) بحماس : هل يمكن أن أشتري بعض الحنطة؟!

(نافجة) باسمة : نعم .. هل معكِ ما يكفي من المال؟

(عوراء) : لا أعرف فـ (زمجد) هو من يجلبه لي

(زمجد) : لا عليكِ يا سيدة (نافجة) سأتدبر الأمر

(عوراء) بنبرة محذرة : لكن لا تسرقه!

(زمجد) حانياً رأسه باسماً : أمرك يا سيدة (عوراء) .. موهوب وليس مسروقاً ..

نهضت الصبية من مكانها قفزاً والسعادة تغمرها وخرجت من المنزل ليتبعها الجني الأزرق بعد ما تشكل بهيئة بشرية وقبل أن يخطو للخارج استوقفته (نافجة) قائلة : ما رأيك أنت؟

(زمجد) ملتفتاً إليها : رأيي في ماذا يا سيدة (نافجة)؟

(نافجة) : هل فقدت عزيمتي؟



(زمجد) : كل ما أعرفه هو أنكِ خرجتِ قبل قليل كالبحر المائج وعدتِ إلينا كالنهر الوادع ..

صمتت العرجاء واكتفت بالنظر أمامها ولم ترد عليه ..

بعد خروج (زمجد) بفترة غطت أعين (نافجة) المرهقة في النوم لكن غفوتها قوطعت حين فُتح باب المنزل فظنت العرجاء أن أحدهم قد عاد لكنها فوجئت بالدعجاء تقف عند الباب تنظر إليها باسمة لكن هيئتها مختلفة بعض الشيء فشعرها الأبيض منكوش قليلاً وكأنها خاضت صراعًا ما ويدها اليسرى مصابة ومبتلة بالدم لكن أكثر ما لفت انتباه (نافجة) هو عيناها المتسعتان وكأنها مصدومة أو في حالة من الجزع بالرغم من تبسمها. تقدمت الدعجاء بضع خطوات وهي على تلك الحالة ثم قالت : «خشيت أنكم رحلتم .. أين البقية؟»

سحبت العرجاء عكازها على عجالة ناهضة من مكانها عاكزة بسرعة نحوها مغلقة الباب خلفها وقالت بخليط من الحماس والتوتر : لمَ عدتِ يا عمة؟!

(دعجاء) ممازحة : هذه ثاني مرة تسألينني فيها السؤال ذاته اليوم .. بدأت أشعر حقّاً بأنكِ لا تريدين رؤيتي

(نافجة) وهي مشتتة : لا! لا! .. أبداً! أبداً! .. لكن ..

(دعجاء) : لكن ماذا يا جدعاء؟

(نافجة) رافعة يد الدعجاء النازفة : ما هذه الدماء يا عمة هل آذيتِ نفسكِ؟

(دعجاء) ببرود وبدون أدنى اهتمام : لا تكترثي لها ..

سحبت (نافجة) خمارها من على رأسها وأخذت تمسح الدماء من كف الدعجاء وبعد لحظات قالت وعيناها على أنامل عمتها المراقبة لها : هذه ليست دماءكِ ..

سحبت (دعجاء) الخمار من يد (نافجة) بهدوء ووضعته على رأس العرجاء وقالت باسمة : «هذه مجرد دماء نجسة كان لا بد وأن تسفك ..»

(نافجة) تقود الدعجاء لوسط المنزل : تعالي يا عمة اجلسي هنا ..

أجلست (نافجة) عمتها بجانب القدر وسقتها بعض الماء ونفضت بكفوفها هندامها المتسخ بالتراب وأعادت ترتيبه ومسحت بكفها على رأس الدعجاء بعد ما لعقته وبللته بلعابها لتصفف شعرها الأبيض المبعثر وكانت تقوم بذلك بحرص وعناية شديدين وعيناها مملوءتان بالقلق والخوف و(دعجاء) تراقبها بصمت حتى انتهت وقالت وهي تهم بالعكز مبتعدة :



«ارتاحي الآن وسأحضر لكِ بعض الطعام ..»

أمسكت (دعجاء) بمعصم (نافجة) واستوقفتها لتدير هي نظرها نحوها قائلة :

«هل تريدين شيئاً آخر يا عمة؟»

(دعجاء) بوجه بارد وحديث صارم : سأرحل معكم؟

(نافجة) باستغراب : ما الذي جعلكِ تعدلين عن قراركِ؟

(دعجاء) مرخية قبضتها عن معصم العرجاء :

«قلبي الأحمق انتصر على عقلي مجدداً ولهيب روحي تأجج ..»

(نافجة) : وما الذي طرأ وأشعلها ..؟

(دعجاء) رافعة يدها اليسرى متأملة ما تبقى من أثر الدماء بين أصابعها قائلة :

«لا كرامة ترجى من تخاذل ولا عزة تطلب من أهل الدناءة .. أنا الدعجاء قبلة العرب وسيسجد العجم عند محرابي .. الموت يدق بابي وأنا لصوت دقاته أطرب .. أتطيب له وأنهض .. أحل وثاق شعري وأهز رأسي .. راقصة مغنية .. هلم يا حامل الموت أقبل .. مد لي خلاصي ولا تدبر .. »

غصت (نافجة) في دموعها ولم تقل شيئاً واكتفت بالجلوس أمام الدعجاء التي حدقت بعينيها المحمرتين وقالت بحزم:

«أقسم بنخيل هجر .. وهضاب نجد وحرات الحجاز .. وجبال الجنوب ورمال الشمال .. أننا سنحرقهم .. سنعصف بهم كالريح وسنريهم الهوان ونسقيهم المذلة .. وسيكون الموت منية يتمنونها وهبة يتوقون إليها ..»

قوطع حديثهما بدخول (القيقبون) مع من كانوا معها عائدين من السوق وعند رؤيتها للدعجاء جالسة بجانب قدرها ومن أمامها (نافجة) قالت بعبوس:

«لمَ عدتِ يا ابنة وصبان؟! .. العرجاء قالت بأنكِ رحلتِ ..»

(دعجاء) باسمة: أنا مدينة لكِ يا ساحرة اليمامة ..

(القيقبون) تدخل وسط المنزل بوجه متجهم ومن ورائها البقية حاملين بعض الحاجيات: مدينة لي بماذا؟

(دعجاء) وهي تراقب (القيقبون) تجلس أمام قدرها بالقرب منها: لقد حققتِ حلمي الكبير وحلم معلمتي (عانكة) من قبلي في تأسيس مملكة الساحرات .. لقد ملكتِ اليمامة وتربعتِ على عرش الساحرات فيها



(القيقبون) ماسحة بكفيها جوانب قدرها الأسود محدقة بأعين الدعجاء:

«لن أنسب الفضل كله لي ولن أنكر أنكِ مهدتِ الطريق لأعتلي عرش سحرة اليمامة .. وأنتِ من جعلت راية الساحرات ترفرف فوق رمال الجزيرة .. فمنذ أن قتلتِ كبير السحرة هنا لم يتمكن ساحر من السيطرة على المدينة لفترة طويلة دون أن يطاح به حتى أتيت أنا .. ثم إني لم أحقق الحلم الكبير الذي تتحدثين عنه وهو مملكة الساحرات .. أنا كبيرة السحرة في اليمامة فقط ..»

(دعجاء): وكل من ينال هذا الشرف يعيش في نعيم ورخاء ..

(القيقبون): أعرف ما تلمحين إليه يا ابنة وصبان .. هذا يحدث فقط مع من يكون الوالي راضياً عنه .. أنا كبيرة في عيونهم لكن ليس في قلوبهم .. هم يمقتونني ويمقتون وجودي أعرف ذلك لكن حاجتهم لقوتي ترغمهم على التغاضي عني وعدم التعرض لي

(دعجاء): لم يتغير شيء إذاً ..

(القيقبون) مبعدة كفيها عن جوانب القدر: ولن يتغير ..

أشارت العرجاء لبقية الفتيات بالجلوس حول القدر والإنصات للدعجاء التي أكملت حديثها قائلة: «أنا لا أعرفكنّ وأنتنّ لا

تعرفنني لكن حب (نافجة) لكنّ يكفيني لأثق بكنّ .. نحن ذاهبات لأرض غريبة وجميعنا سنبحر في الفلك نفسه ولا نجاة لأحد دون الآخر هذا إن قدر لنا النجاة .. ماذا تعرفن عن خصومنا؟»

(القيقبون) : أنهم جبابرة وقتلة محترفون

(نافجة) : لكنهم ينزفون .. وأي شيء ينزف يمكن قتله

(هند) : وهم كثر .. كالجراد

(نافجة) : اتفقنا سابقاً أننا سنستهدف سيدهم فقط .. هو رأس الأفعى

(رافدة) : كنت أظنه أسداً

(هند) : وهذا الأسد وحده ليس باللقمة السائغة

(كُميت) : سننال منه .. أنا واثقة من ذلك

في تلك اللحظة دخلت (عوراء) مع (زمجد) حاملة معها كيساً قماشيّاً كبيراً وعند رؤيتها للجميع مجتمعات حول القدر ابتهجت وقالت بسعادة غامرة وهي تجري نحوهن :

«لقد أحضرت لكن بعض الحلوى!»





الأسرة المأسورة

تبسمت (نافجة) خلال جلوس الصبية في حجرها وبدئها بتوزيع الحلوى على الجميع ..

(عوراء) وهي تمد قطع الحلوى واحدة تلو الأخرى:

«خذي هذه لكِ .. وهذه لكِ .. وهذه لكِ ..»

عندما مدت الصبية قطعة الحلوى لـ (القيقبون) أخذتها منها ورمت بها وسط القدر ولم تتناولها كالبقية فقالت لها (عوراء) مؤنبة: لِمَ فعلتِ ذلك؟!

(القيقبون): الحلوى لا تأكل الحلوى ..

(رافدة): إن كنا سننتصر بالثقة فعجوز القدر هي مفتاح النصر

(كُميت) منزلة غطاء وجهها لتناول الحلوى باسمة: اسكتي لا نريد مشكلات معها

(دعجاء) منتبهة باهتمام لملامح الحجازية الحادة بعد ما أماطت لثامها ممعنة النظر بأعينها الملونة كأعين القطط : ما اسمك يا رامية؟

(نافجة) : اعذريني يا عمة فلم أعرفكِ على عائلتي

(دعجاء) : أعرف منهنّ (هند) و(سديرة) فقط

(رافدة) و(كُميت) ملتفتتين بعضهما على بعض وهما تلوكان الحلوى وبصوت واحد : (سديرة) من؟!

(القيقبون) زافرة بحزن : لم ينادِني أحد بهذا الاسم منذ سنين طويلة .. أوجعتني يا ابنة وصبان

(عوراء) مشيرة نحو عجوز القدر : أنت (سديرة)؟

(القيقبون) بعبوس : نعم .. هل لديكِ مشكلة مع اسمي؟

(عوراء) بشيء من الخوف : لا فهو ألطف من عجوز القدر

(نافجة) مشيرة للبدوية والحجازية بسبابتها : وهذه (رافدة) وتلك (كُميت) ..

(دعجاء) : (كُميت) .. اسم جميل

(كُميت) : شكرًا يا قائدة

(دعجاء) : أنتِ من الحجاز .. ولدتِ في العراء لكنكِ استوطنتِ المدن لاحقاً



(كُميت) : نعم صحيح .. هل أخبرتكِ القائدة (نافجة) بذلك؟

(دعجاء) : تلك الأعين الثاقبة أخبرتني .. خرجتِ للدنيا والسماء سقفكِ ولم يحجب حدود نظركِ شيء .. أنتِ مميزة

(كُميت) رافعة غطاء وجهها مخفية فمها : أنا مثل أي بنت أخرى..

وجهت الدعجاء نظرها لـ (رافدة) ورفعت سبابتها وأشارت إليها قائلة : وأنتِ من قبائل الشمال .. هجدانية ..

(رافدة) : نعم .. رافدة ابنة شبل بن مطنب الهجداني ..

(دعجاء) : ابنة شيخها ..

(رافدة) ماسحة على وشم أنفها بأناملها : نعم ..

(دعجاء) رافعة رأسها تجاه (زمجد) الواقف خلفهن والمتشكل كبشر: وأنت جن أزرق .. لقد رأيتك بهيئة مختلفة عندما دخلت أول مرة.. كنت أعرف أمراءكم .. (فردك) .. (أزرق) والأميرة (قيرن)

(زمجد) : سمعت عنهم وعما فعلوه بمملكتنا وكيف دمروها

(دعجاء) : (عقربة البابلي) هو من دمر مملكتكم وليس أبناء الملك (وندل)

(زمجد) : لا يهم .. أنا لا أعرف تلك المملكة كي أحزن عليها



(القيقبون) : حبيبي هذا وُلد في أرض الجزيرة لأب وأم مأسورين

(عوراء) بسخط : لا تناديه بحبيبك!

(دعجاء) باسمة : وأنتِ من يا صاحبة الحلوى؟

(عوراء) رافعة يدها بحماس وهي جالسة في حجر (نافجة) : أنا عوراء!

(دعجاء) : تجيدين العربية بشكل حسن

(عوراء) بحزن : أنا عربية .. العمة (نافجة) أخبرتني بذلك

(دعجاء) : لا .. أنتِ لست عربية .. أنتِ ..

(نافجة) مقاطعة : المعذرة يا عمة .. أريد أن أسألكِ .. متى سنرحل؟ .. وأي الطرق سنسلك؟

(دعجاء) : الآن ..

(القيقبون) بتعجب : الآن؟

(دعجاء) : نعم .. سننتقل لأرض الفرس فوراً ونبحث عن هذا السيد الكبير

(هند) : لقد أخبرتهن سابقاً أنه يقيم في قصرٍ رخامي ضخم يقبع فوق إحدى قمم ((جبال الملح)) يسمى بـ ((عرين الأسد))

(دعجاء) : هذه وجهتنا إذاً ..



(القيقبون) : أنت أكثر جنوناً من ابنة النخيل .. هل سنطرق بابه
وندخل أم ماذا؟

(دعجاء) : الآن ليس وقت الحديث في التفاصيل .. هناك ما هو أهم

(نافجة) : ماذا يا عمة؟

(دعجاء) وهي تشير لـ (زمجد) بالجلوس مع المجموعة :

«نفوسكم .. يجب أن تُغسل من أي كدر قبل أن نرحل .. أي رغبة
ملحة .. أي أمنية معلقة .. تخلصوا منها أو أتموها .. وإلا فسوف
تثقل كاهلكم وتعيقكم عن مسعاكم ..»

(رافدة) : لم أفهم

(نافجة) : العمة تقصد أننا يجب أن نرحل وكأننا لن نعود ..

(هند) : لا يوجد قيود تقيدني

(دعجاء) : بلى يا ابنة معناد لديكِ

(هند) : لقد رحلت عن أهلي طواعية مني ولا نية لي بالعودة .. حتى
إني هجرت زوجي وتركت ابني ورائي ولم ألتفت إليهما

(دعجاء) : ألا ترغبين في زيارة قبر أختكِ؟

(هند) بغصة : أختي؟ .. هل تعرفين أين دفنت؟

(دعجاء) : أعادها أمير الجن الأزرق للجنوب ودفنها تحت الشجرة الكبيرة عند منزل أهلكِ

(هند) بحسرة : هل يعني هذا أنها كانت بالقرب منا طيلة تلك الفترة وأنا لا أعرف ..

(دعجاء) : رحلتِ بحثاً عن قربها ولم يزدكِ البحث عنها إلا بعداً ..

(هند) : وكيف علمتِ بذلك؟

(دعجاء) : علمي هذا من ((كهف المسترقين)) .. إن كنتِ ترغبين في زيارتها قبل أن نرحل فقومي بذلك .. سنكون بانتظاركِ .. يمكن لـ (زمجد) أن يأخذكِ إلى هناك ويعيدكِ خلال يوم

(هند) : لا .. لا أريد زيارتها قبل أن ينتهي ثأرنا

(دعجاء) : ثأركما ممن؟ .. (جهنم) ماتت على يدي وأمها على يد (نافجة) .. من تبقى؟

(هند) : ثأر أختي هو ثأري وثأري هو ثأرها .. لا أريد أن أعود لها ولا يزال لي ثأر مع المتنورين

(دعجاء) : قد لا تعودين ..

(هند) : وقتها سألتقي بها عوضاً عن زيارتها ..

(دعجاء) : كما تشائين يا ابنة معناد



(نافجة) لـ (رافدة) : ماذا عنكِ يا بدوية؟

(رافدة) : قبيلتي لن ترغب برؤيتي وأنا لا أريد ذلك أيضاً

(القيقبون) لـ (كُميت) : وأنتِ يا قطة؟

(كُميت) : لا يربطني شيء بالحجاز سوى حبي لأرضها

(دعجاء) : وأنتِ يا (سديرة)؟

(القيقبون) بسخط : لا تناديني بهذا الاسم!

(عوراء) واضعة كفها على فمها ضاحكة : عجوز القدر اسمها (سديرة)!

(رافدة) : هدئي من روعك لقد تجاوزنا هذا الأمر

(القيقبون) زافرة : أنا ليس لدي شيء أخسره سوى ما تبقى من عنفواني ..

رفعت (رافدة) سبابتها وهمت بالتعليق لكن (كُميت) وضعت كفها على فمها ومنعتها ..

(نافجة) محتضنة الصبية وهي تلوك الحلوى في حجرها ملصقة خدها بخدها هامسة في أذنها : وأنتِ يا عوراء؟ .. هل لديك شيء تريدين القيام به قبل أن نرحل؟

(عوراء) تهز رأسها بالنفي محدقة بما تبقى من حلوى بين يديها قائلة : لا أريد سوى البقاء معكِ فقط ..

(دعجاء) لـ (زمجد) : وأنت أيها الجني؟

(زمجد) : أنا أسير حيث تسير السيدة (عوراء) ..

(دعجاء) : وولاؤك لمن؟

(زمجد) : لمن يملك مفاتيح قيودي .. للسيدة (قيقبون) في السابق ومن بعدها السيدة (نافجة) وللسيدة (عوراء) اليوم

(القيقبون) بنبرة نادمة : ليتني لم أفرط فيك

(نافجة) : وليتكِ لم تعطيه لي وأتبعته بكل هذا المن

(دعجاء) لـ (عوراء) : حرريه يا صبية ..

(عوراء) : لماذا؟ .. (زمجد) صديقي ولا يستطيع تركي

(دعجاء) : حرريه وهو سيختار إن كان يريد البقاء أو الرحيل .. لن نأخذه معنا وهو مجبَر ومسير .. كي تكون عصبتنا قوية يجب أن يكون كل فرد منها حرّاً مخيراً

(عوراء) بحزن : حسناً .. وكيف أحرره؟

(دعجاء) : فقط قولي : «أحررك من قيدي ..»

وجهت الصبية نظرها لـ (زمجد) الجالس بقربها وبنبرة مرتبكة قالت : «أحررك من قيدي ..»

وفي لمح البصر اختفى الجني الأزرق من المكان ..



(عوراء) وهي متفاجئة : أين ذهب؟!

(نافجة) ماسحة على رأسها : حيث يشاء يا عزيزتي .. ويبدو أن هذا ليس المكان الذي يرغب البقاء فيه

(دعجاء) : لقد اختار مصيره .. وهذا من حقه

(عوراء) بعين دامعة : كنت أظنه يحبني ..

(دعجاء) : الحب ليس أن يكون معكِ أو أن تكوني معه بل أن يريدُ كلٌّ منكما أن يكون مع الآخر ..

(كُميت) لـ (دعجاء) : هل لي بسؤالٍ يا قائدة؟

(دعجاء) : اسألي ما تشائين يا حجازية

(كُميت) : كيف التقيتِ بالقائدة (نافجة)؟

(نافجة) مسندة رأس (عوراء) الحزينة لصدرها ناظرة في أعين الدعجاء الباسمة : في الحقيقة لقاؤنا الأول كان على الأرض التي نحن بصدد شد الرحال إليها ..

(رافدة) : التقيتما في ((فارس))؟

(نافجة) : نعم

(كُميت) : وكيف حدث ذلك؟

(نافجة) : العمة لم ترضَ أن تتركني حين سمعت بأني محبوسة في سجونهم

(عوراء) رافعة نظرها لوجه (نافجة) : كنتِ مسجونة يا عمة؟
(كُميت) : ماذا كانت جريمتكِ؟
(رافدة) : أعتقد أن سؤالاً كهذا لا يسأل للعمة بعد معاشرتنا لها
(نافجة) مسندة ذقنها على قمة رأس (عوراء) سارحة أمامها : جريمتي كانت أني أردت إعادة الحق لأصحابه ..
(كُميت) : وهل هذه جريمة؟
(دعجاء) : عند الطغاة نعم هي جريمة لا تغتفر ..
(القيقبون) بتذمر : هل انتهينا؟ .. لقد بدأت أشعر بالنعاس
(دعجاء) : بقيت (نافجة) ..
(نافجة) رافعة رأسها : لا يا عمة .. ليس لدي مكان أريد أن أعرج به أو إليه قبل أن نرحل
(دعجاء) : ولا حتى ((هجر))؟
(نافجة) باسمة بحزن : ((هجر)) في قلبي ..
(القيقبون) : ماذا حل برحلتكِ للبحث عن (شق) و(سطيح) وشيطان ((بئر برهوت)) المدعو (سجر) .. هل عدلتِ عن ذلك؟
(دعجاء) متسائلة : (شق) و(سطيح)؟
(نافجة) : نعم .. كنا سنسعى لإيجاد إجابة لمعضلتنا بسؤالهما و(سجر) كان وجهتنا بعدهما



(دعجاء) : من ذكرتِهما لا أحد يمكنه إيجادهما بل هما من بجدائك والبحث عنهما هدر للوقت أما (سجر) فهو شيطان مجنون ولو كنتِ قد وصلتِ إليه كان سيقتلكِ ويرمي بكِ في قاع بئرته العفنة

(القيقبون) : ابنة وصبان محقة .. وقد أخبرتكِ بذلك وحذرتكِ

(نافجة) : على أي حال قطع (كلال) لطريقي حال دون إكمالي لهذه الرحلة

(هند) : (كلال) المتنور؟

(نافجة) : نعم .. اعترض طريقي لكنه مات مقتولاً

(هند) : على يدكِ؟

(نافجة) : لا .. متنور آخر ساعدني .. لكنه لا يملك أي نجوم مثل البقية

(هند) : صفيه لي ..

(نافجة) مستذكرة : شابٌّ صغير بشعرٍ أسود قصير يضع قرطاً ماسيّاً لامعاً في إحدى أذنيه ..

(هند) منزلة رأسها محدثة نفسها بصوت مسموع للبقية : (شاور) ..

(دعجاء) : هل تعرفينه؟

(هند) : أعرف أنه الذراع اليمنى للوزير (رِوشني) وأحد جواسيسه وهو متنور قوي جدّاً لكنه غير مصنف

(رافدة) : ما معنى هذا ولمَ ساعد العمة؟

(القيقبون) : يبدو أن هناك ضبعاً ينام في عرين الأسد .. قد يكون ذلك في مصلحتنا .

(هند) : أعتقد أن (روشني) يخطط لشيء ما وإلا فلمَ يمد يد العون لشخصٍ أمر السيد الكبير بتصفيته؟

(دعجاء) : هذا خبر غير سار ..

(نافجة) : لمَ يا عمة؟ .. قد يكون ذلك داعماً لنا .. من حديثي القصير معه أحسست بإحساس (هند) نفسه

(دعجاء) : هذا الوزير لو علم بقدومنا فسيخشى على نفسه من أن يُكشف غطاؤه أمام سيده وسيبذل كل ما في وسعه للقضاء علينا وبالذات أنتِ يا (نافجة) لأنكِ تملكين سره وهذا أدعى لأن نكون حذرين وأكثر خفية خلال رحلتنا

(كُميت) : لا يهم فنحن ننوي القضاء عليهم جميعاً

(نافجة) : لا، العمة محقة .. هدفنا سيدهم فقط ومن يعترض طريقنا سنواجهه لكننا لن نبحث عن صدام نحن في غنى عنه



(دعجاء) : هل معكم دواب؟

(نافجة) : فقط (الغبساء) قرة عيني ..

(عوراء) : كنت أظن أني أنا قرة عينكِ

(نافجة) مقبلة رأسها : أنت قرة عيني الأخرى

(دعجاء) : لن نحتاجها معنا في رحلتنا ..

(القيقبون) : تخلصي منها

(نافجة) بانفعال : أتخلص منها؟! .. أتخلص من الغبساء؟!

(كُميت) : لمَ لا نبيعها؟

(نافجة) بعصبية : ولا هذا! .. لا تتحدثن عنها بهذه الطريقة!

(القيقبون) متهكمة : ماذا تريدين إذاً أن نذبحها ونأكلها؟

وضعت (نافجة) يديها على خصر (عوراء) ورفعتها من على حجرها بوجهٍ عابسٍ وسحبت عكازها ونهضت وخرجت من المنزل مستاءة ..

(رافدة) : ما بها العمة؟

(دعجاء) : عشق الخيل داء لا يمكن الشفاء منه ..

خرجت الدعجاء من منزل (القيقبون) وراء العرجاء لتجدها تمسح على جبين (الغبساء) وتقبله بين الفينة والأخرى مبللة خطمها بدموعها ..

اقتربت منها (دعجاء) وقالت : ابنتي (خود) كانت تعشق خرافها مثل عشقكِ لفرسكِ ..

(نافجة) بنبرة حزينة ومهمومة : ما يجمعني معها أكبر من العشق يا عمة .. بحق هو هيام وجنون .. هي ابنتي التي لم أنجبها

(دعجاء) : هناك سوق للبهائم خارج اليمامة ..

(نافجة) مقاطعة ملصقة جبينها بجبين الفرس بأعين مغمضة وبصوت مشبع بالدموع : «لن أبيعها! .. لن أبيعها!»

(دعجاء) : تعالي معي فقط إلى هناك ولن يحدث شيء دون رضاكِ ..

أمسكت (نافجة) بسرج (الغبساء) تتأمل عينيها السوداوين بينما عادت الدعجاء للمنزل لتحضر البقية ..

(دعجاء) محدثة الجميع من عند مدخل باب المنزل : هيا .. حان وقت الرحيل .. خذن ما تردن والحقن بنا

(القيقبون) : أين سنذهب؟

(دعجاء) : سوق البهائم خلف أسوار المدينة .. هل تعرفينه؟

(القيقبون) : نعم .. سنلتقي بكما هناك .. اسلكا الطريق الذي يعبر بحي ((الدباغين)) فهو سيقودكما لمخرج المدينة دون الحاجة للمرور من أمام قصر الوالي .. الحراسة هناك مشددة وقد تتعرضان للمضايقة



أومأت الدعجاء برأسها وأكملت سيرها خروجاً من المنزل..

بعد رحيلها مع العرجاء و(الغبساء) أمسكت (القيقبون) بحقيبتها القماشية المعلقة على كتفها وأخذت تتجول في أركان المنزل تجمع بعض الحاجيات وتضعها فيها والبنات يراقبنها بخليط من الاهتمام والفضول..

(رافدة) : ماذا تفعلين يا (سديرة)؟

(القيقبون) بتجهم وهي مستمرة فيما تقوم به : أجمع بعض الحاجيات التي قد تكون عوناً لنا بما أننا لن نعود!

(كُميت) : طلاسم؟

(القيقبون) رافعة صرة صفراء رطبة انبعثت منها رائحة نتنة أمام وجه البدوية : بل أشياء أقوى من ذلك!

(رافدة) مغطية أنفها بكفها بتقرف : ما هذه الرائحة المقيتة؟!

(القيقبون) وهي تدس الصرة في الحقيبة : هذه الصرة النتنة هي خلاصة سِنِي عمري من السحر الأسود

(رافدة) ملوحة بكفها أمام وجهها باحثة عن النفس : تبدو لي كخلاصة الأموات حين يتركون بلا دفن

علقت عجوز القدر الحقيبة على كتفها وقالت : أجدتِ الوصف

يا بدوية .. نعم إنها خلاصة الموت وسوف نقدمها للعجم قبل أن ندفنهم

(هند) : هل انتهيتِ؟

(القيقبون) سائرة نحو مخرج المنزل : أغلقن الباب بإحكام بعد خروجكنّ ..

(كُميت) : كيف نغلقه من الخارج؟

لم تجب عجوز القدر عليها وخرجت ..

(رافدة) بتهكم : (سديرة) مستاءة من أمرٍ ما

(هند) سائرة للخروج : توقفي عن مناداتها بهذا الاسم وهي لن تستاء

(رافدة) : لمَ؟ .. أليس هذا اسمها؟

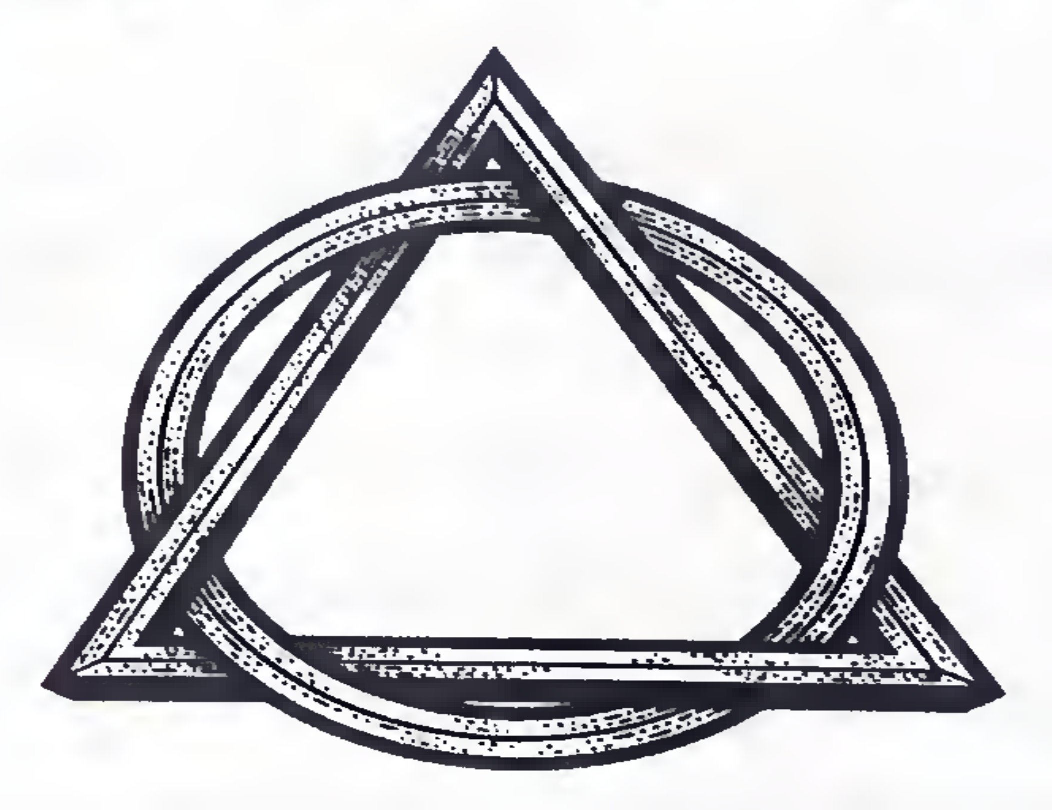
(كُميت) تشد يد (عوراء) وتلحق ببنت معناد : معها حق .. العمة أمرتنا بأن نكون يداً واحدة

(رافدة) تسير خلفهنّ وبنبرة ساخرة :

«(سديرة) اسم جميل لا أعرف لمَ لا تحبه ..»



دائرة الود ومثلث الشك



في الطابق السادس بالجبل الكبير التابع لمقر الطائفة الجنتية استقر قصر كبير حيث يقيم الوزير (روشني) ويعقد معظم اجتماعاته ..

جلس قائد فرقة القتلة المعين حديثاً خليفة لـ (فايو) على عرشه ..

يقف من خلفه ذراعه اليمنى (شاور) ذو القرط الماسي ..

وعلى يمينه يجلس سبعٌ أصفر كبير يداعب غرته بأنامله خلال حديثه مع الحراس الثلاثة السابقين للسيد الكبير والمتبقين من السباع السبعة ..

(زومر) .. (كمشل) .. (مرناصة) ..



(روشني) : وعيناه تتأملان السبع الضخم الجاثي عند أقدامه :

«فرقة القتلة تحتاج لإعادة صقل وترتيب .. وضعهم الحالي مؤسف ومخيب ..»

(مرناصة) : نحن طوع أمرك يا سيد (روشني)

(كمشل) : أنا لم أكن يوماً ضمن فرقة القتلة .. أمضيت عمري بين الكهنة

(روشني) : ماذا عنك يا (زومر)؟

(زومر) وهو يداعب أرنبه الصغير بين يديه : أنا أخدم الطائفة فحسب .. سواءً خلف السيد الكبير أو أمامه حتى وإن كان مكاني الجديد أقل شأناً من السابق

(روشني) : شأنكم ومكانتكم محفوظان ولن تكونوا مجرد قتلة

(كمشل) بنبرة متفائلة : كيف يا صاحب الحكمة؟

(روشني) : هل تعرفون عدد القتلة والكهنة في الطائفة؟ .. أقصد الموجودين حاليّاً في ((جبال الملح))

(كمشل) : ليس لدي عدد محدد لكننا لا شك نتجاوز الآلاف

(مرناصة) : لا .. القتلة بالكاد يصلون إلى الألف مقاتل والكهنة أقل



(زومر) : تخميناتكم مبالغ فيها .. نحن أقل بكثير

(مرناصة): لا أظن ذلك

(روشني) : بل (زومر) محق ..

(كمشل) بتعجب : كيف؟ .. نحن ..

(روشني) مقاطعاً : القتلة المصنفون والموجودون في ((جبال الملح)) اليوم لا يتجاوز عددهم الثلاثمائة مقاتل والكهنة القتلة عُشر هذا العدد تقريباً وثلثهم مرسلون في مهام خارجية .. البقية إما خدم أو جواسيس أو كهنة في المعبد الكبير .. بالإضافة لغير المصنفين الذين يتلقون التدريب وهم ليسوا كثراً كذلك .. بمعنى آخر مجموع قاطني الجبل الكبير لا يتجاوز الخمسمائة فرد .. قوة الطائفة هي بمد هيمنتها للخارج وذلك يستهلك الكثير من الطاقة البشرية .. نحن فعليّاً نتجاوز أربعة آلاف عضو لكني لا أتحدث إلا عمن هم موجودون معنا هنا في الجبل الكبير فقط

(زومر) : وإثارة هذ الحديث لأي غرض؟

(روشني) : هناك خطر قادم في طريقه إلينا ويستهدفنا مباشرة في محاولة للنيل منا في عقر دارنا وهذه سابقة تستدعي الاستعداد ولن أفشل في هذه المهمة التي أوكلت إليّ لذا سوف أقسم فريق القتلة

الموجودين حالياً إلى ثلاثة أقسام وسأولي كل واحد منكم على فريق منهم ليكون مسؤولاً عنه

(مرناصة) : هذا شرفٌ كبير يا صاحب الحكمة

(كمشل) : ثقة نعتز بها

(زومر) : ولأي غرض هذا التقسيم؟

(روشني) : التنافس .. التنافس فيما بينكم لتصبحوا الأفضل .. كل فريق سيمنح مرتبة حسب أدائه .. أولى .. ثانية .. والقاع هي الثالثة .. والارتقاء والنزول أنا من يحدده

(زومر) : على أي أساس؟

روشني : أدائكم بالطبع ..

(مرناصة) : في تأدية المهام تقصد؟

(روشني) : في كل شيء .. وبالأخص طاعتي دون جدال .. الولاء المطلق أساس

(كمشل) : نحن مستعدون للمهمة الأولى

(روشني) مشيراً لـ (شاور) بالاقتراب منه أكثر : قبل المهمة تعرفوا على أتباعكم الذين ستقودونهم .. نائبي هو من سيقوم بكل الترتيبات وأوامره نافذة عليكم مثل أوامري



هز الثلاثة رؤوسهم بالموافقة بالرغم من أن (زومر) بدا وكأنه مستاء قليلاً ..

(روشني) مشيراً لهم بالانصراف : ارحلوا الآن وبعد ما يبلغني (شاور) بجاهزيتكم سنجتمع مجدداً لمناقشة أولى مهامكم .. هيا انصرفوا

رحل الثلاثة تاركين الشاب الصغير ذا القرط الماسي ينزل بركبته ورأسه أمام وزيره قائلاً:

«هذا شرف كبير لا أستحقه يا سيدي ..»

(روشني) : هذه مكافأتك لأداك الاستثنائي في مهمتك مع العرجاء

(شاور) : لم أقم إلا بواجبي

(روشني) : أريد أن أسمع تقريرك عن رحلتك في ((عربستان)).. حدثني عما حدث ودار بينكما ..

حكي الشاب ذو الشعر الأسود القصير ما حدث معه منذ أن التقى بـ (نافجة) عندما تدخل وأنقذها من (كلال) وحتى افتراقه عنها بعد ما أوصلها لديار ((الأزد)).

(روشني) : هل ساعدتها وشاركت بقتل (فايو)؟

(شاور) : لا .. (هند) هي من قام بذلك بعد ما انقلبت عليه وعلينا وتحالفت مع أبناء جلدتها

(روشني) : خيانتها للطائفة أمر لم يكن بالحسبان

(شاور) : ما الذي كان بحسبانك إذاً ؟

(روشني) : أن تموت على يد العرجاء ..

(شاور) : (هند) ليست متنورة عادية كي تقتلها ساحرة مهما كانت قوتها وهما الآن مع مجموعتهما قادمات لـ ((فارس)) في مهمة انتحارية لقتل السيد الكبير

(روشني) : ولِمَ تسميها انتحارية؟

(شاور) : كلانا يعرف يا سيدي أن لا أحد يستطيع مس شعرة من رأس السيد الكبير

(روشني) : (هند) تستطيع وأنا مؤمن بذلك

(شاور) : معنى ذلك أن خطتنا لا تزال قيد التنفيذ ولن نغير شيئاً؟

(روشني) : نعم ..

(شاور) : هل تظن حقّاً أن هؤلاء النسوة سيتمكنّ من الإطاحة بالسيد الكبير أو حتى الوصول إليه؟



(روشني) : لا ضير من المراقبة ولو لقين حتفهنّ فلن يمسنا شيء..

(شاور) حانياً رأسه : أمرك

(روشني) : أخبرني .. كيف كانت نهاية الساحرة الهجينة التي قتلها (مايزك) ..؟

(شاور) : (أنمار) لم تمت ..

(روشني) وهو مصدوم : ماذا؟ .. لكن (مايزك) أكد لنا ..

(شاور) مقاطعاً باحترام : الساحرة الهجينة لا تزال على قيد الحياة لقد تيقنت من ذلك بنفسي

(روشني) محاولاً استيعاب ما يسمع : وكيف تيقنت؟

(شاور) : رصدها أحد الغربان العائدين اليوم من ((ديلم)) .. لقد وصلت لسواحل ((فارس)) لكنها لم تبقَ طويلاً وانتقلت لمكان آخر لم نتمكن من تحديده بعد

(روشني) باسماً : ستكون هذه طعنة في مصداقية (آغ) وكهنته أمام السيد الكبير وسيزيد ذلك من ثقته بي أكثر

(شاور) : لكنها لا تزال مشكلة وأنت تعرف أن عقلها مختل وقد تسعى للثأر

(روشني) : فلتأتِ هي الأخرى .. بدل أن كنا نطاردهن لتصفيتهن

سيجتمعن هنا ونتخلص منهن دفعة واحدة بعد ما يقتلن السيد الكبير

(شاور) : هذه المرأة ليست كبقية الساحرات .. لا أعرف كيف تفكر وما الذي يحرك تصرفاتها وأفعالها .. تملك قوة مهولة لكنها دوماً تعتقد أنها ضعيفة وتحاول التحسين من قدراتها .. وكأنه هوس يفترسها

(روشني) : هل تعتقد أنها يمكن أن تشكل خطراً علينا؟

(شاور) : الخطر يمكن أن يأتي من أي مكان .. ليست هذه المشكلة

(روشني) : ما المشكلة إذًا؟

(شاور) : خلال الفترة التي راقبتها فيها لم أرها يوماً تثق بأحد أو حتى تشفق عليه بالرغم من أنها تتظاهر بذلك أحياناً لكنها في الحقيقة مليئة بكم هائل من الحقد والكره ولا تدري إلى من توجهه .. الشخص الوحيد الذي تنازلت ووثقت به كان (مايزك) وأنا أعترف بذكائه وقدرته وصبره لتحقيق ذلك لكن إخفاقه في إتمام مهمته فتح باباً قد يصعب علينا إغلاقه

(روشني) : هذه مشكلة (آغ) وكاهنه الفاشل وسوف أحرص أن أنقل ذلك الإخفاق لمسامع السيد الكبير وبالنسبة لقوتها فمهما بلغت فهي لن تكون نداً لما نملكه نحن ..



(شاور) : هناك أمر آخر

(روشني) : ما هو؟

(شاور) : صبية ..

(روشني) : صبية؟ .. أي صبية؟

(شاور) : فتاة بشعر أحمر فاقدة لإحدى عينيها .. ترافق العرجاء في حلها وترحالها مع بقية بناتها وذلك الجني الأزرق .. وبالرغم من أنها لا تحمل أي مهارة قتالية .. لكن ..

(روشني) : لكن ماذا ..؟

(شاور) بنبرة تخللها بعض القلق : هي من كانت تقتل كل متنور اعترض طريق العصبة العربية ..

(روشني) وهو مصدوم : ماذا تقول؟!

(شاور) : لقد رأيت ذلك بأم عيني .. مسخٌ مخيفٌ يخرج من جوفها ويفترسهم جميعاً في كل مرة يحكمون قبضتهم عليهم ورأيتها تنهض من الموت بعد ما اخترقها سهم المتنور الذي حاصرهم في قصر ملكة الدم .. هذه الفتاة قوتها مخيفة .. مخيفة جدّاً .. لم أرَ طاقة متوهجة مثلها من قبل وكنت أعاني حين أحاول الاقتراب منهن بسبب وجودها معهن وهذه الصبية لن يكون من السهل علينا ردعها إن وصلت لـ ((جبال الملح))

وضع الوزير سبابته على خده وسرح متفكراً ..

(شاور) : بمَ تفكر يا صاحب الحكمة؟

(روشني) وسرحانه ينقطع : سأخبرك لاحقاً .. أرسل رسولاً لقصر السيد (آغ) وأخبره بأني أريد مقابلته لأمرٍ هام

(شاور) حانياً رأسه : أمرك

قبل أن يهم (شاور) بالرحيل استوقفه (روشني) قائلاً : اسمع .. أرسل سرباً من الغربان على امتداد ساحل فارس الغربي .. أريد أن يصلنا الخبر حالما تحط أقدام العربيات الحافية على أرض ((فارس)) ولا أريد أن نفقد أثرهن بل نكون على علم بكل تحركاتهن طيلة الطريق

(شاور) : ولو سلكن طريق ((الغابة الزرقاء))؟

(روشني) : لن يسلكنه .. لا أحد يعلم بعجزنا عن التعقب في تلك المنطقة إلا القليل وأغلبهم أتباعنا .. سوف يسلكن طريق القوافل المعروف من مدينة ((دزدآب)) شرق البلاد والذي سيقودهن لحدود ((السند)) وسيعبرن ((غابة النمور)) حتى يصلن لسفوح ((جبال الملح)) .. كل من سيسألن سيقودهن لخط السير هذا



(شاور) : سأبلغ (خمود) بإطلاق الأسراب فوراً وسأبلغك بأي أخبار تصلني منها في وقتها ..

خرج (شاور) تاركاً الوزير يفرك فراء الأسد الجالس بجانبه بوجه سارح وقلق ..

خلال أقل من ساعة دخل (آغ) على (روشني) ووجده يضع ساقاً على ساق سارحاً غارقاً في تفكره وأفكاره فوضع وزير الكهنة قبضته على فمه واصطنع كحة خفيفة للفت انتباهه وبالفعل انقطع سرحان قائد فرقة القتلة الجديد ووجه نظره ناحية وزير الكهنة وقال : سيد (آغ) .. كنت بانتظارك

(آغ) متقدماً نحو إحدى القطع الرخامية المصقولة أمام عرش (روشني) ليجلس عليها منتبهاً للسبع الأصفر بجانبه : ما هذا السبع؟

(روشني) باسماً : السباع خير من البومات البيضاء التي تحيط نفسك بها

(آغ) : البوم مفيدة ..

(روشني) : والسباع كذلك .. هل تريد أن ترى بنفسك؟

(آغ) : دعك من هذا الحديث الآن .. هناك الكثير من الأمور يجب أن نتناقش فيها كنت سأدعوك أنا للمجي لكنك سبقتني ..

(روشني) : يبدو أننا نتشارك الهم ذاته

(آغ) : بل هموماً .. وعمل كل واحد منا على حدة غير مجدٍ في الوقت الراهن يجب أن نتعاون ونتشارك المعلومات

(روشني) : أتفق .. أعمال الطائفة معطلة بسبب ما حدث مؤخراً

(آغ) : لنبدأ بأهم موضوع

(روشني) : تقصد العربيات؟ .. لقد اجتمعن مع (هند) وهن في طريقهن لـ((فارس)) لمحاولة قتل السيد الكبير .. هذا ما نما لعلمي فقط حتى الآن

(آغ) بخليط من التهكم والعجب : هل جن هؤلاء العرب؟

(روشني) مداعباً رأس السبع بجانبه : أوتظنّ أن حفنة من الحفاة ستمكنّ من الوصول للسيد الكبير ..؟ سيذبحن كالشِّيَاهِ التي يرعينها وسنرمي بهن للسباع

(آغ) بثقة أقل : لا أعرف ..

(روشني) : ما بك يا وزير الكهنة؟ .. هل تشكك بقوتنا؟

(آغ) : مواجهة شخص يريد الموت ليست بالأمر الهين؟

(روشني) : ماذا تقصد؟

(آغ) : القدوم إلى هنا انتحار .. أي جاهل يعرف ذلك .. كون



هؤلاء النسوة ومع معرفتهنّ المسبقة لتلك الحقيقة قد قررن الإقدام والتقدم نحونا فهذا شيء يثير قلقي

(روشني) : هل تعتقد أنهن يملكن قوة تخفى علينا أو يضمرن لنا خدعة ما؟

(آغ) : تريد الحقيقة؟ .. مجرد كسرهن حاجز الرهبة وتحديهن لنا هو بحد ذاته انتصار

(روشني) : لكن هل يملكن مقومات النصر التام؟

(آغ) : حدثني (مايزك) في تقريره لي عن فتاة صغيرة تسير معهن وكان يقول بأنها قوية وهذا أثار قلقي فـ (مايزك) لا يمتدح قوة أحد

(روشني) متظاهراً بالجهل : ربما كان يبالغ ..

(آغ) والقلق لا يزال يعتريه : لا أعرف لكني لم أرَ الخوف في عينيه هكذا وهو يتحدث عن أحد من قبل

(روشني) : سنعرف مدى تلك القوة المزعومة عندما يصلن

(آغ) : وهل سننتظر حتى يصلن إلينا؟

(روشني) : وماذا تريد أن نفعل؟ .. لقد تواجهنا معهن في أرضهن وخسرنا .. حتى قائد القتلة ذبح هناك

(آغ) : كل هذا بسببك ..

(روشني) بوجه متفاجئ خالطه الاستغراب : بسببي أنا؟

(آغ) : أخبرتك وحذرتك مسبقاً من أن (هند) ستنقلب علينا وهذا ما حدث تماماً

(روشني) بشيء من التهكم : هل تخشى (هند) أم الصبية أم العرجاء أم ماذا يا كبير الكهنة؟

(آغ) بغضب : أنا لا أخشى أحداً!

(روشني) بنبرة ساخرة مستفزة : ولا حتى السيد الكبير؟

(آغ) مستجمعاً نفسه محافظاً على هدوئه ووقاره : ماذا تريد أن تقول يا (روشني)؟ .. أفصح ولا تراوغ

(روشني) : لنغير الموضوع .. ماذا سنفعل الآن؟

(آغ) : لقد أرسلت سرباً من البوم الأبيض للاستطلاع ووجهت جميع جواسيسي في ((عربستان)) ليكرسوا جهودهم في رصد تحركات العربيات

(روشني) : وأنا فعلت المثل وأمرت بإرسال الغربان السوداء للساحل الغربي

(آغ) : سوف أعرض خطة التصدي لهن اليوم على السيد الكبير خلال مراسم وشم (مايزك) بدائرته الرابعة ويجب أن تكون حاضراً



(روشني) باسماً بخبث : آه مايزك .. شرف يستحقه ولن أفوت الفرصة بلا شك للحضور وتهنئته

نهض وزير الكهنة عن مقعده وقال قبل أن يهم بالرحيل : «لا تفكر لوهلة بأن تخفي شيئاً علي يا (روشني) فأنا أعرف ألاعيبك ..»

(روشني) : لا تقلق يا وزير الكهنة .. كل علمٍ يصلني سيصلك وأتوقع أن تقوم أنت بالمثل ..

استدار (آغ) وخرج من القاعة تاركاً قائد فرقة القتلة يراقبه بابتسامة مصطنعة ..

البعير الأعور



بعد خروجهن من ((اليمامة)) التقى الجميع بالدعجاء والعرجاء عند سوق البهائم الواقع على بعد يسير من أسوارها وكان ذلك بداية العصر وهو الوقت الذي يشهد فيه السوق الازدحام الأكبر بعد أول الصباح.

وقفت (نافجة) تراقب الباعة والمشترين خلال سيرها بوجه حزين وهي ممسكة بلجام (الغبساء) والدعجاء تسير بجانبها ومن ورائهما تبعهما البقية ..



بعد تجولهن لما يقارب الساعة شدت (القيقبون) حقيبتها الجلدية على ظهرها بشيء من التذمر وقالت : «متى سننتهي؟ .. المكان رائحته نتنة ..»

(رافدة) رافعة كفها محدثة نفسها بصوت مسموع لـ (كُميت) السائرة بجانبها : «لن أتكلم .. لن أتكلم..»

(هند) : هذا السوق كبير جدّاً ..

(عوراء) بعد ما شاهدت مجموعة من الخيول تلبس حليّاً من الذهب والفضة : هل هذا حفل زفاف؟

(رافدة) ضاحكة : لا يا حمقاء! .. هذه تدعى بـ ((الصافات)) .. أغلى أنواع الخيول وأنقاها نسلاً

(عوراء) وهي لا تزال تراقب تلك الخيول منبهرة من جمال زينتها : ما معنى «صافات»؟

(كُميت) : مجنحة ..

(عوراء) بانبهار : هل معنى ذلك أنها تستطيع الطيران؟! .. أين أجنحتها لا أراها؟!

(نافجة) بتهكم : الغالي لا يحتاج ذهباً أو فضة ليعرف الناس قيمته .. حيلة لا تنطلي إلا على الحمقى ..

(دعجاء) باسمة : فرسكِ أصيلة الجميع يستطيعون رؤية ذلك

(نافجة) بخليط من الحزن والسخط : وستجبرونني على التخلي عن هذه الأصيلة!

(دعجاء) مشيرة للرجل المسؤول عن تلك الأحصنة : لا .. سنتركها معه

توقفت (نافجة) عن السير وألقت نظرة على الرجل الذي أشارت إليه الدعجاء وقالت : لكن يا عمة ..

(دعجاء) : لا تستعجلي واتبعيني

(رافدة) لاحة رجلاً يفترش بعض الأسلحة وسط السوق : هل يمكننا الذهاب لذلك البائع قبل أن نرحل؟ .. أريد إلقاء نظرة على ما يعرضه

(دعجاء) محدثة الجميع : اذهبن حيث تشأن وعندما ننتهي سنأتي نحن إليكن

(القيقبون) : أنا لن أرافقهنّ لقد أخذت كل ما أحتاجه

(كُميت) مشيرة لأختيها : هيا بنا إذًا!

(هند) وهي تلحق بهنّ : لا حاجة لي بالسلاح لكني سأرافقكنّ

سارت الدعجاء نحو بائع الخيول ومن خلفها (نافجة)



و(القيقبون) حتى وقفت أمامه وقالت:

«كم الأجرة التي تأخذها مقابل الضيافة ..»

(تاجر الخيول): قطعة فضية لليوم

(القيقبون) ساخرة: قطعة فضية في اليوم؟! .. هل سترعاها أم تُرضعها؟!

(دعجاء): ماذا عن مدى الحياة؟

(نافجة) وهي مستاءة: ماذا تفعلين يا عمة؟!

ضحك التاجر وقال: حسب عمر الدابة .. إن كانت في عنفوانها وبداية عمرها فسيكلفكِ هذا الكثير

(القيقبون): لا أرى سبباً لهدر المال لأجل هذه الفرس!

(دعجاء) تسحب لجام (الغبساء) من يد (نافجة) المستغربة مما يحدث أمامها: «مالكِ لن يُمس يا (سديرة) ..»

(نافجة): أنا لم أقرر بعد يا عمة!

(دعجاء) تمد اللجام للرجل قائلة: هذه هي الدابة .. ما ثمن ضيافتها عندك مدى الحياة؟

(تاجر الخيول) ممعنًا النظر في (الغبساء): هذه فرس أصيلة ولم تحبل من قبل .. لمَ لا تبغنها لي؟

(نافجة) بتجهم ونبرة حادة : لا لن نبيعها!

(تاجر الخيول) للدعجاء باستغراب : ما بها ابنتكِ؟

(القيقبون) : أختي الكبرى مستاءة من كلامك

(دعجاء) : لا تضيع وقتنا .. قل ثمنك أو سنرحل

(تاجر الخيول) بوجه متفكر معيداً تفحصه لـ (الغبساء) : خمس قطع ذهبية بلا شرط وإن كنتِ ستشرطين فستكون عشر قطع

أخرجت الدعجاء من جيبها حجرًا ذهبيّاً بحجم البيضة ورمته على التاجر قائلة : هل يكفيك هذا للاهتمام بها مدى حياتها بشروطنا؟

(تاجر الخيول) مخبئاً الحجر في جيبه ملتفتاً حوله خشية أن يراه أحد : يكفي لها ولصغارها .. ما هي شروطكن؟

(نافجة) بعصبية : لا تزوجها! ولا تلبسها الحلي مثل بقية خيولك!

(تاجر الخيول) : الفرس لا تطيق العيش بلا جواد

(نافجة) تمسح على جبين (الغبساء) بحزن : وما أدراك عما نطيق وما لا نطيق ..

(تاجر الخيول) : كما تشائين .. هل هناك شروط أخرى؟

(نافجة) مقبلة خطم فرسها بأعين دامعة : لا تربطها ولا تضربها ..

(تاجر الخيول) للدعجاء : يبدو أن ابنتكِ لا تعرف كيف أعامل بهائمي



(دعجاء) واضعة كفها على كتف (نافجة) : ستكون بأمان هنا حتى تعودي إليها يا جدعاء ..

(تاجر الخيول) بتململ : هل نحن على اتفاق ؟ .. يجب أن أرحل الآن قبل الغروب مع القافلة التي أتيت معها

مدت (نافجة) كفها للرجل بوجه محتقن وقالت : أعد المال!

(تاجر الخيول) بعجب شديد : ماذا؟

(نافجة) محركة أنامل يدها بعصبية : أقول لك أعد المال!

أخرج التاجر القطعة الذهبية ومدها لها ثم قال بنبرة ساخطة مهددة قبل أن يرحل : «لو عدتن مجدداً فلن آخذ هذ البهيمة منكن ولو أعطيتنني وزنها ذهباً ..»

(القيقبون) صارخة فيه بتهكم وهو يبتعد عنهن : «أرجوك يا ملك البهائم لا تغضب! .. نحن لن نتمكن من العيش دون رضاك عنا! .. عد إلينا! ..عد!»

راقبت الدعجاء ما يحدث بهدوء لكنها لم تتدخل وبعد ما وضعت (نافجة) قطعة الذهب في جيبها بيد شدت لجام (الغبساء) باليد الأخرى وعكزت لمسافة قصيرة حتى توقفت عند رجل بدا عليه تواضع الحال يسير مع ابنته الصغيرة ومدت اللجام له قائلة بوجه محتقن : خذ يا عم!

(الرجل) باستغراب : ما هذا يا أختي؟

(نافجة) بجدية مصارعة حزنها : الفرس لك!

(الرجل) : لكن هذا كثير عليّ وأنا لا أملك حقها

(نافجة) وصوتها بدأ يتحشرج بالعبرات : إنها هبة لابنتك! .. لا تردها!

أمسك الرجل باللجام وهو يقول بنبرة ممتنة : شكراً .. هذا كرم منكِ

(نافجة) بوجه يحاول إظهار الشدة والتماسك : فقط لي رجاء واحد يا أخي

(الرجل) : تفضلي

(نافجة) ماسحة بباطن كفها دمعة هربت من عينها : عاملها كابنتك .. فقط لا أكثر

البنت الصغيرة بسعادة محتضنة ساق (الغبساء) : هل ستكون أختي؟!

فقدت (نافجة) السيطرة على دموعها التي أخذت بالانهمار ونزلت على ركبتيها عند الفتاة الصغيرة وقالت : «نعم .. اسمها (الغبساء) وهي تحب من يحبها ..»



(الفتاة) بحماس : وأنا سأحبها!

نهضت العرجاء واستدارت تجاه الدعجاء وعكزت نحوها بوجه امتلأ بحزن الدنيا ورمت بنفسها عليها تبكي وتنوح بصوت مسموع..

(القيقبون) بنبرة متململة ومتذمرة : المتنورون سيمزقوننا بلا شك..

دنا التاجر منهنّ مرة أخرى وقال بتكبر : أنا سأرحل الآن .. هل ما زلتنّ عند قراركنّ بعدم البيع؟ .. القافلة التي أتيت معها بدأت بالتحرك ..

(القيقبون) صارخة فيه بعصبية : وأنت لا تزال تتكلم؟! .. الفرس تم بيعها!

(تاجر الخيول) بخليطٍ من العجب والندم : بكم؟! .. كنت سأدفع أي مال تطلبنه!

(دعجاء) مطبطبة على ظهر العرجاء الباكية على صدرها : «الثمين لا يباع ولا يشتري ..»

(القيقبون) ناهرة : هيا! .. الحق ببهائمك قبل أن يفتقدوك!

بعد رحيل التاجر واستعادة (نافجة) بعضَ ذهنها المعكر وجبر شيء من خاطرها المكسور سار الثلاث متوجهات لتاجر السلاح ليأخذن البنات معهنّ ووجدن أن (هند) تتشاجر معه بصوتٍ مرتفع.

(دعجاء) مشيرة للبدوية بالاقتراب منها وحين فعلت قالت لها : ما الحكاية؟ .. ما بها ابنة معناد؟

(رافدة) : كنت أريد اقتناء خنجر أعجبني لكنها عندما سمعت القيمة التي طلبها البائع منعتني من اقتنائه ودخلت في سجالٍ معه .. حاولت عدلها عن ذلك لكنها لا تريد الإنصات لي

(دعجاء) باسمة : أختها من قبلها كانت عنيدة كذلك ..

(القيقبون) صارخة فيها : هل تملكين مالاً أصلاً كي تشتري هذا الخنجر؟!

رافدة : لا .. كنت فقط أريد إضاعة بعض الوقت

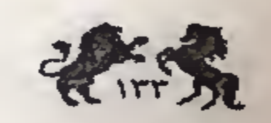
(دعجاء) : ولم يعد هناك مزيدٌ من الوقت لنضيعه ..

(نافجة) ماسحة ما تبقى من دموعها بخمارها سائرة نحوهما : أنا سأذهب إليها وأنهي هذا الجدال

(دعجاء) : حسناً سنلتقيكن أنا و(سديرة) عند مدخل السوق

(رافدة) وهي تلحق بـ (نافجة) : حاضر يا عمة

بعد ما أنهت العرجاء الصدام مع التاجر اجتمع الجميع خارج حدود السوق الذي بدأ يتفرق مرتادوه وباعته تدريجيّاً وحينها قالت (القيقبون) : «ماذا الآن؟ .. هل سنسير على أقدامنا؟ .. وإلى أين؟ .. ما الخطة يا ابنة وصبان؟»



(دعجاء) متأملة الأفق : الشمس شارفت على الغروب .. سنسير مسافة بسيطة حتى تغرب ثم نبات ليلتنا ومع أول الصباح سننتقل لأرض الفرس

(هند) : ولِمَ لا ننتقل حالاً؟

(دعجاء) : نحن في الشتاء ولا أريد أن نصل ليلاً

(كُميت) محتضنة نفسها : صحيح ملابسنا خفيفة

(رافدة) : كان الأجدر أن نبتاع ملابس أثقل من سوق اليمامة

(دعجاء) : لن تكون هذه مشكلة هيا لنتقدم

سارت المجموعة وقطعت مسافة ليست باليسيرة شمالاً حتى شارفت الشمس على الغروب وقبل أن يتوقفن أقبلن على أرضٍ كبيرة متشققة ..

(عوراء) : شكل هذه الأرض غريب

(نافجة) : لقد عبرت سحابة من هنا وجف ماؤها

(رافدة) : كأنها تجاعيد وجه امرأة التقيت بها حديثاً

رمقت الحجازية أختها بنظرة مؤنبة ..

(رافدة) متظاهرة بالبراءة : ماذا؟! .. أنا لم أقل شيئاً!

(القيقبون) مستوعبة تلميحات البدوية : لو كانت عمتكنّ تشاركني أسرارها لما غدا وجهي بتلك الحالة

(نافجة) : وجهك كالقمر يا (سديرة) ولا حاجة بكِ لأي أسرار ..

(القيقبون) : لم أعهد منكِ هذا المديح يا ابنة أملج .. كلامكِ هذا كشحم الحمل إذا ذاب على النار ..

(دعجاء) محدقة وراءها بأعين مرتابة محدثة نفسها بصوت مسموع للجميع : «لا يزال يتعقبنا ..»

(القيقبون) : من؟ .. تاجر البهائم؟

(هند) تشاركها النظر : عن ماذا تتحدثين يا عمة؟

(دعجاء) رافعة سبابتها : عن ذلك البعير ..

وجه الجميع أنظارهن حيث أشارت الدعجاء وشاهدن بعيراً يقف على تلة رملية بعيدة ..

(القيقبون) : وما أدراكِ أنه يتبعنا؟

(دعجاء) : منذ أن خرجنا من سوق البهائم خرج هو منه وبقي يسير خلفنا وتيقنت الآن من أنه يلاحقنا

(عوراء) : ولمَ يلاحقنا؟ .. هل يريد ماء؟

(نافجة) : هل تعتقدين أنه مرسل؟



(كُميت) ممعنة النظر فيه بنظرها الحاد : إنه لا يحمل وسماً لأي قبيلة

أو مالك وهو أعور ..

(رافدة) ضاحكة : لعله يعتقد أن (عوراء) إحدى قريباته لذلك

تبعنا!

(نافجة) بتجهم : لا تلمزي أختكِ بالكلام!

(كُميت) : هل أذهب إليه يا قائدة لأتحقق منه؟

(دعجاء) وهي تحدق به : لا .. تجاهلنه فقط وأوقدن لنا ناراً ..

سنبات هنا

(عوراء) : الأرض قاسية هنا!

(دعجاء) متربعة مكانها : الأرض التي تفقد ماء المطر حصانتها قوية

لذا لم يجرؤ ذلك البعير على التقدم أكثر

(نافجة) جالسة بجانبها : هل تظنين أنه شيطان يا عمة؟

(دعجاء) : لا يهم ما يكون المهم أن نأخذ الحذر منه .. اجمعن حطباً

لنشعله قبل أن يداهمنا الليل

جلست عجوز القدر مع العرجاء والدعجاء بينما تفرق الفتيات

لجمع الحطب لكن (هند) لم تشاركهنّ ووقفت تحدق بذلك البعير

بوجه قلق فقالت لها (نافجة) : ما بكِ؟ .. اجلسي معنا

(هند) وعيناها لم تحيدا عن البعير الأعور : هذا متنور ..

(القيقبون) : هل أنت متيقنة؟

مسحت (هند) فوق أثر الحرق على وجنتيها الطامس لوشومها وقالت : من الأمور التي تعلمتها عندهم هي استشعار طاقات أفراد الطائفة والطاقة التي يطلقها هذا البعير طاقة شبيهة لهم .. أنا واثقة من ذلك

(دعجاء) : إذاً فهو هنا لمراقبتنا فقط وهذا الأمر متوقع

(هند) ملتفتة إليها : لا يا عمة .. الأمر بقتل العرجاء لا يزال قائماً وهذا المتنور وصله الخبر مثلما وصلني ويريد الظفر بها

(القيقبون) : أليس من المفترض أن تعرفيه بما أنه رفيق سابق لكِ

(هند) معيدة نظرها للبعير : ليس بالضرورة .. أنا أقوى متنور موجود على أرض الجزيرة لكن هذا المتنور وصل حديثاً وأظنه من الكهنة القتلة

في تلك الأثناء وخلال جمع الفتيات للحطب كانت البدوية والحجازية تتناقشان وهما تراقبان (عوراء) تلعب على مقربة منهما ..

(رافدة) : هل يعقل أنها تعقبتنا ولحقت بنا؟



(كُميت) : عمن تتحدثين؟

(رافدة) : عن تلك الفارسية المجنونة

(كُميت) : تقصدين ..؟

(رافدة) : نعم (أنهار) المعتوهة .. ألم تكن تريد قتل (عوراء)؟

(كُميت) : ولمَ تتشكل كبعير؟ .. لا لا .. لا أظنها هي

(رافدة) : هل نخبر العمة بما يدور في خلدنا من باب الحيطة؟

(كُميت) ناهضة حاملة كمية من الحطب بين ذراعيها : لا فلديها ما يكفيها مما يشغل بالها ..

(رافدة) وهي تقوم بالمثل : هل تظنين أننا سنلتقي بها مجدداً؟

(عوراء) قافزة بينهما مقاطعة لحديثهما : عن ماذا تتحدثان؟!

(رافدة) مشيرة بسبابتها : لا شيء سيري أمامنا

مشت الصبية ومن خلفها أختاها وخلال سيرهما وهما تراقبانها تقفز وتلعب قالت البدوية بصوت خافت لـ (كُميت) : لكن هناك شيء آخر يجب أن نخبر العمة عنه؟

(كُميت) : تقصدين ..؟

(رافدة) : نعم .. ما حدث معنا في الجبل بعد ما افترقنا عن الفارسية وكيف أن (عوراء) ..

(كُميت) مقاطعة : نحن لا نعرف ما حدث ..

(رافدة): كيف لا نعرف؟! .. ألم تسمعي صوتها عندما أمرتنا بالبقاء مكاننا .. ذلك الصوت لم يكن صوتها!!

(كُميت) تشد على حمولة الحطب بين ذراعيها : ماذا يكون إذاً؟

(رافدة) موجهة نظرها للصبية وهي تقفز وتلعب أمامهما : لا أعرف لكنه بالتأكيد ما أخاف الفارسية ودفعها لمحاولة قتلها

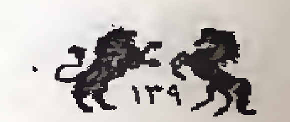
(كُميت) : لا تشوشي عقلي .. (أنهار) كانت مجنونة منذ اليوم الأول الذي قابلناها فيه

(رافدة) بعصبية مكبوتة : وهل نحن مجنونتان أيضاً وتخيلنا ما سمعناه؟! . .لا تنكري أن (عوراء) تحيط بها أمور غريبة وتحدث معها أمور أغرب وهذا كان يحدث من قبل أن نلتقي بالفارسية

(كُميت) : حتى وإن كان كلامكِ صحيحاً .. فلن نشغل بال العمة بشيء قبل أن نتيقن

(رافدة) : نتيقن من ماذا؟

وقفت الحجازية وتابعت (عوراء) من بعيد وهي تجري نحو (نافجة) وتقفز عليها وتعانقها بقوة وقالت : «إنها بالفعل تخفي شيئًا نجهله عنها ..»



اجتمعت العصبة بالكامل حول النار التي أشعلنها وخيم الليل
ببساطه وانتشرت النجوم فوق رؤوسهن وخلال دقائق خفت نورها
مع توهج القمر المكتمل فقالت (دعجاء) : «نمن جيداً الليلة..»
(رافدة) محتضنة نفسها : لم أكن أظن أن البرد سيكون قارساً هكذا
(هند) مستلقية هي الأخرى أمام النار : لم تري شيئاً .. انتظري حتى
نصل لأرض العجم
(كُميت) مغمضة عينيها : ليتني اشتريت ذلك الفراء ..
(عوراء) واضعة رأسها على فخذ (نافجة) : أنا لا أشعر بالبرد
(القيقبون) : شحومكِ ولحومكِ خير غطاء ..
(نافجة) موجه نظرها للتلة التي يقف فوقها البعير : إنه لا يزال على
حاله ..
(دعجاء) دون أن تلتفت ناحيته رامية قطعة حطب في النار : تجاهليه
ولا تعطيه أي انتباه ..
(هند) المستلقية بظهر مدار إليه : وكيف سننام وهو يقف مراقباً لنا
هكذا؟
(القيقبون) : يقول رعاة الإبل قديماً: «لا تعرِ البعير فكراً إذا أزبد
وأسقه نعيراً وسعيراً إذا أرفس ..»

(هند) تضم أذرعها مغمضة عينيها : حسناً .. سننتظر حتى يرفس أحداً منا إذًا ..

(دعجاء) لـ (نافجة) : نامي يا بنيتي .. سأبقى أنا و(سديرة) مستيقظتين

(القيقبون) : ولِمَ أبقى مستيقظة؟! .. أنا أريد النوم كذلك!

نظرت الدعجاء لعجوز القدر بنظرة حملت بعض المعاني الخافية قائلة : سننام بعدهنّ يا (سديرة) .. هل تفهمينني؟

فهمت (القيقبون) ما حاولت (دعجاء) إيصاله لها وقالت بهدوء : نعم .. نمن أنتنّ وسنلحق بكنّ

بعد مرور ما يقارب الساعة على غفوة الجميع تحدثت عجوز القدر مع الدعجاء قائلة : هل ستخبرينني الآن ما القصة؟

(دعجاء) مقلبة جمر النار بعصا : البعير الأعور ..

(القيقبون) : ما به؟

(الدعجاء) ملقية بالعصا وسط اللهب : سنتخلص منه

(القيقبون) : وما دخل إجبارهنّ على النوم في هذا؟ .. كان يمكن أن يساعدننا؟

(دعجاء) : أنا أعرف مدى قدرتي وحدود قدرتهن لكني ما زلت أجهل مدى قدرتكِ أنتِ



(القيقبون) : هل تلمحين إلى أني أقل قوة من البقية؟

(دعجاء) : بل لأني مؤمنة بأنكِ تملكين قوة لم نرَ منها شيئاً حتى الآن لكني لن أخمن وأريد أن أرى بنفسي .. القدر يا عجوز القدر يجب أن يستقر على ثلاثة أحجار .. (نافجة) .. (هند) .. وأنتِ .. ولو كان أحدها ضعيفاً واهتز فسينقلب القدر على وجهه

(القيقبون) بتهكم : وأنتِ القدر الذي سيجلس علينا؟

(دعجاء) : أنا النار المشتعلة أسفله ..

(القيقبون) ناهضة من مكانها : حسناً يا ابنة وصبان .. سأثبت لكِ أني لست ضعيفة كما تعتقدين

(دعجاء) : أنا لا أعتقد شيئاً .. لكني أحتاج للتثبت قبل أن نرحل .. سأكون بانتظاركِ وإذا لم تعودي فسأكون قد حصلت على الإجابة

تجهمت عجوز القدر وسارت باتجاه التلة الرملية حيث كان يقف البعير الأعور ..

مع أول الصباح فتحت (نافجة) عينيها ورأت أن الجميع مستلقيات حولها نائمات بمن فيهن الدعجاء لكنها لم ترَ عجوز القدر وانتبهت كذلك إلى أن البعير الأعور لم يعد واقفاً فوق التلة بدأت بإيقاظ البقية واحدة تلو الأخرى وعندما أفاق الجميع قالت لـ (دعجاء) : أين (سديرة) يا عمة؟

أجابها صوت (القيقبون) من خلفها قائلاً : أنا هنا يا ابنة النخيل ..
التفتت (نافجة) وراءها وشاهدت عجوز القدر تجلس متربعة فوق الرمال على بعدٍ يسيرٍ منهن فقالت لها : لمَ أنت هناك بعيدة عن النار؟

(القيقبون) : شخير السمينة أزعجني ولم أستطع النوم

(عوراء) بغضب : أنتِ السمينة!!

(القيقبون) : كونكِ عرفتِ أني أتحدث عنكِ فهذا يؤكد كلامي

(عوراء) لـ (نافجة) بعصبية : أسكتيها يا عمة!

تبسمت الدعجاء وقالت محدثة الجميع : هيا انهضن .. لقد حان الوقت

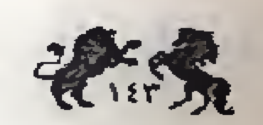
وقفت العصبة مشكلات دائرة حسب توجيه الدعجاء وأمسكن أياديهن بعضها ببعض ثم قالت (نافجة) : أين سنحط يا عمة؟

(دعجاء) : على الساحل عند ميناء ((بوشير))

(هند) : الميناء بعيد عن ((جبال الملح)) .. لمَ لا ننتقل إلى ((دزدآب)) فهي أقرب مدينة لحدود ((السند))

(دعجاء) : هذه هي وجهتنا في النهاية لكننا لن نحط فيها في البداية

(هند) : ليكن في علمك يا عمة أن جواسيسهم وغربانهم منتشرة في كل مكان وغالباً سيروننا ويعلمون بقدومنا في أي مكان تحط فيه أقدامنا ..



(دعجاء) : أعرف .. وهذا ما أريده تماماً .. الآن أغمضن أعينكن

أغمض الجميع أعينهن وبدأت الدعجاء في تمتمة طلاسم الانتقال

لكنها فجأة شعرت بأن هناك ثقلاً قابعاً على صدرها يمنعها من إتمام

الطلسم فتوقفت وقالت بصوت مرهق : «افتحن أعينكن ..»

(كُميت) : هل وصلنا؟

(عوراء) بحماس : فارس تشبه عربستان!

(رافدة) : اهدئي .. نحن لم نتحرك من مكاننا بعد

(نافجة) ملاحظة التعب على الدعجاء : ما بكِ يا عمة هل أنتِ بخير؟

كسرت الدعجاء الدائرة مبتعدة بضع خطوات لأخذ أنفاسها والعرجاء تعكز خلفها بوجهٍ قلق. وقفت (دعجاء) واضعة كفها على صدرها بعد ما قطعت مسافة بعيداً عن المجموعة وأخذت تتنفس وكأنها تعاني من الضيق حينها شعرت بيد (نافجة) تربت على ظهرها وبنبرة قلقة : ما الأمر؟

(دعجاء) بصوت متقطع : الصبية ..

(نافجة) ملتفتة وراءها : (عوراء)؟ .. ما بها؟

(دعجاء) ماسحة على عنقها وكأنها تختنق : تملك طاقة غريبة تعكر قدرتي على نقلكن .. أين وجدتِها؟

(نافجة) : إنها فتاة مسكينة التقيتها في ((مدينة البركة)) قبل عدة أشهر ولا أعرف عنها الكثير

(دعجاء) : ((مدينة البركة)) أرض ملعونة وأهلها من شرار الناس

(نافجة) : كنت أسعى لتطبيب (رافدة) ولم أجد ..

(دعجاء) : مقاطعة : هل أجدتِ طلاسم الانتقال منذ أن افترقنا؟

(نافجة) : لا يا عمة

(دعجاء) : هل يجيدها أحد من بناتكِ؟

(نافجة) : أعتقد أن (هند) تجيدها

استدارت الدعجاء وبلعت ريقها وسارت عائدة للمجموعة الواقفة تراقب ما يحدث بخليط من التعجب والتساؤل وعند وصولها إليهن وجهت حديثها لـ (هند) قائلة :

«هل تجيدين طلاسم التنقل يا ابنة معناد؟»

(هند) : نعم ..

(الدعجاء) : سأحتاجك لتعاونيني

(هند) : حسناً لكن في ماذا؟ .. وكيف؟

(دعجاء) : فقط عندما نحاول الانتقال مجددًا كوني بجانبي وضعي يدك بيدي ثم اقرئي طلسم الانتقال معي ووجهينا لميناء ((بوشير))



واتركي الباقي عليّ هذا سيكون كافيًا ..

(هند) مقتربة من الدعجاء : حسناً

وضعت ابنة معناد كفها في كف الدعجاء وبالتتابع أمسكت كل واحدة من العصبة بيد الأخرى مشكلات دائرة مغلقة انتهت بإمساك (القيقبون) ليد (دعجاء) التي قالت : أغمضن أعينكن الآن مرة أخرى ولا تفتحنها حتى أخبركن

(القيقبون) تغمض عينيها متحسسة يد الدعجاء : يدك أنعم من يد الصبية الصغيرة .. ماذا تأكلان أنتِ وابنة النخيل لتغدوا هكذا؟

(دعجاء) مغمضة عينها باسمة : نحن فقط لا نغسل القدور ..

بدأت الدعجاء بالتمتمة وتبعتها (هند) بالمثل ..

صمت المصمتة



مجموعة تدخل على السيد الكبير في القاعة الكبرى بـ «عرين الأسد»..

ضمت الوزيرين (آغ) و(روشني) والمرأة العجوز الموكلة في الطائفة بوشم المصنفين حاملة معها إبرة وقنينة صغيرة ..

سار من ورائهم (مايزك) والحرس السابقون للسيد الكبير والقادة الحاليون لفرقة القتلة وهم (زومر) .. (مرناصة) و(كمشل) ..



ما أن رأت (مهرناز) الواقفة بجانب العرش الرخامي قاتل أختها
حتى تجهمت وحدقت به بعبوس خلال سيره ولم ترفع عينيها من
عليه وكأنها مفترس ينتظر فرصة ليباغت فريسته. وقف الجميع أمام
قائد الطائفة حانين رؤوسهم حينها حدثهم قائلاً :

«لا أريد أي معكرات اليوم ..»

تقدم الوزير (آغ) وقال بنبرة خوف ووجل : ليس لدينا إلا ما يسرك
يا صاحب العظمة

(السيد الكبير) بتململ : هيا ابدأ المراسم

(آغ) باسطاً أذرعه وكفيه عالياً :

«نحن هنا اليوم لتكريم الكاهن (مايزك) بعد إنجازه المهمة التي
فشل فيها القتلة مراراً وتكراراً وكما يقال ومعروف بين أفراد
الطائفة : «عندما يفشل القتلة يتدخل الكهنة ..» وقد تدخلنا
وأنجزنا المهمة على أكمل وجه كما هو متوقع ومطلوب منا امتثالاً
لأوامر سيدنا الكبير ..»

تجهم (روشني) بعد ما سمع هذا الكلام لكنه كظم غيظه ولم يعلق ..

(آغ) مستأنفاً : أما على الصعيد الآخر فإنجازات الطائفة في تقدم
وتوسع مستمرين ولقد حققنا الكثير من ..

(السيد الكبير) مقاطعاً : ماذا عن العربيات؟ .. ما الذي أنجزتموه معهنّ؟

(آغ) متلعثماً : العـ.. العربيات؟

(السيد الكبير) : نعم العربيات .. البدو الحافيات اللاتي ينوين القدوم إلى هنا لمواجهتنا على حد قولهن

(مهرناز) متمتمة لنفسها متذمرة : ما بهن الحافيات؟

(آغ) مستدركاً : آه نعم .. إنهنّ لا يزلن في ((عربستان)) وجواسيسنا وقتلتنا الموجودون هناك يتعقبونهن ويراقبونهن باستمرار وقد يتمكن أحدهم من تصفيتهن حتى قبل أن يصلن إلينا

(السيد الكبير) : قد؟

(آغ) بتوتر : بل أنا واثق من ذلك .. لا تشغل بالك يا سيدي فالأمر لا يستحق الذكر وهنّ مجرد مجموعة من الذباب سيتساقطن وسيتم دوسهنّ قريباً .. أنا أشرف على هذه المهمة بنفسي ولن ترى سوى ما عهدته مني من إنجاز حاسم وسريع

(السيد الكبير) ملوحاً بكفه بوجه غير مكترث : حسناً .. شِمُوه كي ننتهي ..

سارت العجوز حاملة القنينة والإبرة ووقفت أمام العرش تبعها



(مايزك) الذي وضع كفه على صدره حانياً رأسه للسيد الكبير قائلاً :

«هذا شرف كبير يا صاحب العظمة ..»

تجهمت (مهرناز) والسيد الكبير يتبسم لتجهمها عندما وجه نظره إليها وكأنه مستمتع بغيظها من الكاهن القاتل ..

غمست العجوز الإبرة في القنينة وهمت بوشم الكاهن بدائرة رابعة على وجنته وقبل أن يلمس رأسها الحاد جلده صرخ (روشني) متقدماً للأمام قائلاً :

«مهلاً! .. هناك مشكلة!»

تحولت وجوه الحاضرين جميعاً للدهشة لما قام به وزير القتلة عدا السيد الكبير الذي قال بخليط من السخط والاهتمام : ما بك يا (روشني)؟ .. لمَ تقاطع مراسم التنصيب؟ .. ألا تعرف أن هذا أمر محرم وجريمة كبرى؟

(روشني) : المعذرة يا صاحب العظمة لكني قمت بذلك لمنع جريمة أكبر .. جريمة غش وتدليس .. وأنا لن أقف صامتاً ولن أسمح بذلك!

(آغ) بتعجب ودهشة : عمَّ تتحدث؟ .. أي جريمة؟!

(روشني) مقترباً أكثر من العرش الرخامي وحديثه موجه للسيد الكبير بصوت، مسموع للجميع : «الكاهن (مايزك) لا يستحق هذا الشرف .. الساحرة الهجينة لا تزال على قيد الحياة ..»

صعق كل الحاضرين مما سمعوا لكن أكثرهم صدمة كانت (مهرناز) التي فتحت فمها واتسعت عيناها دهشة وأذناها تنصتان باهتمامٍ شديد ..

(السيد الكبير) موجهاً نظره المتجهم وحديثه الساخط لـ (آغ) قائلاً : ما الذي أسمعه يا وزير الكهنة؟!

(آغ) بارتباك شديد : هذا غير صحيح (مايزك) أكد لي أنه أنجز المهمة!

تراجعت العجوز للوراء معيدة الإبرة وسط القنينة ..

(روشني) مستأنفاً حديثه بثقة : غير صحيح .. هذا ما نقله جواسيسي الثقات في ((عربستان)) .. كهنة (آغ) فشلوا في مهمتهم وفوق ذلك ادعوا كذباً أنهم نجحوا فيها

(مايزك) فاقداً هدوءه : كذب!

(روشني) : أنا لا أكذب أيها الكاهن .. وأنا لا أتحدث إلا عندما أكون واثقًا من كلامي بعكس غيري



(آغ) لـ (روشني) محاولاً تدارك الأمر وهو يشاهد ملامح السيد الكبير تتفجر غضباً كالبركان الهائج : لم يطلب أحد مشورتك يا..

(السيد الكبير) مقاطعاً بصوت غليظ ساخط : كفى ..!

حنى الجميع رؤوسهم خوفاً ووجلاً ..

(السيد الكبير) موجهاً حديثه لـ (روشني) بهدوء مخيف : أين هي الآن؟

(روشني) : جواسيسي لم يتعقبوها كثيرًا فقد كانوا في مهمة مختلفة وعلمنا ذلك بمحض المصادفة فقط لكن ما أنا واثق منه أنها حية ترزق وقد تسعى للانتقام ..

(السيد الكبير) : أريد أن أعرف مكانها وماذا تنوي أن تفعل؟

(آغ) : يمكنني إرسال ..

(السيد الكبير) صارخاً في وزير الكهنة كزئير الأسد : اصمت يا (آغ) لا أريد سماع صوتك!

ارتعد (آغ) واضعاً كفوفه على صدره منزلاً رأسه وبجزعٍ شديد : أمرك

(السيد الكبير) : (روشني) ..

(روشني) : أمرك يا صاحب العظمة

(السيد الكبير) : هذه الساحرة يجب أن تموت .. هل تفهمني؟

كانت (مهرناز) تسمع ذلك الحوار وقلبها يتقطع ألماً ورغبتها في الخروج للبحث عن أختها بنفسها بلغت أقصاها وقمتها لكنها ولسبب ما لم تفعل وآثرت الالتزام بعهدها مع السيد الكبير وبقيت مكانها صامتة منصتة ..

(روشني) مشيراً لقادته الثلاثة بالتقدم أكثر ليراهم السيد الكبير : سنحدد موقعها وقتلتي جاهزون لتصفيتها ..

وجه السيد الكبير نظره العابس لـ (آغ) المرتجف أمامه وقال : أنت على وشك خسارة كل شيء يا وزير الكهنة .. ما حصل للتو أمر عظيم ولا يغتفر

(آغ) والجزع قابض على صدره : صدقني يا صاحب الرحمة أني لم أكن على علم بذلك

(السيد الكبير) : وهذا ما يجعل الأمر أكثر سوءاً

(آغ) : لم أعهد هذا التقصير من كهنتي لكني أعدك بأن ذلك لن يتكرر

أدار السيد الكبير نظره لـ (مايزك) والذي بدا أنه في حالة من الصدمة لما سمع وشاهد وقال له وهو يشير له بسبابته بالاقتراب منه : «تعال أيها الكاهن ..»



تقدم (مايزك) وعندما استقر عند قاع العرش نهض السيد الكبير بجسده الضخم ووقف أمامه قائلاً : كيف قتلتها كما تدعي؟

(مايزك) رافعاً كفه اليسرى : طعنتها بيدي هذه ..

«لديك فرصة واحدة لتكفر عن تقصيرك ..»

قالها السيد الكبير وهو يقبض على كف (مايزك) المرفوعة ويضغط عليها بقوة ..

(مايزك) بنبرة متألمة لكن صامدة : سأفعل ..

فصل السيد الكبير يد الكاهن عن معصمه بعد ما سحقها بقبضته لكن الكاهن لم يصرخ أو يتوجع بل اكتفى بسد منبع الدم المتدفق من جرحه بيده الأخرى حانياً رأسه قائلاً :

«سأكفر عن ذنبي ..»

السيد الكبير رامياً باليد المبتورة جانباً وبصوته الغليظ المشحون بالغضب قال :

«لقد ضقت ذرعاً بكم وبفشلكم المتكرر! .. الطائفة تفقد هيمنتها وسمعتنا في نزول وانحدار مستمر وهذا ما دفع هؤلاء البدو للتجرؤ ومحاولة مهاجمتنا! .. لن أعفو عن أي أحد منكم بعد اليوم

إذا شهدت تقصيراً أو تخاذلاً! .. الموت سيكون مصير كل متنور يفشل في أي مهمة مها كانت! .. هل هذا مفهوم!!»

حنى الجميع رؤوسهم خوفاً ووجلاً ولم ينطق أيٌّ منهم بشيء ..

(السيد الكبير) صارخاً فيهم : اخرجوا الآن ولا تعودوا إلا بعد ما يكون لديكم ما يستحق الإنصات!

بدأ الواقفون أمام العرش الرخامي بالانسحاب واحدًا تلو الآخر والخيبة تعلو وجوههم عدا (روشني) الذي ارتسم على محياه ابتسامة خبيثة أخفاها بكفه وهو يمسح على فكه الأملس ..

جلس السيد الكبير بوجه متجهم يتنفس بثقل وحينها تحدثت معه (مهرناز) الواقفة بجانب عرشه بظهر منتصب ونظر مرتكز أمامها وقالت :

«لمَ تريد قتلها؟ .. ما الذي اقترفته لتستحق الموت؟»

(السيد الكبير) دون أن يلتفت إليها : لأنها تجرأت وقتلت الكثير من أتباع الطائفة في ((عربستان)) ..

(مهرناز) : أنا أعرف أختي جيداً وهي ليست فتاة عدائية وأنا متيقنة من أنها قامت بذلك دفاعاً عن نفسها فقط

(السيد الكبير) : هل ستجادلين قراري؟



(مهرناز) : أنا أحاول أن أفهم فقط ..

(السيد الكبير) : ومن أنتِ حتى أبرر لكِ كي تفهمي؟

صمتت (مهرناز) ولم تستمر في الجدال ..

لكن السيد الكبير وبعد لحظات من الصمت قال : قبل ما يقارب العامين حاول أحد المستطلعين تجنيدها للطائفة وكان يمكنها أن ترفض وتتركه وشأنه لكنها قتلته ومثلت بجثمانه وكان ذلك إهانة كبيرة لنا وطعنة لكرامتنا ..

(مهرناز) : والبقية الذين قتلتهم هم القتلة الذين أرسلتموهم لاستعادة تلك الكرامة ..

(السيد الكبير) : ماذا تريدين أن تقولي؟

(مهرناز) : جندها مثلما جندتني

(السيد الكبير) : ألم تسمعي ما قلته للتو .. أختكِ مجنونة ولا تسمع إلا ما يدور في رأسها ولن تتوقف إلا إذا توقفت أنفاسها

(مهرناز) : أوكل هذه المهمة لي ..

(السيد الكبير) باسماً وبشيء من التهكم : عن أي مهمة تتحدثين؟.. قتلها أم تجنيدها؟

(مهرناز) : ما تشاء أنت سألبيه

(السيد الكبير) : أريدها ميتة ..

(مهرناز) : لك ذلك ..

(السيد الكبير) ملتفتاً لـ (مهرناز) التي كانت لا تزال تحدق أمامها بأعين صارمة : ستقتلين أختكِ؟

(مهرناز) وهي على حالها وثباتها : نعم .. لأجلك سأفعل

(السيد الكبير) معيداً نظره أمامه : تعرفين أنكِ لن تستطيعي الهرب من قبضتي لو فكرتِ بخيانتي ومساعدتها

(مهرناز) : سأحضر رأسها لك وأضعه بين قدميك

(السيد الكبير) : أحضريها لي حية تتنفس واقتليها أمامي

(مهرناز) : فقط امنحني الأمر وسيكون ذلك ..

أشار السيد الكبير بيده مانحاً (مهرناز) الإذن فدنت منه وأمسكت كفه المفتوحة وقبلتها قائلة بأعين تتوهج بنور أبيض : «شكراً يا صاحب العظمة ..»

بعدها سارت الحافية خروجاً من القاعة تاركة السيد الكبير يراقبها بأعين متوجسة ..

في الخارج مرت (مهرناز) بـ (روشني) و(آغ) الواقفين عند المدخل يتحدثان ويتجادلان فيما بينهما وحينما رأياها توقفا عن الكلام



وارتبكا بعض الشيء لكنها لم تتوقف أو تعرْ حديثهما أي اهتمام واستمرت بالسير نزولاً من السلالم الرخامية الكبيرة التي تقود لمخرج الجبل.

(آغ) باستغراب وعيناه على (مهرناز) النازلة من قمة السلالم: إلى أين هي ذاهبة؟ .. ولمَ تركت جانب السيد الكبير؟

(روشني): هل تظن أنه حررها؟

(آغ): لا .. أعتقد أن الأسوأ حدث

(روشني): ماذا تقصد؟

(آغ): السيد الكبير أرسلها في مهمة وغالباً هي إحدى المهام التي أخفقنا فيها .. ثقته بنا تتضاءل وهذا أمر مقلق

(روشني): تحدث عن نفسك أنا لم أخفق في شيء وثقة السيد الكبير بي كما هي بل في تزايد

(آغ) موجهاً نظره لـ (روشني): هل تعتقد أني لا أرى ما تحاول القيام به؟ .. هل تظن أنك ستبلغ مبلغاً أعلى وتحظى بمنصبٍ ومكانة أكبر عند السيد الكبير حينما تشكك في قدرتي وقدرة كهنتي أمامه بتلك الألاعيب الصبيانية؟

(روشني): كهنتك أخفقوا بالفعل وأنا لم أتجنَّ عليهم

(آغ): والسخط طالنا جميعاً .. لا تظن لوهلة أن السيد الكبير سيعاملك بشكل خاص عندما تثير الفتن وتهز تماسك الطائفة .. صدقني أنت الآن في وضع أسوأ مما كنت عليه وسترى عاقبة أفعالك قريبًا

(روشني) : هل هذا تهديد؟

(آغ) : بل تحذير .. إذا لم نعمل معاً وننتهِ من جميع المشكلات المحدقة بنا وبالطائفة فلن يتردد السيد الكبير في محونا جميعاً دون تردد أو تمييز

(روشني) : وهل حقّاً ستشاركني علمك وتمد لي العون أنت وكهنتك؟

(آغ) : ليس لأجلك بل لأجل الطائفة الجنتية .. أنا أملك من الحكمة ما يدعوني للتضحية بأي شيء حماية للطائفة .. بعكسك أنت

تبسم (روشني) ثم قال : سيد (آغ) .. هذا الحديث ليس من عادتك .. فيمَ تفكر ولماذا تخطط؟

(آغ) ملتفتاً يميناً وشمالاً : لن نتحدث هنا .. لنذهب لقصري ..

بعد خروجهما من ((عرين الأسد)) توجه الوزيران لقصرٍ استقر في الطابق السادس أسفل قصر السيد الكبير الواقع في الطابق السابع وهذا المكان عرف كذلك بـ ((المعبد الكبير)) لأنه احتوى بالإضافة لمكان إقامة وزير الكهنة على هيكل كبير ضم العديد من



الكهنة برتب متعددة يمارسون فيه طقوسهم السرية بعيدًا عن أعين

بقية أفراد الطائفة ولم يكن يسمح بالدخول لأي متنور سواهم

حتى الوزير (روشني) الذي كانت تلك زيارته الأولى للمكان لذا

قال لـ (آغ) خلال تجاوزهما فوهته الكبيرة والمحروسة من الخارج

بمجموعة من الحراس:

«أنت اليوم تكسر حواجز كثيرة وتحدث سوابق جديدة يا كبير

الكهنة ..»

(آغ) وهو مستمر في التقدم : حديثنا الأخير في قصرك جعلني أدرك

أننا قد بلغنا مرحلة حرجة ولن أنتظر إلى أن ينهار كل ما بنيناه لسبب

تافه ..

(روشني) : الأمر لا يزال مبكراً كي تحكم بأن العربيات سيتسببن

في انهيار الطائفة

توقف (آغ) فجأة ووجه نظره لـ (روشني) قائلاً : كنت أتحدث

عنك ..

تعجب (روشني) من كلامه لكنه لم يعلق ..

عاود وزير الكهنة السير حتى وصل لتجويف بسقف مفتوح على

السماء الغائمة يتوسطه ما كان يشبه الحوض الحجري امتلأ بماء

أزرق صافٍ أحاطت به مجموعة من الصخور بدت وكأنها معدة للجلوس ومن بين تلك الصخور استقرت صخرة تكبرها قليلاً جلس عليها (آغ) وأشار لـ (روشني) بالجلوس ففعل وهو يقول بشيء من التهكم : هل هذا عرشك؟

(آغ) : الحكمة لا تحتاج عرشاً والعلم لا يستلزم ثراء ..

(روشني) واضعا ساقاً على ساق : وما العلم الذي تنوي مشاركتي إياه؟

وضع (آغ) أطراف أنامل يده اليسرى وسط الماء وأخذ يحركها ببطء معكراً صفو سطحه قائلاً : «النظر للسراب جميل لكن الأجمل متابعة من يلاحقونه ..»

(روشني) : إلى ماذا ترمي يا كبير الكهنة؟

(آغ) وهو مستمر بتحريك أصابعه فوق الماء : لنتكاشف أولاً كي يكون حديثنا أكثر سلاسة ونصفيه من أي شوائب تعكره ..

تشكل على سطح ماء الحوض صورة متحركة فحنى (روشني) رأسه ممعناً النظر أكثر فشاهد مساعده (شاور) يتحدث مع أحد المتنورين في قصره ..

(روشني) رافعاً نظره محدثاً (آغ) : ماذا تريد أن تقول؟



(آغ) باسماً بعد ما عكر الصورة بحركة من يده : «بأني أعرف كل شيء ..»

(روشني) بشيء من الارتباك : تعرف ماذا؟

(آغ) : ما تخطط وتنوي القيام به ..

(روشني) محاولاً صرف الموضوع : أنا لا أعرف لمَ تشك بي دوماً يا (آغ)

(آغ) : في السابق كنت أشك لكن بعد ما كشفت حقيقة (مايزك) عمداً أمام السيد الكبير أصبحت متيقناً

(روشني) : متيقناً من ماذا؟

(آغ) : من أن لك أطماعاً كبيرة .. أكبر منك بكثير .. وستبذل المستحيل للوصول إليها

(روشني) : كاهنك كان سينكشف عاجلاً أم آجلاً وصدقني أني أنقذتك من مصيبة أكبر لو أن الخبر وصل للسيد الكبير لاحقاً وبعد وشمه

(آغ) : هل تخطط للاستيلاء على منصب كبير الكهنة مثلما استوليت على منصب (فايو) .. هل هذا طموحك؟

(روشني) : منصبك لا يعني لي شيئاً .. كل ما يهمني هو صد هؤلاء

الدخلاء والقضاء عليهم قبل أن يصلوا لـ ((جبال الملح)) وسترى بنفسك أن ولائي للطائفة الجنتية يفوق ولاء أي فرد فيها بمن فيهم أنت

(آغ) : وهل ولاؤك الذي تتحدث عنه هو ما دفعك لمساعدة العرجاء في التغلب على (كلال).. ؟

(روشني) والتوتر بادٍ على وجهه : أنت تهذي بالأكاذيب وتحاول الانتقام مني لكشف كاهنك

(آغ) : لو كنت أفكر بطريقتك نفسها وأردت الانتقام لما كنا نتحدث وحدنا الآن وكان الحديث أمام السيد الكبير لكنني لست متهوراً مثلك ومصلحتي الشخصية ليست من أولوياتي ومقدمة على ما هو أهم

(روشني) : وما هو الشيء الأهم من نفسك؟

(آغ) : الطائفة الجنتية .. أنا من رشحك للسيد الكبير وأنا كذلك من سيقوم بتقويم انحرافك لأني أعرف أنك تملك الكثير لتقدمه لنا لكن غرورك شتت ذهنك .. طموحك يفوق قدراتك وعدم إدراكك لذلك أوهمك بأنك تستطيع الإطاحة بالسيد الكبير

صمت (روشني) ولم يرد لشعوره بخليط من العار والخجل ..



(آغ) : نحن لسنا عرباً لنطعن بعضنا بعضاً في ظهورنا .. الشيء الوحيد الذي مكننا من البقاء والارتقاء هو الولاء المطلق .. لأهدافنا .. لقضيتنا .. لأسيادنا ..

(روشني) : قلت بأنك تريد حديثاً بلا مواراه ..

(آغ) : نعم

(روشني) : ذلك يستدعي أن أتحدث بحرية دون الخوف على مصيري من أي عاقبة .. أمامك على الأقل

(آغ) : كلامك هذا يدل على أنك استعدت عقلك .. تحدث كما تشاء ولا تخشَ شيئاً يا قائد القتلة .. تحدث ..

(روشني) : ما قمت به .. أو كنت سأقوم به .. هو لمصلحة الطائفة وليس لمطامعي الشخصية

(آغ) : وأي مصلحة كنت ترجوها ويمكن أن تجنيها الطائفة بإزاحة سيدها وقائدها عن عرشه؟

(روشني) : القائد يجب أن يحمل صفات معينة ليقود .. هل تذكر لمَ رشحتني للانضمام للطائفة؟

(آغ) : لأنك تملك خصالاً كثيرة ذات نفع لنا أهمها قدرتك على تقييم الطاقات الكامنة والمتفجرة ناهيك عن ذكائك الحاد وقوة ملاحظتك

(روشني) : وما ذكرته هو سبب ما فعلته

(آغ) : لم أفهم

(روشني) : قائدنا العظيم .. السيد الكبير .. ومنذ أول يوم التقيت به اكتشفت سره الذي أنا على يقين بأنك ملم به وتعرفه

(آغ) : أنا لن أخمن شيئاً لم تتفوه به .. تكلم بوضوح .. عن أي سر تتحدث؟

(روشني) : أن قائد الطائفة الجنتية العظيم لا يملك أي طاقة تذكر .. لا هالة متفجرة أو حتى خاملة .. وكأنه حجر مصمت بارد

(آغ) باسماً : وهذا سبب رغبتك في الانقلاب عليه؟

(روشني) : لقد ادعى أنه يملك طاقة تفوقنا جميعاً وهذا ادعاء كاذب ووجود شخص أقل منا فوق رأس الهرم هو أشد خطورة على الطائفة من أي شيء آخر

(آغ) : السيد الكبير لم يدعِ يوماً أنه يملك هالة من أي نوع .. لكن مما لا شك فيه أنه يملك قوة لا نحلم بالوصول إليها

(روشني) : أين تلك القوة؟ .. أنا لم أرَه يستخدمها من قبل سوى في التهديد والصراخ .. ربما يملك قوة بسيطة لا تتعدى ما يملكه أي متنور غير مصنف لكن عدا ذلك لم أرَ شيئاً يستحق كل هذا التبجيل



الذي نقدمه له ولا أستبعد أن يكون مجرد شخص مثله مثل غيره من عامة الناس .. بشر بلا مزايا روحية أو روحانية

(آغ) : هذا هو سر قوته ..

(روشني) بخليط من الاستغراب والتساؤل : أي وهم أقنعت نفسك به يا وزير الكهنة؟ .. أقنعني .. كيف وصلت لمثل هذا الإيمان المطلق به وأنت لم تشهد قوته من قبل

(آغ) : من قال هذا؟

(روشني) : حسناً أنا منصت ..

(آغ) : أنا لم أتناقش معه من قبل في سر قوته لكن حديثاً دار بيني وبين (كلكامش) حول هذا الموضوع في وقت من الأوقات

(روشني) : وماذا قال؟

(آغ) : لم يجبني بشكل مباشر لكنه قال إنه لا يوجد مصدر للقوة يضاهي عزيمة الإنسان.. وهذا هو مصدر قوة قائدنا

(روشني) : هراء .. لا يمكن لأحد أن يصبح قويّاً فقط لأنه يريد ذلك .. لا تسئ فهمي وتظن أن احترامي للسيد الكبير تغير لكن .. تصرفاته مع تلك الحافية هي أكبر دليل على ضعفه وعجزه

(آغ) : تقصد (مهرناز)؟

(روشني) : نعم .. فهو يعاملها بصبر وبال طويل وتنازل لها كثيراً وتجاوز عن زلاتها بالرغم من وقاحتها .. بدا خائفاً منها .. شعرت بهذا عندما غفر لها ما فعلته بحراسه وأعطاها حق الرحيل حينما طلبت منه ذلك

(آغ) : ما فعلته بالحراس كان بأمره ورحيلها كذلك كان خياراً ممنوحًا منه .. أنا قدمتها للسيد الكبير كي يراها ويرى قوتها فقط ولم أتوقع أن يبقيها بجانبه

(روشني) : كنت تريد أن يوليك عليها؟

(آغ) : وأنا أحق شخصٍ بذلك .. أنا من دربها وصقل قدرتها وأنا من علمها كيف تسيطر وتستخدم تلك الطاقة المهولة التي تملكها .. قراره بتعيينها كحارسة له كان مفاجأة بالنسبة لي لا أنكر هذا .. لكن مع ذلك ليس لي إلا أن أنصاع

(روشني) : أنا على عكسك تماماً لم يفاجئني قراره .. شخص ضعيف مثله يريد أن يحيط نفسه بالأقوياء دوماً ليحموه لأنه لو لم يفعل كانت ستمزقه في لحظات

(آغ) : أنت بحق لا تفهم ما يدور حولك ..

(روشني) : أجبني إذاً .. لمَ أعطاها حق الرحيل بتلك السهولة؟ ولمَ



بعد ما قمنا أنا وأنت بالتلاعب بعقلها لثنيها عن ذلك بذكر أخواتها أمامها يقوم هو بمنحها هذا المنصب؟ .. لا يوجد سبب لقيامه بذلك إلا ليداري عجزه وخيبته ..

(آغ) : أنت مخطئ يا (روشني) السيد الكبير لا يخشى أحداً

(روشني) : ليس خوفاً بقدر ما هو حذر .. الحقيقة واضحة أمامك لكنك تختار الصد بنظرك عنها .. إنه لا يريد مواجهتها وهذا مؤشر صريح للضعف بالنسبة لي .. وهذا هو سبب قناعتي .. كنت دائماً ومنذ اللحظة الأولى التي انضممت فيها للطائفة أتساءل مع نفسي .. هل السيد الكبير حقّاً بالقوة والبأس اللذين يشاعان عنه؟

(آغ) : كل ما أعرفه هو أنه بطش بكل مخلوق وقف ضده .. بشر .. جن .. شياطين .. هذا الرجل لا يعرف معنى الهزيمة ولم يرَها من قبل

(روشني) : هل رأيت هذا يحدث ولو لمرة واحدة بعينيك؟

(آغ) : لا ..

(روشني) : ثم ماذا عن تلك الندبة على عينه؟

(آغ) : تلك كانت المرة الوحيدة التي رأيته يصاب فيها .. سببتها له حارسة انقلبت عليه في الماضي

(روشني) : إذاً فالسيد الكبير ليس حصنًا منيعًا لا يمكن اختراقه كما يظن الجميع

(آغ) : أنت لم ترَ ما رأيناه يومها .. لو كنت حاضراً لما قلت ما قلته للتو

(روشني) : كلي آذان صاغية يا وزير الكهنة .. أنر بصيرتي .. كيف حصل السيد الكبير على تلك الندبة؟

(آغ) وهو يغمس أنامله في الحوض المائي : قبل أن أخبرك أريدك أن ترى شيئاً ..

تشكل على سطح الماء صورة رجلٍ يغطي وجهه بلثام يسير في أحد الأسواق ..

(روشني) محاولاً التعرف عليه : من هذا الرجل؟

(آغ) : الساحرة الهجينة .. وهي تقترب منا .. لقد وصلت لـ ((لوه بور)) قبل قليل ..

(روشني) : المجنونة إذاً اتخذت قرار الهجوم علينا بالفعل

(آغ) : أعتقد أنها تتعقب (مايزك) فقط .. تريد الثأر منه على ما أظن

(روشني) : أنا متعجب من إصرارها وهوسها

(آغ) : الفتاة تستعين بالتشكل من وقتٍ لآخر لتضليل الجواسيس



وقد توقفت عن استخدام طلاسم الانتقال وغيرها منذ دخولها قرية ((دزدآب)) .. إنها تعرف جيداً أن استخدام طلاسمها سيسهل علينا كشف موقعها لذا فهي ستكمل بقية المسافة لـ ((جبال الملح)) سيراً على الأقدام

(روشني) : وكيف ستتمكن من تحديد موقعها بعد خروجها من القرية؟

(آغ) محركاً أنامله فوق الحوض المائي مبدداً الصورة : مصادر علمي ليست محدودة مثل مصادرك .. انسَ أمرها الآن ولنركز على الأهم

تشكلت صورة أخرى على سطح الماء مظهرة مجموعة من النساء يقفن على شاطئ يرافقهن رجل وصبية صغيرة ..

(روشني) : هل هؤلاء هم ..؟

(آغ) : نعم .. لقد وصلوا للتو لساحل ((بوشير)) قبل قليل

(روشني) : سوف أعلم القتلة بتعقبهم وتصفيتهم في الحال قبل أن يتقدموا أكثر

(آغ) : لا .. سننتظر

(روشني) : ننتظر ماذا؟ .. هذه فرصتنا للقضاء عليهم بضربة واحدة

(آغ) : ليس من الحكمة الاصطدام مع عدو لا تعرف إمكانياته بعد



(روشني) : أرض المعركة اختلفت الآن وهم لم يعودوا في ((عربستان)) .. هنا نحن نملك اليد العليا عدداً وعتادًا

(آغ) : لا تقلل من شأن من أطاحوا بقتلة (فايو) واحداً تلو الآخر

(روشني) : وماذا تقترح؟

(آغ) معيداً نظره للصورة المنعكسة على سطح ماء الحوض : سنراقب تحركاتهم ونرسل لهم القتلة من حين لآخر وبناء على النتائج سنرسم خطتنا

(روشني) : ما زلت مقتنعاً بفكرة توجيه ضربة واحدة وقاصمة .. عشرة متنورين أو عشرون متنوراً من الرتب العليا يهجمون عليهم في وقتٍ واحد وننتهي من كل شيء

(آغ) : ولو تمكنوا من التصدي لتلك الهجمة؟ .. وتلقينا هزيمة نكراء على أرضنا وأمام شعبنا؟

(روشني) بتعجب : عن ماذا تتحدث يا وزير الكهنة؟

أمعن وزير الكهنة النظر أكثر في العصبة من خلال انعكاس صورتهم على سطح حوض الماء محركاً أنامله عند وجوههم ثم قال :

«يجب أن نرى مدى قوتهم ونختبرها كي نضع الخطة المناسبة للإطاحة بهم خاصة أن من بينهم من نجهل قوتهم وقدراتهم .. أي

هزيمة سنتلقاها على أرضنا سينتشر خبرها في كل أرجاء ((فارس)) وسنخسر ما هو أهم من حياتنا .. سنخسر سمعتنا وهيبتنا .. لا .. لن نجازف بمثل تلك المواجهة قبل أن نعرف ما نحن مقبلون عليه .. قواعد اللعبة اختلفت الآن ..»

(روشني) : أنا منصت لاقتراحاتك ..

(آغ) رافعاً رأسه عن حوض الماء : الطريق المألوف والمعروف المؤدي لـ ((جبال الملح)) هو المعبر الجبلي المنطلق من ((لوه بور)) وهم على الأرجح سيتوجهون إليه وينطلقون منه وهناك سننصب لهم كميناً بعيداً عن الأنظار ونبيدهم بضربة واحدة كما تقول بعد ما يكون لدينا ما يكفي من علم عن قدراتهم بعد ما نرسل بعض المتنورين لاختبارها

(روشني) : ما زلت مصرّاً أن قدراتهم محدودة

(آغ) ملتفتاً إليه : محدودة؟ .. هل نسيت أن أقوى متنورة قاتلة في تاريخ الطائفة تسير معهم .. القاتلة التي تمكنت من تصفية «الكاهن الأسود» ومجموعته وحدها دون أي مساعدة وحتى من قبل أن تنضم إلينا سقط أمامها عدد من القتلة ذوي الرتب العليا .. ليس من الحكمة التقليل من شأن أعدائنا خاصة عدوّاً أتى إليك غير مكترث لمصيره .. هؤلاء النسوة أتين ليمتن في سبيل إحداث شرخ



في صرحنا العظيم ولو نجحن فلن تتعافى الطائفة من ذلك أبداً ..
تريث .. تريث أيها الوزير
(روشني) : ماذا عن الساحرة الهجينة؟ .. هل ستتركها حتى تصل عند سفح الجبل قبل أن تهاجمها هي الأخرى؟
(آغ) : ستقع في كمين مماثل قبلهن فهي لا شك على وشك شد الرحال نحو قمم ((جبال الملح)) .. ثم إن هدفها هو (مايزك) فقط وليس السيد الكبير
(روشني) : ماذا لو لم تسلك أيٌّ منهن المعبر الجبلي وسلكن الطريق الآخر؟
(آغ) : تقصد ..
(روشني) : نعم .. لو سلكنه فسنفقد أثرهن وسيصبح تعقبهن أكثر صعوبة
(آغ) : لا يعرف هذا الطريق وأسراره سوى أهل البلد وهن غريبات ولن يشاركهن أحد تلك المعلومة خاصة عندما يعرفون أنهن عربيات
(روشني) : (أنهار) فارسية و(هند) كانت متنورة وتجيد لغتنا وكلتاهما بلا شك على علم به



(آغ) : لا تستبق الأحداث .. قم فقط بانتقاء مجموعة من القتلة وأرسلهم تباعاً كي يكونوا في استقبال ضيفاتنا غير المرحب بهن لنرى مدى إمكانياتهن .. ولا ترسل مجموعات كبيرة .. لا نريد إحداث جلبة

(روشني) موجهاً نظره للحوض جائلاً بنظره بين وجوه المجموعة وهن يستكشفن الشاطئ متوقفاً عند (عوراء) قائلاً : هل هذه هي الصبية التي أخبرك عنها (مايزك) ..؟

(آغ) يشاركه النظر للصبية ذات الشعر الأحمر : نعم إنها هي على ما أظن .. ألم يخبرك مساعدك (شاور) عنها؟

(روشني) : بلى لكن لا يبدو لي أنها تملك أي قوة كما كانا يدعيان .. انظر كيف تتشبث بالعرجاء .. لا أحد يملك قدرة للدفاع عن نفسه يفعل ذلك .. الشيء الوحيد اللافت فيها أن ملامحها ليست عربية .. تذكرني بفتيات مدينة ((إصطخر)) جنوب ((فارس))

(آغ) وملامحه تتغير بعد ما تمعن بوجهها أكثر : نعم معك حق .. تعرف؟ .. أشعر بأني رأيتها من قبل ..

(روشني) مديراً نظره لـ (آغ) وبنبرة متهكمة : رأيتها أين يا كبير الكهنة؟ .. هل كنت تملك جارية مثلها؟



وقف (آغ) ودنا أكثر من الحوض حانياً رأسه بأعين متسعة ووجه مصدوم:

«تذكرت الآن .. إنها صورة طبق الأصل منها .. التشابه بينهما لا يمكن تجاهله .. هي أيضاً كانت من ((إصطخر)) ..»

(روشني): بماذا تهذي؟ .. تشابه بينها وبين من؟

(آغ) متراجعاً بجذع جسده للخلف واضعاً كفه على فمه ونظره مرتكز على الصبية:

«وكأني أرى (غومشد) أمامي .. لون شعرها وعينيها مختلف لكن الملامح متطابقة ..»

(روشني): من هذه الـ (غومشد)؟

(آغ) مستمرّاً في الحديث مع نفسه وهو يراقب الصبية من خلال الحوض المائي:

«نعم نعم .. شعرها الأحمر .. عيناها .. لقد ورثتها منه .. وعمرها مناسب لأن تكون هي .. يا للهول .. أيُعقل أن تكون هذه الصبية ..»

(روشني): هل فقدت عقلك يا وزير الكهنة؟ .. عن ماذا تتحدث؟

(آغ) معكراً سطح الماء بأنامله مبدداً الصورة المنعكسة: «عن كارثة تقترب منا ..»



(روشني) : اعذرني إذا لم أتفاعل معك يا سيد (آغ) .. فأنت تتحدث بالألغاز

(آغ) جالساً على صخرته بوجه خالطه القلق والتفكر :

«السيد الكبير عندما أسس الطائفة الجنتية لجأ لعرافة شهيرة في ((تحت سليمان)) لتقرأ له طالعه ومستقبل قراره الذي اتخذه وقد باركت له تلك الخطوة وأكدت له أن المجد سيكون رفيقه والنصر حليفه لكنها حذرته من أمر ما ..»

(روشني) : حذرته من ماذا؟

(آغ) : أخبرته أن سقوطه من قمة عرشه الرخامي سيكون على يد من تنجبه بطن حملت وحبلت من بين أتباعه ..

(روشني) : ألهذا يحرم الزواج بيننا؟

(آغ) : نعم وهو مؤمن جدّاً بتلك النبوءة

(روشني) : وما علاقة ذلك بتلك الصبية المرافقة للعربيات

(آغ) : هل تذكر ندبة السيد الكبير التي سألتني عنها؟

(روشني) : نعم .. تلك التي على عينه اليسرى

(آغ) ممرّاً أصابعه في لحيته سارحاً في الحوض المائي أمامه :

«سأخبرك كيف حصل عليها .. كان هذا قبل أعوام طويلة .. أكثر من عشر سنوات ..»



ماضٍ لم يمضِ



شرق ((فارس)) .. غرب بلاد ((السند)) ..

سلسلة من القمم المتجمدة ..

((جبال الملح))

قصرٌ كبير مشيد من الرخام والحجارة استقر فوق إحدى تلك القمم المغطاة بالثلوج ..

رجل ضخم البنية في منتصف الثلاثين من عمره طويل القامة حليق الذقن بشنبٍ أسود كثيف وجسدٍ مفتول العضلات يسير منتعلاً حذاءً بجلد أحمر في ممر طويل وسط القصر ومن خلفه سبعة ..



ينتهي الممر بظهور ظهر عرش رخامي أبيض محاطٍ بينابيع تدفق ماؤها البارد من أعلاه وجوانبه لتجري في نهرٍ منهمر نزولاً لخارج القصر ..

ينحني أمامه مجموعة حضرت لاستقباله ولقائه ..

يتقدم من بينهم شيخٌ مسنٌّ متحدثاً بوجل ...:

«سيدنا الكبير .. إنه لشرفٌ كبير أن تستقبلنا في ((عرين الأسد)) وتمنح عشيرتنا من وقتك الثمين ..»

مسح السيد الكبير على شاربه الأسود الكثيف بسبابته وإبهامه وبنبرة مستحقرة: «من هؤلاء الرعاع يا (آغ)؟»

يخرج من وراء الشيخ المسن رجل نحيل يلبس إزاراً أخضر والجزء العلوي من جسده مكشوف وعليه بوادر التقدم في العمر مجيباً على تساؤل السيد الكبير قائلاً:

«هؤلاء عشيرة تقطن في السهول الغربية وهذا زعيمهم (باقع) وقد أتى إلى هنا لـ ..»

(السيد الكبير) مقاطعاً بعد ما وضع ساقاً على ساق: آه تذكرت ..



الذين يطلبون العون في التخلص ممن يغزونهم ويسرقون محاصيلهم
(باقع) : ويقتلون أطفالنا ويسبون نساءنا ..
(السيد الكبير) بتهكم وهو يوجه نظره لفتاة تقف خلف شيخ العشيرة مباشرة :
«إن كان نساؤكم كالتي ترافقك فهؤلاء الغزاة لا يملكون ذائقة عالية ..»
(باقع) متوسلاً : أرجوك يا صاحب العظمة ساعدنا .. لقد سئمنا من تلك المعاناة
(السيد الكبير) : وأنا سئمت من الإنصات لعويلك .. أين (فايو)؟
يجيب صوت من أقصى المكان بعد ما تقدم صاحبه وهو رجل أسمر البشرة حليق الرأس والوجه يلبس حزاماً ذهبيّاً امتلأ بالخناجر ولباسه كان كالجلباب الفضفاض المصنوع من الخيش غطى جسده بالكامل بما فيه رأسه وقال : «أنا هنا يا سيدي ..»
(السيد الكبير) : هل دفعوا المقابل المطلوب؟
(فايو) حانياً رأسه : بالتمام والكمال ..
(السيد الكبير) مشيراً بقدمه المرفوعة على ركبته تجاه وجه زعيم العشيرة المتضرع أمامه قائلاً : لمَ إذاً يضيع هذا الأحمق وقتي الثمين ويطلب الاجتماع معي؟

(باقع) بتوتر : السيد (آغ) أخبرنا بأن الثمن كان مقابل التخلص من الغزاة فقط وليس من يدعمهم ويحرضهم علينا

(السيد الكبير) : ومن يكون هذا؟

(باقع) : ملك من ملوك ((السند)) يريد توسيع مملكته ويلجأ لهؤلاء الغزاة والمرتزقة لضرب العشائر الصغيرة قبل أن يزحف بجيشه ليبتلع أراضيهم

(السيد الكبير) ساخراً : تريد منا أن نصد جيش هذا الملك مقابل الثمن الزهيد الذي دفعته؟

(باقع) منزلاً نظره بتذلل : لقد قدمنا كل ما بحوزتنا من ذهب وفضة ولم يعد معنا شيء

(السيد الكبير) : ما رأيك يا (آغ)؟

(آغ) : أرى أن هذه العشيرة لن تنجو إلا إذا كانت تحت حكم قائد عظيم يحميها

(السيد الكبير) لزعيم العشيرة : هل سمعت؟

(باقع) منزلاً نظره أرضاً : وفهمت ..

تقدم زعيم العشيرة نحو السيد وقبل قدمه قائلاً : أبايعك على السمع والطاعة .. أنا وعشيرتي رهن إشارتك



وضع السيد الكبير طرف قدمه على جبين زعيم العشيرة ودفع وجهه برفق وقال باسماً : «أعيدوا له ما قدمه من أموال ..»

(آغ) حانياً رأسه : حاضر يا سيدي

(السيد الكبير) محدثاً أحد حراسه الواقفين خلفه دون أن يلتفت إليه وعيناه على زعيم العشيرة : .. (باباعوت) .. خذ معك ما تحتاج من قتلة (فايو) وبنهاية نهار اليوم أريد أن يتم تصفية هؤلاء الغزاة

(باباعوت) : اعتبر الأمر أنجز يا سيدي

(السيد الكبير) منادياً : (سبلج) ..

(سبلج) متقدمة : أمرك يا صاحب العظمة

(السيد الكبير) : هذا الملك المحرض لهم ..

(سبلج) مقاطعة بنبرة خاضعة وواثقة : رأسه سيكون بين أقدامك ..

(السيد الكبير) ملوحاً بيده : هيا اخرجوا .. لقد انتهينا ..

رحل الجميع ولم يتبقَّ سوى الوزيرين (فايو) و(آغ) اللذين نزلا على ركبهما برؤوس محنية أمام سيدهما الكبير ..

(السيد الكبير) موجهاً حديثه لـ (آغ) : ما هي أخبار كاهنك المنشق ..؟

(آغ) بارتباك : الكاهن الأسود لا يزال طليقاً لكننا اقتربنا من الوصول إليه وتصفيته ..

(السيد الكبير) : هذا الوغد تجرأ وطغى

(آغ) : لقد اعتزل مع مجموعة من المتنورين الذين تمكن من تجنيدهم بأرض ((بابل)) وهو يعد العدة للانقلاب علينا

(فايو) : سوف نرسل له كتيبة من القتلة وسنغتاله قريباً ..

(السيد الكبير) بنبرة ساخرة ومتهكمة : وزير القتلة (فايو) .. صاحب الوعود الفارغة .. لا أعرف لمَ لا أزال أثق بك لتقود القتلة وأنت تخفق أكثر مما تنجح

(فايو) برأس محني : رحمتك وكرمك هما السبب يا صاحب العظمة .. الكاهن الأسود ليس هدفاً صعباً لكن يجيد الاختباء والتملص ولكننا علمنا مؤخراً بأنه استقر مع أتباعه الأحد عشر في ((جبل سنجار)) وسوف ..

(آغ) مقاطعاً : الطائفة لم تتمكن حتى الآن من التخلص منه لأنه يعرف الكثير من أسرارنا ناهيك عن قوته وقوة أتباعه المحيطين به فهم جميعاً من الكهنة الأقوياء ذوي الرتب العالية

(السيد الكبير) : لو أردت قتله لفعلت لكني لا أريد تلويث سمعة الطائفة بحشد قوة كبيرة للصدام معه كي لا يقال بأن بيننا منشقين لا يمكن ضبطهم .. تصفيته مع أتباعه الخونة يجب أن تتم على يد متنور واحد فقط وبدون ضجيج



(آغ) : لا يوجد متنور يملك قوة كافية لقتل الكاهن الأسود وأتباعه وحده

(السيد الكبير) : لهذا تجاهلوه في الوقت الحالي حتى يظهر من بينكم متنور قادر على تحقيق ذلك

الوزيران بصوت واحد : أمرك

(السيد الكبير) : بالحديث عن المنشقين والخونة .. ما هي أخبار الطائفة في ((عربستان))؟

(آغ) : تسير على ما يرام لكن ..

(السيد الكبير) واضعاً خده على قبضته وبنبرة متململة : لكن ماذا يا وزير الكهنة؟

(آغ) وكأنه متردد في الحديث : أحد شيوخ القبائل الموالية لنا نقض عهده معنا وقام بإيواء عدو هارب أمرنا بقتله ومنع المتنور المرسل منا لتصفيته من الوصول إليه

(السيد الكبير) : من هذا العدو الهارب؟

(فايو) : ساحر مخضرم من شمال الجزيرة تجرأ وقتل متنوراً في نزال ..

(السيد الكبير) زافرًا بلا اكتراث : متى سيتعلم هؤلاء الهمج أن كونهم خدماً لنا فهذا بحد ذاته تكريمٌ لهم

(آغ) : بمَ تأمر يا صاحب العظمة؟

(السيد الكبير) : تصفيته هو وقبيلته وإنجاز المهمة بالقوة ..

(آغ) : أمرك

(السيد الكبير) : شيء آخر .. أريد أن تصل رسالة لبقية الهمج الموالين لنا هناك من خلال هذا الشيخ الأحمق .. اسبوا نساءهم واجلبوهن لـ ((فارس)) وسلموا أطفالهم لـ ((كلكامش)) فهو يحب العبث بالصغار بحثاً عن تلك الطاقة التي يزعم وجودها

(فايو) : وأنا سأرسل خمسة من قتلتي الأكفاء لاغتيال الساحر الشمالي

(السيد الكبير) : لا .. لا مجال للفشل هذه المرة .. هذه المهمة أكبر منك

أنزل قائد فرقة القتلة رأسه كاظماً قهره من كلام السيد الكبير ..

(السيد الكبير) بنبرة صارمة لاثنين من حراسه الواقفين خلفه : .. (غومشد)! .. (غاند)!

تقدمت (غومشد) وهي فتاة يافعة بأعين زرقاء كالبحر وشعر أسود قصير خالطه بعض الشيب وشم أعلى خدها الأيسر بثلاث نجوم ودائرتين سوداء مصمتتين تملك على كل إصبع من أصابع يدها



العشرة مخالب حديدية حادة وحلقة معدنية خرمت جانب شفتها السفلية ووقفت على يسار عرش السيد الكبير. تبعها تقدم رجل بشعر أحمر كالنار خالطه بعض الصفرة وأعين تلونت بلون العسل وقامة طويلة ناهزت قامة السيد الكبير موشوم بثلاث عشرة نجمة على صدره وخمس دوائر سوداء مصمتة على بطنه ووجه متجهم حليق ووقف على يسار العرش صامتاً محدقاً بالوزيرين بعبوس ونظرات حادة وثاقبة أثارت خوفهما بالرغم من وسامته وجاذبية ملامحه.

(السيد الكبير) لـ (فايو) : حرسي سيتولون هذه المهمة وسيشرفون عليها بالكامل .. وقتلتك سيأتمرون لأمرهم هل تفهم؟

(فايو) حانياً رأسه : أمرك

نهض السيد الكبير من مكانه وقال : «سأعتزل في كهفي لشهر وخلال تلك الفترة لا تقطعوا خلوتي لأي سببٍ كان وعندما أخرج أريد أن أسمع أن كل هذه المشكلات قد تم حلها .. مفهوم؟»

بعد ما حنى الجميع رؤوسهم سار السيد الكبير نحو طريق خلف عرشه خارجاً من المكان وبقية حرسه الخمسة من خلفه ..

وقف الوزيران وتحاورا فيما بينهما بحضور (غومشد) و(غاند) ..



(فايو) لـ (غاند) : كم من القتلة تحتاج؟

(غاند) عابساً بملامحه الحادة : لا نحتاج شيئاً منك ..

(غومشد) ماسحة بأطراف مخالبها الحديدية الحادة على ظهر (غاند) العريض وبنبرة خالطها التحدي والاستخفاف : «حرس السيد الكبير يستطيعون إنجاز المهمة دون أي عون ..»

(فايو) بتجهم : ومن سيعود بالسبايا؟ .. أنتما؟

(آغ) مشاركاً في الحديث قبل أن يتصاعد في الحدة : «نحن نقدر لكما هذه المساعدة لكن هناك بعض المهام البسيطة التي لا نريد إزعاجكما بها وهي التي يعرض الوزير (فايو) القيام بها ..»

(فايو) وهو مستاء من حديث (آغ) عنه بتلك الطريقة : ماذا تقصد يا ..

(آغ) مقاطعاً وموجهاً الحديث للحارسين متجاهلاً (فايو) : أكرما وزير القتلة بمعاونتكما وامنحاه ذلك الشرف

(غاند) : فليحضر من يشاء .. لا يهم .. أنا و(غومشد) سننطلق لقتل الساحر الشمالي وزعيم القبيلة وكل من يحاول الوقوف لحمايته ويمكنه أن يأتي هو بعدنا ليأسر من يأسر

(غومشد) باسمة وبنبرة متعالية ونظرات استحقار لـ (فايو) : ويمكنه أن ينسب جزءاً من هذا النصر له ولفرقته لو شاء ..



تقدم (آغ) ووقف أمام (غومشد) واضعاً كفه على زندها ضاغطاً عليه قائلاً : هذا كرم منكما .. رافقتكما السلامة

(غومشد) بوجه صلب وحديث صارم : أبعد يدك أيها الوزير قبل أن أفصلها عن ساعدك

(آغ) مبعداً يده وبنبرة متعجبة : لقد أسأتِ فهمي أنا لم أقصد أن ..

(غومشد) مقاطعة : لقد حذرتك دون أن أقتلك لكن في المرة القادمة لن تسمع سوى صوت نحرك وهو يشق

تراجع (آغ) بوجه متوتر ولم يقل شيئاً ..

ضم كل من الحارسين كفيه واضمحل خيالاهما بعد ما قرأا طلسماً للانتقال ..

(فايو) بغضب : من يظنان أنفسهما؟!

(آغ) : إنهما من حرس السيد الكبير ..

(فايو) بعبوس : كنت أظن أن استخدام الطلاسم محرم في الطائفة!

(آغ) : يجوز لحرس السيد الكبير ما لا يجوز لغيرهم

بصق (فايو) على الأرض في إشارة ساخطة منه ثم قال : وهل يجوز لهما إهانة الوزراء؟



(آغ) بنصف ضحكة : تقصد (غومشد)؟

(فايو) : نعم .. كيف تسمح لها بالحديث معك بتلك الطريقة.. يجب أن تبلغ السيد الكبير لتنال عقابها!

(آغ) : حرس السيد الكبير مجموعة مستقلة ولا أحد له سلطة عليهم سواه ولو وقفت كلمتي أمام كلمتها فسترجح كفتها فهو يثق بهم أكثر من وزرائه

(فايو) : ماذا تقصد؟ .. أن ولاءنا للسيد الكبير مشكوك فيه؟

(آغ) : لا ولكن مشكوك في استعدادك لتقديم حياتك فداء له لو استدعى الأمر..

(فايو) : أتعجب من وجود حراس حوله .. كنت أعتقد أن السيد الكبير لا يقهر

(آغ) : السباع السبعة ليسوا لحماية السيد الكبير

(فايو) : فلماذا يحيط نفسه بهم إذاً؟

(آغ) وهو يهم بالرحيل : ليحمونا منه ..

وصل السيد الكبير لمدخل فوهة كهف كبير قابع نهاية الممر خلف عرشه وقف عند مدخله مجموعة من السباع والنمور البيضاء وقبل أن يدخل مد كفه المفتوحة تجاه نمر أبيض ضخم دنا عند أقدامه



وبدأ يلعق أصابعه وقال لحراسه الخمسة الواقفين خلفه خلال مداعبته لرأس النمر :

«شهر كامل .. بلا انقطاع ..»

الخمسة بصوتٍ واحد : أمرك

قبل أن يهم السيد الكبير بالدخول سمع صوتاً يحدثه من الخلف قائلاً :

«هل لي بحديثٍ مقتضب معك يا صاحب القوة قبل أن تبدأ عزلتك ..»

التفت الحراس الخمسة متأهبين للقتال لأنه ليس من المألوف أن يأتي شخص لهذا المكان ويطلب الحديث مع السيد الكبير دون المرور بالوزراء لكن ما أن وقعت أعينهم على من كان يتكلم حتى أرخوا من تأهبهم بينما سار المتحدث نحو السيد الكبير الذي تبسم له وقال : «سيد (كلكامش) .. لقد عدت أخيرًا ..»

(كلكامش) واضعاً كفه على صدره حانياً رأسه بعد ما أصبح أمام السيد الكبير :

«الترحال هو حياتي يا صاحب العظمة وأنا هنا لطلب الإذن لرحلتي القادمة ..»



(السيد الكبير) : متى تنوي الرحيل؟

(كلكامش) : غداً ..

(السيد الكبير) : بهذه السرعة؟

(كلكامش) : يجب أن أذهب لـ ((بابل)) للقاء شخص مهم

(السيد الكبير) بتهكم : تاجر عبيد آخر؟ .. ألم تكتفِ بالفتيان والفتيات المأسورين عندك؟

(كلكامش) : ليس من بينهم ما أريد

(السيد الكبير) : وماذا تريد؟

(كلكامش) : روحاً نقية تتوق للتحرر ..

(السيد الكبير) : وأنت من سيحررها بإذاقتها ألوان العذاب؟

(كلكامش) : أعذبهم كي يستيقظوا

(السيد الكبير) باسماً : أنت معتوه يا (كلكامش) وأحب هذا فيك .. أمنحك الإذن بالرحيل لكن ليس قبل أن تخبرني بأمرٍ ما

(كلكامش) : كل علمي طوع أمرك وتحت تصرفك يا صاحب الحكمة

(السيد الكبير) : هل حقّاً تؤمن بوجود تلك الطاقة التي تبحث عنها؟



(كلكامش) : الطاقة النجمية هي المرحلة المنطقية لما بعد المتفجرة ووجودها حتمي ولا شك فيه .. هي المنتهى والقمة للقدرة الإنسانية

(السيد الكبير) : ماذا تسمي طاقتي إذاً؟

(كلكامش) : أصدقك القول بأني لا أعرف .. قوتك يقف وراءها شيء مختلف لم أستطع حتى الآن فهمه أو تحديد مصدره

(السيد الكبير) باسماً بنبرة ساخرة : مختلف كيف يا (كلكامش)؟ .. تحدث بحرية .. تعرف أنك من القلائل الذين أسمح لهم بذلك

(كلكامش) : في بعض الأحيان ينتابني شعور بأنك لا تملك قوة نهائياً وأحياناً أخرى أشعر بأنك لست بشراً من الأساس .. شيطان أو شيء أسوأ .. قراءتك صعبة جدّاً

(السيد الكبير) : أمثالك يا (كلكامش) يتعلقون بارتفاع السماء فوقهم ولا يرون ثبات الأرض أسفل منهم .. لا يعرفون ماذا يمكن لبني البشر أن يحققوه من قوة هائلة .. نحن العرق الأقوى .. فقط لمن يستطيع تحرير كامل إمكانياته

(كلكامش) : تقصد بالسحر؟

(السيد الكبير) لا سحر ولا شعوذة .. لا طاقات متفجرة أو خامدة .. لا حديد أو صلب ..



(كلكامش) : ماذا إذًا؟

(السيد الكبير) موجهاً نظره للنمر الأبيض القابع تحت أقدامه وهو يدعك خلف أذنه :

«شيء لن تفهمه أبداً .. البشر على مر التاريخ بحثوا عن القوة المطلقة في كل مكان وبأي طريقة سعياً منهم لاعتلاء هرم السلطة المتناهية فوق كافة الكائنات والكينونات .. ولم يصلوا إلا للفتات وغفلوا عن المكان الوحيد الذي يمكنهم أن يجدوا فيه مثل تلك القوة ..»

(كلكامش) : وأين يمكن أن يجد الإنسان القوة المطلقة؟

(السيد الكبير) مدخلاً قبضته وسط فم النمر وبين أنيابه الكبيرة قائلاً بصوته الغليظ :

«داخلهم .. أخطر وأقوى إنسان هو من يملك عزيمة مشتعلة تتقد باستمرار ولا تخمد أبداً .. نار متأججة مثلها يمكن أن تحرق أي شيء ..»

(كلكامش) باسماً : سنرى بعد ما أجد الهالة النجمية وأطلقها كيف ستقف أمامها ..؟

(السيد الكبير) مخرجاً قبضته من فم النمر الأبيض مطبطباً على رأسه



للانصراف والعودة عند مدخل الكهف مع بقية السباع :

«الشيء الوحيد الذي يجعلني أدعمك في توجهك هذا وأتجاهل أساليبك المريضة هو فقط كي أثبت لك أنك على خطأ ..»

(كلكامش) : سنرى من منا سيكسب الرهان وسيكون محقّاً يا صاحب العظمة .. أو بالأصح صاحب العزيمة ..

تبسم السيد الكبير ثم سار تاركاً (كلكامش) يتأمله صامتاً وهو يدخل الكهف البارد والحراس الخمسة ينتشرون ويقفون منتصبين عند مدخله ومن حولهم السباع والنمور الآلفة لهم ..



ثمرة المحرم



في اليوم نفسه الذي أرسلهما فيه السيد الكبير وصل (غاند) و(غومشد) لصحراء ((الدهناء)) ووقفا على تلة رملية حمراء كبيرة يراقبان الأفق الممتد أمامهما.

(غومشد) : لون الرمال هنا ساحر ..

(غاند) : اللون الأحمر بشع ولا أحبه

(غومشد) مقتربة منه ممرة مخالبها الحديدية بين خصلات شعره الحمراء : لكن هذا ما أعشقه فيك



(غاند) : هل تعتقدين أن السيد الكبير لاحظ؟

(غومشد) : لا .. وإلا لكان قتلنا

(غاند) : كيف استطعتِ إخفاء الأمر كل هذه المدة؟

وضعت (غومشد) كفها على بطنها المربوط بلفافة مشدودة ومسحت على سطحه قائلة : «لدي طرقي الخاصة ..»

(غاند) : هل فكرتِ بطريقة للتخلص منه؟

(غومشد) بخليط من الاستياء والغضب : أتخلص منه؟! .. لن أتخلص من طفلي!

(غاند) : ماذا تنوين أن تفعلي إذاً؟ .. أن تنجبيه؟ .. زواج المتنورين محرم وخاصة بين حراس السيد الكبير

(غومشد) : لا يهمني لن أتخلص من ثمرة حبنا!

(غاند) زافراً : هذا يعني أننا سنهلك مع ثمرتكِ

(غومشد) : ثمرتنا وليست ثمرتي وحدي!

صمت (غاند) لعدة ثوانٍ حين شاهد أعين (غومشد) الغاضبة ثم قال : هل تريدين صبياً أم صبية؟

تبسمت المتنورة وقالت : صبياً بالطبع ..

(غاند) : ولمَ ليس صبية؟



(غومشد) باسمة : لن أخبرك

(غاند) : لماذا؟

(غومشد) : لأنك ستقول عني مجنونة

(غاند) : لقد تجاوزنا هذه المرحلة وأنا متيقن من جنونكِ .. هيا أخبريني لمَ لا تريدين صبية؟

(غومشد) بوجه مُتحرج قليلاً : لا .. لن تفهمني

(غاند) : جربي .. وسأحاول أن أفهم وأتفهم

وجهت (غومشد) نظرها للأفق ماسحة على بطنها قائلة بوجه سارح وحزين : أخشى أن تكون ابنتي بشعة فأنفر منها أو أكثر جمالاً مني فأمقتها ..

(غاند) بتعجب : هل أنتِ جادة؟

(غومشد) : أخبرتك بأنك لن تفهمني ..

لم يرد المتنور عليها وبقي يتأملها صامتاً ..

(غومشد) وهي لا تزال سارحة بالأفق : لكن أكثر ما أخشى عليه هو سلامة طفلي .. كيف سأحميه من هذا العالم الموحش؟

(غاند) : متى من المفترض أن تضعيه؟

(غومشد) ناظرة لبطنها : بقي شهران ..



(غاند) : إلى ذلك الوقت سنفكر في حلٍّ ما .. لنذهب الآن وننجز مهمتنا

لم يستغرق منهما تحديد مكان القبيلة وشيخها الناقض للعهد إلا بضعة أيام وما أن تمكنا من ذلك حتى قاما بقتله هو وكل فرسانه تاركين النساء والأطفال دون أن يمساهم وحينما قررا الرحيل عن مضارب القبيلة ظهر مجموعة من أتباع (فايو) ليقوموا بسبي الأسرى وأخذهم معهم لـ ((فارس)) لكن وقبل قيامهم بذلك قال (غاند) لأحدهم : أين قائدكم؟

- لم يأتِ معنا وطلب منا أن نأتمر لأمركما

(غومشد) بتهكم : تقصد أنه لم يكن يريد أن يأتمر هو لأمرنا؟

- لا أعرف يا سيدتي

(غاند) : لقد أحصيت السبايا وكلهم معافون غير ممسوسين ولو وصلوا لـ ((فارس)) بحالة مختلفة عن حالتهم الآن فسوف أعاقبكم بنفسي

نفذ القتلة المهمة وساقوا النساء والأطفال وعدداً من الشيوخ مكبلين سيراً على الأقدام إلى ساحل البحر الشرقي لأن نقلهم سيتطلب أن يبحروا بهم إلى سواحل ((فارس)) ومنها لـ ((جبال الملح)) وهذه الرحلة ستستغرق أياماً طويلة قد تمتد لأشهر.



(غومشد) : لنعد لجبال الملح الآن

(غاند) : ولمَ العجلة؟

(غومشد) : هل تريد منا البقاء مدة أطول؟

(غاند) : نعم .. لبعض الوقت فقط .. من النادر أن نختلي بعضنا ببعض هكذا

(غومشد) : نحن نختلي دوماً في جبال الملح خاصة عندما يدخل السيد الكبير في عزلة

(غاند) : أعرف لكننا نكون حذرين من أن يُكشف أمرنا .. هنا لا أحد يعرفنا أو يراقب تحركاتنا

(غومشد) : في ماذا تفكر؟

(غاند) باسماً : هذه فرصتنا لنحظى ببعض المرح

(غومشد) : طريقة كلامك لا تعجبني يا (غاند)

(غاند) : من منا الحارس الأقدم؟

(غومشد) : أنت ..

(غاند) : معنى ذلك أنني القائد هنا وهذه أوامري .. لن نعود الآن

(غومشد) : حسناً لكن أين سنذهب؟

(غاند) : هناك منطقة سمعت عنها كثيراً وعن جمالها وطالما رغبت في زيارتها



(غومشد) : أين؟

(غاند) : هنا في ((عربستان))

(غومشد) : هذه الأرض القاحلة فيها مكان جميل؟

(غاند) : رافقيني وسترين

(غومشد) : وإن لم تعجبني

(غاند) : سنرحل ونعود لـ ((فارس))

(غومشد) : حسناً اتفقنا

مد غاند ذراعه الكبيرة لـ (غومشد) وقال : أمسكي بي

ما أن أمسكت به حتى انتقل بها في لمح البصر لمكان اكتست أرضه بالخضرة .. واحة جميلة وساحرة توسطت الصحراء أحاطت بها مجموعة من النخيل ..

(غومشد) بخليط من التعجب والانبهار : لم أرَ مكاناً كهذا من قبل

(غاند) : ألم أخبركِ بأنه مكان جميل؟

(غومشد) : أنا لم أقل إنه جميل ..

(غاند) : ألم يعجبكِ؟



(غومشد) سائرة بضع خطوات نحو ضفاف البحيرة الزرقاء المحاطة بالنخيل المثمرة : «أعجبني اختلافه عما اعتدت عليه من بياض شاحب وبرد قارس في جبال الملح ..»

(غاند) واضعاً كفيه على أكتافها من الخلف هامساً في أذنها :

«وهل هذا ما أعجبك في شعري الأحمر أيضاً؟ ..»

(غومشد) مستديرة نحوه محيطة عنقه بذراعيها محدقة بعينيه العسليتين باسمة :

«كل شيء جميل فيك ومعك يا شيطاني الأحمر ..»

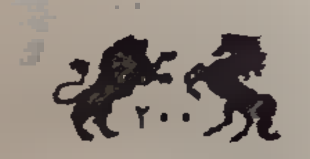
أمضى الاثنان عدة أيام في تلك الواحة يستمتعان بوقتهما بلا هموم أو تفكير وقضيا وقتهما بحرية لم يشعرا بها من قبل ..

(غاند) من وسط البحيرة حيث قفز ليستحم : سنبقى بضعة أيام إضافية هنا ثم نرحل

(غومشد) مستلقية عند طرف البحيرة تتناول بعض البلح متأملة حركة أغصان النخيل التي استظلت تحتها : «لمَ لا نعود أبداً؟ .. لقد بدأت أحب هذه الأرض ..»

(غاند) بتعجب : هل أنت جادة؟

(غومشد) تنهض ضاحكة : بالطبع لا ! .. السيد الكبير كان ليطاردنا طيلة حياتنا حتى يقتص منا!



(غاند) بشيء من الخيبة : كنت أظنكِ جادة في حديثكِ

(غومشد) معتدلة في جلستها قائلة باستغراب : هل حقاً خطر ببالك شيء مجنون كهذا؟

(غاند) : لا لا .. كنت أمزح مثلكِ

وضعت (غومشد) في تلك اللحظة يدها على بطنها لإحساسها بألم مفاجئ ..

لاحظ (غاند) ذلك وقال : ما بكِ؟

(غومشد) بوجه متوجع : لا أعرف .. أعتقد أني تناولت الكثير من البلح .. أشعر بمغصٍ شديد

(غاند) محركاً أذرعه الضخمة عائماً نحو ضفاف البحيرة : استلقي على ظهركِ وابقي مكانكِ

نفذت (غومشد) ما أمرها به (غاند) وعند خروجه من الماء ونزوله على ركبتيه بجانبها تفحص بطنها قليلاً ثم قال : انزعي هذه اللفافة ..

(غومشد) : لماذا؟ .. إنها تخفي ..

(غاند) : انزعيها فقط

نزعت المتنورة اللفافة وبعد ما حلت الوثاق بالكامل صرخت متألمة وقالت : الألم زاد شدة!



(غاند) : أعتقد أنكِ في المخاض

(غومشد) : مخاض ماذا؟ .. أنا ما زلت في شهري السابع

(غاند) رافعاً رأسه جائلاً بنظره بشعرٍ مبتل : ما في بطنكِ لا يعرف ذلك ويريد الخروج

(غومشد) وصراخها يزداد : أشعر بأني سأموت!

(غاند) وهو يهم بالنهوض : ابقي هنا .. سأعود لكِ في الحال

أمسكت (غومشد) بذراعه وشدته قائلة : إلى أين؟! .. لا تتركني وحدي هنا!

(غاند) ماسحاً على جبينها وبنبرة مطمئنة : لن أتركك .. سأبحث عن المساعدة فقط

عقد المتنور أصابعه وتمتم ببعض الكلمات ليخرج أمامه شيطان أحمر هزيل بجلد امتلأ بالنتوءات تحدث بصوتٍ مبحوح وقال : «لم أرَ بشراً أكثر نفاقاً مثل المتنورين .. يدعون كره السحر وهم يستخدمونه ..»

(غاند) بغضب وتجهم : اخرس وأخبرني بما أريد سماعه يا مسخر!

حنى الشيطان الأحمر رأسه قائلاً : بماذا تأمر يا صاحب الأمر ؟

(غاند) : أريد أفضل مطبب أو قابلة .. أي شخص يستطيع المعاونة في ولادة متعسرة



(الشيطان الأحمر) : أقرب قابلة من هنا تعيش في ((اليمامة))

قبض (غاند) على عنق الشيطان الهزيل ورفعه للأعلى قائلاً بسخط :

أريد الأفضل وليس الأقرب!

(الشيطان الأحمر) مختنقاً بأنفاسه : تجدها في ((مدينة البركة))!

(غاند) : وأين تقع هذه المدينة؟

(الشيطان الأحمر) : شمالاً من هنا .. عند الجبال .. بين الكهوف ..

رمى (غاند) الشيطان أرضاً وقال له : قد الطريق وسأتبعك

نهض الشيطان الأحمر من على الأرض ماسحاً على عنقه قبل أن ينطلق على قوائمه الأربع قائلاً : لك الأمر يا صاحب الأمر ..

حمل (غاند) بذراعيه (غومشد) ثم وضعها على كتفه ولحق جرياً بالشيطان الأحمر الذي تشكل ككلب أسود بمخالب طويلة وهرول بسرعة ومن خلفه المتنور الضخم يجري بوجه قلق واستمر باللحاق به لعدة ساعات دون كلل أو ملل حتى ظهرت أمامهم منطقة امتدت فيها سلاسل من الجبال الشاهقة أحاطت بهم من الجانبين وحوت الكثير من الفتحات الكبيرة أشبه بالكهوف وانتشرت عند تلك المداخل أعداد هائلة من التماثيل والمنحوتات والمداخل الحجرية بكافة الأشكال والأحجام. وقف الشيطان الأحمر على قوائمه الخلفية وأشار



بسبابته ذات المخلب الطويل وقال : «هناك .. داخل ذلك التجويف ستجد ((مدينة البركة)) ..»

تقدم (غاند) حاملاً (غومشد) المتألمة على كتفه ودفع الشيطان جانباً وهو يحدق بمدخل المدينة في الأفق وقال : انصرف ..

الشيطان الأحمر وهو يراقب (غاند) يتقدم نحو ((مدينة البركة)) :
«لك الأمر يا صاحب الأمر ..»

سار المتنور ذو الشعر الأحمر لمسافة ليست بالقصيرة وسط التجويف الكبير ولم يرَ خلال تقدمه سوى التماثيل الحجرية الغريبة من حوله تنوعت في الأحجام والأشكال بين منحوتات سومرية وبابلية وفرعونية. لم يتوقف (غاند) عن السير إلى أن أقبل على عددٍ كبيرٍ من المنازل الحجرية انتشر حولها الكثير من الناس الذين كانوا يمارسون حياتهم كأي مدينة أخرى لكن ومع تقدمه أكثر بدأ يلاحظ أن قاطني تلك المدينة لم يكونوا طبيعيين لا في تصرفاتهم أو أشكالهم لكنه تجاهلهم حتى التقى برجل بدا له إلى حدٍّ ما طبيعياً وسأله :
«أريد أفضل معالج هنا ..»

- الجميع هنا أكفاء أيها الضخم .. ما نوع العلة التي تسعى لتطبيبها؟

(غاند) : ولادة متعسرة



- إذاً فغايتك هي (كمدرة)

(غاند) : وأين أجد هذه الـ (كمدرة)؟

أشار الرجل لأحد الأبواب الخشبية الممتدة على جانب أحد جدران الكهف الكبير وقال : هذا هو حانوتها

(غاند) : حانوت؟

- نعم .. خلف كل بابٍ من هذه الأبواب التي تراها تجاويف صخرية يستخدمها المطببون كمنازل لهم وهي كذلك حوانيتهم حيث يمارسون أعمالهم

(غاند) وهو يتقدم و(غومشد) على كتفه العريض : فهمت .. شكراً لك

وصل (غاند) عند باب حانوت (كمدرة) وطرقه بعد ما أنزل (غومشد) على الأرض وأسند رأسها للجدار ليرى أنها قد فقدت الوعي دون أن يشعر فمسح على جبينها قائلاً : «استيقظي لقد وصلنا للمطببة ..»

(غومشد) تفتح عينيها المرهقتين : مطببة ماذا؟

قبل أن يرد عليها سمع صوتاً يحدثه من فوقه قائلاً : لا ترمِ بالمرضى عند عتبة بابي ..



وقف المتنور ناصباً قامته ليرى عجوزًا هرمة تقف أمامه وتقول بانبهار : ما هذا الجبل الذي يقف أمامي؟

(غاند) : أحتاج مساعدتكِ؟

(كمدرة) مديرة نظرها لـ (غومشد) الملقاة جانباً : احملها إلى الداخل ..

حمل (غاند) رفيقته ودخل خلف المطببة العجوز التي أشارت له بوضعها في أحد أركان منزلها الصغير وبعد فحص سريع والسماع لـ (غاند) سقت العجوز (غومشد) محلولاً أدخلها في مخاض قوي وسريع أنجبت على أثره طفلة صغيرة وضعتها بين ذراعيها وهي تقول : «حان وقت أجري أيها الضخم ..»

(غاند) متجاهلاً العجوز مقترباً من الطفلة بين أحضان (غومشد) وهو مفتونٌ بها : إنها جميلة .. مثل أمها

(غومشد) مداعبة أنف الطفلة برأس مخلب سبابتها الحديدية ضاحكة : بل هي أجمل مني بكثير!

(كمدرة) بتهكم : كيف ستعتنين بطفلتكِ بتلك المخالب الحادة؟

(غاند) : أنت لا ترين ما أراه يا (غومشد) .. ابنتنا تشبهكِ تماماً بل تكاد أن تكون مطابقة لكِ



(غومشد) مقبلة جبين الطفلة : ليس تماماً .. لقد أخذت لون شعرك وعينيك ثم إنها لا تزال صغيرة وملامحها لم تتضح بعد كي تشبهني بها

(كمدرة) : زوجكِ محق .. الطفلة تشبهكِ كثيرًا وكأنّ البطن نفسها حملتكما

(غومشد) وهي تسند وجنتها على جبين الطفلة وتهزها بين ذراعيها برفق :

«أتمنى أن تحظى بحياة أجمل مني إذاً ..»

(كمدرة) : ولادتها في ((مدينة البركة)) ليست بداية مبشرة بأنها ستحظى بحياة جيدة .. أعطياني مالي وارحلا لدي الكثير من الناس ينتظرون في الخارج

(غاند) : نريد خدمة أخرى

(كمدرة) : أنا لا أقوم بتنظيف الأرحام بعد الولادة هناك امرأة تقوم بذلك قريبة من هنا

(غاند) : لا .. لم أقصد ذلك

(كمدرة) : ماذا تريد إذاً أيها الجبل الأحمر؟

(غاند) : نريد أن تحتفظي بالطفلة



(غومشد) بنبرة مفزوعة محتضنة الطفلة لصدرها : ماذا تقول؟! هل فقدت عقلك؟!

(غاند) : فقط لوقتٍ يسير حتى نتصرف

(غومشد) بعصبية : نتصرف في ماذا؟! .. أنا لن أتخلى عن طفلتي!

(كمدرة) : ولا أنا سأقبل بها .. هل تعتقدان أن هذا المكان ملجأٌ للقطاء؟

(غاند) بسخط : احفظي لسانك يا ..

(كمدرة) مقاطعة بسخط مماثل : وإلا ماذا أيها الضخم؟! .. أعطياني مالي فقط وارحلا!

مد (غاند) للعجوز قطعة ذهبية كبيرة أخرجها من جيبه قائلاً : هل يكفيك هذا لتخرسي؟

(كمدرة) وهي تقضم القطعة بأسنانها الصفراء : يكفي لأصمت أبد الدهر

(غاند) موجهاً حديثه لـ (غومشد) المتجهمة والساخطة : اسمعي يا عزيزتي . عودتنا بها لـ ((جبال الملح)) خطر علينا وعليها

(غومشد) : لنهرب إذاً ولا نعدْ

(غاند) : لدي حل أفضل



(غومشد) : حل ماذا؟! .. التخلي عن ابنتنا وتركها عند هذه العجوز؟!

(كمدرة) : لحسن حظكِ أن زوجكِ دفع قيمة هذه الإهانة

(غاند) بنبرة متوددة وملاطفة : لا .. السيد الكبير يمنح حق ترك الطائفة لمن يقوم بمهمة مستحيلة وأنا سوف أعرض عليه أن نقوم أنا وأنت بتلك المهمة وبذلك نحصل على حريتنا

(غومشد) : وهل تظنه أحمقَ كي يوافق أو لا يلاحظ أننا متفقان؟

(غاند) : لن أطلب منه أن تصاحبيني إلا بعد موافقته وحتى إن لاحظ فالهدف الذي سأسعى خلفه غالٍ ولن يرفض

(غومشد) : عن أي هدف تتحدث؟

(غاند) : الكاهن الأسود ..

(غومشد) : هل جننت؟! .. الكاهن الأسود من أقوى الكهنة القتلة ويحيط نفسه بأحد عشر كاهناً يفوقونك قوة .. لا لن أسمح لك!

(غاند) : لا خيار أمامنا إلا هذا الحل إذا أردتِ الاحتفاظ بابنتنا

(غومشد) محتضنة الفتاة الصغيرة التي بدأت بالبكاء : كيف سنتركها في مكان كهذا ..؟

(كمدرة) : قطعة ذهبية أخرى وسأبقيها معي لعام واحد فقط وسأضمن لكما أن لا سوء سيصيبها



(غاند) وهو يمد لها قطعة أخرى : اتفقنا ..

(كمدرة) وهي تأخذ القطعة : عام واحد فقط أيها الضخم وبعدها الطفلة ستكون ملكي للتصرف بها كيفما أشاء

(غومشد) بصوت مختنق حزناً : قلبي لا يطاوعني على تركها في هذا المكان الموحش

(غاند) بنبرة مهددة للعجوز : لو حدث لابنتي شيء ..

(كمدرة) مقاطعة : لا تقلق سأفي بوعدي وأحافظ عليها .. حتى أني سأسقيها من لبن المرضعات هنا وهنّ مكلفات

(غومشد) بتساؤل وأعين دامعة : مرضعات؟

(كمدرة) : نعم .. هذه مهنة رائجة هنا .. يستخدمها الكبير والصغير

(غومشد) ملتفتة على (غاند) بوجه متقرف ومشمئز مشبع بالحزن : أرجوك ابحث عن طريقة أخرى!

(غاند) حاملاً الطفلة الباكية من بين ذراعي أمها : صدقيني لا يوجد إلا هذه الوسيلة ..

غطت (غومشد) فمها بيدها ذات المخالب الحديدية الطويلة وبدأت بالبكاء بقهر وهي تراقب (غاند) يضع طفلتها بين أذرع العجوز قائلاً : ثم إننا لن نغيب أكثر من شهر أو شهرين وسنعود لها



(كمدرة) وهي تهز الطفلة التي صمتت ما أن حطت بين ذراعيها :
لكن لا تتوقع أن تستعيد أيًا من مالك لو عدت مبكراً
(غاند) : لن أطلب منكِ أكثر مما طلبت
نهضت (غومشد) بوجه يقطر دمعاً وقبلت طفلتها قبلة أخيرة قبل أن تخرج بصحبة (غاند) عائدين لديارهما ..

بعد وصول الاثنين لـ ((جبال الملح)) علما بأن السيد الكبير قد دخل في عزلة وأن موعد خروجه لم يحن بعد وبقي عليه عدة أيام فزاد توتر (غومشد) وأخذت تهذي قلقاً على ابنتها فحاول (غاند) تهدئتها قائلاً : «ما بك؟! تماسكِي كي لا ينكشف أمرنا!»

(غومشد) بقلق وهم : أشعر بأن تلك العجوز ستهمل ابنتي وقد تبيعها

(غاند) : لن تجرؤ ..

(غومشد) بقهر مكتوم : وإن فعلت!

(غاند) : وقتها ستهلك هي ومن في تلك المدينة

(غومشد) ونبرتها تزداد حدة : وما الفائدة إذا خسرنا ابنتنا!!

(غاند) واضعاً يده على فمها : اصمتي قبل أن يسمعكِ أحد

حضنت (غومشد) كفه المغطي لفمها وبكت قهراً بصوت ينوح ألماً بأعين مغمضة ..



رأف (غاند) على حالها وقال : بضعة أيام وسنلتقي بالسيد الكبير وينتهي كل شيء

وبالفعل بعد خروج السيد الكبير من عزلته وجلوسه على عرشه وجد أن معصوبة الأعين (سبلج) قد أحضرت رأس الملك السندي له ووضعته عند أقدامه فرفعه قائلاً :

«العفن أكل ملامحه .. منذ متى وهو هنا؟»

(سبلج) : منذ اليوم الذي أمرت فيه بفصله عن جسده يا صاحب العظمة

(السيد الكبير) رامياً بالرأس في وسط القاعة ضاحكاً : ملوك من ورق ..

تقدم (باباعوت) من خلف العرش يجر خلفه سلاسله الضخمة ووقف بجانب السيد الكبير بصمت ..

(السيد الكبير) : وأنت؟ ..

(باباعوت) : كما أمرت يا صاحب العظمة .. لم يبقَ أحد من الغزاة على قيد الحياة والعشيرة تحت إمرتنا

(السيد الكبير) : بعد أيام اذهب وأبدهم هم أيضاً واستولِ على أراضيهم وضمها لنا



(باباعوت) : والنساء والأطفال؟

(السيد الكبير) : نساؤهم بشعات ونسلهم ضعيف .. افعلوا بهم ما تشاؤون لكن لا تضموهم للطائفة

(بابا عوت) حانياً رأسه : أمرك

في ذلك الوقت دخل (غاند) و(غومشد) على السيد الكبير ونزلا على ركبهما أمامه وقدما له تقريرهما الكامل عن مهمتهما التي أنجزاها بنجاح في ((عربستان)) ..

(السيد الكبير) : هل وصل السبايا؟

(غاند) : لقد ركبوا الفلك قبل أيام وهم في الطريق إلى ((فارس)) ..

(السيد الكبير) : أين مكثتما بعد ما أنهيتما المهمة؟

(غاند) بارتباك : عدنا يا صاحب العظمة

أسند (السيد الكبير) طرف سبابته لجانب رأسه متأملاً المتنورين النازلين على ركبهما أمامه وقال : خيبتي فيك كبيرة يا (غاند) ..

رفعت (غومشد) نظرها لوجه (غاند) المنحني بجانبها والمحدق بالأرض أمامه ورأت أن عينيه تهتزان وملامحه امتلأت بالجزع ..

(السيد الكبير) مستأنفاً كلامه : عاشرتها دون علمي ولم أمانع لأني



لم أسألك .. حبلت منك ولم أعترض لأني لم أسألك .. لكن عندما قررت سؤالك قررت أنت أن تكذب عليّ

وقف (غاند) وجسده الضخم يرتجف رعباً وقال بنبرة متوترة جدًّا :

أنا ..

في لمح البصر انطلق السيد الكبير وقبض على عنق (غومشد) ورفعها للأعلى وهو يحدق بوجه (غاند) قائلاً بعبوس وصوت غليظ مخيف :

تبيع ولائي لأجل امرأة؟!

(غاند) منزلاً رأسه : اصفح عني ..

(السيد الكبير) وهو يهز (غومشد) بطريقة عنيفة دون أن يحيد بنظره عن وجه (غاند) : أنا لم أمنعك من إقامة أي علاقة ترغب بها مع أي متنورة أو حتى متنور لكني حرمت الزواج والإنجاب! .. ألم يستوعب رأسك الفارغ ذلك؟!

لم يرد (غاند) واكتفى بالنظر أرضاً بقهر وخيبة ..

وجه السيد الكبير نظره لـ (غومشد) والتي كادت أن تموت بحثاً عن الهواء وقال : وأنتِ يا بلهاء .. هل ظننتِ حقّاً أنكِ تستطيعين خداعي؟

لم تجب (غومشد) لعدم قدرتها حتى على أخذ النفس وبقيت تحرك



فمها ولسانها بوجه مزرق إلى أن أفلت السيد الكبير قبضته عن عنقها وأسقطها عند أقدامه تسعل وتشهق بقوة و(غاند) يتألم من عجزه.

رفس السيد الكبير (غومشد) وقال ساخطاً : لقد تسببتِ بخسارة كبيرة لي .. (غاند) كان أقرب حراسي وقد دفعتِه لخيانتي!

(غاند) رافعاً يده الراجفة محدثاً السيد الكبير : أرجوك يا سيدي ..

(السيد الكبير) دون أن يلتفت إليه وعيناه الساخطتان منصبتان على غومشد المتألمة : «اقتلها .. »

(غاند) وهو مصدوم : ماذا؟

(السيد الكبير) مديراً نظره نحو حارسه الضخم الراجف أمامه : اقتلها واقتل ثمرتكما المحرمة وسأصفح عنك

(غاند) منزلاً رأسه : لا أستطيع يا سيدي

(السيد الكبير) بهدوء غريب : حسناً .. كما تشاء أيها العاشق

رفع السيد الكبير كفه ومع ارتفاعها ارتفعت (غومشد) في الهواء وهي تشعر بألمٍ ضاغط على بدنها وبدأت تنزف بغزارة من كل فتحة في جسدها ثم قام بتحريك كفه جانباً وألقى بها بسرعة خاطفة لأقرب عمود رخامي اصطدمت به بقوة سقطت على أثره أرضاً متقيئة خليطًا من الدم والقيء.



السيد الكبير لـ (غاند) المتسمر بجانبه جزعاً : هي ستموت بكل الأحول .. موت سريع على يدك وتنجو أنت أو موت بطيء ومؤلم لكليكما على يدي ..

(غاند) بانهزام : حسناً يا سيدي .. سأنهي حياتها

سار (غاند) تجاه (غومشد) المتهالكة ورفعها من أكتافها وحدق بوجهها المتورم النازف لثوانٍ ثم تبسم وقال : «تعرفين أني أحبكِ ..»

(غومشد) تبادله الابتسام وعيناها تدمعان دماً بدل الدموع : أعرف .. اقتلني وانجُ بنفسك وعد لابنتنا .. موتنا كلينا لن يفيدها

وضع (غاند) رأس (غومشد) على سطح الأرض الرخامية الملساء ورفع قبضته التي توهجت بنارٍ حمراء وقبل أن يهم بضربها والسيد الكبير يراقبه باسماً قال :

«لنأمل أن تلك العجوز تملك قلباً حنوناً ..»

وفي لحظة خاطفة انطلق المتنور الضخم ذو الشعر الأحمر تجاه السيد الكبير موجهاً قبضته المشتعلة باللهب الناري له لكن قبل أن يصل إليه اعترض طريقه المتنور السمين (قردوس) وصد هجومه بالاصطدام معه ببطنه الكبيرة ملقياً به أرضاً.



(السيد الكبير) لحراسه بنبرة باردة مشحونة بالخيبة : اقتلوه قبل أن أفقد هدوئي ..

تناوب الحراس الخمسة على توجيه سيل من الضربات القاتلة لـ (غاند) وخلال ذلك نهضت (غومشد) وانطلقت نحوهم في محاولة لتخليصه لكن السيد الكبير حرك كفه ولطمها بقوة رامياً بها بعيداً لتصطدم بعرشه الرخامي وتسقط بوجهها النازف على مجرى الماء أسفل منه ملوثة الماء الأزرق الصافي الجاري من تحته وفي اللحظة نفسها وجه (باباعوت) ضربة أخيرة بسلسلته الحديدية الملتفة حول قبضته لرأس (غاند) محطماً عظام جمجمته وفكه ليسقط ميتاً على الفور.

سار السيد الكبير تجاه (غومشد) التي وقفت تترنح في حالة من التيه ولم تفق إلا على يده المطبقة على رقبتها ليرفع بها عالياً وهو يقول :

«حشرة .. لستِ سوى حشرة .. لا حيلة لها سوى الموت تحت وطأة القوة .. ما الذي كنتِ تظنين أنكِ ستنجزينه بعصياني مع ذلك الوغد؟ .. ما الذي يستطيع الفأر القيام به أمام السبع؟»

(غومشد) بآخر رمق من أنفاسها الأخيرة وقبل أن تموت مختنقة بقبضته : «هذا ..»

باغتت المتنورة السيد الكبير بحركة سريعة وخاطفة من يدها



وتمكنت من تمرير مخلب سبابتها الحديدية الحاد من أسفل خده إلى أعلى جبينه مروراً بعينه اليسرى التي فقئت في الحال وسُكب ماؤها مختلطاً بدماء جرح وجهه الغائر. فقد السيد الكبير رشده واستشاط غضباً وأحكم قبضته أكثر على عنق (غومشد) التي تجاهلت الألم وبقيت تتبسم له بلا اكتراث حتى فُصل رأسها عن جسدها الذي سقط تاركاً رقبتها تفور دماً تصاعدت أبخرته بسبب برودةِ المكان.

بقي السيد الكبير يتأمل رأس (غومشد) المفصول على راحة يده الكبيرة متأملاً عينيها المفتوحتين لثوانٍ قبل أن يهشمه بقبضته محدثاً حراسه الواقفين حوله والذين جثوا جزعاً على ركبهم لأنهم فشلوا في حمايته من تعرضه لتلك الإصابة:

«أهلهم .. جيرانهم .. قريتهم .. تباد وتحرق بالكامل ..»

خر الحراس الخمسة سجداً وبصوت واحد قالوا: أمرك!

عاد السيد الكبير وجلس على عرشه الرخامي متحسساً ببطن يده عينه المفقوءة وعلى وجهه عبوس وغضب عظيم ..

قبل أن يرحل من تبقى من السباع السبعة لتنفيذ أوامر سيدهم



استوقفهم قائلاً :

«ابحثوا عن هذا المولود واقتلوه .. هذا الطفل يجب ألا يعيش .. لو أكمل عامه الأول فستلحقون بهذين الخائنين ..»

(زومر) برهبة ووجل : لن نخيب ظنك بنا ..

السيد الكبير ناهضاً من مكانه مشيرًا لعينه المفقوءة بسبابته : «هذا الأمر لن يتكرر .. سأعتزل لعامٍ كامل وعندما أعود أريدكم سبعة سباع مكتملة مجدداً .. وخبر موت الطفل هو أول شيء أريد سماعه بعد خروجي من عزلتي ..»

(سبلج) : عام؟

(السيد الكبير) : تمكنها من إصابتي دليل على أني لم أصل لقمة قدرتي .. سوف تأتمرون لأمر الوزير (آغ) حتى أعود .. مفهوم؟

هز الخمسة رؤوسهم بالموافقة بصمت وظلوا يراقبون سيدهم يسير وحده نحو الكهف البارد خلف عرشه الرخامي وبعض نقاط الدم المتساقطة من عينه لوثت الطريق خلفه ..

مضى العام وخرج السيد الكبير من عزلته الطويلة وكان في استقباله عند مخرج الكهف عدد من المتنورين وجميع الوزراء وسباعه السبعة بعد ما جندوا بمباركة (آغ) و(فايو) اثنين آخرين أحدهما كاهن



سابق يدعى (كمشل) وقاتلة قديمة ضمن صفوف الطائفة تدعى (مرناصة) وأول من استقبله كان كبير الكهنة (آغ) الذي حالما وقع نظره على سيده لم يستطع إخفاء دهشته من تغير شكله فقد نمت له لحية وتحولت كل شعرة على وجهه للبياض التام .. رأسه .. شاربه .. حتى حاجباه .. بياض يشبه بياض عينه المفقوءة التي تشوهت بندبة ممتدة من أعلى جبينه حتى أسفل خده.

(آغ) : مرحباً بعودتك يا صاحب العظمة

(السيد الكبير) بوجه بارد جائلاً بنظره بين الواقفين لاستقباله : «ليس هذا ما أريد سماعه ..»

تقدمت (سبلج) ومن ورائها (باباعوت) وانحنت أمامه قائلة : السباع السبعة اكتملوا مرة أخرى وينتظرون شرف الوقوف خلفك

(السيد الكبير) : الطفل ..

قبل أن تنطق (سبلج) تحدث (باباعوت) وقال وعيناه على (آغ) : قُتل كما أمرت يا صاحب العظمة

وجه السيد الكبير نظره لـ (آغ) بوجه ارتسم عليه سؤال عن صحة ما سمع فهز وزير الكهنة رأسه بالتأييد ..

(السيد الكبير) : ليعد إذاً كل منكم لمكانه ..



تفرق الحشد المجتمع ولم يبقَ سوى السباع السبعة والوزيرين ..

قبل أن يتحرك السيد الكبير نحو عرشه نهاية الممر الطويل أمامه قال (فايو) : هل تسمح لي يا سيدي بحديث منفرد معك؟

أشار السيد الكبير لمن تبقوا بالرحيل وتركه مع (فايو) وحدهما وبعد ما خلا المكان ولم يتبقَّ إلا مجموعة السباع والنمور البيضاء المحيطة به قال : هات ما عندك يا (فايو) ..

(فايو) : الموضوع يخص (كلكامش)

(السيد الكبير) : هل هو موجود في ((جبال الملح)) الآن؟

(فايو) : نعم لقد عاد قبل ثلاثة أشهر

(السيد الكبير) : وما هو موضوعك؟

(فايو) : الممارسات التي يقوم بها في وكره بالجبل .. الرجل يرتكب فظاعات وانتهاكات مرعبة وكثير منها بحق أطفال صغار

(السيد الكبير) دون أن يبدي أي اكتراث : وأين المشكلة يا وزير القتلة؟

أدرك (فايو) أنه يشتكي وحشاً لوحش آخر وأن السيد الكبير يبارك



ما يقوم به (كلكامش) أيّاً كان وهو من أعطاه الإذن بذلك فآثر الصمت وقال : «لا شيء يا سيدي .. أعتذر على إزعاجك ...»

أكمل السيد الكبير طريقه نحو عرشه الرخامي تاركاً (فايو) يقف خلفه يحدق به بخليط من العجب والأسف ..



العارية العوراء



وسط حانوت المعالجة (كمدرة) بـ ((مدينة البركة)) جلست العجوز تراقب ابنة (غومشد) و(غاند) التي أكملت قبل عدة أيام عامها الأول وهي تحبو أمامها عارية بلا أي لباس يغطيها وقالت محدثة نفسها :

«يبدو أن أهلكِ لن يعودوا يا صبية .. ستعيشين حياة قاسية في هذا المكان وسينتزع كل عابر قطعة منكِ وأنا لا أضمن بقائي للأبد لحمايتكِ ..»



يُفتح باب الحانوت الخشبي ليدخل رجل قصير القامة بشع المظهر بملامح مشوهة رث الملابس يحك جلد صدره وسواعده بشكل متكرر قائلاً :

«هناك من يسألون عنكِ يا (كمدرة) ويرغبون في مقابلتكِ ..»

(كمدرة) : من يريد مقابلتي يا (جلدة)؟

(جلدة) وهو يحك عنقه : ومن غير الباحثين عن العلاج يبحثون عنكِ؟

(كمدرة) ملوحة بيدها : اسمح لهم بالدخول

(جلدة) مشيراً للصغيرة العارية على الأرض : ماذا عن هذه؟

(كمدرة) : ماذا عنها؟

(جلدة) : لِمَ لا تشترين لها بعض الملابس وتغطينها؟

(كمدرة) : وهل أملك ما يسد جوعي كي أشتري لها لباساً .. ثم إنها تتقيأ وتتغوط بشكل مستمر وأنا لا أملك وقتاً لتنظيفها

(جلدة) : لو عاد أهلها ورأوها بهذه الحالة فسوف ..

(كمدرة) مقاطعة : من الواضح أنهم لن يعودوا وسأضطر لبيعها



(جلدة) حاملاً الفتاة الصغيرة بين ذراعيه وبقلق وخوف شديد :
تبيعينها؟!
(كمدرة) : نعم أبيعها .. هل تعرف كم من المال يمكنني الحصول
عليه مقابل فتاة في عمرها؟
(جلدة) : أنتِ لستِ جادة فيما تقولين!!
ترددت (كمدرة) في الرد لثوانٍ ثم صرخت فيه قائلة : أدخل الزبائن
قبل أن يذهبوا لحانوتٍ آخر!
خرج (جلدة) بعد ما وضع الصغيرة أرضاً وبعد لحظات دخلت
امرأتان وجلستا أمام (كمدرة) وعرفتا بأنفسهما كأختين تبحث
إحداهما عن علاج ما وبعد ما قدمت لهما ما طلبتاه وشاهدت الرضا
في أعينهما وهما تقولان : كم ثمن علاجكِ السحري؟
(كمدرة) باسمة مشيرة للطفلة الصغيرة : هذه الطفلة ..
- لم أفهم
(كمدرة) : خذيها معكِ وسيكون هذا ثمن علاج أختكِ
- أنا عزباء فكيف أعود لأهلي بطفلة!
(كمدرة) ملتفتة نحو الأخرى : ماذا عنكِ؟ .. بلا شك أنتِ لستِ
عزباء بعد ما عالجت ما عالجته للتو .. ما رأيكِ؟



تجهمت المرأة وقالت بنبرة رافضة بشدة : ولا أنا!! .. زوجي سيقتلني لو عدت له حاملة طفلة ليست من صلبه!

(كمدرة) : سيقبل إن علم أنه ثمن علاجكِ

- بل سيفضل موتي على دخول نسل غريب في بيته .. وفتاة أيضاً!

(كمدرة) : ما بها الفتاة يا امرأة؟

- لا شيء لكن لا نريد هذه القذرة .. اطلبي مالاً فقط!

(كمدرة) : حتى ولو وافقتما فسوف أرفض فلا أريدها أن تتربى في بيوتٍ مسمومة كبيوتكما .. اخرجا من هنا!

- والثمن؟

(كمدرة) : أعطيا الوسيم الذي أدخلكما عليّ في الخارج أربع قطع فضية واغربا عن وجهي! .. اخرجا قبل أن أمسخكما!

خرجت المرأتان على عجالة خوفاً من العجوز الساخطة ليدخل بعدها (جلدة) قابضاً على الثمن بيده قائلاً : أربع قطع لا تكفي لسداد ديوننا

(كمدرة) : منذ متى وأنت خادمي يا (جلدة)؟

(جلدة) : منذ سنوات

(كمدرة) : وهل رأيتني قط أسدد ديناً لأحد؟



(جلدة) ضاحكاً مصدراً صوت نخير من أنفه : لا!

(كمدرة) : إذاً اذهب واشترِ لنا بعض الطعام وانسَ أمر الديون

(جلدة) مشيراً للصغيرة عند أقدامه : وهذه؟

(كمدرة) : ما بها؟

(جلدة) : هل آخذها للمرضعة

(كمدرة) : لقد أخذتها بالأمس

(جلدة) : هل تنوين تجويعها يوماً وإطعامها يوماً؟

(كمدرة) : المرضعات جشعات ويأخذن قطعة فضية كاملة عن كل رضعة .. حتى لبن الماعز لا يكلف هذا القدر

(جلدة) : الفتاة جائعة يا (كمدرة) ارفقي بها ..

زفرت العجوز زفرة قوية ثم قالت : أطعمها بقطعة وأطعمنا بقطعتين

(جلدة) : والقطعة الرابعة؟

(كمدرة) وهي تتأمل الصغيرة : اشترِ لها لباساً .. قماشاً وليس جلدًا يا (جلدة)

ابتهج (جلدة) ورفع الطفلة بأذرعه عالياً وقال بسعادة غامرة : «سوف أشتري لكِ أجمل لباس يا ..»



توقف (جلدة) سارحاً في ملامح الطفلة ثم قال : ماذا أسميتها ..؟

(كمدرة) : لم أعطها اسماً لأني لم أكن أنوي الاحتفاظ بها .. سمها أنت إن شئت

(جلدة) ممعناً النظر بوجه الصغيرة الباسم له بأنف مغطى بالمخاط الجاف : لا أعرف ما الاسم الذي قد يناسبها

(كمدرة) : هل ستضيع الوقت في ترهاتك هذه؟

(جلدة) واضعاً الصغيرة على كتفه قبل أن يهم بالرحيل : لا .. سأذهب للسوق

(كمدرة) صارخة فيه بعد ما خرج وأغلق الباب خلفه : «وتحقق أن تغسل المرضعة نفسها قبل أن ترضع الصغيرة لا أريد أن أتكفل أيضاً بعلاجها من الأمراض المنتشرة هنا!»

مر عامان آخران على بقاء الطفلة مع المعالجة وخادمها وتربت الفتاة ذات الشعر الأحمر في بيئة لم تقدم لها سوى المخاطر بين المرض والأذى الجسدي والنفسي فقد تعرضت للكثير من الضرب والتعذيب من الزوار والمعالجين الذين عاملوها باحتقار إما لدافع التسلية أو نكاية في (كمدرة) التي ترفض بيعها لهم وبالرغم من أنها سلمت من أي أذى حقيقي مهدد لحياتها بسبب حرص (جلدة)



عليها وحماية (كمدرة) لها قدر استطاعتها إلا أنها وفي أحد الأيام خرجت من الحانوت في غفلة منهما وهما نائمان ولم يستيقظا إلا على بكائها وهي تدخل عليهما واضعة يدها على عينها اليسرى وهي تنزف بغزارة.

(كمدرة) ناهضة مفزوعة مما تراه : ما بكِ؟ .. من فعل ذلك؟!

(جلدة) حاملاً الفتاة وبجزع شديد : عينها مصابة! .. لقد فقئت بالكامل!

تجهمت (كمدرة) ونهضت من مكانها وخرجت مستعينة بعصا خشبية وهي تسعل بسبب مرض أصابها قبل عدة أشهر ولم تبرأ منه وسألت في الأرجاء واكتشفت أن معالجاً آخر هو من فعل ذلك بها فتوجهت إليه وواجهته ولم ينكر فعلته وقال ببرود :

«احتجت عين عذراء لإعداد خليط علاجي لرجل ثري و((مدينة البركة)) كما تعلمين خالية من العَذْرَاوَات لكن اللعينة هربت من قبضتي قبل أن أنتزع عينها بالكامل ..»

(كمدرة) صارخة فيه : ولم تجد سوى طفلتي؟!

(المعالج) ضاحكاً بتهكم : طفلتكِ يا عجوز؟!

(كمدرة) : نعم طفلتي!!



(المعالج) : بكم تبيعينها؟

(كمدرة) : أبيعها؟

(المعالج) : الصبية مفيدة لصنع الكثير من الوصفات النادرة ذات المكونات الخاصة وسوف تجنين منها الكثير من المال .. قلبها الصغير وحده يساوي ثروة

(كمدرة) بغضب وهي تسعل بقوة : لن تمسها وأنا أتنفس!

(المعالج) : أنفاسك ستنقطع قريباً وأنا وبقية المعالجين لسنا في عجلة من أمرنا .. وقتها الصبية ستكون لنا

أدركت (كمدرة) أن المعالج محق وأنه بمجرد مفارقتها للحياة سوف يتنازع المعالجون والمشعوذون على تقسيم الطفلة فيما بينهم ولن يتركوا منها جزءاً إلا وبتروه أو استأصلوه وخادمها الضعيف لن يتمكن من صدهم وحمايتها فصمتت وخرجت من المكان عائدة لبيتها ودخلت لتجد الطفلة الصغيرة نائمة في حجر (جلدة) الذي قال بحزن : «ماذا فعلتِ؟»

تقدمت المعالجة العجوز وحملت الطفلة بين ذراعيها متأملة وجهها لتلاحظ بقعة صغيرة من الدماء عند رأسها بسبب جرح عينها



الذي لم يلتئم فقامت بإعداد خليط مكون من لبن القرود المخلوط بنبتة جبيلية كي لا تشعر بالألم وقامت بسقيها محتواه ..

(جلدة) لاعقاً بلسانه ما تبقى من محتوى الإناء : هذا اللبن يعطي شعورًا جميلاً!

(كمدرة) وهي تضع الصغيرة أرضاً : أشعل ناراً وسخن لي سيخاً حديديّاً ..

نفذ (جلدة) أوامر سيدته وبعد ما مد السيخ المُحمر لها كوت به عينها الصغيرة موقفة النزف. جلست بعدها بجانبها تراقبها بأعين قلقة وكان من الواضح أنها تحمل همها ..

(جلدة) ملاحظاً نظراتها تجاه الصغيرة : لا تخافي سأحاول حمايتها قدر الإمكان ..

(كمدرة) : أنت لن تستطيع فعل شيء أمام السحرة والمشعوذين المتربصين بها

(جلدة) : حسناً .. سأبدأ من الغد مجدداً بعرضها للبيع على الزبائن العقيمين المترددين على المدينة بحثاً عن الإنجاب لعل أحداً منهم يرضى بها كابنة أو حتى خادمة ..

(كمدرة) بحزن : لم يريدوها قبلاً ولن يرغبوا بها الآن وهي عوراء ..



وأنا لن أبقى لها طويلاً فأجلي يقترب .. أشعر بذلك .. هي لا بد أن تحمي نفسها بنفسها ..

(جلدة) : وكيف لفتاة عاجزة مثلها أن تقوم بذلك؟

(كمدرة) رافعة رأسها ناظرة لمجموعة من حاجياتها المتراكمة في زاوية الجحر الحجري : «لن تكون عاجزة بعد اليوم ..»

نهضت (كمدرة) وسارت لزاوية الغرفة وبحثت بين حاجياتها إلى أن أخرجت زمردة سوداء صغيرة بحجم حبة الحمص ورفعتها أمام نظرها وقالت : «حان اليوم الذي أستفيد فيه من هذه الهبة ..»

(جلدة) بشيء من التساؤل والفضول : ما هذه؟

(كمدرة) عائدة لمكانها جالسة عند الطفلة المستلقية : هذه أغلى مقتنياتي .. ثمن حصلت عليه قبل سنوات عديدة مقابل علاج ابنة ملك من ملوك ((بابل)) .. قال لي بأنه أثمن كنز يملكه

(جلدة) : هل ستبيعينها؟

(كمدرة) واضعة الصغيرة النائمة في حجرها : هذه الزمردة لعنة لا تباع ولا تشترى ..

(جلدة) : ماذا ستفعلين بها إذًا؟

(كمدرة) دافسة بالزمردة في فم الطفلة : ستتناولها صغيرتنا العوراء..



(جلدة) : هي علاج إذاً .. لكن علاج لأي شيء؟

(كمدرة) مقعدة الصبية على فخذها لتسقيها بعض الماء من إناء صغير لتسهل نزول الزمردة في جوفها : «علاج لمشكلتها ومشكلتي لكنها ستكون وبالاً على كل من يحاول إيذاءها ..»

فتحت الصغيرة عينيها بعد ما ابتلعت شربة الماء وعند رؤيتها (جلدة) مدت يديها نحوه فحملها بين ذراعيه لتقوم هي بمداعبة أنفه بأناملها باسمة فتبسم هو الآخر وقال :

«أهلاً يا (عوراء) .. هل تشعرين بتحسن؟»

ضحكت (عوراء) من شكل (جلدة) وهو يضحك لها ويحاول ملاعبتها وعندها سعلت (كمدرة) بقوة وقالت : خذها للخارج أريد أن أرتاح ..

(جلدة) حاملاً (عوراء) بين ذراعيه موجهاً حديثه للعجوز المتألمة : هل ستكونين بخير؟ .. هل أحضر لكِ معالجاً؟

(كمدرة) وهي مستمرة بالسعال : المعالج الذي يطلب العلاج ليس بمعالج .. اخرج فقط واتركني لأرتاح

خرج جلدة مع (عوراء) تاركين (كمدرة) تسعل وتكح بصوت حاد ..



لم تكمل (عوراء) عامها الرابع حتى ودعت الأم الوحيدة التي عرفتها وما أن حدث ذلك حتى هجم المعالجون والمشعوذون في ((مدينة البركة)) على الحانوت كالكلاب المسعورة وسحبوا جثة (كمدرة) ورموا بها للخارج وحين حاول (جلدة) منعهم ضربوه ورموا به هو الآخر بجانب سيدته التي استولوا على كل مقتنياتها وأقواهم أخذ الحانوت وأعلنه مكانه الجديد لكن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد فقد خرج مجموعة منهم وأحاطوا بجلدة المحتضن لـ (عوراء) التي خرجت هي الأخرى من الحانوت باكية مفزوعة وقالوا له :

«سلم الفتاة لنا يا (جلدة) ولا تقاوم ..!»

(جلدة) يشد الصغيرة الباكية لصدره صارخاً في المحيطين بهما : لن تمسوها إلا بموتي!

تقدمت مشعوذة بوشاحٍ أخضر وقالت : «هذا أمر سهل يمكن تحقيقه ..»

وجهت المشعوذة لصدر (جلدة) طعنة بخنجر أخرجته من كمها وسحبت (عوراء) من يدها بعد سقوطه ميتاً وهي تصرخ وتبكي وقادتها برفقة مجموعة من المعالجين لصخرة كبيرة ذات سطح مستوٍ وسط الممر الكبير ووضعوها عليه وبدؤوا يتجادلون فيما بينهم.



- أنا أريد شعرها الأحمر!

- وأنا سآخذ قلبها!

- لا، قلبها لي!

- وعلى ماذا سأحصل أنا؟!

- يمكنك أخذ عظامها لاستخدامها في علاجاتك الرخيصة!

- لا! .. أريد اللسان!

- سأكتفي أنا بعينها السليمة

- بالنسبة لي لا أريد سوى أقدامها الصغيرة ..

رفعت المشعوذة ذات الوشاح الأخضر كفها وصرخت في المتجمهرين حول الصخرة قائلة: كفوا عن الجدال ولننتهِ من هذا الأمر بسرعة!

- وأنتِ على ماذا ستحصلين؟

أخرجت المشعوذة من جيبها قطعة جلدية سوداء نُقش عليها بعض الرموز والحروف وقالت: سأريق دمها على هذا الحجاب الذي أعددته .. آخر عنصر فيه ليكتمل يجب أن يكون دم طفلة لم تبلغ سن البلوغ يراق عليه .. وبعدها تقاسموها كما تشاؤون .. هل نحن على اتفاق؟



هز المشعوذون والمعالجون رؤوسهم بالتأييد فقامت ذات الوشاح الأخضر بتقريب نصل سكينها الحادة من عنق (عوراء) الباكية والتي لا تزال تحاول التفلت والهرب من الأيادي المحيطة بها والمثبتة لجسدها فوق الصخرة ومنعتها من التحرك والتملص وعندما همت المعالجة بنحرها خرجت يد سوداء ذات مخالب طويلة من فم الصبية وأمسكت ساعدها وكسرته بحركة خاطفة محدثة صوت تهشم قوياً دفعها للصراخ وإسقاط الخنجر وهروب كل من كانوا مجتمعين حول الصخرة.

حاولت المشعوذة الإفلات والهرب من قبضة تلك اليد السوداء لكن أعين الصبية تحولت للبياض وأخذ جسدها يهتز ويرتجف بطريقة مخيفة ليخرج على أثرها من فمها ووسط جوفها مارد أسود ضخم بقرون حمراء تشبه قرون الجدي وقف على الصخرة وقام برفع المرأة المرعوبة من ساعدها المهشم و(عوراء) ملقاة بين قدميه تنتفض وكأنها أصيبت بنوبة صرع.

رفع المارد ذات الوشاح الأخضر عالياً وبعد تمعن قليل بها صاحبه أنفاس ثقيلة مختلطة بزمجرة مخيفة.قضم وجهها تحت مرأى ومسمع جميع المعالجين الواقفين بعيداً عن الصخرة يراقبون ما يحدث مع مجموعة أخرى من زوار المدينة الذين بدؤوا بالجري والصراخ



من هول ما رأوه. رمى المارد الأسود جثة المرأة مقضومة الوجه جانباً وزأر بقوة اهتزت لها أركان الكهف الكبير قام بعدها بحمل (عوراء) بين كفيه ورفعها فوق رأسه وتحدث بصوت أجشَّ غليظ مشحون بالغضب وقال بلهجة عربية قديمة لكن مفهومة :

«كل من وقف حول الصخرة سيهلك .. وكل من يقترب منها اليوم أو غداً سيهلك .. أنا الحارس الأعظم .. أنا باب الجحيم الموصد ومن يمس المفتاح سيبتلعه سخطي الأسود!»

أعاد المارد الأقرن الفتاة المغشي عليها والتي توقفت عن التلوي والاهتزاز على سطح الصخرة ثم نزل من فوقها قفزاً على الأرض وبدأ يتجول في ((مدينة البركة)) يقتل واحدًا تلو الآخر كل المعالجين والمشعوذين الذين شاركوا في محاولة قتل (عوراء) حتى انتهى منهم جميعاً ليعود بعدها ويدخل في جوفها من فمها بسهولة وكأن شيئاً لم يكن.

انتشر خبر ما حدث في ((مدينة البركة)) وأصبح الجميع يتحاشون الاحتكاك بالصبية العوراء أو «الحمراء الملعونة» كما لقبوها وتحاشوا حتى الحديث معها واكتفوا برمي الطعام تجاهها عندما تصر على ملاحقتهم حين يتمكن منها الجوع ومع مرور السنوات كبرت الفتاة ولم تكن تعرف سبب عزوف الناس عنها والوحيدون الذين



كانوا يتواصلون معها بشكل عابر هم المسافرون المرتادون للمدينة لجهلهم بحقيقتها لذلك كان أغلبهم يعطف عليها لكن ذلك لا يدوم طويلاً لأنهم يرحلون بمجرد انتهاء غرضهم من زيارة المدينة ولكونها لم تحمل اسماً فقد عرفت بلقب الـ (عوراء) وشيئاً فشيئًا أصبح هذا اسمها الذي عُرفت به.

مع تقدمها في العمر واقترابها من إكمال الثالثة عشرة من عمرها أصبحت (عوراء) فضولية أكثر خاصة بالعالم الخارجي مما سمعته من الحكايات القليلة التي رواها بعض زوار المدينة لها حين تلتقي بهم وتقدم لهم خدماتها من مساعدة في حمل الحوائج أو الإرشاد للحوانيت طلباً للإحسان وفي بعض الأحيان كانت تحاول عرض نفسها عليهم ليأخذوها معهم لكن لا أحد تجرأ على ذلك لأن ((مدينة البركة)) يحرسها مجموعة من الشياطين الذين ربطهم مؤسسو المدينة بها ونصبوهم عند مدخلها وهم موكلون بمنع خروج أي أحد يولد فيها لذا لم تجد الصبية أي شخص يملك الجرأة الكافية للمخاطرة بأخذها معه إلى أن جاء اليوم الذي دخلت فيه امرأة بقدم مبتورة مع رجل وشابة مصابة فقامت بتعقبها ومراقبتها حتى باتت المرأة مع مرافقها ليلاً في المنطقة المخصصة لضيوف



المدينة ذات السقف المفتوح على قمر مكتمل تلك الليلة ريثما يتم معالجة الفتاة التي جلباها معهما وتركاها عند أحد المعالجين.

دنت (عوراء) بحذر واختبأت خلف الدابتين اللتين قدمت بهما المرأة الغريبة في محاولة منها للإنصات لحديثها مع مرافقها حول نارٍ مشتعلة ولم تشعر إلا بذلك الرجل وهو يطبق عليها بيديه لتصرخ بصوت مرعوب: «أنا لم أسرق شيئاً!»

ساق الرجل (عوراء) وأوقفها أمام المرأة الجالسة عند النار حيث قالت لها:

«ما اسمكِ يا صبية؟»

(روشني) بعد ما توقف (آغ) عن سرد حكاية (غاند) و(غومشد) حسب علمه ومعرفته المحدودة:

«كذبتم على السيد الكبير إذاً ..»

(آغ): لم يكن أمامنا خيار آخر .. حتى سباعه السبعة أيدوا هذا القرار لأننا لو لم نفعل لما نجا أحد من سخطه ذلك اليوم ..

تجلى على وجه (روشني) خليط من العجب والحيرة لكنه لم يقل شيئاً واكتفى بالصمت محدقاً أمامه ..



(آغ) : ما بك؟

(روشني) : لا أعرف .. أشعر بأن حساباتي تبدلت وذهني تشتت ..

هل تؤمن أنت بتلك النبوءة؟

(آغ) : السيد الكبير يؤمن بها وسيقوم بالمستحيل كي لا تتحقق حتى لو عنى ذلك التضحية بنا جميعاً ..

تبسم (روشني) وصمت ..

(آغ) : لمَ تتبسم؟

(روشني) : أعتقد أني بدأت أعرف سر قوة السيد الكبير

(آغ) : عن ماذا تتحدث؟

(روشني) : نظريتي منذ البداية صحيحة .. هو يملك قوة بلا شك لكنها لا تتعدى أي متنور منا وربما أقل فهو يسيطر ويتغلب عليكم بإرهابكم فقط .. أوهمكم بأنه يملك طاقة مطلقة وتمكن من إقناعكم بأنه شخص لا يُقهر وأنتم صدقتم تلك الكذبة وانطلت الحيلة عليكم وآمنتم به لدرجة أن لا أحد منكم يجرؤ على اختبار هذه القوة المزعومة خشية الموت أمامه .. (غاند) مات على يد حرسه و(غومشد) لم تقاوم هجومه بسبب خوفها منه وقناعتها بالخسارة قبل أن تبدأ وحين كسرت حاجز خوفها للحظة وقررت



رفع أصبع واحد فقط في وجهه تسببت له بإصابة بالغة .. ألا ترى يا (آغ)؟ .. ألا ترى عجزه؟

(آغ) : لا أرى سوى متنور يحفر قبره بيده

(روشني) : صدقني لو أنكم أخبرتموه يومها بأنكم لم تجدوا الطفلة ولم تقتلوها لما استطاع تنفيذ تهديده لكم ولانكشف أمره .. إن كان يملك قدرة فهي القدرة على بيع الوهم والإقناع لا أكثر

(آغ) : هل تنوي ..؟

تبسم (روشني) وبنبرة متهكمة قال : أنوي ماذا؟ .. أن أخبر السيد الكبير بحقيقة الكذبة؟ .. لا تقلق يا (آغ) فأنا وكما قلت أنت مصيري مربوط بكم وأبحر معكم في الفلك نفسه المهدد بالغرق وسينالني سخطه مثلكم .. سخطه المزعوم وعقابه الذي لا نراه

(آغ) : حسناً انسَ هذا الموضوع وركز اهتمامك على العربيات وامنعهن على قدر استطاعتك من الوصول لـ ((جبال الملح)) وأنا سأتولى أمر الساحرة الهجينة

(روشني) ناهضاً من مكانه : سترى ما يمكنني القيام به .. القتلة سينتشرون في كل مكان وستكون الأوامر هو بتصفيتهنّ .. كل خطوة سيخطونها تجاهنا ستكون محفوفة بالمخاطر وسيتساقطن



واحدة تلو الأخرى .. وسأثبت لك أنهنّ أضعف مما تعتقد

(آغ) : سيكون لنا حديث آخر يا أيها الوزير بعد ما ترى ما أراه ..

نهض (روشني) من مكانه وقبل خروجه قال :

«أنا لا أرى سوى مجموعة من النعاج يعتقدن أنهنّ ذئاب لكنهنّ سيكنَّ فريسة للسباع .. المجد لـ ((فارس)) ولا عزاء أو عزة لمن يظن غير ذلك ..»

اللهيب القارس في قلب فارس



«افتحوا أعينكم ..»

تفتح المجموعة أعينها .. أمواج متلاطمة خلفهم ..

رمال بيضاء أمامهم .. رياح باردة تهب عليهم ..

«لقد نجحنا .. وصلنا لأرض الفرس ..»

(عوراء) معانقة نفسها : البرد هنا مؤلم ..

(زمجد) واضعاً كفوفه على أكتاف الصبية متأملاً الأشجار البعيدة عن الساحل : هنا ولد أبواي ..



(عوراء) ببهجة وسعادة : (زمجد)! .. لقد عدت لي!

(زمجد) : أنا لم أرحل يا سيدة (عوراء) وكنت بجانبك

(دعجاء) : لم اختفيت عن أنظارنا إذاً؟

(زمجد) : شعوري بالحرية لأول مرة في حياتي دفعني لذلك .. كنت أريد التحقق من مشاعري ورغبتي في البقاء معكم

(نافجة) : وهل تحققت؟

(زمجد) مقرباً الصبية لصدره : وتيقنت ..

(نافجة) موجهة حديثها للدعجاء بعد ما هبت ريح في المكان : أرضهم باردة يا عمة

(دعجاء) متقدمة بضع خطواتٍ للأمام : وأرضنا محرقة كسخطنا ..

(القيقبون) : ما زلت لا أعرف لمَ نقلتِنا إلى هنا يا ابنة وصبان؟ .. لننتقل إلى ((عرين الأسد)) في الحال وننهِ الأمر

(هند) : لو حدد المتنورون موقعنا مبكراً فسيتمكنون من توجيه ضربة قاصمة لنا .. طلسم الانتقال يثير طاقة هائلة حول من يستخدمه وانتقالنا لمكان قريب منهم كـ ((جبال الملح)) سيضعنا في موقف أخطر



(القيقبون) : هل تظنين أنهم لم يعلموا بقدومنا بعد؟ .. المتنورون ليسوا بهذا الغباء

(هند) : المعرفة تختلف عن العلم .. ربما عرفوا بقدومنا لكن تحديد مكان وجودنا بشكلٍ مستمر ودقيق هو الأمر الأصعب عليهم ولن نسهله باستخدام الطلاسم القوية بأي شكل .. حتى قوتي لن أقدر على الاستعانة بها بالكامل دون لفت أنظارهم وسأدخرها إلى حين وصولنا لـ ((عرين الأسد)) لذا أهيب بكم جميعاً تجنب ذلك قدر الإمكان

(القيقبون) : وكيف سندافع عن أنفسنا؟!

(دعجاء) : ابنة معناد محقة ..

(نافجة) تعكز على الرمال بصعوبة لتقف بجوار الدعجاء : ماذا تقترحين أن نفعل إذاً يا عمة؟

(دعجاء) موجهة نظرها وحديثها لـ (هند) : ما ستشير به (هند) علينا

(هند) : إذا اضطررنا ودخلنا مواجهة من أي نوع يجب ألّا نستخدم كامل قدراتنا بل نكتفي بأدنى الطلاسم قوة وبالنسبة للتنقل فأقدامنا هي الخيار الأمثل إلى أن نصل لـ ((جبال الملح)) لذلك سنسير



(القيقبون) : نسير؟ .. سنكون عرضة لكل قاطع طريق

(دعجاء) : هنا يأتي دور الفارسة والرامية .. فقط رشاقة القوس ونصل الحديد وبأسه هما ما سنستخدمه للدفاع عن أنفسنا

(رافدة) : سيفي وسهام أختي لن تكون كافية

(زمجد) : أنا سأكون في عونكما أيضاً

(عوراء) : لا يا (زمجد) .. أريدك أن تقوم بشيء آخر

(زمجد) : بمَ تأمرين يا سيدة (عوراء)؟

(عوراء) مشيرة لـ (نافجة) بسبابتها : لا أريد أن أرى عمتي تسير بثقل

(زمجد) موجهاً نظره للعرجاء : فهمت .. لكِ ذلك

تشكل الجني الأزرق كقدم العرجاء المبتورة كما فعل في السابق وعندما أحست به قالت : ماذا تفعل ؟

(عوراء) تشد لباس (نافجة) من خلفها متشبثة بها قائلة : الأرض وعرة هنا يا عمة ولا أريد أن أراكِ تواجهين مشقة ونحن نسير

(نافجة) باسمة وهي تربط عكازها وراء ظهرها : وماذا عنكِ؟

(عوراء) : أنا بخير ما دمتِ أنتِ بخير

(دعجاء) مشيرة لـ (هند) بأن تدنو منها وحين فعلت قالت لها :



حدثيني يا ابنة معناد عن الطريق من هنا إلى ((عرين الأسد)) ..
أنت الوحيدة بيننا من سلكه في السابق

(هند) : لا أعلم الكثير عن هذه الأرض فأغلب وقتي قضيته في ((جبال الملح)) مع الطائفة ولم أقطع مسافة طويلة على أقدامي من قبل بل كنت أنتقل مباشرة بمعاونة (روشني) و(فايو) قبل أن أتقن طلاسم الانتقال .. الطريق شبه مجهول لي مثلكم لكني أعرف بعض الأمور التي قد تكون ذات فائدة لنا

خلال حديثهما خرج من بين الأشجار في الأفق طائر أبيض وبدأ بالتحليق تجاههم حتى حط أمامهم ورأوا أنها بومة بيضاء بأعين زرقاء بقيت تراقبهم بصمت وهي تقلب رأسها ..

(عوراء) باسمة ببهجة : عصفور جميل!

(هند) بتجهم : هذه ليست عصفوراً بل بومة .. تيقنت الآن أنهم علموا بقدومنا ..

(نافجة) : وكيف تيقنتِ؟

(هند) : لأنها بومة مستطلع .. الغربان السوداء تابعة لـ (روشني) والبومات البيضاء لكبير الكهنة (آغ)

(كُميت) : وما الفرق بينهما؟



(هند) : البيضاء ترى وتصور والسوداء تسمع وتهمس

(دعجاء) : الغراب والبومة عدوان بالفطرة ..

(القيقبون) : لم يعد هناك فائدة من التسلل إذًا؟

(هند) : ما زال علمهم محدوداً حتى الآن .. هم يعرفون أننا وصلنا فقط لكن رصد تحركاتنا لن يكونَ بالأمر السهل كما أخبرتكم

(رافدة) وهي تجول بنظرها من حولها : وكيف سنعرف إن كنا مراقبين أو مرصودين؟

(كُميت) : بصري يمكن أن يمتد لمسافة ليست باليسيرة وسأرى أي بومة أو غراب يقترب منا قبل أن يصل

(القيقبون) : هوني على نفسكِ يا زرقاء اليمامة .. الرصد الذي تتحدث عنه الجنوبية مختلف

(دعجاء) : هل هذه الطيور الراصدة يمكنها الوصول لأي مكان؟

(هند) : نعم .. عدا مكان واحد .. ((الغابة الزرقاء))

(نافجة) : وأين تقع هذه الغابة؟

نزلت (هند) على ركبتها وبدأت ترسم بأصبعها على الرمال والبقية مجتمعون حولها يراقبونها بصمت ..

بعد ما انتهت ابنة معناد من رسمتها أشارت لقمة الرسمة قائلة :



«هذا هو ((عرين الأسد)) في أعلى قمة من ((جبال الملح)) .. يوجد ثلاثة معابر تقود لسفح الجبل من كل ((فارس)) .. المعبر المعروف من ((لوه بور)) والمعبر الثاني ينطلق من المدينة نفسها لكنه طويل جداً ويمر بتضاريس وعرة لكنه أكثرها أمناً لذلك يستخدمه أغلب التجار الذين يحملون بضائع

(كُميت) مشيرة لمجموعة من الخربشات على اليمين : وهذه؟

(هند) : هذه هي ((الغابة الزرقاء)) .. منطقة لا يدخلها الكثير وعصية على جواسيس المتنورين فهم لا يقتربون منها لأنهم يفقدون الكثير من قدراتهم وسطها حتى القتلة والكهنة أنفسهم لن يتمكنوا من تعقبنا فيها إلا على أقدامهم دون الاستعانة بالغربان والبوم

(دعجاء) : ولِمَ لا يستخدمها الناس للعبور إذاً؟

(هند) : لأن مخاطرها تفوق أي خطر يمكن أن يقابلهم في الطرق الأخرى وأشجارها الكثيفة تعيق دوابهم ناهيكِ عن السباع والنمور القاطنة فيها والمتربصة بأي شخص يدخلها

(دعجاء) : إذاً ستكون تلك الغابة هي هدفنا التالي .. سنعبر من خلالها حتى نصل لـ ((جبال الملح))

(رافدة) : لكنها تقول بأنها خطرة



(نافجة) : البقاء مكشوفين بلا غطاء أخطر

(هند) : لكن يجب علينا أن نذهب إلى ((لوه بور)) قبلها

(دعجاء) : لماذا؟

(هند) : لأننا لسنا مستعدين لرحلة شاقة ومرهقة كهذه فنحن لا نملك أي عدة أو عتاد ونحتاج إلى زاد وماء وكذلك بملابسنا الخفيفة هذه سنهلك من البرد منذ الليلة الأولى

(كُميت) : ولو هاجمونا هناك؟

(دعجاء) لـ (هند) : كم تبعد هذه المدينة عنا؟

(هند) : مسيرة ثلاثة أيام تقريباً

(القيقبون) : أنا لن أسير في هذا البرد القارس كل هذه المدة بلا رداء يقيني من لسعات الصقيع

(نافجة) لـ (دعجاء) : لا مناص من استخدام طلسم الانتقال يا عمة ومن هناك سنكون جاهزين لإكمال الرحلة على أقدامنا

(دعجاء) لـ (هند) : ما رأيك؟ .. هل استخدام طلاسم الانتقال من هنا لتلك المدينة فيه مخاطرة؟

(هند) : نعم لكن ليس كتلك التي سنواجهها كلما اقتربنا من ((عرين الأسد)) .. احتمال أن نُكشف من هناك سيكون أقل وسيزداد كلما تقدمنا .



(دعجاء) : فليكن إذاً .. هيا اجتمعوا في دائرة لننتقل إلى ((لوه بور))

خلال لحظات معدودة وجد أفراد العصبة أنفسهم في أرض صخرية مفتوحة مغطاة ببعض الثلوج تحيط بهم مجموعة من الشجيرات الصغيرة ذات أوراقٍ بيضاء وزرقاء والهواء من حولهم يطعن أجسادهم كأنصال الخناجر الحادة.

وفي الأفق ظهرت معالم مدينة ..

(عوراء) ملتقطة بكفيها كومة ثلج من أسفل قدميها : رمال بيضاء!

(هند) : هذا ثلج وليس رمالاً

(عوراء) بتساؤل : ثلج؟ .. ملمسه بارد جدّاً

(القيقبون) نافخة سحابة بيضاء من فمها : وكلما تقدمنا سيزداد الجو برودة .. أشعر وكأني أحترق بنارٍ زرقاء

راقبت الصبية بانبهار البخار الأبيض الخارج من فم عجوز القَدر كالدخان وقالت : كيف فعلتِ ذلك أخبريني؟!

(دعجاء) لـ (نافجة) و(هند) ونظرها لمدينة ((لوه بور)) في الأفق البعيد : ينقصنا المال لابتياع ما نحتاجه

أخرجت العرجاء من جيبها القطعة الذهبية التي أخذتها من بائع

الخيول في سوق البهائم بالـ ((يمامة)) وقالت : «أجرة العناية بـ (الغبساء) لا تزال معي ..»

(هند) متناولة القطعة الذهبية من يد (نافجة) : ستكون هذه بداية جيدة

(دعجاء) بصوت مسموع للجميع : من منكنّ تجيد الفارسية؟

(نافجة) : أنا أجيدها يا عمة لكني لا أحب النطق بها فطعمها مرٌّ على لساني

(هند) : أجيد القليل منها .. تعلمتها خلال فترة بقائي مع المتنورين

(دعجاء) للبقية : وماذا عنكنّ؟

هز الجميع رؤوسهنّ بالنفي عدا (القيقبون) التي قالت : أجيد ألسنة كثيرة ولغتهم من ضمنها

(دعجاء) : جيد .. ستكونين أنت وابنة معناد ألسنتنا إذاً

(نافجة) لـ (القيقبون) باسمة : لم أكن أعرف أنكِ تجيدين لسان العجم يا عجوز القدر

(القيقبون) : أنت لا تعرفين الكثير عني يا ابنة النخيل

(كُميت) بصوت مرتفع ونبرة محذرة رافعة سبابتها للسماء : هناك من يقترب منا!



وجه الجميع أنظارهم حيث أشارت الحجازية لكنهم لم يروا شيئاً ..

(القيقبون) ممعنة النظر بالسماء وبشيء من التهكم : لا يوجد شيء يا زرقاء

(كُميت) تسحب سهماً من الجراب ونظرها للأفق : سترينه الآن يا (سديرة) ..

(رافدة) مستلة سيفها : هل هو غراب أم بومة؟

(كُميت) نازلة على ركبتها وهي تشد السهم متأهبة : لا .. شيء أكبر .. أكبر بكثير

(دعجاء) باسطة كفها جانباً : كونوا مستعـ..

لم تكمل الدعجاء جملتها حتى تشكل في السماء فوقهم ما يشبه الغيمة السوداء نزلت وغطتهم جميعاً مما دفعها للصراخ في البقية قائلة : لا تجزعوا! .. حافظوا على هدوئكم وتأهبوا لأي شيء!

انقشعت الغمامة المظلمة كاشفة عن رجل طويل القامة لف جسده بالكامل كالمومياء بقماش أبيض نقش ببعض الرموز الفضية كلون شعره وعينيه ولم يظهر منه سوى رأسه وكفيه اللذين وشم على ظهر أحدهما نجمة واحدة فقط. وقف المتنور ولم يتقدم وبقي مغمض العينين ووجهه موجه للأرض أمامه.



(هند) بوجه حانق : متنور من القتلة

(القيقبون) بتجهم : متنور واحد لن يكون كافياً للتخلص منا خاصة متنور بنجمة واحدة

(رافدة) : لمَ لم يهاجمنا عدد أكبر أو ذوو رتبة أعلى؟ .

(نافجة) بشيء من الارتباك : قدومه وحده هو إما ثقة أو جنون

(دعجاء) : أو اختبار ..

(هند) لـ (كُميت) : أطلقي سهمك تجاهه يا حجازية

هزت (كُميت) رأسها بالموافقة ووجهت السهم نحو صدر المتنور الذي لم يتحرك أو يرفع نظره وأطلقت سهمها تجاهه ..

توقف السهم وتبخر في الهواء كالغبار قبل مسافة قصيرة جدّاً من صدر المتنور الذي لم يحرك ساكناً ..

(هند) بقلق : من المستحيل أن يكون من الرتبة الأولى فقط .. لقد انبعثت منه طاقة أقوى بكثير

تبسم المتنور بأعين مغمضة وقلب يده كاشفاً عن تسع نجوم أخرى موشومة ببطن كفه على شكل دائرة قبل أن يقفز للهواء عالياً ..

(عوراء) وهي مصدومة : عشر!

(نافجة) بتوتر : مثل (كلال) ..



(دعجاء) بصوت مرتفع وهي تراقب المتنور يصل للسماء ويتحول لغيمة سوداء : لا تشتبكوا معه بطلاسمكم!

(القيقبون) صارخة بغضب : نشتبك معه بماذا إذًا؟!

(هند) باحثة بنظرها عنه بين الغيوم البيضاء : قتالي معه سوف يحدث طاقة قوية ستتسبب بالكثير من المشكلات لنا وستجذب الغربان المستطلعة .. صدام متنور مع ساحر أهون من اشتباكه مع متنور آخر

(نافجة) : لنعطِ البدوية والحجازية فرصة للمحاولة

(دعجاء) : بناتكِ لسنَ مستعدات لمواجهة ند مثله .. يجب أن يبتعدن من هنا في الحال

(رافدة) : باستغراب : نبتعد؟ .. عن ماذا تتحدثين يا عمة؟

لمحت (نافجة) المتنور يهبط مجدداً أمامها متشكلاً بهيئته البشرية فقالت محدثة البدوية والحجازية : اشتبكا معه حالاً بالسيف والسهم وخذا حذركما!

(كُميت) لـ (نافجة) قبل أن تنطلق تجاه المتنور : لا تقلقي يا قائدة سنتولى أمره .. هيا يا (رافدة)!

هزت البدوية رأسها وتبعت أختها التي بدأت بالجري تجاه المتنور المراقب لهما وهي تشد سهماً آخر على قوسها ..



(نافجة) محدثة (زمجد) المتشكل كقدمها : اذهب معهما يا (زمجد)!

تخلى الجني الأزرق عن تشكله وتشكل بهيئة رجل ضخم مفتول العضلات بجلدٍ أزرق وشعر طويل مجدل بجديلة طويلة امتدت لأسفل ظهره وانطلق وراء الفتاتين ..

اختل توازن العرجاء بعد ما تركها (زمجد) وكادت أن تقع لكن الدعجاء التقطتها وأسندتها فقالت لها : «لم تخاطرين بحياة بناتكِ؟»
(نافجة) ساحبة عكازها المربوط وراء ظهرها : بناتي على علم بما هنّ مقبلاتٌ عليه

(دعجاء) موجهة نظرها للمعركة التي أوشكت على البدء : كوني مستعدة لأي نتيجة إذاً ..

(رافدة) متقدمة شاهرة سيفها في وجه المتنور الذي بات قريباً منها محدثة (زمجد) الجاري بجانبها وبنبرة ممازحة : ما هذا التشكل؟
(زمجد) بوجه صارم ونظر مرتكز على المتنور الباسم : الجن الأزرق لا يقتفي الأثر فقط بل يملك بعض القوة
(كُميت) مبتعدة عنهما متخذة موقعاً قريباً من المتنور : اشتبكا معه وسوف أغطيكما!

سارع (زمجد) من خطاه واندفع تجاه المتنور الواقف بثبات وأطبق



بكفيه الضخمتين على رأسه وبدأ بالضغط لرفعه عالياً لكنه لم يستطع وكأن ذلك المتنور قد غرس جذوره في الأرض فما كان منه إلا أن بدأ بتوجيه سيل من اللكمات المتتابعة لبطن المتنور الثابت في محاولة لهزه لكنه اكتفى بمراقبة الجني الأزرق باسماً قبل أن ينطحه بجبينه على قمة رأسه ليسقطه عند أقدامه. صرخت (رافدة) وجرت بنصل سيفها الموجه لجسد المتنور وغرسته في خاصرته لكنها فوجئت بأنه لم يكترث وقبض شعرها ورفعها وسيفها لا يزال في جذع جسده.

في تلك اللحظة قبض (زمجد) بيديه على كواحل المتنور وتمكن من الإخلال بثباته وقلبه في الهواء لتتحرر البدوية منه وقبل أن يسقط أرضاً وجد أحد سهام (كُميت) يرتكز في خاصرته الأخرى ومع ذلك توازن ووقف على أقدامه مجدداً بكل ثقة وسهولة قائلاً:

«كنت أظن أنني سأواجه خصوماً أكثر قوة .. أنتم لستم سوى حفنة من البؤساء .. يا للخيبة ..»

اشتعلت أعين المتنور بنور أبيض كشف بعدها عن أنياب طويلة نبتت من أسنانه العلوية وانقض بها على (زمجد) الملقى على الأرض وغرسها في كتفه ورفعه عالياً وبدأ يهزه بعنف وقوة كما يهز الكلب المسعور فريسته لتطلق (كُميت) سهماً آخر تجاهه في محاولة لإيقافه لكن ما كان منه إلا أن أمسك السهم بيده قبل أن يصيبه وغرسه في



ظهر (زمجد) الذي صرخ متألماً. رمى المتنور بالجني الأزرق جانباً بعد ما شعر بأن السيف سحب من خاصرته والتفت وراءه ليجده يغرس في وجهه من قبل (رافدة) التي استعادت عافيتها.

«عبثاً تحاولون إيقافي ..»

قالها المتنور ضاحكاً ووجهه ينزف من جرح غائر في خده حيث غُرس رأس السيف ..

قبض المتنور على (رافدة) وضرب برأسها على السطح البارد لتفقد الوعي مباشرة ..

سهم يرتكز في عنق المتنور من الخلف ..

وجه المتنور نظره واهتمامه لـ (كُميت) التي كانت في مرحلة شد سهم آخر على قوسها وهي تقول : أصبتك هذه المرة!

لكن وقبل أن تفعل وجدت نفسها تحلق في الهواء مسقطة سلاحها وخلال نزولها نحو الأرض تلقت مجموعة من الضربات القوية في أنحاء متفرقة من جسدها ورأسها أفقدتها الوعي هي الأخرى قبل أن ترتطم بالقاع.

نهض (زمجد) بثقل وقال وهو يشير بأنامله للمتنور بالتقدم نحوه: تعال .. تعال ..



تبسم المتنور وانطلق تجاه الجني الأزرق ودخل معه في صراع بالأيادي انتهى بصرع أزرق بسهولة. وحينها حمله المتنور فوق رأسه ورمى به عالياً منزلاً عليه صاعقة من السماء نفضت جسد الجني ليغشى عليه وليلحق بالبدوية والحجازية وليتركه المتنور معلقاً في الهواء وسط غيمة تشكلت حوله.

خلال سقوط (زمجد) بظهره على صخرة مدببة مسح المتنور على جميع جروحه بكفه الموشوم بالنجوم لتلتئم جميعها في الحال وكأن لا شيء قد أصابه ثم قام بإنزال رأسه لنزع السهم المرتكز خلف عنقه وقال وهو يحدق بالأرض أمامه :

«لقد أضعت الكثير من الوقت معكم .. حان وقت الانتهاء من هذا اللعب ..»

رفع المتنور نظره ليجد وجه الدعجاء عند وجهه وهي تقول :

«معك حق .. لقد أضعنا الكثير من الوقت ..»

تراجع المتنور خطوتين للوراء بشيء من الصدمة وبالفارسية : هل أتيتِ لتلقي حتفكِ يا عجوز؟!

أجابه صوت من ورائه بنبرة ساخرة وبالفارسية : «ارفق بنا أيها القوي ..»

التفت المتنور خلفه ليرى عجوز القدر تتبسم له بخبث ..

عكزت (نافجة) نحو فتاتيها للعناية بهما و(عوراء) تجاه (زمجد) المصاب و(هند) تقف مكانها تراقب ما يحدث ..

(دعجاء) محدثة (القيقبون) : ما رأيك يا ساحرة اليمامة .. هل هذا الفارسي ندٌّ لكِ؟

(القيقبون) باسطة كفيها محركة أناملها : هذا الأحمق يحب رفع خصومه عالياً في الهواء .. لنأخذه في جولة على قمة «نجد» ..

اهتزت الأرض وانشقت ليخرج منها صخرة كبيرة ارتفعت واستمرت بالارتفاع حاملة المتنور على قمتها حتى أصبح في كبد السماء ..

(دعجاء) متأملة المتنور المذعور في الأعلى محركة خنصرها : «لنذقْه شيئاً من حرها كذلك ..»

اشتعل القماش الملفوف حول المتنور وحوله لشعلة نارية كبيرة مما دفعه للصراخ متألماً ..

(القيقبون) باسمة ونظرها لقمة الهضبة : رفقاً به يا أختي ..

تجهم المتنور بينما تشكلت فوقه غيمة سوداء ممطرة أطفأت ناره وحين خمدت انطلقت السحابة نزولاً حاملة المتنور معها تجاه الساحرتين



اللتين افترقتا بسرعة في اتجاهين متعاكسين تحاشياً لتلك الغيمة المندفعة نحوهما والتي تشكلت مع المتنور بعد هبوطها لأفعى بيضاء كبيرة بحجم خمسة رجال ارتفاعاً تكورت برأسٍ منتصب وطرف ذيل فضي وأخذت تفح غضباً بأعين خضراء لامعة.

(القيقبون) مراقبة الأفعى البيضاء الضخمة : كنت أظن المتنورين لا يستخدمون السحر

(هند) مقتربة منهما : هذا ليس سحراً .. هذا شيء آخر

(دعجاء) متقدمة نحو المتنور المتشكل : مهما كان سوف يلاقي حتفه

صوت قادم من خلفهما : «هل يمكننا المشاركة؟»

التفتت الدعجاء وعجوز القدر خلفهما لتريا (كُميت) و(رافدة) ومن خلفهما العرجاء تقف بين (عوراء) و(زمجد) ..

(دعجاء) باسمة : لا حيلة لنا بدونكما .. هيا لنسحق هذا المتغطرس

بادلت (كُميت) و(رافدة) الدعجاء الابتسام بينما قالت (القيقبون) بنبرة صارمة وهي تراقب الأفعى تفح محركة لسانها الأحمر :

«أطفئي عينيها بسهامكِ يا حجازية وعندما تفقد بصرها وجهي



نصل سيفك يا بدوية لطرف ذيلها وافصليه عن جسدها واتركي الباقي لنا ..»

(كُميت) تشد سهماً وتجري جانباً: حاضر!

(رافدة) قابضة على سيفها متوجهة للجهة الأخرى: لكِ ذلك!

(نافجة) مشيرة لـ(زمجد) بالتشكل كقدمها موجهة حديثها للدعجاء و(القيقبون): لقد قمتما بما فيه الكفاية .. حان دوري الآن ..

فسحت الساحرتان الطريق للعرجاء التي تقدمت خلال بدء (كُميت) بإطلاق سهامها تجاه رأس الأفعى لكنها لم تتمكن من إصابة أي من أعينها لأن حركتها السريعة جدًّا مكنتها من تحاشي كل سهم أطلق نحوها مما دفع (نافجة) للانطلاق جرياً مقتربة أكثر والوقوف أمام المتنور المتشكل مباشرة وعقد أصابعها أتبعته بقراءة طلسم أنهته ببصقة على الأرض خرج على أثره عقرب أسود مائل حجمه تلك الأفعى وأخذ يهاجمها بإبرته المسمومة محاولاً لدغها وبينما انشغل المتنور بصد هجوم العقرب الأسود تمكنت الحجازية من إصابة عينه اليمنى ليصرخ بفم مفتوح ولسانه الأحمر النحيل يتراقص في الهواء ألماً وقبل أن يستعيد تركيزه فصلت (رافدة) طرف ذيله بضربة واحدة بنصل سيفها وتدحرجت أرضاً متفادية محاولة الأفعى لطمها بطرف ذيلها المقطوع.



ارتكزت إبرة العقرب في رأس الأفعى لحظة انشغالها بمحاولة ضرب البدوية وفي اللحظة نفسها ارتكز سهم الحجازية الثاني في عينها اليسرى مما دفع (نافجة) للصراخ في العقرب قائلة : الآن!

انطلق العقرب الأسود تجاه الأفعى البيضاء وعانقها بكل أطرافه واشتعل معها بلهبٍ ضخم ليهلكا معاً ..

اجتمعت المجموعة حول النار التي بدأت تخمد يراقبونها تضمر وتتقلص لرماد أبيض كالثلج المنتشر حولهم ..

(نافجة) : سقط واحد ..

(هند) : وبقي الكثير ..

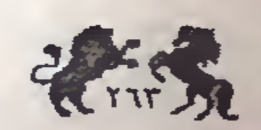
(القيقبون) : كان ندّاً قويّاً لكن عزيمته ضعيفة

(كُميت) : ربما يكون لدينا فرصة بالنصر في النهاية ..

(رافدة) : أنا واثقة من نصرنا

(دعجاء) : لا تثملا بنصر المعارك فالحرب في أولها ..

(نافجة) : العمة محقة .. الوقت لا يزال مبكراً جدّاً كي نفرح ونفاخر بأي نصر يستحق لو كانوا ثلاثة أو أربعة بالرتبة نفسها وهاجمونا في الوقت نفسه لكان الحال اختلف .. افرحوا لكن لا تدعوا الغرور يسمم عقولكم .. يوم الفوز لا يزال بعيداً ..



(دعجاء) : وقد لا نراه أبداً .. نحن هنا لإرسال رسالة فقط ولم يقل أحد بأننا سنعود سالمين ومعافين .. حتى وإن سقط منا البعض .. فالبقية يجب أن يواصلوا ليوصلوا تلك الرسالة

(عوراء) : أي رسالة؟

(دعجاء) : أن العرب عمالقة نائمون تحل اللعنة على كل من يوقظهم ..

(نافجة) : وأننا نزلزل الأرض تحت أقدام من يستبيح أرضنا.. ونريق دماءهم لنسقيها حين تشح السماء بمائها ..

(هند) : ومن يختار معاداتنا سيذوق لهيب سخطنا ..

(القيقبون) : ومن يفكر بإنزال رؤوسنا وحني ظهورنا سينتهي به المطاف بتقبيل أقدامنا ..

(رافدة) : رسالة ثقيلة في حملها وإيصالها

(نافجة) : هل دب التخاذل في جسدك يا بدوية؟

(رافدة) : تعرفين يا عمة أني سأموت قبل أن أفكر بذلك

(كُميت) : ستصلهم الرسالة ..

(هند) مشيرة للرماذ الذي بدأ يتطاير مع الريح القوية التي هبت في المكان : «وهذه هي أول الحروف خُطت ..»



(عوراء) وهي ترتجف : متى سنذهب للسوق لشراء الملابس؟

(دعجاء) موجهة نظرها لمدينة ((لوه بور)) في الأفق :

«قبل المغيب سنكون هناك .. هيا شدوا المسير ..»

فارسة الفرس

في الجبل الثلجي الكبير بين سلاسل ((جبال الملح)) حيث تستقر وتتمركز الطائفة الجنتية على قممه خرج الوزير (روشني) ووقف على إحدى شرف قصره الرخامي يتأمل الأفق الممتد أمامه والسفح العميق أسفل منه بينما لامست أشعة الشمس ملامح وجهه وهو يأخذ نفساً عميقاً من نسائم ذلك الصباح البارد.

وبينما هو على تلك الحال شد مسامعه صوتٌ شجيٌّ يغني بلحنٍ حزين قادم من الأسفل وعلى بعد يسير منه فوجه نظره إلى مصدر



الصوت ليرى (مهرناز) تقف عند أحد مخارج الجبل الجانبية بأقدامها الحافية وسط الثلوج المتراكمة تغني بصوت تناقلته الرياح المداعبة لشعرها وملابسها الخفيفة.

تبسم الوزير وسار متراجعاً ونزل حيث كانت تقف وعند وصوله خلفها بقي صامتاً منصتاً لغنائها حتى توقفت ثم قال : «صوتكِ جميل ..»

(مهرناز) دون أن تلتفت إليه : كنت مغنية في السابق ..

تقدم (روشني) بضع خطواتٍ للأمام ثم قال : ولمَ تركتِ الغناء؟

(مهرناز) مستشعرة اقتراب الوزير منها أكثر : ماذا تريد؟

(روشني) مستقرّاً بجانبها يشاركها النظر للمنظر الخلاب أمامها : أختكِ تقترب من ((عرين الأسد))

(مهرناز) ملتفتة إليه بشيء من الاهتمام : (أنهار)؟ .. أين هي الآن؟

(روشني) : الساجرة الهجينة سلكت بالأمس طريق القوافل من ((لوه بور)) بعد ما ركبت مع مجموعة من تجار الفلفل وقطعت نصف المسافة إلى هنا .. الغربان رصدتها ولا تزال

(مهرناز) : وماذا ستفعلون الآن؟



(روشني) : سنقتلها بالطبع .. هذا لن يكون أمرًا شاقاً .. مجموعة من القتلة سيعترضون القافلة وسيقومون بتصفيتها

(مهرناز) محاولة إظهار عدم الاهتمام : وماذا تريد مني؟

(روشني) ملقياً بوشاحه الأبيض المتدلي على كتفه وراء ظهره : يراودني شعور بأنكِ تريدين التحدث معها قبل أن تفارقنا .. وكان ينقصكِ معرفة السبيل للوصول إليها

(مهرناز) : متى سترسل قتلتك؟

(روشني) ملتفتاً إليها بأعينه الزرقاء : لقد أعطيت الأمر قبل ساعة وعلى الأرجح أنهم وصلوا إليها الآن ..

اتسعت أعين (مهرناز) وهرعت جرياً مبتعدة عن المكان و(روشني) يراقبها باسماً ..

على الطريق التجاري الممتد بين ((لوه بور)) وجبال الملح سارت قافلة مكونة من مجموعة من الدواب المحملة بكميات كبيرة من الفلفل الأحمر يقودها خمسة رجال على خيولهم ورجل سادس بلباسٍ أزرق فضفاض صاحبهم ليوصلوه معهم وقد كان يمتطي إحدى الدواب المتذيلة للقافلة ولم يشارك البقية أحاديثهم الجانبية خلال الطريق.



قائد المجموعة لأحد أتباعه في مقدمة القافلة : «أين وجدت هذا الرجل الذي رافقنا ..؟»

- أنا لم أجده .. هو من اقترب مني في سوق ((لوه بور)) عندما كنت أتم صفقتنا مع تاجر البهارات وأخبرني بأنه يريد الوصول لـ ((جبال الملح)) ويحتاج قافلة يحتمي بها

(القائد) : هل دفع لك مالاً في المقابل؟

- لا .. أخبرني بأنه لا يملك شيئاً

(القائد) : كيف لا يملك شيئاً وهو يحمل معه حقيبة جلدية؟

- لعلها فارغة لا أعرف

(القائد) : ألم تقم بتفتيشها؟

- في الحقيقة لا

(القائد) : تصرف أحمق منك .. قد يكون مسلحاً وينوي الغدر بنا وسرقتنا خلال نومنا

- لا أعتقد .. لقد عرض علي معاونتنا في العمل وتقديم خدماته نظير أخذه معنا وإطعامه

(القائد) ملتفتاً نحو الرجل في ذيل القافلة : وما الذي يمكن أن يقدمه لنا رجل هزيل مثله؟



في تلك اللحظة توقفت فرس القائد التي كانت تقود المقدمة
وبدأت تصهل بأنفاس بيضاء كالدخان وتضرب بحوافرها
الأرض متراجعة بضع خطوات للوراء موقفة معها القافلة
بأكملها.

القائد يشد لجام دابته محاولاً السيطرة عليها قائلاً :
«ما بكِ؟! .. ما الذي أفزعكِ؟!»
- لعلها شعرت بمفترس .. الحيوانات المفترسة منتشرة بكثرة هنا
(القائد) بعد ما سيطر على فرسه مطبطباً عليها برفق : سنتحقق من
الأمر قبل أن نتقدم ..
وجه قائد القافلة اثنين من مرافقيه بالانطلاق بجيادهما والبحث
عما إذا كان هناك مصدر للخطر ينتظرهم ..
وقتها تحدث الرجل ذو اللباس الأزق منادياً على الرجال في مقدمة
القافلة : لمَ توقفنا؟!
(القائد) ونظره على الطريق أمامه حيث اختفى رجاله للتقصي : لا
تشغل بالك أيها الغريب .. الأمر تحت السيطرة
ما أن أنهى قائد القافلة جملته حتى طار رأسه من فوق أكتافه تبعه
فوران دمه على تابعيه المتطيين لجيادهما من خلفه وخلال صدمتهما



وذهولهما مما حدث لمحا خيال رجل يسير نحوهما قادماً من الطريق أمامهما ومع تقدمه اتضحت ملامحه. رجلٌ ممشوق القوام يلبس رداءً جلديّاً أسودَ ضيقاً لماعاً غطاه من رأسه لأخمص قدميه مخفياً ملامحه بالكامل ولم تظهر منه إلا تفاصيل جسده التي برزت وكأنه لم يكن يلبس شيئاً. لاحظوا كذلك أنه يقبض بيده على سيف طويل وباليد الأخرى ما يشبه الكرة لكن بعد تقلص المسافة بينهم علموا بأنها لم تكن كرة بل رأس أحد صاحبيهما اللذين خرجا للتقصي سابقاً. رمى الرجل الرأس جانباً واستمر بالتقدم نحوهما ملوحاً بسيفه بطريقة متحدية فما كان منهما إلا أن ترجلا عن دوابهما وشهرا سيوفهما استعداداً لمواجهته وقبل أن يشتبكا معه سمعا الرجل ذا اللباس الأزرق المرافق لهما يحدثهما من الخلف منادياً عليهما بعد ما ترجل هو الآخر عن دابته قائلاً:

«اهربا! .. لا تحاولا المقاومة!»

لم ينصت الرجلان لتحذيره واندفعا نحو ذلك الغريب ودخلا معه في نزال بالسيوف لم يستغرق طويلاً قبل أن يبتر أذرعهما من أكتافهما ليجثوا على ركبهما صارخين ألماً. حينها وقف الغريب الأسود خلفهما رافعاً نصل سيفه عالياً في نية لفصل رؤوسهما لكنه توقف



عندما سمع صوت رجلٍ آخر يحدثه من الطريق ذاته الذي أتى منه ويقول له :

«اترك لنا بعضهم ولا تظفر بكل المرح!»

خرج من بين الأشجار المحاذية للطريق رجل آخر بشعر أشقر كالحرير في نعومته وطوله امتد لأسفل ظهره يلبس إزاراً أصفرَ تعلق على خاصرته مجموعة من الخناجر العظمية حاملاً في كلتا يديه مناجل صنعت من العظم كذلك ووشم على بطنه اثنتا عشرة نجمة ترافقه فتاة صغيرة لم تتجاوز العاشرة ذات شعر أسود مجدل بضفيرتين تلبس لباساً زهريًّا أنيقاً قابضة على سلسلة حديدية نحيلة انتهت بطوق جلدي التف حول عنق ديسم أسود صغير لم يكسر سواده سوى بياض فراء رقبته. تراجع الغريب الأسود تاركاً المجال للمتنور الأشقر الذي وقف أمام الرجلين اللذين أوشكا على الموت وقال لهما باسماً وهو يشد من قبضته على مناجله :

«صاحبي (زعر) لديه هوس بالرؤوس لكنني أملك هوساً مختلفاً..»

ضحكت الفتاة الصغيرة مغطية وجهها بكفيها الموشومين بتسع نجوم وقالت : هل ستفعلها يا (أحوذ)؟!



غرس (أحوذ) رأس أحد منجليه أسفل عنق كل رجل جاثٍ أمامه ثم قال باسماً : «لا أستطيع المقاومة يا (ماسا) .. لا أستطيع ..»

وبحركة خاطفة نزل (أحوذ) على ركبته وسحب المنجلين للخلف بسرعة نازعاً عظام صدور الرجلين وقبل أن يفارقا الحياة بلحظات طارت رؤوسهما حين مرر (زعر) نصله عبر رأسيهما لتفيض الدماء في كل مكان محدثة فوضى دموية.

(ماسا) لـ (أحوذ) ضاحكة بسخرية : لم يستطع تمالك نفسه ذلك المعتوه!

نهض (أحوذ) رافعاً الأقفاص الصدرية الحمراء من على الأرض بمناجله : لا يهم .. لقد حصلت على العظام التي أريدها ..

(ماسا) : ألا تكتفي من صناعة الأسلحة بتلك العظام؟ .. لم يعد هناك مكان على خاصرتك لخناجر جديدة

(أحوذ) : مقرباً حصاده من العظام المبتلة بالدماء عند وجهه مستنشقاً إياها بانتشاء : هل أخبرتكِ من قبل أن حساءها شهي كذلك؟

أسند الديسم الصغير رأسه لساق (ماسا) فقالت موبخة : أبعد تلك العظام ولا تخف صغيري فهو لا يحب منظر الدماء!



طيلة هذا الوقت كان الرجل ذو اللباس الأزرق الفضفاض يراقب ما يحدث بوجه مصدوم من وراء إحدى الدواب المحملة بأكياس كبيرة من الفلفل الأحمر لكنه أفاق من صدمته وجرى هارباً نحو أشجار الغابة متوارياً خلفها لكن (ماسا) لمحته وانتبهت له وأشارت بسبابة يدها القابضة على السلسال المربوط بالديسم الصغير وقالت بهدوء: «لقد تبقى واحد ..»

(أحوذ) وهو منشغل بتفحص غنيمته من العظام: اذهبا أنتما وراءه وسألحق بكما

شدت (ماسا) على لجام ديسمها وسارت قائلة لـ (زعر): هيا أيها المعتوه لنلحق به

جرى الاثنان خلف الرجل ذي اللباس الأزرق تاركين صاحبهما مع ضحاياه ..

استمر الرجل بالجري هلعاً بين أشجار الغابة الكثيفة والمتراصة يسقط تارة ويصطدم بأحد جذورها البارزة تارة أخرى ولم يكن يقوده سوى صوت يشبه الانهمار القوي آتٍ من مسافة قريبة أمامه تزداد قوته تدريجاً كلما تقدم حتى خرج لشلال ثلجي منهمر شكل بحيرة صغيرة ونهراً جارياً بين الأشجار .. بدأ الرجل يجول بنظره من حوله بوجه متوتر بحثاً عن طريق بديل لكنه لم يلحق وشعر



بضربة قوية توجه لظهره رمت به وأسقطته وسط البحيرة الباردة أسفل الشلال.

اخرج الرجل رأسه من الماء شاهقاً بقوة بوجه مصدوم بسبب البرودة القارسة التي صعقت جسده ليسمع ضحكات (ماسا) من ضفاف البحيرة وهي تقول لـ (زعر) الواقف بجانبها : انظر لوجهه!

عام الرجل الهزيل للجهة المقابلة وعندما وضع يده على طرفها المتجمد وجد قدماً سوداء تطأ عليها ليرفع نظره مشاهداً الغريب الأسود يقف من فوقه وقبل أن يحاول الهرب قبض (زعر) على شعره ورفعه للأعلى حتى بدأت أقدامه تركل وترفس في الهواء وهو يحاول الهرب و(ماسا) مستمرة في الضحك من الطرف الآخر قائلة :

«كف عن اللعب أيها المعتوه واقضِ عليه لنعودَ لـ (أحوْذ)!»

شد (زعر) على سيفه وهم بفصل رأس الرجل لكن ما حدث هو أن ذا اللباس الأزرق رفع أقدامه بحركة رشيقة ورفسه في وجهه بقوة مما دفعه لتحرير قبضته ليسقط على سطح الماء الضحل. زمجر المتنور المغطى بالجلد الأسود وقبض بكلتا يديه على سيفه ووجهه تجاه الرجل المستلقي أمامه على ظهره لكنه فوجئ بأن ذا اللباس الأزرق الفضفاض وبسرعة خارقة أخرج سيفاً وهاجاً من جلبابه



وغرسه في بطن (زعر) ليخرج من ظهره. بقي المتنور الأسود يحرك رأسه بطريقة تنم عن اندهاشه لما حدث لكن الرجل لم يعطِه فرصة للاستيعاب وسحب السيف ناهضاً وبدأ يمزقه بحركات سريعة من نصل سيفه المتوهج حتى تقطع الجلد المشدود على جسده كاشفاً عن رجل أصلع خيط فمه وعيناه بخيط نحيل وعلى جبينه وشمت ثماني نجوم.

تأمل الرجل ذلك المسخ لثوانٍ ثم مرر سيفه عبر خاصرته وفصله لنصفين ليسقط ميتاً في الحال.

صرخت (ماسا) بنبرة غاضبة من الضفة المقابلة وقفزت في الماء مع الديسم الأسود بينما وقف الرجل ذو اللباس الأزرق وشد سيفه المتوهج استعدادًا للمتنورة التي بلغت منتصف البحيرة سباحة. قبل أن تصل إليه غطست (ماسا) تحت الماء واختفت مع ديسمها مما أثار ريبة الرجل خاصة بعد ما تبع عومها للأسفل حركة قوية أسفل الماء صاحبها الكثير من الفقاعات المتصاعدة خرج على إثرها دب عملاق بلغ ارتفاعه عشرة رجال و(ماسا) تمتطيه بالشد على أذنيه صارخة فيه بمهاجمة الرجل وبالفعل اندفع الدب الضخم بوحشية تجاهه ضارباً بكفه الكبيرة ذات المخالب الطويلة لكن ذا الجلباب الأزرق تنحى جانباً متفادياً تلك الضربة غارساً سيفه في



عنق ذلك الوحش الهائج الذي لم يبدِ اهتماماً ولطم الرجل وأسقطه وسط البحيرة والسيف لا يزال مغروساً فيه.

وقف الدب على قوائمه الخلفية يزأر بقوة بينما انتزعت (ماسا) السيف من عنقه وأخذت تتفحصه باهتمام قائلة :

«سيف عجيب .. لم أرَ مثله من قبل ..»

أجابها صوت أنثوي من الضفة الأخرى :

«ولن تري مثله ..»

وجهت (ماسا) نظرها لمصدر الصوت لترى الرجل وقد وقف عند ضفاف البحيرة وظهره مدار لها ويهم بإزالة لباسه الأزرق الفضفاض بعد ما أخرج منه حقيبة جلدية رمى بها على الأرض جانباً.

(ماسا) بتعجب : من يتحدث؟

استدارت (أنهار) نحو المتنورة ورفعت حقيبتها ومدت يدها وسطها مخرجة القناع الذهبي وقربته من وجهها قائلة :

«الموت يا صغيرة .. الموت ..»

صرخت (ماسا) ملوحة بالسيف المتوهج من فوق رأسها والدب يزأر بصوت مرتفع :

«الموت ما ينتظرك يا ساحرة!»



عقدت (أنهار) أصابعها بعد ما لبست القناع الذهبي وقرأت طلسماً جمد البحيرة والشلال في لمح البصر وارتفع أثر التجمد صعوداً عبر جسد الدب حتى وصل للمتنورة الصغيرة التي استشعرت الخطر وحاولت القفز لكن جزءاً من الصقيع جمد ساقها عندما همت بالقفز لتتعثر وتبقى متدلية من قمة دبها المتجمد مع السيف المتوهج الذي لم تتخلَّ عنه وبقيت قابضة عليه. جرت الساحرة الهجينة بخطواتٍ سريعة على سطح البحيرة المتجمد وصعدت على الدب وانتزعت السيف عنوة من قبضة المتنورة التي أخذت تصرخ فيها وهي تتدلى معلقة: «لن تنجي بفعلتك!»

(أنهار): رافعة السيف بنية طعنها: «لقد نجوت بالفعل..»

قبل أن توجه الساحرة الهجينة ضربتها الأخيرة للمتنورة المعلقة انهار الدب الضخم وكأنه كاس زجاجي تهشم وهبطت الاثنتان تجاه السطح المتجمد البارد. سقطت (أنهار) مرتطمة بوجهها المقنع لكن (ماسا) وازنت نفسها برشاقة واندفعت جرياً نحو (أحوذ) الواقف عند ضفاف البحيرة والممسك بمنجل واحد بعد ما رمى بالآخر لتحطيم الدب المتجمد وبعد وصولها إليه شدت على إزاره صارخة بأنفاس متسارعة وثقيلة ونبرة غاضبة:

«اقتلها يا (أحوذ)! .. اقتل تلك الساحرة!»



(أحوذ) مراقباً (أنمار) التي نهضت من سقوطها وسط البحيرة المتجمدة :

«أنتِ الهدف إذاً ..»

وقفت (أنمار) وهي قابضة على سيف السماء موجهة رأسه المتوهج تجاه (أحوذ) وقالت بوجهها الذهبي المقنع : «بل أنت الهدف ..»

شعرت الساحرة الهجينة في تلك اللحظة بوخزة من خلفها ..

تبسم المتنور ذو الشعر الأشقر الطويل وهو يراقب (أنمار) متسمرة مكانها ومنجله الذي حطم الدب المتجمد يغرس خلف عنقها وقال لـ (ماسا) :

«خذي بثأرك منها قبل أن تموت .. لقد انتهى أمرها ..»

تجهمت الفتاة الصغيرة وزمجرت كالحيوان وسحبت خنجراً عظمياً من خاصرته وجرت تمد رأسه تجاه بطن (أنمار) التي وقفت ممسكة بسيفها الممدود بلا حراك ونظرها محدق بـ (أحوذ). صرخت (ماسا) بأعين دامعة قبل أن تغرس الخنجر في بطن الساحرة الهجينة المتسمرة على حالها : «لقد قتلتِ صغيري يا لعينة!»

سقط الخنجر على الأرض المتجمدة تبعه فوران كمية من الدماء الساخنة غطته وغطت السطح البارد متسببةً في تصاعد كمية من الأبخرة ..



ارتطم وجه (ماسا) بفم وأعين مفتوحة على تلك البركة الدافئة من الدماء بعد ما مررت (أنمار) سيفها عبر نحرها وقالت دون أن تحيد بنظرها عن (أحوذ) المصدوم مما شاهده : «اذهبي لديسمكِ ولا تزعجيني بصياحكِ ..»

(أحوذ) مستعيداً تركيزه بعد ما أدرك أن (أنمار) كانت تتظاهر بالشلل ولم تتأثر بمنجله : علمت الآن لمَ أرسل السيد (روشني) ثلاثة منا .. أنت ند لا يستهان به ..

(أنمار) محررة إحدى يديها من قبضة السيف لنزع المنجل المغروس وراء عنقها :

«حتى لو أرسل مئة منكم .. فلن تتمكنوا من إيقافي ..»

رمت الساحرة الهجينة بالمنجل العظمي المبتل بدمائها على سطح البحيرة المتجمد وقالت بعد ما شدت على السيف مجددًا :

«هيا كي تلحق بصاحبيك أيها الأشقر ..»

(أحوذ) باسماً : أنت لست مستعدة لي ..

قفز المتنور الأشقر للأعلى مطلقاً جميع خناجره العظمية تجاه الساحرة الهجينة لتستقر جميعها في جسدها وبالرغم من ذلك لم تتحرك أو تبدِ أي تأثر وأبقت تركيزها على المتنور الذي شد على منجله ونزل به



في نية لغرسه برأس (أنهار) التي كانت تنتظر اللحظة المناسبة لصده بسيفها لكن عندما همت بذلك وجدت أنها عاجزة عن الحركة لأن رؤوس الخناجر لم تغرس في أماكن عشوائية بل توزعت على مفاصلها بطريقة دقيقة ومحسوبة لتصيبها بالشلل التام والقناع الذهبي لم يحمِها هذه المرة إلا من الإحساس بالألم فقط ولم تتمكن إلا من رفع رأسها قبل أن يصيبها المنجل العظمي في وجهها مباشرة ولولا وجود القناع وصده تلك الضربة لكانت في عداد الموتى.

نجت (أنهار) من الضربة لكن قوتها أسقطت سيف السماء من قبضتها والقناع من على وجهها لتشعر مباشرة بألم فظيع في كامل بدنها لأنها فقدت الحصانة وبدأت تصرخ متوجعة والخناجر العظمية لا تزال مغروسة فيها مقوضة حركتها. التقط (أحوذ) القناع ورفعه أمام نظره وقال باسماً: «السر في القناع إذاً ..»سه

(أنهار) وهي تتنفس بإرهاق صارخة فيه: أعده لي!

وضع المتنور الأشقر القناع الذهبي على وجهه وما أن التصق بجلده حتى توهجت فتحات أعينه لوهلة خاطفة بوهجٍ أصفر وشعر بأن عظامه تهتز صاحبه إحساس بتزايد قوته وزوال إرهاقه.

(أحوذ) موجهاً وجهه المقنع تجاه (أنهار) العاجزة عن الحركة: «أشعر بأني لا أقهر ..»



(أنهار) بسخط : حررني أيها الجبان وسترى الهزيمة!!

رفع (أحوذ) كفه وحرك أنامله لتعود الخناجر وتستقر على خصره محرراً الساحرة الهجينة التي جلست على أطرافها الأربعة تشهق من الألم الحاد الذي سار بجسدها.

(أحوذ) بثقة : هيا .. اهجمي عليّ

ضربت (أنهار) بكفيها الملطختين بالدماء على سطح البحيرة المتجمد وصرخت بطلسم سريع خرج على أثره مجموعة من المسامير الثلجية الكبيرة من أسفل المتنور الأشقر واخترقت جسده وتركته معلقاً ينزف بغزارة لكنه بدل أن يتألم أخذ يضحك بقوة قائلاً :

«أنا لا أشعر بشيء!»

التفتت الساحرة الهجينة نحوه دون أن تقف لتجد أنه حرر نفسه بضرب الرؤوس الثلجية بمنجله وسار ملتقطاً سيف السماء من على الأرض الباردة في طريقه نحوها حتى استقر فوقها قائلاً : «لقد أصبحت مخلداً ..»

أنزلت (أنهار) رأسها محدقة بقطرات الدماء الساقطة أمامها من أطراف رقبتها متقبلة هزيمتها ومصيرها ..

رفع (أحوذ) السيف وعيناه منصبتان على عنق (أنهار) لكنه شعر

فجأة بأن هناك نوراً يشع خلفه فاستدار ليرى (مهرناز) تحدق به بأعين تتوهج نوراً تحدثه قائلة :

«ابتعد عن أختي ..»

تجهم المتنور الأشقر من وراء القناع الذهبي وأطلق خناجره العظمية تجاه (مهرناز) لكنها جميعاً احترقت وتحولت لرماد قبل أن تصل إليها ..

(أحوذ) متخذاً وضعية هجومية مديراً ظهره لـ (أنهار) غير المدركة لما يحدث : أنت لا تملكين فرصة يا ساحرة!

(مهرناز) ووهج أصفر يحيط بها ويغطيها مذيباً الجليد أسفل منها :

«أنا لست ساحرة .. أنا شمس محرقة ستذوق حرها الآن ..»

اندفع (أحوذ) نحو الحافية المشعة موجهاً رأس (((سيف السماء))) تجاه صدرها فما كان منها إلا أن رفعت كفها مطلقة شعاعاً وهاجاً أحرقه بالكامل ليسقط القناع والسيف على الأرض والأبخرة تتصاعد منهما. خفت الوميض المحيط بـ (مهرناز) تدريجيّاً حتى تلاشى تماماً عدا النور المشع من عينيها لتسير بعدها نحو (أنهار) التي راقبت بتوجس تلك الفتاة المقتربة منها حتى وقفت أمامها بأعينها المتوهجة وتبسمت قائلة :

«كيف حالكِ يا هجينة؟»



حنين وأنين



بعد مسيرة نصف يوم وصلت العصبة العربية عند مشارف مدينة ((لوه بور)) وكانت الشمس وقتها على وشك المغيب وقبل أن يدخلوا إليها استوقفتهم (هند) وحدثتهم قائلة :

«معظم الدكاكين في سوق المدينة مغلقة في هذا الوقت ولا فائدة من التسوق الآن .. السوق يبدأ مع شروق الشمس ويكون في أوج حيويته وسط النهار لذا أقترح أن نبات خارج المدينة إلى الصباح ..»

(عوراء) محتضنة (نافجة) : كيف نبات في هذا البرد القارس؟

(دعجاء) : سنشتري فقط ما هو مهم الآن .. ملابس ثقيلة وبعض الطعام

(هند) : تجار الطعام متوفرون حتى منتصف الليل

(دعجاء) : ماذا عن تجار الفراء؟

(هند) : لا أعتقد أننا سنجد من يبيع الملابس في هذا الوقت

(القيقبون) : اتركوا مسألة الدفء لي لكن المأكل والمشرب لا حيلة لي عليهما

(هند) : القطعة الذهبية التي أعطيتموني إياها بالكاد ستكفي للطعام واللباس لنا جميعاً .. سنحتاج المزيد إن كنا ننوي تسوق حاجيات أخرى غداً

مدت (القيقبون) يدها في حقيبتها وأخرجت صرة جلدية كبيرة بعض الشيء وناولتها لـ (هند) قائلة : «ماذا كنتم ستفعلون بدوني .. خذي .. ستجدين فيها ما يكفي .. هذا هو كل ما أملك»

(دعجاء) وهي تراقب (هند) تأخذ الصرة من عجوز القدر : كنت أظنك لم تجني من عملك ما يكفيك يا (سديرة) ..

(القيقبون) : لم أكن أتحدث عن الذهب والفضة يا ابنة وصبان فكفايتي واكتفائي ليسا بهما

(هند) ناظرة لمحتوى الصرة : هذا سيكون كافياً بلا شك .. سأتوجه للسوق قبل أن يغلق بالكامل وسأقايض ما معنا من ذهب بالنقود ثم سأشتري بعض الطعام وسأعود على الفور



(القيقبون) : اشتري قدراً صغيراً

(رافدة) : ألا يمكنكِ الاستغناء عن القدور؟

(القيقبون) : سأستغني عنها عندما تقدرين على الاستغناء عن الماء ..

(نافجة) : القدر لإذابة الثلوج يا بدوية لنحصل على ماء للشرب

(القيقبون) : هل فهمت يا حمقاء؟ .. شراء الماء في هذه الأرض كمن يشتري الرمال في أرض العرب

(كميت) : معها حق يا أختي

(رافدة) : حسناً! .. حسناً! .. كنت أسأل فقط!

(هند) باسمة : سأجلب القدر

(القيقبون) : قدراً صغيراً يا ابنة معناد .. صغيراً .. كعقل البدوية تماماً

تجهمت (رافدة) و(كُميت) تتبسم ..

(هند) : أنا ذاهبة الآن ..

(دعجاء) مشيرة لصخرة كبيرة بالقرب منهم : ونحن سنكون بانتظاركِ هناك ريثما تعودين

(هند) تهم بالسير تجاه مدخل المدينة : حسناً .. لن أتأخر

بعد رحيل ابنة معناد خيم الليل بأستاره وجلس أفراد العصبة عند



الصخرة محتضنين أنفسهم جرّاء الريح الباردة التي هبت في المكان.

رفعت (القيقبون) كفيها وصفقت مشعلة ناراً وهي تقول: «هذا هدر للوقت .. كان الأحرى بنا الانتقال مباشرة لـ ((جبال الملح)) .. لا أرى فائدة من التسلل على عدو يعلم بوجودنا مسبقاً ..»

(نافجة): في الحقيقة أنا متعجبة من أننا لم نتعرض لهجوم آخر حتى الآن .. كنت أتوقع أنهم لن يتوقفوا إلى أن ينتهوا من أمرنا

(دعجاء): كبرياؤهم يمنعهم .. إنهم يخشون على أهم مصدر لقوتهم هنا وهو صيتهم الذائع بأنهم لا يقهرون ولو شهد الناس تساقط أتباعهم فسيكون ذلك ضربة قاسية لهم حتى وإن تغلبوا علينا في النهاية

(كُميت): يريدون تصفيتنا بعيداً عن أنظار الناس كي لا يقال إن هناك من تجرأ وتحداهم

(دعجاء): تماماً يا حجازية .. الصفعة لها تأثير أكبر من الطعنة وهم لا يريدون لأحد أن يرانا ونحن نصفعهم حتى وإن طعنونا بعدها .. عدم اكتراثنا بهم وبتهديدهم هو ما يزعجهم ويقلقهم

أنزلت (عوراء) رأسها وأسندته على حجر (نافجة) وأغمضت عينها ..



(نافجة) ماسحة على شعرها باسمة : هل تشعرين بالنعاس؟

(عوراء) بأعين مغمضة : لا .. أريد أن أريح عينيّ قليلاً

بعد أقل من دقيقة بدأت (عوراء) بالشخير ..

(القيقبون) : بهذا الصوت لن يحتاج المتنورون للغربان الراصدة لتحديد موقعنا

(رافدة) ضاحكة : يبدو أنها تريد أن تريهم عدم اكتراثنا بهم!

(نافجة) باسمة مقبلة وجنة (عوراء) النائمة : كفا عن ذلك إنها متعبة

(دعجاء) : جميعنا متعبون ونحتاج للراحة

(نافجة) : نامي يا عمة وأنا سأنتظر عودة (هند)

(دعجاء) : سأنام حينما تعود ابنة معناد

(القيقبون) ناهضة من مكانها : أنا لن أنتظر ..

(نافجة) : إلى أين؟

أشارت عجوز القدر لصخرة أخرى قريبة منهم وقالت : سأشعل نارًا هناك وأنام وحدي

(كُميت) : هل يمكن أن تشعلي لي أنا كذلك نارًا في الجهة المقابلة؟



(نافجة) متعجبة : ما بكنّ؟ .. لمَ تردن النوم وحدكنّ .. هل شخير (عوراء) مزعج لهذا الحد؟

(دعجاء) : اتركيهن يفعلن ما يشأن يا جدعاء

(كُميت) : لا أبدًا يا قائدة .. أريد الاختلاء بنفسي فقط

(نافجة) لـ(رافدة) : وأنتِ؟ .. هل تريدين الاختلاء بنفسك أيضاً؟

(رافدة) : لا .. سأرافق (كميت)

(نافجة) وعلى وجهها ارتسمت علامات عدم الرضا : كما يحلو لكن!

سارت الحجازية والبدوية خلف (القيقبون) التي أشعلت لهما نارًا قبل أن تذهب هي لمكانها وتشعل لها هي الأخرى نارًا وتستلقي بجانبها.

(نافجة) مراقبة لهب النارين عن بعد : أمرهن عجيب ..

(دعجاء) : وما العجيب في الأمر؟

(نافجة) : لا أعرف لكن هذه أول مرة يطلب بناتي مثل هذا الطلب .. لا بد وأن هناك سبباً

(دعجاء) : خلوة الإنسان بنفسه حاجة .. مثل الطعام والشراب ..

(نافجة) : (كُميت) و(رافدة) ذهبتا معاً وهذه ليست خلوة



(دعجاء) : الخلوة هي أن تختلي بنفسك أو مع من تحب أكثر منها ..

(نافجة) : تقصدين أن بناتي لا يحببنني؟

(دعجاء) : أقصد أن الفتاتين تملكان علاقة بعضهما مع بعض أقوى من علاقتهما معكِ .. مثل علاقتكِ مع الصبية المسندة رأسها على حجركِ الآن ..

(نافجة) ناظرة لـ (عوراء) : أنا لا أفرق بينهن ..

(دعجاء) : عقلكِ قد لا يفرق لكن قلبكِ يفعل رغماً عنكِ .. أي شخص أنجب عدداً من الأطفال يعرف ذلك

وجهت (نافجة) عينيها للنار المشتعلة أمامها وقالت وهي سارحة في لهبها المتراقص :

«أتساءل مع نفسي من وقتٍ لآخر عن شعور الإنجاب .. أن أكون أمّاً .. تحدثني نفسي أحياناً عما إذا كنت قد فوت على نفسي شعورًا عظيماً ..»

(دعجاء) : حياتنا التي اخترناها لا مكان فيها للذرية ..

(نافجة) : هل يجب عليّ أن أندم إذًا؟

(دعجاء) : «تندمين على ماذا يا جدعاء؟ .. على أمرٍ لا تعرفين إن كان خيرًا لكِ أم شرّاً .. ليس كل ما في متناول غيرنا سيكون على



حاله لو وقع في أيدينا .. بعض المصائب مغلفة بقشور السعادة ..»

(نافجة) : وأي مصيبة أكبر من شعور الوحدة يا عمة ..؟

(دعجاء) بحزن : سألت أبي سؤالاً مشابهاً له في وقت من الأوقات

(نافجة) : العم وصبان؟

(دعجاء) : نعم .. وصبان بن شرت التدمري .. الرجل الوحيد الذي بكيت لفراقه ..

(نافجة) : هل لي أنا بسؤال يا عمة؟

(دعجاء) : اسألي يا جدعاء ..

(نافجة) : قلتِ لي بأن أباكِ من ((هجر)) وأمكِ من الجنوب أليس كذلك؟

(دعجاء) : أعرف إلى ماذا تلمحين .. «التدمريون» ليسوا من قبائل الشرق

(نافجة) : نعم .. فكيف تقولين بأنه من ((هجر))؟

(دعجاء) : لأنها ليست قبيلته .. أبي أخفى اسمها واستبدل به خشية العقاب والعاقبة

(نافجة) : عقاب من؟

(دعجاء) : أعدائه المتربصين به والذين كانوا في تزايد يوماً بعد يوم .. أبي أخفى لقب قبيلته خوفاً من انتقامهم منهم ومن أهله



فامتهان السحر كان ولا يزال عند الكثيرين شيئًا لا يدعو للفخر ولم يرد أن يجلب العار لقبيلته خاصة وأن صيته قد ذاع في جميع أرجاء بلاد العرب وما وراءها .. لم يعرف بهذا السر إلا من عرفوه عن قرب ووالي ((هجر)) فقط

(نافجة) : لا يخشى أحد هذا النوع من العار إلا من كان شيخاً من شيوخ قبيلته .. وأكاد أجزم بأني عرفت تلك القبيلة من ملامحكِ يا عمة

تبسمت (دعجاء) وقالت : هذا ماضٍ ورحل يا داهية الأنساب .. انسيه كما نسيته

(نافجة) : وماذا كان السؤال الذي سألتِه؟

(دعجاء) : سألته عن شعوره بعد ما فقد أمي .. وصف الأمر بالمصيبة التي حطت على رأسه لكنه استدرك وقال بأنه لا يتمنى نسيانها

(نافجة) : لماذا؟

(دعجاء) : قال بأن الناس لا ينسون مصيبة إلا حينما تحل مكانها مصيبة أكبر منها وفقدان أمي لن يزول إلا بفقداني وهذا ما لا يتمناه أبدًا ..



(نافجة) : فهمت فحوى كلامه ..

(دعجاء) : على عكسي وقتها فأنا لم أفهم مغزى كلامه تماماً إلا عندما فُجعت بموت بناتي .. وأنا أخرج أجسادهنّ البالية من تحت التراب .. كل همومي وأحزاني يومها باتت صغيرة ولا معنى لها .. فالإقتراب من الجرح لا يُشبه الإصابة به .. ولا أحد يعرف نعيم حياته حتى يُسلب منه .. نحن نعيش ترفاً لا ندركه يا بنيتي .. الأعمى ينسى أنه يستطيع المشي والأبكم يتناسى أنه يملك بصره .. الشيء يفقد أهميته عندما يكون بحوزتنا وفي متناول أيدينا .. نحن نملك كنوزًا لا حصر لها ونصر على تجاهلها والتركيز على ما بحوزة غيرنا .. نعي ما بأيديهم ولا نعرف قيمة ما لدينا حتى نخسره..

تبسمت (نافجة) وأسندت رأسها لكتف الدعجاء وهي تمسح على رأس (عوارء) ولم تقل شيئاً .. غفت الاثنتان بعد إغماض أعينهما وغطتا في نومٍ عميق ..

في الجهة المقابلة حيث استلقت (كُميت) و(رافدة) وقبل أن تغفوا هما كذلك قالت الحجازية وهي تتأمل من بعيد (نافجة) النائمة برأس مسند على كتف الدعجاء : «هذه أول مرة أرى فيها القائدة بهذه الحالة ..»

(رافدة) مستلقية على جنبها تشاركها النظر : أي حالة؟



(كُميت) : لا أعرف .. حالة من الأمان .. التسليم والاستسلام .. وكأنها تثق بأن لا شيء سيصيبها وهي مع القائدة (دعجاء)

(رافدة) : هذا الشعور كان يخالجني عندما كنت أنام في حضن أبي

(كُميت) : أنا لم أنم في حضن أبي من قبل

(رافدة) باسمة وهي لا تزال تتأمل (نافجة) و(دعجاء): ربما لأنكِ كنت تشخرين مثل (عوراء)

(كُميت) ودمعة تنساب من عينها : ربما ..

لم ترَ البدوية تلك الدمعة لكنها شعرت بالغصة في صوت أختها فدنت منها وعانقتها من الخلف قائلة : «الخسارة له ..»

وضعت (كُميت) كفها على ظهر يد (رافدة) المحتضنة لها وأغمضت عينها وغفت الاثنتان معاً ..

في ذلك الوقت كانت ابنة معناد في طريقها عائدة بعد ما اشترت بعض الطعام وحملته في القدر الصغير الذي ابتاعته لـ (القيقبون) وخلال سيرها في ظلمة الطريق سمعت صوتاً يحدثها قائلاً : «هل تركتِ الطائفة لتصبحي خادمة؟»

توقفت (هند) مكانها وتعرفت على صاحب الصوت فقالت بوجه صارم لا مبالٍ : «خادمة لأهلي ولا سيدة بين أعدائهم ..»



خرج من ظلمات الليل الوزير (روشني) ومن خلفه متنوران آخران وشم كل واحد منهما بعشر نجوم وهو مغطٍّ نفسه بوشاحه الأبيض ماسحاً على كفوفه نافخاً وسطها سحابة بيضاء قائلاً: «لم أخرج في هذا الوقت منذ زمن طويل ..»

(هند) ملتفتة إليه بعبوس وهي تشد على مقابض القدر بكلتا يديها: ولِمَ خرجت من قصرك الدافئ؟

(روشني) بعد ما وقف بجانبها: سأختصر سبب هذه الزيارة قدر الإمكان لأن البرد هنا لا يُحتمل ..

(هند) ونظرها يتوجه للمتنورين المرافقين له وهما يحدقان بها بعبوس: هل تظن أن هذين الاثنين سيحميانك مني؟

(روشني) ملوحاً بكفه وبنبرة هادئة ومطمئنة: تجاهليهما أنا هنا للحديث معكِ فقط ..

(هند) بوجه عابس مديرة وجهها عنه محدقة أمامها: لا حديث بيننا أيها الوزير

مد (روشني) كفه في إشارة منه لها لمرافقته في السير وقال: إذا تكرمتِ ..

تقدمت (هند) وهي قابضة على القدر ونظرها المتجهم للأمام وسار



بجانبها (روشني) وبعد مسافة قصيرة من المشي بعضهما بجوار بعض توقف الوزير واستدار نحوها قائلاً : «ماذا تفعلين يا (هند)؟»

لم تجب ابنة معناد عليه وبقيت صامتة متجهمة تنظر للأفق المظلم ..

(روشني) محركاً رأسه يميناً وشمالاً ناظراً لوجنتيها : أرى أنكِ طمستِ نجومكِ ..

(هند) وهي على الحالة ذاتها : غسلت عاري ..

(روشني) : هل تعرفين أنه بعد موتكِ سوف تلاحق الطائفة كل من له علاقة بكِ وسيتم تصفيته .. أهلك .. أطفالك .. زوجك

(هند) بتهكم : تصفية زوجي ستكون خدمة لي

(روشني) : يمكنني منحكِ فرصة أخيرة

(هند) : احتفظ بها

(روشني) : عودي لصفوفنا وسأقنع السيد الكبير بأن يعفو عنكِ .. عودي للطائفة واتركي هذا الجنون .. أنت لا تنتمين لهؤلاء الضعفاء .. هذا ليس قدركِ

(هند) : أموت شامخة كالذئب المتمرد ولا أعيش ذليلة كالكلب المطيع ..

(روشني) مبتسماً وبتهكم : تهور في غير محله .. كان يمكن أن تكوني ذات شأن كبير في الطائفة



(هند) : أنا ذات شأن وإلا لما وقفت أمامي الآن تطلب مني العون ذليلاً صاغراً .. أخبر سيدك بأن العرب ليسوا للبيع

(روشني) بشيء من السخرية : تحدثي عن نفسكِ فقط .. الكثير من أبناء جلدتكِ يتمنون هذه الفرصة

(هند) : من يتمناها أو يقبل بها ليس من أبناء جلدتي ..

(روشني) : هكذا إذاً؟

صمتت (هند) ولم ترد عليه ..

(روشني) موجهاً نظره للقدر بين يديها قبل أن يهم بالرحيل قائلاً : لا تتأخري على أهلك واذهبي إليهم واطبخي عشاءكم الأخير

(هند) : هذا القدر ليس لطبخ طعامنا ..

(روشني) متسائلاً بتهكم : حقّاً .. للاستحمام؟

(هند) : لا .. لنضع رأس سيدك الكبير فيه حينما نعود لأرضنا منتصرين

تغيرت ملامح الوزير لخليط من القلق والاستغراب ..

(هند) : أخبر سيدك بأننا قادمون إليه ..

(روشني) محاولاً إظهار بعض الثبات : وهو سيكون بانتظاركم .. الطريق نحو ((عرين الأسد)) لن يكون خاوياً وممهداً .. زملاؤكِ السابقون سيكونون بانتظاركم



(هند) تبدأ بالسير مكملة طريقها: وسنستمتع بتمزيقهم جميعاً..

بقي (روشني) يراقب ابنة معناد وهي تسير مبتعدة عنه وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة وهو يشير للمتنورين المرافقين له باللحاق بها وهو يقول:

«حان وقت الوسيلة الثانية لإقناعها بالعودة معنا.. أنا سأرحل وسأكون بانتظاركما في قصري حينما تعودان بها..»

مع أول الصباح فتحت العرجاء عينيها ورأت أن عجوز القدر والفتاتين لا يزلن نائمات مكانهن و(عوراء) على حالها مسندة رأسها في حجرها. رفعت (نافجة) رأسها من على كتف الدعجاء التي سبقتها في الاستيقاظ وشاهدتها تعبث بجمر ورماد النار التي لفظت أنفاسها الأخيرة بعصا نحيلة.

(نافجة) بتساؤل: ألم تعد (هند) بعد يا عمة؟

(دعجاء) وهي مستمرة في تقليب الجمر بالعصا: بلى عادت..

(نافجة) تجول بنظرها من حولها: أين هي؟.. لا أراها

مدت الدعجاء يدها جانباً ورفعت صرة كبيرة وثقيلة ووضعتها بجانب النار الخامدة على مرأى (نافجة) التي قالت: هل هذه هي الأموال؟



(دعجاء) : نعم .. لقد تمكنت من الحصول على كم كبير من النقود مقابل ذهب (سديرة) .. أعطتني إياها البارحة

(نافجة) : لكن أين هي؟

(دعجاء) : رحلت قبل قليل ..

(نافجة) بخليط من العجب والصدمة : رحلت؟! .. رحلت إلى أين؟! .. هل تخلت عنا؟؟!

(دعجاء) متأملة الأفق المشبع بضباب الفجر بعد ما رمت العصا فوق الرماد : ألا تملكين ثقة بها؟

(نافجة) : ماذا تقوين يا عمة؟ .. بالطبع أثق بها لكنكِ قلتِ ..

(دعجاء) مقاطعة : يهمني كثيرًا يا جدعاء ألّا تنقادي خلف مشاعركِ مهما كانت نبيلة ونقية بالنسبة لكِ .. الحركة المدفوعة بهمة القلب حركة سريعة لكنها متعثرة والحركة المَقُودة بسكينة العقل حركة بطيئة لكنها ثابتة ..

(نافِجة) : ولِمَ هذا الحديث الآن؟

(دعجاء) : لأني ألمس طغيان قلبكِ على عقلكِ في الكثير من تصرفاتكِ وأقوالكِ وهذا لن يكون في مصلحتكِ عندما نواجه خطراً حقيقيّاً .. من يسهل استفزازه يسهل خداعه .. أكثر من يغدرون بنا هم من تطمئن لهم قلوبنا ..



(نافجة) : قلبي لم يخذلني ولن يخذلني في كشف الخونة المتربصين بي

(دعجاء) : لو كنتِ تقودين قافلة وتاهت بكِ في الصحراء وأخبركِ أحد مرافقيك بأنه يعرف طريق النجاة .. فهل ستسيرين على نصيحته ومشورته وتثقين بها؟

(نافجة) : غالباً نعم ..

(دعجاء) : وإذا كنت لا تثقين به؟

(نافجة) : فلا بالطبع ..

(دعجاء) : وماذا يفعل شخص لا تثقينِ به ضمن قافلتكِ من الأساس؟

(نافجة) : ما الذي تريدين قوله يا عمة؟

(دعجاء) : أن ثقتنا بأنفسنا ليست سبباً كافياً لنثق بمن ترتاح لهم قلوبنا .. وكذلك من لا ترتاح لهم قلوبنا ليسوا دائماً مصدرًا للشك دون يقين نراه بأعيننا .. إن كان القلب دليلاً مرشدًا فالعقول دليلٌ قاطعٌ .. القلوب تجيب وترد باللسان على أندادها لكن العقول تصرخ بالهواجس في أصحابها .. استمعي للناس لكن لا تنصتي إليهم .. أنصتي لعقلكِ فقط .. هل فهمتني يا جدعاء؟



صمتت (نافجة) ولم ترد لأنها كانت في حيرة من أمرها ومن كلام الدعجاء غير المبرر والذي بدا لا مناسبة له لكنها مع ذلك أخذته على محمل الجد ولم تتجاهله ..

(دعجاء) رافعة سبابتها : لقد عادت ابنة معناد .. ذهبت فقط لجمع بعض الثلج في القدر الذي طلبته (سديرة)

(نافجة) وهي تراقب (هند) توقظ (القيقبون) وبقية الفتيات حينما مرت بهنّ : «فهمت الآن المغزى من كلامك يا عمة ..»

(دعجاء) : أيقظي الصبية ونادي على البقية فأمامنا يوم حافل ..

جلس الجميع في دائرة عند الصخرة الكبيرة حيث وضعت (القيقبون) قدرها الجديد فوق النار التي جددت شعلتها وبدأت تقلب الثلج حتى بدأ بالذوبان ليحصلن على ماء عذب للشرب وخلال قيامها بذلك حدثتهن الدعجاء وهي تضع صرة النقود في حجرها قائلة :

«لقد حصلنا على المال وخطوتنا التالية هي ابتياع ما نحتاجه لرحلتنا الطويلة عبر ((الغابة الزرقاء)) لكن ليكن في علمكن أننا هنا لأمرٍ وغرضٍ محددين ولن نسير كمجموعة واحدة عند دخول السوق إلا وقت الخروج منه كي لا نلفت الانتباه إلينا لذلك سننقسم إلى ثلاث مجموعات وكل فريق سيكون معه ما يكفيه من المال ..»



(القيقبون) رافعة القدر من على النار واضعة إياه جانباً ليشرب منه الجميع :

«أنا لا يلزمني شيء سوى لباسٍ دافئ .. لقد أحضرت كل ما أحتاجه معي من ((اليمامة)) ووضعته في حقيبتي ولم يكن ينقصني إلا قدرٌ وقد حصلت عليه .. بالرغم من أنه ليس جديداً»

(هند) : القدر جديد ولم يستخدم من قبل

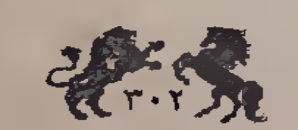
(القيقبون) مشيرة لصدع بجانب القدر : لقد خدعكِ البائع .. هذا القدر استخدم من قبل

(هند) باسمة : لم يكن ذلك الصدع موجوداً حين اشتريته وأنا من تسبب به عندما استخدمته لضرب بعض الكلاب التي هاجمتني خلال طريق عودتي ليلاً بالأمس

(رافدة) منزلة كفيها وسط القدر لاحتساء بعض الماء : أرغب في اقتناء خنجر .. أشعر بأني سأحتاجه

(كُميت) : وأنا أحتاج المزيد من السهام .. برؤوس مصنوعة من الفضة إذا أمكن

(هند) : أعرف مكاناً جيداً لاقتناء السلاح .. عند حداد ماهر يقع محله في آخر السوق



(عوراء) : وأنا أريد ..

(رافدة) مقاطعة وهي تمسح فمها بظهر يدها : لو قلتِ شيئاً غير «حلوى» فستحصلين على مكافأة

صمتت (عوراء) تتفكر للحظات ثم قالت : هل المكافأة حلوى ..؟

ضحك الجميع وخلال ضحكهن أدخلت الدعجاء يدها في صرة الأموال وبدأت توزع علىٖ كل فرد منهنّ مقدار قبضة منها وهي تقول : «كل واحدة ستكون مسؤولة عما تشتريه ..»

(عوراء) رافعة كفها عالياً : لقد نسيتني يا عمة!

(دعجاء) : لقد أعطيت نصيبكِ لعمتكِ (نافجة)

(عوراء) بخيبة : ولمَ لا أحصل على المال مثل البقية؟

(نافجة) للصبية الجالسة في حجرها : لأنكِ قد لا تحسنين صرفه والتصرف به

(عوراء) بإحباط : لمَ لا تثقن بي؟! .. أنا لست حمقاء!

(نافجة) مقبلة رأسها : إذا احتجتِ شيئاً ففقط أخبريني

(عوراء) زافرة بضجر : حاضر يا عمة!

بعد أن انتهت الدعجاء من توزيع محتوى الصرة عليهنّ بالتساوي



قسمت عصبتها كما قالت سابقاً إلى ثلاث مجموعات .. ابنة معناد مع الحجازية .. عجوز القدر مع البدوية .. والعرجاء والصبية مع الدعجاء التي قالت :

«هيا لنتوجه للسوق قبل أن يضيع النهار..»

الدوامة الدامية

«كيف حالكِ يا هجينة؟»



(أنهار) بخليطٍ من العجب والاستنكار : من أنتِ ..؟

(مهرناز) باسمة بأعين متوهجة : ألم تعرفيني .. نسيتِ أختكِ؟

(أنهار) : أختي؟

أغمضت (مهرناز) عينيها وفتحتهما مجددًا بعد ما أخمدت نورها بالكامل ثم قالت : هل تذكرينني الآن؟

(أنهار) وعيناها تتسعان ونبرة صوتها غير المصدقة تختنق بعبرة عابرة : «الحافية ..؟»

(مهرناز) باسمة وعيناها تلمعان بدموع تكونت عند محجريهما : «نعم يا هجينة .. الحافية ..»



اندفعت (أنهار) بجسدها النازف وعانقت أختها بقوة وهي تردد بصوتٍ متهدرج ومشحون بالحزن والقهر :

«كنت وحيدة بدونكِ! .... لم أعرف أني أفتقدكِ لهذا الحد إلا عندما رأيتكِ أمامي! .. أمضيت السنوات الفائتة طريدة مطاردة ولم أشعر بالاطمئنان قط حتى هذه اللحظة!»

(مهرناز) مطبطبة على ظهر (أنهار) بكفها مسندة ذقنها لكتفها : أنت بأمان الآن يا أختي ..

فكت الساحرة الهجينة عناق أختها واضعة كفها على صدرها وعلى وجهها بدا أنها شعرت بشيء مفاجئ ..

(مهرناز) ملاحظة ذلك قائلة بقلق : ما بكِ؟

(أنهار) وإرهاقها يتصاعد : لقد خسرت الكثير من الدماء .. أعتقد أني أحتضر

(مهرناز) : سوف آخذكِ معي وأجد من يطببكِ!

(أنهار) تبحث في الحقيبة الجلدية المعلقة على كتفها ثم تشير للقناع الذهبي خلفهما بأعين زائغة وهي تكاد تفقد الوعي : لا وقت لذلك .. فقط أحضري لي هذا القناع ..

نفذت (مهرناز) طلب أختها وبعد ما مدت لها القناع الذهبي ولبسته



استعادت جزءًا من عافيتها خلال لحظات لتسير تجاه (((سيف السماء))) وترفعه من على الأرض المتجمدة قائلة : ماذا تفعلين هنا؟

(مهرناز) : كنت سأسألكِ السؤال ذاته؟

(أنهار) : أنا هنا للأخذ بثأري ممن ظلمني ..

(مهرناز) : وكم عدد الذين ظلموكِ في حياتكِ يا هجينة؟

(أنهار) : ماذا تقصدين؟

(مهرناز) وهي تهم بالاستدارة : لا أقصد شيئاً .. هيا بنا

(أنهار) دون أن تتحرك من مكانها : إلى أين؟

(مهرناز) : ستعودين معي بالطبع

(أنهار) : لا أستطيع .. لا أقدر على مواجهة الخالة (أفسار) بعد ما خذلتها

(مهرناز) باسمة بحزن : لم يتبقَّ أحد سواي .. العصبة فنيت بالكامل

(أنهار) : إذاً (دوسر) كان يقول الحق ..

(مهرناز) بتعجب : (دوسر) من؟

رفعت الساحرة الهجينة سيفها المتوهج تقلب نصله أمام عينيها المطلتين من ثقوب القناع الذهبي وقالت :

«الوحيد الذي تمكن من الاستحواذ على قلبي فقط ليغرس خنجره المسموم فيه .. لكني سأستعيد قلبي منه وأعيد طعنته له ..»



(مهرناز) : هل تقصدين (مايزك)؟ .. المتنور المرسل لقتلكِ؟

(أنمار) وهي مستمرة بالتحديق بنصل السيف دون أن تلتفت لأختها : «لم يكن الأول الذي ترسله الطائفة الجنتية في أثري لكنه الوحيد الذي تمكن من خداعي .. وهذا كان خطئي أنا ..»

(مهرناز) : سيدهم يريد رأسكِ .. لن تتمكني من مقاومتهم والتغلب عليهم ..

(أنمار) بنبرة جنونية بعض الشيء : هدفي هو (دوسر) فقط وبعدها فليفعلوا بي ما يشاؤون

(مهرناز) : أنا لن أسمح لهم أو لكِ بذلك

(أنمار) منزلة السيف موجهة نظرها لأختها : هل ستقفين في طريقي؟

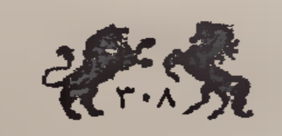
(مهرناز) : أنت لا تدركين ما أنتِ مقبلة عليه .. هؤلاء القوم لا رحمة في قلوبهم

(أنمار) بهدوء مخيف : أريد أن أقتلهم .. أقتلهم جميعاً .. هم وكل من يحاول الوقوف في طريقي ..

(مهرناز) : لم أعهدكِ بتلك القسوة يا أختي ..

(أنمار) : هل أصبح من لا يرضى بالذل والهوان قاسي القلب؟

اقتربت (مهرناز) من الهجينة واضعة كفها على كتفها قائلة : أنا أريد



حمايتكِ فقط .. ولن أقف في طريق اخترتِ السير فيه لكن امنحيني فرصة ..

(أنهار) : فرصة ماذا؟

(مهرناز) : للحديث .. للحديث فقط ..

هزت الساحرة الهجينة رأسها المقنع بالموافقة فتبسمت الحافية قابضة على ساعدها سائرة بها خلف الأشجار وقادتها لتلة تطل على وادٍ كبير أحاط به مجموعة من الجبال الثلجية الشاهقة وجلستا على طرفها. أمضت الأختان وقتهما في حديث طويل تبادلتا خلاله ما حدث معهما طيلة السنوات الماضية وعلمت الهجينة بما حل ببقية العصبة وعلمت كذلك بأن (مهرناز) تعمل الآن عند السيد الكبير كحارسة له مما أثار استياءها في البداية لكنها تفهمت قرار أختها خاصة بعد ما سمعت منها كيف آلت بها الأمور لتلك النقطة وبالمثل أنصتت (مهرناز) لـ (أنهار) وشعرت بالحزن للحياة البائسة التي عاشتها وقادتها لهذا المكان.

(أنهار) : منذ أن أخذتني الخالة من الملجأ بـ ((ديلم)) وأنا أعيش حياة عاصفة لم تهدأ بعد .. دائمة الترحال ولم أستقر يوماً .. لا في أرض ولا لشخص .. ومن يعيش مثل تلك الحياة لا يتمسك بها بل يتحين الفرصة لمفارقتها



(مهرناز) : ماذا عمن يهتمون لأمركِ؟

(أنمار) : لم أرَهم ولم أسمع بهم .. ربما فقط إلى هذا اليوم .. عندما رأيتكِ يا حافية .. لكن حتى حبكِ لي لا يمكنه إخراجي من هذه الحياة البائسة

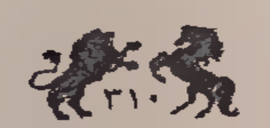
(مهرناز) : هل أنتِ نادمة على اختياراتكِ؟

(أنمار) وصوت بكائها يصدر من وراء قناعها الذهبي : ومتى كان لي خيار في أي شيء؟! .. منذ اليوم الأول الذي زجت بي فيه الخالة (أفسار) بين أحضان السحرة للحصول على طلاسمهم وأنا في دوامة لم تنتهِ .. دوامة دامية تدفع بي يميناً وشمالاً دون أن تأبه لما أريد أو أشعر ..

(مهرناز) : وجودكِ اليوم هنا هو من اختياركِ يا هجينة؟

(أنمار) بنبرة خالطها السخط والقهر : بل من اختيار من اختاروا أن يعبثوا معي! .. ولن أتوقف إلى أن يوقفني أحد! .. وحتى لو قلت بأني نادمة فهذا إقرار مني بالهزيمة وإن قلت لا فهذه كذبة! .. أنا معلقة! .. بين سماء أحلامي وأرض واقعي!

(مهرناز) : أنتِ مُحلقة ولستِ معلقة ..



(أنهار) : وأجنحتي تعبت من الرفرفة ومقاومة العواصف والرياح وأريد أن أرتاح ..

(مهرناز) : بالموت؟

(أنهار) : مهما حلقت الطيور في السماء ستدفن في الأرض .. أدركت بعد كل تلك السنوات أن الموت هو خلاصي الوحيد مما أنا فيه .. هو فقط هو من سيجلب لي الراحة الأبدية .. الخالة .. نازانين .. جريرة .. أرتميس .. كلهن رحلن .. وكلهن ارتحن ..

(مهرناز) بحزن : لمَ لا أستطيع معارضة حديثكِ المجنون هذا؟

(أنهار) ملتفتة إليها بقناعها الذهبي : لأني أقول الحقيقة .. أنا وأنتِ الخاسرتان لأننا فقط بقينا على قيد الحياة .. وهنّ الرابحات لأنهنّ متن

(مهرناز) ماسحة دمعة سالت على خدها موجهة نظرها لسفوح الجبال البيضاء : (جريرة) و(أرتميس) تزوجتا وأنجبتا قبل أن تقتلا ..

(أنهار) : وهل تزوجتِ أنتِ؟

(مهرناز) بنبرة مستنكرة : أنا؟ .. بالطبع لا ..

(أنهار) : ولمَ لا؟



(مهرناز) : ألم تنصتي لما أخبرتكِ به للتو؟ .. لقد قضيت معظم عمري في هذه الجبال الباردة بين هؤلاء المتنورين المعاتيه ولم يتسنَّ لي العيش لنفسي قط .. ثم إن الرجال يتزوجون من يريدون لكن النساء يتزوجنَ من يستطعنَ .. هذا ما تعلمته من حياتي

(أنهار) باسمة من وراء قناعها بنبرة متهكمة : حياتي علمتني أمرًا مختلفاً ..

(مهرناز) : ما هو؟

(أنهار) : أن الرجال يعاشرون من يستطيعون لكن النساء يعاشرن من يردن ..

ضحكت (مهرناز) ودفعت بكفها كتف (أنهار) قائلة : أنت أخبث مما أذكر يا هجينة!

(أنهار) تشاركها الضحك : حياتي لم تكن سيئة بالكامل وانغمست في بعض الملذات من وقتٍ لآخر!

(مهرناز) ممازحة وهي تمعن النظر بجسد الهجينة : يمكنني رؤية ذلك من الوزن الذي اكتسبته

(أنهار) تقوم بالمثل وتشد طرفاً من لباس أختها الخفيف : وأنا أستطيع الحكم من ملابسكِ التي فقدتها



ضربت (مهرناز) كف (أنهار) بيدها وقالت ضاحكة : لا تذكريني!

(أنهار) : هل أفهم من ذلك أنكِ لم تحظي بأي علاقة من أي نوع؟

(مهرناز) بتهكم : كنت أطعم مجموعة من الطيور نصبت عشها عند الكهف الذي أقمت فيه خلال فترة تدريبي مع (آغ) .. هل هذه تعتبر علاقة؟

(أنهار) باسمة بحزن مدركة مدى الحرمان الذي عانت منه أختها : بالطبع يا أختي .. بعض البهائم أكثر منفعة من البشر ..

(مهرناز) مستشعرة نبرة الشفقة في صوت (أنهار) : ربما .. لنغير الموضوع

وجهت الهجينة نظرها للأمام وقالت متفكرة : (جريرة) أصبحت أمّاً إذاً .. لا أستطيع تخيل ذلك .. (أرتميس) ربما .. لكن (جريرة)؟ .. كيف كانت علاقتها بزوجها وأطفالها؟

(مهرناز) تشاركها النظر للأفق : لا أعرف فلم أقابلهنّ بعد أن افترقنا عند ميناء ((بوشير)) وكل ما وصلني عنهنّ كان عن طريق الوزير (آغ) .. ولم يكن بالكثير .. كان ذلك شرطي لأبقى عنده وأستمر مع الطائفة

(أنهار) : والخالة .. كيف ماتت؟



(مهرناز) : جميع أعضاء العصبة قضين نحبهن على أيادٍ عربية .. سحرة .. أعتقد أنهم أرسلوا للانتقام منا لما فعلناه بعصبة ابنة وصبان .. لكني لا أعرف هوية القتلة .. (آغ) لم يخبرني

(أنهار) : هل سمعتِ بساحرة عربية تدعى العرجاء؟

(مهرناز) : من الغريب أن تسألي عنها

(أنهار) : لماذا؟ .. ما الغريب في ذلك؟

(مهرناز) : السيد الكبير تحدث عنها في أكثر من مناسبة ويريد موتها بشدة .. لمَ تسألين؟ .. هل تعتقدين أن لها علاقة بموت أخواتنا أو الخالة؟

(أنهار) : لا أعرف .. لكنها أشهر ساحرة عربية في الوقت الذي قضيته في ((عربستان)) ..

(مهرناز) : هل قابلتِها من قبل؟

(أنهار) : لا .. لكني قابلت بعض أفراد عصبتها .. فتيات لسن بساحرات

(مهرناز) : هل حاولنَ قتلكِ؟

(أنهار) : لم أبقَ معهنّ طويلاً .. افترقنا في اليوم الذي غدر فيه (دوسر) بي .. أقصد .. (مايزك) ..



(مهرناز) مشيرة لإحدى القمم المرتفعة في الأفق : هناك يقع ((عرين الأسد)) .. حيث ستجدينه

(أنهار) : هل أفهم أنكِ قررتِ مساعدتي في الأخذ بثأري؟

أنزلت (مهرناز) رأسها وقالت : الخيار الآخر هو أن أقف في وجهكِ ..

(أنهار) : أو تتركيني وشأني ولا تتعرضي لي

(مهرناز) : لا أستطيع فقد قطعت عهدًا مع ..

(أنهار) مقاطعة وقد بدأت تنفعل : مع من؟! .. مع المتنورين؟! .. المتنورين الذين دمروا حياتي وحياتكِ .. هل تسمعين نفسكِ؟!

(مهرناز) : وماذا بعد أن تأخذي بثأركِ منهم .. ستعودين لـ ((عربستان))؟ .. أرض أبيكِ؟ .. أم ستبقين في أرض أمك .. ((فارس))؟

(أنهار) ممعنة النظر بطائر يحلق على بعد منهما : هل تذكرين العبارة التي كانت توبخني بها الخالة كلما أخفقت في شيء؟

(مهرناز) : نعم .. «نواة التمر لن تنبت الفستق أبداً ..»

(أنهار) : هي بذاتها .. الخالة لم تكن توبخني فقط بل تعيّرني .. بأصلي وأصل أبي .. أرضه في قلبي ولن يتمكن أحد مهما كان من تغيير ذلك



(مهرناز) : أملكِ جزء منكِ مثل أبيكِ .. ودماؤها الفارسية لا تزال تجري في عروقكِ فلمَ تحاولين إنكارها؟

(أنمار) : أنا لا أنكرها لكني لن أكون واحدة منكم أبداً ..

(مهرناز) : ولن تكوني عربية كذلك .. عودتكِ لأرضهم لن تجعلهم يقبلون بكِ فهم بالكاد يقبلون بأنفسهم ..

(أنمار) : أعرف .. لذلك سأعود للمكان الوحيد الذي أحسست فيه بالانتماء .. المكان الذي انتزعتني منه الخالة وأنا مجرد فتاة لا تفقه من الحياة شيئاً .. هذا لو تسنى لي النجاة وتمكنت من الخروج من ((عرين الأسد)) وأنا أتنفس

(مهرناز) : تقصدين الملجأ الكئيب الذي أخذناكِ منه؟ .. لقد أسدينا لكِ صنيعاً بإخراجكِ من ذلك المكان

(أنمار) : ليتكم لم تفعلوا وتركتموني وشأني ..

(مهرناز) : كنتِ مجرد خادمة عند تلك العجوز .. هل كانت هذه الحياة التي تمنيتها؟

(أنمار) موجهة وجهها المقنع نحو أختها : وما الذي تغير عندما انتقلت للعيش معكم؟



صمتت (مهرناز) بوجه تجلى عليه الحزن والشعور بالندم على حديثهما ولم تجب ..

(أنهار) محاولة التخفيف عن أختها : لمَ لا تعودين معي؟ .. الأطفال سيحبونكِ .. ستكونين قدوة جيدة لهم

(مهرناز) باسمة : لا أريد أن أكون قدوة لأحد ..

(أنهار) : لماذا؟

(مهرناز) : لأنهم سيشعرون بالإحباط عندما يعجزون عن مجاراتي ..

(أنهار) ضاحكة : هل هذه ثقة أم غرور؟

(مهرناز) بتكبر مصطنع : بل حقيقة!

(أنهار) معيدة نظرها للأمام مستأنفة حديثها بنبرة جادة :

«((عرين الأسد)) هو محطتي الأخيرة .. وإن كنتِ ستسدين لي معروفاً بحق العشرة التي بيننا فتنحي عن طريقي ولا تعترضيه وسأكون ممتنة لكِ يا أختي ..»

(مهرناز) : السيد الكبير سيغفر لكِ جريمتك لو قبلتِ بمعاهدته .. أعطيني فرصة للحديث معه ومحاولة ..

(أنهار) مقاطعة وهي تخلع قناعها وتحدق بأعين أختها :

«ربما لو كان دمي فارسياً بالكامل لوجدت في نفسي قبولاً لعرضكِ



السخي هذا لكن لسوء طالعي وطالعكِ فدمي مختلط بدماء تفور غضباً وتغلي سخطاً لكرامتها ولا ترضى بغير العزة والأَنَفَة ..»

(مهرناز) : الهمجية ليست مدعاة للفخر .. ستموتين بمهانة وستذوقين الذل تحت وطأة القوة

(أنمار) معيدة القناع على وجهها متجاهلة حديث أختها لسيدكِ وحين نلتقي مرة أخرى خذي قراركِ .. إما بالتنحي جانباً أو محاولة إيقافي ..

وقفت (مهرناز) وقالت : لقد اتخذت القرار وأتمنى بحق ألّا أراكِ مجدداً ..

(أنمار) ونظرها للأمام : ولا أنا يا أختي .. ولا أنا ..

(مهرناز) مشيرة بسبابتها جانباً تجاه الجبال : إن كنتِ تريدين الوصول لـ ((جبال الملح)) فلا تكملي طريقكِ الحالي فالمتنورون على علم بخط سيركِ الآن

(أنمار) : كنت أظنكِ لا تريدين مني الوصول إليهم ..

حركت (مهرناز) أصبعها قبل أن تهم بالرحيل وأشارت لغابة كبيرة في السفح البعيد وقالت:

«تلك هي ((الغابة الزرقاء)) .. أفراد الطائفة يجدون صعوبة في



التعقب هناك .. غيري مساركِ واعبري من خلالها لو كنتِ بحق تريدين أن تملكي فرصة للوصول لـ ((عرين الأسد))

وجهت الهجينة نظرها حيث أشارت (مهرناز) التي سارت عائدة من حيث أتت تاركة أختها تجول بنظرها بين الغابة وقمة الجبل البعيد حيث يستقر ((عرين الأسد)) محدثة نفسها قائلة:

«إلى اللقاء يا حافية ..»



بازار بزرگ



نهض الجميع وأخمدن نارهن وأفرغن ما تبقى من محتوى القدر الصغير الذي ربطته (القيقبون) على ظهرها بخرقة شقتها من لباسها وبعد ما تجاوزن مدخل المدينة قادتهن (هند) لمدخل السوق لتتفرق المجموعات الثلاث وتندس بين مجاميع المتسوقين بعد تذكير الدعجاء لهن بالعودة للمكان نفسه حينما تتوسط الشمس السماء.

بعد مضي ما يقارب ثلاثة أرباع الوقت اشترى أغلب أعضاء العصبة معظم اللوازم التي يحتجنها من ملابس مصنوعة من الفراء الثقيل وبعض الأسلحة الخفيفة وكذلك عرجن بجزار وابتعن منه لحوماً مجففة بالملح كي تكون مصدراً للغذاء في حال لم يجدن طعاماً



طازجاً. خلال سير (نافجة) مع الدعجاء والصبية وقفت عند تاجر للخيول بعد ما جذبها ولفت انتباهها جواد أسود جميل فاقتربت منه وبدأت تمسح على خطمه قائلة :

«حتى الجياد هنا مختلفة عمّا هي عليه في أرضنا ..»

(دعجاء) : كل شيء مختلف هنا .. لكن ليس بالضرورة أسوأ

(نافجة) وهي مستمرة بالمسح على جبين الجواد الأسود بكفها : مهما كان جميلاً أنا متعصبة لكل ما هو عربي فقط ..

(دعجاء) : التعصب شقيق الحمق يا بنيتي ..

(نافجة) باسمة سارحة في أعين الجواد الواسعة : فليكن يا عمة .. فليكن .. هذا اختياري وأنا سعيدة به

في تلك اللحظة شعرت (نافجة) بلباسها يشد من خلفها فالتفتت لترى (عوراء) تقول لها متوسلة : «هل يمكنني الحصول على بعض المال يا عمة!»

(نافجة) : لأي غرض؟ .. لقد اشترينا لكِ كل ما تحتاجينه

(عوراء) : أريد شيئاً مهمّاً!

(نافجة) بنبرة مشككة : ما هو؟

(عوراء) بتردد : حلوى ..



(نافجة) رافعة رأسها : لا أرى أي أحد يبيع الحلوى هنا

(عوراء) مشيرة بسبابتها وراءها بحماس : بلى هناك! .. رجل يفترش الأرض ويعرض أنواعاً كثيرة منها!

(نافجة) باسمة للدعجاء : ما رأيك يا عمة؟

(دعجاء) : أنا لم أتناول الحلوى منذ زمن طويل .. إن كانت ستجلب لنا منها فأعطيها نصيبها من المال

(عوراء) قافزة في مكانها بحماس أكبر وابتسامة عريضة : سأحضر لكما ألذ حلوى لكن أعطياني المال!

(نافجة) ضاحكة وهي تمد المال لها : خذي ولا تبتعدي كثيراً ولا تهدري كل أموالكِ على الحلوى

قبضت (عوراء) على النقود وجرت مسرعة نحو البائع ..

(دعجاء) منادية عليها : ولا تتأخري!

وصلت الصبية المتحمسة للبائع وقد كان رجلاً بلحية سوداء طويلة وأعين بيضاء يمسك بيده عصا معدنية ركز طرفها على الأرض بجانبه وكان من الواضح أنه ضرير وقد أدركت (عوراء) ذلك بعد ما أشارت لقطعة خضراء رغبت بشرائها ولم يجب عليها ولكونها لا تجيد الحديث بالفارسية وجدت معضلة في التواصل معه لكن



حماسها دفعها لمد يدها لالتقاط القطعة الخضراء وقبل أن تمسها وجدت طرف العصا يضرب قمة رأسها بسرعة خاطفة لتضع كفها على مكان الضربة وهي تقول متألمة :

«لمَ فعلت ذلك؟! . أنا أحاول أن أشتري منك!»

لوح الرجل لها بعصاه المعدنية بالنفي ..

تجهمت الصبية وحاولت مجددًا التقاط القطعة لكن الرجل ضرب ظهر يدها بالعصا لتصرخ متألمة قائلة :

«هل تتظاهر بالعمى؟!»

لم يجبها الرجل وكرر حركته بالنفي بتحريك العصا يميناً وشمالاً ..

زفرت الصبية بعد ما فقدت الأمل وهمت بالرحيل لكن قبل أن تفعل شاهدت امرأة تقف بالقرب منها تبيع بعض الأقمشة في دكان صغير تشير لها بالاقتراب منها قائلة : «بيا! .. بيا!»

ترددت (عوراء) بالذهاب إليها في البداية لكن ترددها تبدد عندما نادت عليها المرأة بالعربية وقالت : «تعالي لا تخافي!»

اقتربت الصبية بحذر من بائعة الأقمشة ووقفت أمامها فقالت لها باسمة : أنتِ عربية؟

(عوراء) : هل تجيدين لسان العرب؟



(بائعة الأقمشة) باسمة وهي تلف قطعة من الخام على ذراعها : أجيد ألسنة كثيرة .. التاجر الفطن يتحدث بألسنة زبائنه لتزدهر تجارته؟

(عوراء) : وما هي تجارتكِ؟

(بائعة الأقمشة) : ألا ترين بضاعتي المعروضة؟

(عوراء) : تبيعين الخرق؟

(بائعة الأقمشة) ضاحكة : ماذا كنتِ تريدين من ذلك الرجل؟

(عوراء) موجهة نظرها للبائع بتجهم : كنت أريد شراء الحلوى فقط وهو قام بضربي! .. هذا التاجر لا يريد لتجارته أن تزدهر!

ضحكت المرأة بقوة أكثر أدمعت عينيها ثم قالت : أنتِ ظريفة!

(عوراء) بإحباط : ظريفة بلا حلوى ..

(بائعة الأقمشة) بتعجب : أي حلوى؟ .. الرجل يبيع الحجارة

(عوراء) باستغراب : حجارة؟ .. لكنها ملونة

(بائعة الأقمشة) : أعرف .. هناك من يقتني هذه الأشياء

(عوراء) ناظرة بعبوس للبائع المتربع : وكيف سيبيعها وهو يضرب زبائنه؟

(بائعة الأقمشة) : هل تريدين مني مساعدتكِ في شراء واحدة؟



(عوراء) وماذا سأفعل بحجارة؟ .. أريد حلوى .. لو كنت أريد حجارة فسألتقطها من الأرض

(بائعة الأقمشة) مستأنفة عملها : حسناً .. سآخذكِ لمكان يبيع الحلوى بعد ما أنتهي .. هل يمكنكِ الانتظار؟

(عوراء) بقلق : عمتي أخبرتني بألّا أتأخر

(بائعة الأقمشة) : لا تقلقي .. أمهليني بضع دقائق فقط وسأذهب معكِ لمحل الحلوى .. اتفقنا؟

(عوراء) : هل ستتركين دكانكِ دون رعاية؟

(بائعة الأقمشة) : ابنتي موجودة في الداخل وسأتركه في عهدتها

(عوراء) باسمة بسعادة : حسناً موافقة! .. شكراً يا خالة!

بقيت الصبية خلال انتظارها أن تنتهي بائعة الأقمشة تراقب بائع الحجارة باهتمام شديد وشد انتباهها أكثر أنه باع حجرًا لرجل ما مما أثار فضولها أكثر وأكثر وحين أحست بيد المرأة تحط على كتفها وهي تقول لها : «هيا لقد انتهيت .. لنذهب إلى بائعة الحلوى ..»

(عوراء) ونظرها مرتكز على بائع الحجارة وبنبرة عازمة : لا .. أريد أن أشتري حجراً

(بائعة الأقمشة) باستغراب : كنت أظنكِ غير مهتمة باقتناء الأحجار



(عوراء) بثقة : أنا أريد واحداً الآن! .. لا بد وأن هناك شيئاً مميزاً بحجارته وإلا لما أضاع وقته في عرضها والتجارة بها

(بائعة الأقمشة) : هل أنت واثقة؟

(عوراء) بثقة : نعم!

(بائعة الأقمشة) : حسناً كما تشائين .. هيا لنذهب إليه

وقفت الاثنتان أمام تاجر الحجارة وحينها تحدثت المرأة معه بالفارسية و(عوراء) تراقب وتنصت للحوار باهتمام ولاحظت وسط الحديث الذي دار بينهما أن الرجل تجهم وبدأ يتحدث بنبرة عصبية فقالت : هل يرفض أن يبيعها لكِ أنت أيضاً؟

(بائعة الأقمشة) : لا .. يقول إنه لن يبيعها لكِ أنت بالذات

(عوراء) بخليط من العجب والغضب : لماذا؟! ماذا فعلت له؟!

تحدث الرجل بالعربية وقال : لا ترفعي صوتكِ أمام دكاني ..

(عوراء) بعصبية : وتتحدث العربية كذلك! .. وعن أي دكان تتحدث؟! .. هل تسمي هذه القماشة المفروشة دكاناً!!

صمت تاجر الحجارة ولم يرد عليها واكتفى بالنظر أمامه بأعينه البيضاء ..

(عوراء) مستأنفة ثورتها الساخطة : لمَ تتظاهر بالعمى والجهل؟! .. من الواضح أنك تمتهن الاحتيال!



(بائعة الأقمشة) : هدئي من روعكِ يا صغيرتي .. ما هكذا تؤخذ الأمور

(عوراء) بخليط من القهر والحزن وعيناها تلمعان بالدموع : لمَ لا يريد أن يبيعني الحجارة!

(تاجر الحجارة) بهدوء وشيء من التهكم : كنت أظنكِ تريدين الحلوى ..

(عوراء) صارخة فيه بأعين دامعة : لا! .. أريد حجارة الآن!

تبسم الرجل وأشار لبائعة الأقمشة بالرحيل وتركهما وحدهما ..

وضعت المرأة كفها على رأس (عوراء) وقالت قبل أن تسير نحو دكانها : عندما تنتهين عودي لي .. أريد أن أعطيكِ شيئاً

(عوراء) مستنشقة دموعها وقد بدأت تهدأ : حاضر يا خالة

بعد ما ابتعدت بائعة الأقمشة عنهما تحدث تاجر الحجارة وقال : امسحي دموعكِ!

(عوراء) ماسحة دموعها بظهر يدها : أنا لا أبكي ..

(تاجر الحجارة) : هذه الحجارة تباع فقط لمن يعرف قيمتها وليس لمن يرغب في اقتنائها

(عوراء) : معي مال .. كم تريد؟



(تاجر الحجارة) ضارباً بالعصا على الأرض : قيمتها وليس ثمنها يا صبية! .. القيمة شيء نهبه نحن للأشياء والثمن مجرد تعويض بسيط عنها ..

(عوراء) : لم أفهم .. هل تقصد أنها غالية؟

(تاجر الحجارة) مشيرًا بطرف العصا المعدنية للحجر الأخضر الذي اختارته (عوراء) سابقاً وقال : لمَ اخترتِ هذا الحجر دونَ غيره؟

(عوراء) : أعجبني لونه .. ثم كنت أظنه حلوى في البداية وليس حجراً

(تاجر الحجارة) موجهاً طرف العصا لوجه الصبية : وبعد ما علمتِ بأنه حجر .. لمَ لا تزالين ترغبين به؟

(عوراء) رافعة أكتافها عالياً بنبرة حائرة : لا أعرف .. بالرغم من أنه حجر إلا أني أريده .. أريده وبشدة

(تاجر الحجارة) : سأخبركِ لمَ تتوقين للحصول عليه الآن .. لأن قيمته عندكِ ارتفعت بعد ما منعتكِ من اقتنائه .. الحجر لا قيمة له إلا ما نعطيه نحن إياها . .هل فهمتِ؟

(عوراء) : لا ..

(تاجر الحجارة) : كم معكِ من المال؟



أخرجت الصبية كل ما في جيبها من نقود ومدتها للرجل الضرير الذي أخذها من يدها وتفحصها بسبابته على كفه المبسوطة قاضماً بأسنانه على عدد منها ثم قال : «خذي الحجر ..»

(عوراء) : هل ستأخذ كل أموالي؟

(تاجر الحجارة) وهو يضع النقود في جيبه : هذه قيمة الحجر .. تريدينه أم لا؟

تفكرت الصبية قليلاً وهي تتأمل الحجر الأخضر وفي النهاية مدت يدها والتقطته قائلة : «سآخذه ..»

(تاجر الحجارة) ملوحاً بعصاه المعدنية : هيا ارحلي!

ضمت (عوراء) الحجر ببهجة كبيرة وهمت بالعودة لكنها توقفت مستذكرة بائعة الأقمشة فاستدارت وجرت نحو دكانها وحينما وصلت عندها قالت بسعادة : لقد حصلت على الحجر!

(بائعة الأقمشة) باسمة : مباركٌ عليكِ ..

ذابت ابتسامة الصبية وتحولت لقلق وخوف حينما تذكرت أنها قد أهدرت كل مالها ولم تشترِ الحلوى لعمتيها كما وعدتهما وبدأت تخشى عتابهما وتأنيبهما لهدر مالها ..



لاحظت المرأة ملامحها التي تغيرت فجأة وقالت : ما بكِ يا عزيزتي؟

حكت لها (عوراء) ما كان يدور في بالها فتبسمت لها وهي تخرج شيئاً من تحت مجموعة من لفائف الأقمشة أسفل منها وقالت : «لا تقلقي .. خذي ..»

مدت بائعة الأقمشة للصبية ما يشبه الإطار الخشبي المستدير بأطراف مرتفعة رصعت بدوائر نحاسية صغيرة شد على جوانبه قطعة جلدية رقيقة ..

(عوراء) تأخذه منها بوجه متعجب : ما هذا؟

(بائعة الأقمشة) : انظري داخله ..

نظرت الصبية وسط الإطار الخشبي لترى أنه امتلأ بحلوى الفستق بأشكال وألوان متعددة ..

(عوراء) ببهجة عظيمة : هل هذا لي!!

(بائعة الأقمشة) : بالطبع .. هذه هدية مني لكِ

(عوراء) تقفز فرحاً : شكراً! يا خالة شكراً!

(بائعة الأقمشة) باسمة : على الرحب والسعة يا جميلة

(عوراء) : محركة الإطار مستكشفة جوانبه : لكن ما هذا الصحن الغريب؟



(بائعة الأقمشة) : هذا دف وليس بصحن

(عوراء) : دف؟ .. ما هو الدف؟

(بائعة الأقمشة) : عندما تنتهين من تناول الحلوى ستعرفين .. هيا عودي كي لا تتأخري على أهلكِ

في ذلك الوقت اقتربت الشمس من توسطها كبد السماء ومعه دنا الموعد الذي حددته الدعجاء للعصبة للالتقاء عند مدخل السوق. نظرت (نافجة) لجماهير الناس على مد بصرها وسط السوق المكتظ وحدثت نفسها بخليط من القلق والتساؤل قائلة : «أين ذهبت ؟»

(دعجاء) : هذه الصبية محظوظة ..

(نافجة) بعنق ممدودة وهي لا تزال تبحث بعينيها بين مرتادي السوق : ستكون محظوظة إن لم أعاقبها حين أراها

(دعجاء) : عجباً كيف نتمنى ما هو بين أيدينا ونتحسر على وقتٍ لم يمضِ بعد ..

(نافجة) ملتفتة إليها : ماذا تقصدين يا عمة؟

تبسمت الدعجاء ولم تجب على (نافجة) السارحة فيها وخلال ذلك سمعت صوت (عوراء) تنادي عليها وهي تجري تجاهها : عمة (نافجة)! عمة (نافجة)! انظري!



أدارت العرجاء نظرها ورأت (عوراء) تقف رافعة الدف للأعلى بابتسامة عريضة وهي تقول : انظري ماذا أحضرت!

(نافجة) متجاهلة الدف ومحتواه موجهة حديثها الغاضب للصبية المبتهجة : لمَ تأخرتِ!! .. ألم أنهكِ عن الابتعاد عنا!

(عوراء) منزلة الدف ورأسها وبنبرة حزينة وآسفة : المعذرة لم أشعر بالوقت

(نافجة) بعبوس : هل حصلتِ على ما تريدين؟!

رفعت (عوراء) الدف وملامح الحزن لم تتبدد من عليها مشيرة لحلوى الفستق التي ملئ بها وقالت : نعم ..

(نافجة) وهي لا تزال ساخطة : ما هذا؟!

مدت الدعجاء يدها وسط الدف والتقطت قطعة منها قائلة : تبدو طيبة ..

(عوراء) تتبسم قليلاً محدثة الدعجاء : أنا لم أتذوقها بعد

(نافجة) : وهل كان لزاماً أن تشتري هذا الدف؟! .. كم أهدرتِ من المال؟! .. وكم تبقى معكِ؟!

(عوراء) بتردد : في الحقيقة ..

(نافجة) مقاطعة : أعيديه لي كي أحتفظ به لكِ!



(عوراء) بقلق وهي تضم الدف لصدرها : لم يبقَ شيء

(نافجة) وسخطها يتصاعد : كيف لم يبقَ شيء؟! .. قيمة ما جلبته من حلوى وحتى مع ذلك الدف لا تعادل ربع ما كنتِ تملكين!

(عوراء) : اشتريت شيئًا آخر

(نافجة) محاولة كظم غيظها : اشتريت ماذا؟!

(دعجاء) : رفقاً بالصبية يا جدعاء ..

(عوراء) مخرجة الحجر الأخضر من جيبها : اشتريت هذا

(نافجة) بهدوء محاولة استيعاب ما تراه : هذا مجرد حجر ..

(دعجاء) آخذة الحجر وهي تلوك قطعة الحلوى : الحجر جميل بالفعل

(عوراء) باسمة ببهجة : أليس كذلك يا عمة؟! .. جميل وثمين أيضاً!

نهرت (نافجة) الصبية بسخط بعد ما أخذت الحجر من يد الدعجاء وقالت : هل هذا ما اتفقنا عليه؟! .. تهدرين مالك في أمور فارغة!

(عوراء) منزلة رأسها : آسفة يا عمة ..

(نافجة) تهز الحجر في وجه الصبية قائلة : لقد تعرضتِ للاحتيال؟! .. أرشديني لمن باعكِ إياه كي نستعيد مالكِ! .. هيا تقدمي أمامي!!



(دعجاء) بهدوء : لمَ أنتِ غاضبة الآن؟

(نافجة) : ألا ترين ما فعلته يا عمة؟!

(دعجاء) : لا أرى شيئاً سوى أنها اشترت ما تريد بحر مالها ..

(نافجة) : لكن تصرفها كان أحمقَ!

(دعجاء) وكأنها تلمح لشيء ما : فليكن .. هذا اختيارها وهي سعيدة به ..

صمتت (نافجة) وبقيت تحدق بأعين الدعجاء حتى قاطعتها (عوراء) وهي تشد لباسها وقالت بحزن : «لا تغضبي يا عمة سأعيده للتاجر وأستعيد مالي ..»

(نافجة) وهي لا تزال تنظر لأعين الدعجاء وبنبرة أقل حدة : لا .. احتفظي به إن كنتِ ترغبين

(عوراء) : لا أريده إن كنتِ ستغضبين مني ..

(نافجة) وسرحانها بوجه (دعجاء) ينقطع مديرة نظرها نحو الصبية المستاءة وبنبرة هادئة معيدة الحجر الأخضر إليها : لا يا عزيزتي .. لست غاضبة .. احتفظي بالحجر ..

تبسمت الدعجاء وهي تأخذ قطعة أخرى من حلوى الفستق وقالت :

«هيا لنعود .. لقد تأخرنا ..»



بعد سيرهن لمسافة قصيرة وصلت الثلاث لمدخل السوق ليجدن البقية في انتظارهن وكان واضحاً عليهن أنهن اشترين الكثير من الأشياء فـ (رافدة) تسلحت بسيف ودرع جديدين محتفظة بسيفها القديم وكذلك خنجر ثبتته على خصرها و(كُميت) امتلأت جعبة سهامها بسهام ذات رؤوس مصنوعة من الفضة وكنّ جميعاً يلبسنَ ملابس صوفية ثقيلة.

(دعجاء) ماسحة بأناملها على لباس (هند) قائلة : فراء جميل

مدت (هند) الملابس الخاصة بـ (نافجة) و(دعجاء) قائلة : إنها محُوكة من جلود الأكباش .. ستكون حماية جيدة لنا من برد ((جبال الملح))

(نافجة) متفحصة الفراء : وبرها سميك وناعم

(القيقبون) وهي تحك عنقها : عن أي نعومة تتحدثين؟ .. أشعر وكأني لبست بساطاً من الشوك

(هند) : ستعتادينه .. شوكها أهون من حراب الصقيع القارسة

(عوراء) : أين لباسي؟

(رافدة) : بائع الفراء لم يملك المزيد منها فقد اشترينا كل القطع التي كانت بحوزته



(عوراء) بإحباط : هل معنى ذلك أني سأسير في البرد؟

(دعجاء) تمد فراءها لـ (عوراء) : خذي يا صبية ..

(نافجة) : لا يا عمة .. البرد قارس ولن تتحملي قسوته .. سأعطيها لباسي

(دعجاء) : إن أعطيتها لباسكِ فسأعطيكِ لباسي .. لذا اختصري الأمر واتركيها تأخذه

(نافجة) : لكن ..

(دعجاء) : لا تقلقي عليّ .. أنا لا أشعر بالبرد مثلكنّ

(رافدة) مقتربة من (عوراء) خلال لبسها للفراء بعد ما وضعت الدف على الأرض : ما هذا؟

(عوراء) وهي تمد ذراعها في كُم الفراء : حلوى .. خذي منها إنها لذيذة

(رافدة) ملتقطة قطعة منها واضعة إياها في فمها : كنت أتحدث عن الدف ..

(القيقبون) : دف؟ .. لمَ نحتاج لدف؟

(كُميت) باسمة : هل هذا سيكون سلاحكِ يا (عوراء)؟



رفعت البدوية الدف وقلبته في الهواء أمام نظرها ضاحكة مسقطة قطع الحلوى على الأرض قائلة : ربما تريد أن ترقص وتغني للمتنورين وتزعجهم حتى الموت!

(عوراء) منتزعة الدف من يديها بغضب : لا دخل لكن بي!

(القيقبون) بتهكم : قد تكون فكرة جيدة بدل الصدام معهم .. وأنا سأشعل النار لتسخينه

(عوراء) تجمع قطع الحلوى المتناثرة على الأرض وتضعها في الدف بتجهم : «لا تغضبنني فأنا لا أطاق حين أغضب ..»

(رافدة) ضاحكة : الصغيرة تهددنا!

(كُميت) باسمة : كفا عن استفزازها ..

نزلت الحجازية على ركبها وأخذت تساعد الصبية في جمع الحلوى وهي تقول لها : الدف جميل لا تلقي لهما بالاً

(عوراء) وهي مستمرة بجمع الحلوى ودمعة تنساب من عينها : والحلوى لذيذة كذلك .. جربي واحدة

أنزلت (كُميت) لثامها بسبابتها وتناولت قطعة منها ثم قالت : فعلاً .. لذيذة جدّاً



(دعجاء) موجهة حديثها لـ (هند) : هل بقي لنا شيء هنا يا ابنة معناد؟

(هند) : لا .. وجهتنا التالية ستكون الطريق المؤدي لمدخل الغابة وهو يبعد مسيرة نصف نهار من هنا وبعد تجاوزها سنكون أمام سفوح ((جبال الملح))

(نافجة) : وكم سنحتاج من الوقت لعبور الغابة ؟

(هند) : لو سرنا نهاراً وبتنا ليلاً فسيستغرق منا ذلك ثلاثة أيام أو أقل بقليل

(القيقبون) خلال تثبيتها القدر الصغير على ظهرها وهي تشد بقبضتها على حقيبتها الجلدية: ألم تشترِ أيٌّ منكن أحذية لنا؟

صمت الجميع ولم يجب عليها أحد لأنه ولا واحدة منهن اقتنت حذاءً ..

(القيقبون) تشق طريقها بينهنّ قائلة تجاه مخرج السوق :

«نسير ثلاثة أيام حفاة في البرد؟ .. أظن أننا لن نصل إلا وقد تجمدنا أو استنزفنا كل طاقتنا وسنكون وقتها لقمة سائغة ..»

(دعجاء) تلحق بها قائلة :

«المهم أن نكون لقمة مسمومة ..»



حمية حامية في أرضٍ باردة



سارت العصبة خلف الدعجاء حتى وصلن لمخرج المدينة ومنها استمررن بالسير حولها للتوجه شرقاً وخلال تقدمهن أقبلن على مجموعة من النساء والرجال يحيطون بنصب حجري يبكون ويهذون عنده وبعضهم كان يقبض التراب المختلط بالثلج ويمسح به على وجهه بلسان ممدود وكأنه يتذوقه.

توقفت (نافجة) ونظرت إليهم باشمئزاز قائلة : من هؤلاء؟

(دعجاء) متوقفة هي الأخرى مع البقية : قبوريون ..



(هند) : لا خوف منهم .. لنكمل السير

(رافدة) : ماذا يعني قبوريون؟

(القيقبون) : مجموعة من الحمقى يمجدون الموتى ويبحثون عن البركة عند أضرحتهم

(عوراء) : وهل هناك بركة فيها؟

(كُميت) متأملة سيدة ساجدة على أرض طينية ورجل يضع قدمه على رأسها : وأي بركة تأتي مع المهانة؟

(عوراء) وهي تشاركها النظر للمشهد نفسه وبتعجب : لمَ يدوس عليها؟ .. هل اقترفت ذنباً ما؟

(هند) : لكل ضريح كاهن وهو المسؤول عن جمع الهبات ونقل التوسلات .. وهذه المرأة تسمح له بأن يطأ عليها تيمناً وتبركاً به وبضريحه

(نافجة) مشيرة بسبابتها لرجل مقيد المعاصم يُجر بحبل مربوط بعنقه من قبل مجموعة تقترب من الضريح : لمَ يسحبونه هكذا؟

(هند) : هذا عبد مأسور .. غالباً اشتروه من السوق ليقدموه كقربان

(كُميت) : قربان؟



(القيقبون) : هذا شيء مألوف .. الكاهن يطلب قرابين إن كان المتضرع يبحث عن شفاء من علة ويكون القربان حسب شدة المرض واستفحاله

(رافدة) : كيف يصدقونه؟ .. أين عقولهم؟

(دعجاء) : القطيع يسير خلف صوت المزمار الشجي حتى وإن كان العازف أعمى .. هيا لنستأنف طريقنا

هم الجميع بالسير لكن (نافجة) بقيت واقفة مكانها تمعن النظر بالعبد وهو يساق لصخرة وقف الكاهن عندها ممسكاً بخنجر فوق رأسه استعدادًا لإراقة دم الأسير عليها. لاحظت (كُميت) ذلك فعادت أدراجها وقالت : هيا يا قائدة .. لقد تحركنا

(نافجة) وهي سارحة في العبد ورأسه يدفع عنوة على سطح الصخرة : ذلك الأسير ..

(كُميت) موجهة نظرها له وهو يصارع الموت محاولاً التفلت من الممسكين به : ما به؟

(نافجة) : عربي .. من «مضر» ..

(كُميت) : هل أنتِ واثقة يا قائدة؟



(نافجة) دون أن تحيد بنظرها : أريد نصل سهمكِ في قلب ذلك الكاهن قبل أن يصل نصل خنجره لعنق أخينا ..

في لحظة خاطفة شدت الحجازية سهماً على قوسها وأطلقته تجاه الكاهن الذي كان للتو يهم بنحر الأسير المثبت بأيادي الناس المجتمعين حول الضريح وحين اخترق رأسه الفضي قلبه أطلق صرخة مدوية فجعت الزوار ولفتت انتباه العصبة التي استدارت عائدة عدا الدعجاء التي بقيت واقفة مكانها تراقب ما يحدث بصمت وحينما وصلن رأين (كُميت) تنزل قوسها فقالت لها (رافدة) بنبرة مصدومة : لمَ فعلتِ ذلك؟!

(كُميت) بهدوء معلقة القوس خلف ظهرها : كانت أوامر القائدة (هند) وهي تراقب الكاهن يسقط أرضاً والناس يهربون صارخين : لقد اقترفنا خطأً كبيراً ولفتنا الانتباه إلينا

(القيقبون) بخليط من الحسرة والسخرية : لم أفهم يوماً عقل هذه المرأة المجنونة

عندما خلا الضريح من الناس عدا جثة الكاهن والعبد الجاثي المربوط من معاصمه وعنقه تقدمت (نافجة) ومن خلفها البقية باستثناء الدعجاء وسارت نحوه حتى وقفت عنده وقالت : ما اسمك يا أخي؟



رفع الرجل رأسه وقال بتعجب : عرب؟ .. لم تطرب أذني للساننا منذ زمنٍ بعيد

(نافجة) لـ (رافدة) : حرري أخاكِ يا بدوية

(رافدة) : حاضر يا عمة

بينما قامت (رافدة) بقطع الحبال المقيدة للرجل بخنجرها حدثته (القيقبون) قائلة : ما الذي قادك لهذه الأرض ..؟

الرجل وهو ينهض ناصباً قامته داعكاً على سواعده المزرقة : أسرت في معركة ضد مجموعة من اليعاقبة .. أنا (عدنان بن قيس)

(نافجة) : أنت من قبائل «مضر» وهم أهل تجارة ولم أعهدهم يرفعون السلاح بالرغم من بسالتهم إلا في الشدائد فقط

(عدنان بن قيس) باسماً : فراستكِ حادة يا أخت العرب .. أنا فعلاً تاجرٌ معروف في الحجاز وكنت أرافق قافلة مع مجموعة أخرى من التجار متوجهين لـ ((اليمامة)) لكن مجموعة من ((اليعاقبة)) أغاروا علينا بصحبة فرسانهم .. تعرفت على بعضهم .. تجار منافسون لنا وعلى ما يبدو أنهم كانوا يريدون التخلص منا ليستولوا على حصتنا في السوق

(هند) : وقاموا بسلب تجارتكم وحريتكم ..



(عدنان بن قيس) : نعم .. بعضنا قُتل ومن تبقى أُسر وسيق لسوق النخاسة .. تم بيعي على تاجر أعجمي نقلني معه حينما عاد لأرضه وقام هو ببيعي على تاجرٍ آخر سلمني لهؤلاء المجانين لعلاج ابنه المريض على ما أظن ..

(نافجة) أنت حرٌّ الآن ..

(عدنان بن قيس) : وأنا ممتن لكِ يا أصيلة .. ممتن لكنّ جميعاً

(كُميت) : هل ستستطيع العودة لأرضنا؟

(رافدة) : هل تحتاج لشيء؟ .. ماء أو زاد؟

(عدنان بن قيس) جائلاً بنظره حوله ماسحاً بكفوفه على زنديه : سأتدبر أمري

خلعت (نافجة) فراءها ومدته له قائلة : خذ ..

(عدنان بن قيس) متناولاً الفراء من يدها : لا أعرف كيف أرد لكنّ ..

(القيقبون) مقاطعة : لا تُهِنا بهذا الحديث

اقتربت عجوز القدر منه مخرجة صرة صغيرة من حقيبتها الجلدية قائلة : ضع بعض هذا المعجون تحت لسانك كلما أحسست بالإرهاق أو البرد.. سيؤجج نارك وستكون كالجواد الجامح



تبسم الرجل وأخذ الصرة ولبس الفراء بينما قامت (نافجة) بإخراج ما تبقى معها من مال ووضعته بين كفوفه قائلة : رافقتك السلامة يا أخي ..

قبل أن يهم بالرحيل تقدمت (عوراء) نحوه رافعة دفها قائلة : هل أنت جائع؟

أخذ (عدنان) قطعتين من الحلوى باسماً وهو يقول : شكراً يا بنيتي

وضعت (نافجة) كفها على رأس (عوراء) ومسحت عليه بابتسامة رضا ..

رحل الرجل وسار مبتعدًا عن المجموعة التي وقفت عند الضريح تراقبه ..

(كُميت) نازعة سهمها من جثة الكاهن : ألن نرحل نحن كذلك؟

(نافجة) مستديرة تجاه طريق العودة لطريقهن : بلى .. هيا بنا

قبل أن تخطو العرجاء خطوة وجدت نفسها تطير جانباً في الهواء وكأن شيئاً قوياً قد ارتطم بها لتسقط على الأرض زاحفة بوجهها على الطين والثلج لمسافة طويلة ..

صرخت (عوراء) عندما شاهدت ما حدث وجرت نحوها لتفقدها ..



(رافدة) مستلة سيفها رافعة درعها : ما الذي يحدث؟!

(كُميت) تشد سهماً متأهبة : نحن نتعرض لهجوم!

(القيقبون) واضعة قدرها عند أقدامها : لقد أخذوا وقتهم وتأخروا هذه المرة ..

(هند) باحثة بنظرها عن مصدر الهجوم : ما فعلناه عند الضريح لفت انتباه أحدهم واستفزه بلا شك

كان ذلك يحدث تحت مرأى ومسمع الدعجاء التي جلست متربعة تراقب واختارت البقاء بعيدًا دون أن تتدخل ..

(عوراء) تهز جسد عمتها المستلقية على بطنها بقلق شديد :

هل أنت بخير يا عمة! .. انهضي!

لم تستجب (نافجة) لها لأنها فقدت الوعي بمجرد ارتطامها بالأرض ..

في تلك الأثناء كان البقية يقفن في دائرة وظهورهن ملصقة بعضها ببعض وأعينهن الحائرة تبحث حولهن ..

(القيقبون) : هل ترين شيئاً يا ابنة معناد؟

(هند) بنظرات حادة متفحصة : لا .. لكن كنَّ متأهبات .. هناك شيء يحوم حولنا



(رافدة) لـ (كُميت) : أين نظركِ الحاد الذي تباهين به؟! .. نحن أحوج ما نكون إليه الآن!

(كُميت) وسهمها المشدود موجه للأفق الخاوي : لو كان هناك شيء لرأيته ..

(رافدة) بعصبية : من ضرب العمة إذاً؟!

قبل أن تجيب الحجازية أحست بشيء يمسك أقدامها فأنزلت نظرها لترى يدين قد خرجتا من تحتها وقبضتا على سيقانها لتصرخ محذرة البقية : «تحت الأرض!»

لم تلحق أي منهنّ رؤية ما رأته (كُميت) لأنها سُحبت بسرعة خاطفة للأسفل ولم يبقَ منها فوق التراب سوى رأسها بعد ما سقط سلاحها من يدها جراء تلك السحبة القوية. رمت (رافدة) بسيفها ودرعها وجثت عندها وبدأت تحفر بهوس بعد ما عجزت عن سحبها في محاولة لإخراجها وخلال قيامها بذلك انتبهت (هند) للسيف وهو يغوص تحت التراب ببطء مع الدرع وكأنهما يغرقان.

(هند) موجهة حديثها لـ (القيقبون) : الأرض تتحرك أسفل منا .. من يهاجمنا يختبئ تحتها ويستخدمها ضدنا



(القيقبون) وهي تشاهد السيف والدرع يختفيان بالكامل : تنحي جانباً إذاً ..

قبضت عجوز القدر يديها لتشتعل إحداهما بلهبٍ أحمر والأخرى بلهبٍ أزرق ثم قامت بغرسهما في الأرض عند أقدامها و(هند) تراقبها قائلة : ماذا تفعلين؟

(القيقبون) باسمة بخبث وأذرعها وأكتافها تهتز : لا يخرج الجرذان من جحورها إلا النار أو الماء .. والماء شحيح لدينا

تمتمت (القيقبون) بطلسم اهتزت على أثره الأرض لتنشق ويقفز من تحتها شيء مشتعل وقف أمامهن لم تتضح ملامحه إلا عندما أخذ يلف حول نفسه بسرعة كبيرة مطفئاً النار الممسكة به كاشفاً عن نفسه.

امرأة بشعرٍ أحمر طويل تلبس جلباباً بلون مشابه للون شعرها وعينيها الشيطانيتين اللتين اكتحلتا بكحل أحمر كذلك ..

(هند) لـ (القيقبون) ونظرها المتجهم مرتكز على المرأة الحمراء : اتركيها لي ..

(القيقبون) : أنا سأذهب لأطمئن على ابنة أملج .. لا تمضي وقتاً طويلاً معها



(هند) وهي تراقب لسان المرأة الطويل يتدلى من فمها كالأفعى وترى تسع نجوم موشومة عليه: «لا تقلقي فهي ليست نداً لي ..»

اندفعت ابنة معناد تجاه المتنورة الحمراء ووجهت كفيها المفتوحة نحوها لضربها بأظافرها الطويلة وما أن أصابتها حتى خارت المرأة وسقطت مباشرة.

(هند) بتعجب مراقبة المتنورة المنكبة على وجهها: لم أكن أظن أن الأمر سيكون بتلك السهولة

(رافدة) صارخة من خلفها بعد ما تمكنت من إخراج أختها: خذي حذركِ!

التفتت (هند) وراءها لترى امرأة أخرى مشابهة للواقعة بين أرجلها توجه لها ضربة قوية ألقت بها للخلف وأسقطتها. نهضت ابنة معناد لتجد متنورتين متطابقتين في الشكل تقفان في مواجهتها.

(هند) وعيناها تتحولان للاحمرار التام: حيلة جميلة ..

فتحت ابنة معناد كفيها وسحبتهما للوراء قبل أن تدفع بهما للأمام مطلقة قذائف نارية تجاه المتنورتين اللتين احترقتا في الحال.

(هند) بأنفاس ثقيلة لشعورها ببعض الإرهاق: فلتذهبي للجحيـ..

لم تكمل ابنة معناد جملتها قبل أن تشعر بأن ذراعيها تقوضان



وتشدان خلفها وحين التفتت شاهدت المتنورتين تمسكان بها من أطرافها فقالت وهي مصدومة : كيف؟!

أجابتها بالفارسية متنورة ثالثة مطابقة لهما ظهرت أمامها وقالت :

«لا أحد يقطع الشجرة من أغصانها ..»

حاولت (هند) ضرب من كانت تقف أمامها بقدمها لكنها لم تلحق لأنها وجدت شعر تلك المتنورة الأحمر الطويل يلتف حول عنقها ويكتم أنفاسها وتدريجيّاً شارك الاثنتان لف شعورهما حول جسد ابنة معناد حتى غطينها بالكامل وكأنها شرنقة. تضاءلت قوى (هند) تدريجيّاً وشعرت فعليّاً أنها ستموت لكن قبل أن تفقد الوعي بدأت تسمع صرخات تنطلق من المتنورات الثلاث تزامناً مع تضاؤل قبضة شرنقة الشعر عليها إلى أن تحررت منها تماماً لكنها لم تتمكن من الحفاظ على توازنها والوقوف على أقدامها لشعورها بالدوار والغثيان جراء انقطاع الهواء عنها لمدة طويلة ونزلت على ركبتيها تلتقط أنفاسها.

استمر صراخ المتنورات ولم يتوقف فرفعت (هند) نظرها لمعرفة السبب لترى (دعجاء) تقف عند الضريح وتنبش محتوى القبر مخرجة بعض العظام رامية بها وراءها.



احترقت متنورتان في الحال وبقيت واحدة انطلقت تجاه الدعجاء تصرخ بغضب وقبل أن تصطدم بها ارتكز سهم (كُميت) في أذنها لتتعثر أقدامها وتبدأ بالترنح على جانبها سقوطاً على الأرض لكنها لم تصل لسطحها قبل أن يمر نصل سيف (رافدة) الآخر عبر عنقها فاصلاً رأسها عن عنقها.

وقع الجسد والرأس وسط بركة كبيرة من الدم الأزرق ..

(القيقبون) من خلفهما وهي تسند (نافجة) على كتفها : أنتما أكثر مهارة مما ظننت ..

(كُميت) باسمة : الفضل يعود للقائدة (دعجاء)

(دعجاء) ناهضة من أمام القبر المنبوش : لم تكن هذه المواجهة ضرورية ..

(نافجة) رافعة ذراعها من على (القيقبون) و(عوراء) متشبثة بلباسها بنظرات قلقة عليها : «لم أكن لأترك عربياً يموت كقربان على يد هؤلاء المعاتيه ..»

لم تجب الدعجاء عليها واكتفت بالنظر لـ (هند) التي وقفت على أقدامها وسارت نحوهن بخطواتٍ مترنحة بعض الشيء ..

(رافدة) لـ (هند) بقلق : هل أنتِ بخير؟



(هند) والإرهاق بادٍ عليها : سأكون كذلك .. هيا .. الشمس لن تبقى طويلاً في السماء ودخول الغابة ليلاً ليس أمرًا حكيمًا

(القيقبون) تشد على حقيبتها وقدرها خلف ظهرها : ما الذي حدث يا ابنة معناد؟ .. كنت اظن أن تلك المتنورة ليست ندّاً لكِ؟

(هند) وهي تدعك عنقها : أُخذت علي حين غرة لا أكثر ..

(دعجاء) ونظرها لـ (نافجة) وحديثها لـ (هند) :

«لا تحملي همّاً يا ابنتي فالحماسة تأخذنا أحياناً لأماكن لا نرغب بها .. استجمعن أنفسكنّ ولنكمل طريقنا لمدخل الغابة ..»



القلب المقلوب



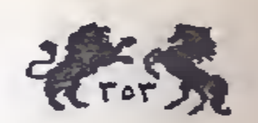
في القاعة الكبرى بـ ((عرين الأسد)) دخلت (مهرناز) بعد عودتها من طريق التجار بين ((لوه بور)) و((جبال الملح)) ووقفت أمام السيد الكبير واضعة كفيها على بطنها المكشوف منزلة رأسها دون أن تقول شيئاً ..

(السيد الكبير) : أرى أنكِ عدتِ بأيدٍ خاوية .. أين رأس أختكِ؟

(مهرناز) رافعة نظرها وبنبرة واثقة : وصلت إليها بعد ما تمكنت من تصفية ثلاثة قتلة أرسلوا لتعقبها لكني لم أستطع قتلها ..

(السيد الكبير) : لمَ أنتِ أمامي تتنفسين إن كانت تغلبت عليكِ؟

(مهرناز) : أنا لم أقاتلها من الأساس .. تحدثت معها فقط



(السيد الكبير) بشيء من التفهم : وعن ماذا تحدثتما؟

(مهرناز) : حاولت إقناعها بالعدول عن القدوم إلى هنا لكنها رفضت

(السيد الكبير) : أنا معجب بصراحتكِ واختياركِ عدم الكذب عليّ لكن هذا لن يعفيكِ من سخطي

(مهرناز) بوجه صارم : أنا مستعدة لأي شيء

السيد الكبير : هل تفكرين بالوقوف في وجهي كما يريد أن يفعل العرب الحفاة؟

(مهرناز) بخليط من القهر والكبرياء : من عينتها لتحميك منهم حافية أيضاً ..

تبسم السيد الكبير وقال : هل تعتقدين أني أحتاج حمايتكِ؟

(مهرناز) : لا أظنك أبقيتني بجانبك لأرقص لك ..

أشار السيد الكبير بأصبعه نحوها ضاحكاً وقال : أنتِ مختلفة .. جرأتكِ تعجبني لكني بدأت أشك بولائكِ لي

(مهرناز) : ولائي لم يتغير .. لكني لا أستطيع قتل أختي حتى لتلبية رغبتك وحاجتك

(السيد الكبير) : ومن قال لكِ إني أحتاج أن تقتلي أي أحدٍ لأجلي؟!



(مهرناز) : اتركها وشأنها إذًا

(السيد الكبير) : لا تطلبي لها رحمة لم تطلبها هي ..

(مهرناز) : أنا لا أفهم سر إصرارك على قتلها إن كنت لا تخشاها

(السيد الكبير) : بقاء أختكِ وغيرها ممن تحدوا الطائفة ما هو إلا وصمة عار تسير على الأرض وكل يومٍ يمضي وهم أحياء هو إشارة وتذكير للجميع بأننا هدف سهل المنال لا يستحق المهابة والاحترام .. موتهم ضرورة لا مناص منها بيدكِ أو بيد غيركِ

(مهرناز) : فليكن بيد غيري إذاً ..

(السيد الكبير) : حسناً .. لكن تذكري أني عفوت عنكِ من الإيفاء بعهدٍ قطعتِه أنت على نفسكِ .. عودي لمكانكِ بجانبي ..

سارت الحافية وأخذت مكانها بجانب السيد الكبير ..

(السيد الكبير) يحدثها دون أن يلتفت إليها : سأعفو عن أختكِ أيضاً ..

(مهرناز) وعيناها تتسعان : حقّاً؟!

(السيد الكبير) رافعاً سبابته : في حالة واحدة فقط ..

(مهرناز) : ما هي؟



(السيد الكبير) : لو تمكنت من الوصول إلى هنا والوقوف أمامي .. فوقتها سأمنحها العفو التام عن كل جرائمها بحق الطائفة .. ما قولكِ؟

(مهرناز) : حتى لو قتلت الكثير من أفراد الطائفة في طريقها إليك؟

(السيد الكبير) : من سيموت على يدها لا يستحق أن يكون جزءاً منا لذا لن أهتم

(مهرناز) باسمة : ممتنة لكرمك يا سيدي

(السيد الكبير) بشيء من عدم المبالاة : لنأمل أن تكون أختكِ ممتنة كذلك

(مهرناز) بشيء من الحماس : هي لن ترفض هذا العطاء السخي منك

(السيد الكبير) : سنرى .. سنرى يا حافية ..

لم يمضِ على حوارهما فترة طويلة حتى دخل عليهما الوزير (روشني) بصحبة كبير الكهنة (آغ) وحين استقرا أمامهما بدأ (روشني) بالحديث وقال : «لقد أرسلت ثلاثة من أمهر القتلة لتعقب الساحرة الهجينة صباح هذا اليوم وغالباً هم الآن قد أنجزوا ..»

(السيد الكبير) مقاطعاً بنبرة باردة : قتلتك ماتوا يا قائد فرقة القتلة ..



(روشني) وهو مصدوم : كيـ..

(السيد الكبير) بهدوء : أطبق فمك .. لا أريد سماع صوتك الآن

تبسم (آغ) ولم يلاحظ أحد ذلك سوى (مهرناز) ..

(السيد الكبير) موجهاً حديثه لكبير الكهنة وبالبرود نفسه : وأنت .. أي فشل أتيت به اليوم لتزفه لي؟

(آغ) واضعاً كفيه بعضهما فوق بعض متحدثاً بصوتٍ وجل : رصدنا العربيات منذ وصولهنّ إلى ميناء ((بوشير)) وتعقبناهن حتى دخلن ((لوه بور)) وتم إرسال بعض القتلة لصدهن لكن ..

(السيد الكبير) بتجهم : لا تكمل ..

حنى (آغ) رأسه وصمت ..

(السيد الكبير) : أفراد الطائفة يتساقطون على ((أرض فارس)) كما سقطوا على ((أرض العرب)) .. هل تدركون الخزي الذي جلبتموه لنا؟

(آغ) : هن الآن يقتربن من ((الغابة الزرقاء)) ولو عبرنها فسيكنَّ عند مدخل ((جبال الملح)) خلال أيام معدودة

(روشني) : لن يخرجن منها .. القتلة سيوقفونهن

(آغ) : هل تدرك أيها الوزير أن تلك الغابة ليست آمنة حتى على أفراد الطائفة



(روشني) : لا يهم .. يمكننا تدبر الأمر

(آغ) : وماذا عن الساحرة الهجينة؟

(روشني) : هي كذلك لن تصل ..

(السيد الكبير) بتهكم : انظروا لأنفسكم .. حالكم يرثى له .. هؤلاء العربيات فرضن أنفسهن وكفة النصر بدأت ترجح لمصلحتهن من قبل أن تحدث مواجهة حقيقية معهن وكل ذلك بسبب عجزكم

(روشني) بخليط من القهر والغضب : اعذرني يا سيدي لكننا نبذل كل ما نستطيع وأنا أحرص من أي أحد هنا على سمعتنا وسأحميها وأذود عنها!

(السيد الكبير) ساخراً : وكأن بيدك شيئاً .. اغرب عن وجهي الآن وحاول أن تحمي عنقك منهن قبل أن تفكر بحماية الطائفة

استدار (روشني) بوجهٍ غاضب وسار خارجاً من المكان تاركاً (آغ) يوجه حديثه لسيده قائلاً : «اعذر قائد القتلة يا سيدي فهو يتحمل أكثر من طاقته وقدرته ..»

(السيد الكبير) بالسخرية والسخط أنفسهما : لا تتحدث وكأنك تبلي بلاءً أفضل منه .. إن كان هو خيبة فأنت جبل من الخيبات!

(آغ) حانياً رأسه : وسأعمل على تصحيح ذلك ..



خرج كبير الكهنة من القاعة ليجد (روشني) يقف غاضباً بانتظاره وما أن رآه حتى هم بالحديث معه بعصبية إلا أن (آغ) استوقفه ورفع كفه في إشارة منه له بالصمت وقال :

«لا تكن أحمقَ وتتحدث قبل أن تفكر ..»

(روشني) والسخط يعتريه : من يظن نفسه؟!

(آغ) بهدوء وحزم : التزم حدودك أيها الوزير ولا تنسَ نفسك

(روشني) مشيراً بسبابته لمدخل القاعة خلف (آغ) مكملاً حديثه الغاضب : هذا الرجل لا يملك الحق في البقاء كقائد للطائفة الجنتية!!

(آغ) ببرود : وأنت تظن أنك من يملك هذا الحق؟ ..

(روشني) : لا! .. بل أنت!

(آغ) بتعجب : أنا؟

(روشني) : نعم! .. قيادة الطائفة تفتقر للحكمة!

(آغ) : هل يمكن أن تخفض من صوتك قليلاً؟

زفر الوزير الأشقر بنفس ساخن وأعين مغمضة ..

(آغ) : جيد .. لقد تحدثنا في هذا الشأن من قبل

(روشني) : وسأبقى أتحدث فيه إلى أن يتحقق!



(آغ) : افعل ما تشاء .. ولائي للسيد الكبير أكبر من طموحك الصغير

(روشني) يسير مبتعداً عن (آغ) : سترى إلى أين سينتهي هذا الطموح الذي تستهزئ به

تبسم وزير الكهنة بابتسامة صفراء خلال مراقبته لـ (روشني) يعود لقصره الواقع في الطابق الأسفل ..

بعد وصوله للطابق السادس توجه الوزير الساخط مباشرة لقصره وتحديداً لمكان يقع خارج قاعته الرئيسة. تجويف عميق مفتوح السقف استقر أسفل منه قفص كبيرٌ مصنوع من الخيزران امتلأ بالغربان الناعقة تجلس أمامه فتاة بشعرٍ أسود كثيف وقصير وأعينها الواسعة جدّاً تراقب الطيور السوداء المرفرفة بأجنحتها دخولاً وخروجاً من القفص المفتوح ..

عند استقرار (روشني) خلف تلك الفتاة استدار غراب كان يقف على كتفها وبدأ ينعق في الوزير الذي قال :

«غربانكِ وقحة يا (خمود) ..»



رفعت الفتاة كفها وطبطبت على رأس الغراب الذي حلق مبتعدًا خلال نهوضها من مكانها وتوجيه وجهها المخطط ببعض الخطوط الحمراء لـ (روشني) قائلة :

«غرباني لا تحب الغرباء ..»

(روشني) : أريدكِ في مهمة ..

(خمود) وغراب آخر يحط على كتفها : مهمة ماذا؟

(روشني) : مهمة تخص عصبة ساحرات يحاولن الاقتراب منا

أخرجت (خمود) كسرة خبز من جيبها واضعة قطعة صغيرة منها على طرف لسانها مطعمة الغراب بفمها قائلة :

«تقصد العربيات؟ .. لقد زودتك بكل المعلومات التي جمعناها وآخر ما وصل عنهنّ هو أنهنّ بلغن مشارف ((الغابة الزرقاء)) وقدرة غرباني لها حدود ولا تسطيع التحليق بين أوراق تلك الأشجار المسحورة وتفقد معظم قدراتها الراصدة بين أغصانها ..»

(روشني) : المهمة لكِ وليست لها ..

حط غراب آخر على رأس (خمود) التي تبسمت وقالت بنبرة متهكمة بعض الشيء :



«أنا لست مصنفة من القتلة كي ترسلني في مهمة كهذه .. أنا مجرد المسؤولة عن العناية بغربان الطائفة لا أكثر ..»

(روشني) : أنا وأنتِ نعلم مدى قدرتكِ ولن نتناقش في أهليتكِ .. إن كان طموحكِ هو التصنيف كقاتلة فسوف أمنحكِ إياه لو أتممتِ هذه المهمة

(خمود) : إن كان كذلك فبمَ تأمر يا سيدي؟

(روشني) : هناك صبية صغيرة بشعرٍ أحمر تسير معهن .. أحضريها لي .. حية

(خمود) : والبقية؟

(روشني) : يمكنك قتلهن لو أردتِ

(خمود) : لمَ هي بالذات تريدها حية؟

(روشني) : أنا مهتم لأمرها

داعبت (خمود) بأنفها منقار الغراب الواقف على كتفها بينما قام الآخر بالنعيق بصوتٍ مزعج وهو يرفرف بجناحيه ثم قالت :

«غرباني أخبرتني أن أختنا (هند) تسير معهن ..»

(روشني) : نعم .. لقد خانت الطائفة ورأسها مطلوب مثلهن

(خمود) موجهة عينيها الواسعتين نحو الوزير الأشقر وبنبرة جادة وواثقة : أريد رتبتها بعد ما أتخلص منها

(روشني) يهز رأسه بالموافقة قائلاً : أنجزي المهمة وستحصلين على نجومها الأربع عشرة

بدأت الغربان في القفص الكبير ترفرف أجنحتها وتتزاحم للخروج منه دفعة واحدة متوجهة للفتحة في أعلى المكان وهي تنعق بقوة مشكلة ما يشبه السحابة السوداء فوق رأس (خمود) التي قالت :

«هي في عداد الأموات إذاً ..»

خرج الوزير بعدها وتوجه لقاعة عرشه حيث كان في استقباله نائبه (شاور) الذي لاحظ وجه سيده المستاء وقال : «أرى في وجهك حديثاً يا سيدي ..»

(روشني) بعد ما اعتلى عرشه ضارباً بقبضته على ذراعه الرخامية : السيد المزعوم يتهمني بالتقصير!

(شاور) : بمَ تأمر؟

(روشني) : العربيات .. يجب ألّا يصلن إلى هنا .. بأي ثمن يجب إيقافهن وألّا يخرجن من ((الغابة الزرقاء)) على قيد الحياة



(شاور) : اطمئن .. سأذهب لمعالجة الأمر بنفسي

(روشني) : خذ معك حرس السيد السابقين .. لا أريد أن يكون هناك أي مجال للفشل هذه المرة

(شاور) : ماذا عن الوزير (آغ)؟

(روشني) : غالباً سيرسل هو أيضاً بعض كهنته القتلة لأن كلينا الآن يريد إثبات نفسه

(شاور) : الغلبة ستكون لك يا سيدي وسأضع رؤوسهن تحت أقدامك

(روشني) : تفاخر بعد ما تحضر تلك الرؤوس عند أقدامي يا (شاور) ..

وقف الشاب ذو القرط الماسي وقال بثقة كبيرة قبل أن يهم بالرحيل :

«لن أعود إلا بها .. أعدك بذلك ..»



الجحيم الأخضر



غابة ضخمة تظهر في الأفق
أشجارها كثيفة .. أغصانها متعانقة
وكأنها لا تريد للنور أن يجد طريقاً إليها
رياح باردة تهب .. رقائق ثلجية تتساقط
تكتسي الأرض ببساطٍ أبيض كسمائها الملبدة
رسالة ترحيب شاحبة .. لعصبة عازمة
على التقدم .. نحو النجاة
أو الهلاك

نهاية النهار وقبل أن تغرب الشمس بسويعات قليلة وقفت العصبة العربية عند أرضٍ مفتوحة تنتهي بغابة ..

.. ((الغابة الزرقاء)) ..



استدارت الدعجاء نحو عصبتها قائلة : «بعد هذه النقطة لن يمكن لأي منكنّ التراجع أو العودة .. فلتتقدم كل واحدة منكن بملء إرادتها .. الموت سيحيط بنا من كل جانب وقد يقتنص بعضنا أو كلنا .. لا أعدكن بالنصر لكني أقسم أني سأذود عنكنّ بكل ما أوتيت من قوة وقدرة ..»

(نافجة) : تقدمي يا عمة ونحن من ورائكِ ..

احتضنت (عوراء) دفها لصدرها بيد وباليد الأخرى تشبثت بلباس العرجاء قائلة :

«وأنا بجانبكِ حتى النهاية ..»

سارت الدعجاء ومن ورائها العرجاء والصبية تبعتهن عجوز القدر باسمة قائلة :

«إذا لم يُقدّر لنا أن ننجو معاً فلنحترق سوياً ..»

(هند) لاحقة بهنّ : «سأحرقهم بلهب قهري قبلها ..»

(كُميت) معانقة نفسها قبل أن تتقدم نحو مدخل الغابة خلف البقية مخاطبة (رافدة) السائرة بجانبها : «البرد قارس في جبال الملح يا ابنة الصحراء ..»



(رافدة) نافخة في كفوفها : لا تقلقي يا حجازية .. فدماء أعدائنا ستمنحنا الدفء .. ثم لا تكوني هشة هكذا فالعمة (دعجاء) و(نافجة) تخلتا عن فرائهما ولم تبديا أي اهتمام

(كُميت) ناظرة لمقدمة العصبة : «النيران المشتعلة في دواخلهما شيء يفوق ما يمكن أن أشعر به أو أستحضره ..»

سارت المجموعة متقدمة نحو الغابة الكثيفة التي ومنذ الوهلة الأولى لدخولها أظهرت غرابتها لهنّ. فبالرغم من أنهم كانوا في فصل الشتاء إلا أن أشجار تلك الغابة لم تفقد أوراقها ولم يتساقط أيٌّ منها كما هو حال أغلب النباتات في موسم البرد. كانت كثيفة وخضراء يانعة وكأنها في قلب الربيع. مع توغلهن أكثر وسطها ازداد المكان وحشة وظلمة ولم يكن يُسمع حولهن سوى زقزقة الطيور الصغيرة من فوقهن وصوت تحطم بعض الأغصان الجافة التي يطأنها من وقتٍ لآخر. بعد مضي أقل من ساعة من السير توقفت الدعجاء ورفعت رأسها جائلة بنظرها بين أغصان الأشجار الكثيفة.

(نافجة) مقتربة منها وبصوتٍ خفيض : ما الأمر يا عمة؟ .. لمَ توقفنا؟



(دعجاء) : ينتابني شعور بأن هناك شيئاً مختبئاً بين تلك الأغصان ..

(نافجة) تشاركها النظر للأغصان المتشابكة : شيئاً مثل ماذا؟ ..

متنور؟

(دعجاء) ونظرها للأعلى بأعين قلقة : لا أعرف .. لكن هناك شيئاً يتحرك فوقنا .. يراقبنا .. ينتظر ..

(القيقبون) تدنو منهما بعد ما سمعت حديثهما : لعلها بعض الطيور يا ابنة وصبان

(دعجاء) منزلة رأسها مستأنفة السير : الطيور لا تتنفس بثقل يا (سديرة) .. هناك شيء يتعقبنا .. أنا واثقة من ذلك

حينها اقتربت (كُميت) من (عوراء) السائرة خلف العرجاء وقالت لها : هل ما زال معكِ بعض الحلوى؟

(عوراء) : نعم تبقى معي عدد من القطع

(كُميت) : أين؟ .. دفك خاوٍ

(عوراء) : وضعتها في جيبي .. لمَ تسألين؟

(كُميت) : أشعر بالبرد وأريد بعضها لتمنحني الدفء

أخرجت الصبية قطعة حلوى من جيبها ومدتها للحجازية التي تناولتها في الحال وقالت وهي ترتجف : شكرًا ..



(عوراء) بقلق : هل أنت بخير؟

(كُميت) بوجهٍ شاحب : سأكون بخير

(رافدة) خالعة فراءها واضعة إياه على ظهر الحجازية : خذي هذا ..

(كُميت) بنبرة ممانعة : لا .. أنتِ بحاجته

(رافدة) : أنت أحوج مني

(كُميت) : لا .. لن آخذ فراءكِ

قاطعت (هند) حديثهما ومدت لـ (كُميت) قنينة صغيرة تحتوي على سائل أسود ..

أخذت الحجازية القنينة الصغيرة من يد ابنة معناد قائلة : ما هذه؟

(هند) : اشتريتها من السوق تحسباً لما تعانين منه الآن .. تناوليها وستشعرين بالدفء

أنزلت (كُميت) لثامها بسبابتها ثم أزالت غطاء القنينة ورفعتها عند شفتيها وشربت محتواها بالكامل ..

(هند) : كيف تشعرين الآن؟

(كُميت) والعرق يتصبب من جبينها : بأن نارًا اشتعلت في جوفي

(هند) باسمة : وستبقى معكِ ليومٍ كامل



في تلك اللحظة سمع الجميع صوت حركة من بين الأشجار أمامهن فتأهبن بأعين قلقة ومترقبة حتى ظهر لهن أرنبٌ أبيضُ صغيرٌ بأعين حمراء تقدم نحوهن بوثبات قصيرة تخللها عبثه بأنفه بين الأعشاب.

(عوراء) باسمة ببهجة : إنه لطيف!

خرج بعدها رجل يلبس رداءً فضفاضًا من الحرير الأزرق غطاه من رأسه لأخمص قدميه ولم يظهر من وجهه سوى شفتيه وأذنيه ذواتي الأقراط الذهبية المتدلية ولحيته السوداء الطويلة. وشم فوق شفته العلوية مكان شنبه المحلوق خمس دوائر سوداء مصمتة ونجمة على قمة أنفه.

حمل المتنور الأرنب بين كفوفه وداعبه بأنامله ماسحاً على ظهره ثم تبسم وقال لـ (عوراء):

«هل تريدين اللعب معه؟»

جرت الصبية نحو المتنور لكن (رافدة) تلاحقت وقبضت على شعرها من قمة رأسها وسحبتها للخلف قائلة : «هدئي من حماستك ..»

(دعجاء) : تنحَّ عن طريقنا ولن نؤذيك

تبسم المتنور وقال : لمَ نتحدث عن الأذى والألم ويمكننا أن نتحدث عن السعادة والأمل؟



(القيقبون) : برود هذا المتنور يقلقني

(هند) بتجهم : هذا (زومر) .. أحد السباع السبعة ..

(نافجة) : سنقهره مثل من سبقوه

رفع (زومر) الأرنب الأبيض الصغير أمام وجهه متحدثاً معه : هل سمعت؟ .. إنهن لا يردن اللعب معنا .. فليكن إذًا

وضع المتنور الأرنب على الأرض مشيرًا له بكفوفه بالتقدم وبنبرة ممازحة :

«هيا اهجم عليهن ..»

وجه الجميع أنظارهن الحذرة والمترقبة للأرنب الأبيض الذي بقي مكانه يقضم أطراف عشبة بجانبه ولم يتحرك من مكانه ..

(عوراء) وهي تتأمله : يبدو أنه جائع

بدأ الأرنب بالقفز يميناً وشمالاً والعصبة تراقبه وتتابع قفزاته باهتمام خشية أن يقوم بشيء مفاجئ ..

(كُميت) لـ (زومر) وعينها كالبقية منصبة على الأرنب : «حيوانك يبدو تائهاً ولم يفهم أوامرك ..»

(زومر) باسماً : لقد أدى مهمته وانتهى الأمر ..



رفعت الدعجاء رأسها موجهة نظرها للمتنور لكنها لم تجده فقالت بقلق: «كان يريدنا أن نحيد بأنظارنا عنه ..»

(نافجة) تشاركها النظر حيث كان المتنور يقف: لأي غرض؟

(دعجاء) ملتفتة إليها صارخة: خذي الفتيات وارحلن في الحال!

(نافجة) بتشتت: نرحل إلى أين؟!

وقبل أن تجيب الدعجاء تحول الأرنب الصغير لكتلة مضيئة بسطت شعاعها في المكان كله مغطياً جميع الواقفات معمياً أبصارهن بنورٍ أبيض وهاج دفعهن لإغلاق وتغطية أعينهن. تضاءلت قوة الوهج تدريجيّاً وانقشعت بالكامل لتجد كل واحدة من العصبة نفسها في مكان مختلف .. ووحدها ..

فتحت الدعجاء عينيها لترى أنها جاثية على ركبها وسط عاصفة رملية قوية ..

بعد ما هدأت العاصفة نهضت وجالت بنظرها من حولها بين الهضاب والكثبان وبالرغم من أنه لم يكن هناك معالم واضحة للمكان إلا أنها تعرفت عليه وتذكرته وقالت محدثة نفسها:

«ما الذي أعادني إلى هنا؟»

أجابها صوت فتاة من خلفها قائلاً: «ربما لتنقذينا بدل التخلي عنا..»

وجهت (دعجاء) نظرها لمصدر الصوت وحينها رأت من كان يحدثها فقالت بخليط من الصدمة والفرح : (عِمرة)؟

(عِمرة) : نعم يا عمة .. (عِمرة) التي تخليتِ عنها وعن (شَبَث)!

(دعجاء) : أنا لم أتخلَّ عنكما .. العاصفة قتلتكما .. الجن والشياطين لا ينجون من العواصف الرملية وهم متشكلون

(عِمرة) : كيف قتلتنا العاصفة وأنا أحدثكِ الآن؟

(دعجاء) : أين (شَبَث) إذاً؟

(عِمرة) : لا يريد رؤيتكِ

(دعجاء) : هل تظنين أني حمقاء؟ .. من أنتِ؟

(عِمرة) : لستِ بحمقاء لكن قلبكِ قاسٍ كالحجر .. حقيقتكِ أغرب من خرافتكِ يا عمة .. تظهرين الشفقة لكنكِ لا تهتمين إلا لأمركِ فقط

(دعجاء) : منذ متى وأنتِ هنا؟

(عِمرة) : المهم إلى متى يا عمة .. لقد وثقت بكِ ودفعت حياتي ثمنًا لتلك الثقة

(دعجاء) وذهنها يتشوش : ألم تقولي بأنكِ لم تموتي؟ .. ما الذي يحدث هنا؟



بدأت زوبعة صغيرة تتشكل تحت أقدام الدعجاء لتملأ عينيها بالرمال والأتربة مما زاد في تشتتها والتيه الذي أحست به ..

أخرجت (عِمرة) خنجراً من جيبها وتقدمت نحو (دعجاء) المنشغلة بمحاولة التخلص من تلك الريح الملوثة لرؤيتها وقالت:

«حان الوقت لتدفعي أنتِ الثمن نفسه ..»

في الوقت ذاته فتحت (هند) عينيها لتجد نفسها تقف أمام قبر (هنان) تحت الشجرة عند بيت أهلها وحين تعرفت على المكان ضاق صدرها وجثت عند القبر ماسحة عليه بكفها بعين دامعة قائلة: «لمَ رحلتِ ..»

«لم يكن بيدي خيار آخر ..»

التفتت ابنة معناد نحو مصدر الصوت الذي تعرفت عليه في الحال وشاهدت أختها تقف وراءها ممسكة بيدها عنقود عنب ..

(هند) بحزن شديد: بل كان بإمكانكِ العودة إلينا والتخلي عن مسعاكِ

(هنان): وأترك ثأري وثأر إخوتي؟

(هند): وماذا جنيتِ من السعي وراء ثأركِ .. فقدتِ حياتكِ



(هنان) : وماذا ستجنين أنت الآن من قدوملكِ إلى أرض الفرس؟

صمتت (هند) ولم تجب ..

(هنان) : أنت أعلم الناس كيف تربينا وكيف تغلي دماؤنا حين تهان كرامتنا

(هند) باسمة بحزن : لسنا من نسل الهاربين ..

(هنان) : سأكون بانتظاركِ يا أختي .. متى ستأتين؟

(هند) : آتي إلى أين؟

(هنان) : إلى هنا .. معي

(هند) : لن يحدث ذلك إلا بموتي يا قرة عيني

تقدمت (هنان) وقطفت عنبة من العنقود وقربتها من فم أختها قائلة :

«أعرف .. لذلك سألتكِ .. متى ستموتين؟»

(هند) بتعجب مبعدة شفتيها عن الثمرة : عمَّ تتحدثين يا (هنان)؟

(هنان) معيدة العنبة بالقرب من فم أختها : «يجب أن تموتي يا أختي ..»



(هند) بحزن : لماذا؟

(هنان) باسمة : الموت سيجمعنا .. تناولي هذه وسنكون معاً

شعرت (هند) بالضعف وهي تشاهد أختها أمامها تتبسم لها وفتحت فمها بعين دامعة ..

في اللحظة نفسها باعدت (نافجة) كفيها عن وجهها لتجد نفسها تركب جوادها الأسود (كحلان) وتسير به وسط صحراء لم تتعرف عليها ومن أمامها يسير رجل ممسك بلجام الجواد فحدثته قائلة : «من أنت؟»

التفت الرجل إليها لترى أنه (غُرير) .. الصرد الذي أمضت خمسة أعوام من عمرها معه في ((وادي سوق)) ..

شدت (نافجة) لجام الجواد وأوقفته ثم قالت : ماذا تفعل هنا؟

(غُرير) باسماً : كنت أعتقد أنكِ ستسرين لرؤيتي يا ابنة فيصاء

(نافجة) : وأنا ظننت أني لن أراك مرة أخرى

(غُرير) : أتيت رفقاً بحالكِ

(نافجة) : حالي؟



(غُرير) : نعم .. ماذا تفعلين في أرض العجم؟ .. لِمَ تسيرين نحو هلاكِكِ ..؟

(نافجة) : لا شأن لك بما أفعله

(غُرير) موجهاً نظره لقدمها المبتورة : أشعر بالشفقة تجاهكِ .. أنت أضعف من المواجهة التي تسعين لزج نفسكِ فيها .. ستهلكين أنت ومن معكِ وستمتن شر ميتة .. لم تكوني ندًّا لهم من قبل ولن تكوني الآن .. حالكِ يتهاوى وسيهوي بكِ ..

(نافجة) بتجهم : «مزامير الشامتين لا يترَاقَص عليها إلا الأَفاعِي ..»

(غُرير) : لست شامتاً لكن لا يوجد شيء أسوأ من الهزيمة إلا النصر المزيف ..

(نافجة) : عن ماذا تتحدث؟

(غُرير) : عنكِ .. عنكِ يا عرجاء .. وعن جميع انتصاراتكِ .. كلها وهم .. أنت ضعيفة يا (نافجة) .. لا توهمي نفسكِ ومن حولكِ بأنكِ تملكين قوة .. أنا أعلم الناس بكِ وبما يمكنكِ القيام به ومدى حدود قدرتكِ .. أنت لم تكوني يوماً ندًّا للمتنورين ولن تكوني وكل ما وصلتِ إليه هو بفضل من اخترن مرافقتكِ لا أكثر .. تراجعي الآن قبل فوات الأوان .. أنا الوحيد الذي يهتم لأمركِ



(نافجة) وغصة تتراكم في حلقها : عن أي اهتمام تتحدث؟ .. لقد تخليت عني وتركتني في الوادي وحدي .. خروجك من حياتي لم يكن قرارك وحدك .. الدرس الأخير الذي تعلمته منك لم يكن طلسماً بل كان قناعة حفرتها في قلبي وهي أن لا أحد يبقى .. نفسك فقط هي من ستقف معك في السراء والضراء .. عدا ذلك .. أوراق متساقطة مهما طال تمسكها بالغصن .. زال كل إحساس بالأمان ورحل عن صدري عندما هجرتني ذلك اليوم . ارحل أيها الكهل .. ارحل يا (غُرير) .. ارحل كما رحلت في السابق

(غُرير) : لم أشعر بأنكِ أردتِ مني البقاء حين أخبرتكِ بقرار رحيلي .. ألا أستحق فرصة أخرى؟ .. ننسى الماضي ونعود كما كنا .. لا تسمحي لـ«فوات الأوان» بأن يغتالكِ على حين غرة ..

(نافجة) تشهق بجهد لمنع دموعها من التساقط :

«جرحي لم يندمل .. والجروح أفضل تذكير والندب خير تذكار .. ارحل أرجوك ..»

وضع (غُرير) كفه على جبين الجواد ومد يده الأخرى تجاه (نافجة) محدقاً بأعينها الغارقة بالدموع وقال : «ليس قبل أن أشعر بلمسة يدك على يدي مجدداً .. بعدها سأرحل ولن تريني مرة أخرى يا عرجاء ..»



لم تتمكن (نافجة) من الصمود أكثر ومدت كفها وهمت بمصافحة الصرد الكهل ..

فتحت (رافدة) عينيها بعد زوالِ الوهج الأبيض من حولها لتجد نفسها تقف فوق هضبة رملية ليلاً وفي الأفق بعض النيران المشتعلة وبعد ما أمعنت النظر اكتشفت أنها أمام مضارب قبيلتها ..

تقدمت البدوية بخطواتٍ متسارعة نحو خيمة أبيها وحينما دخلتها وجدتها خاوية فبدأت بالنداء بصوت مرتفع ولم تجد إجابة ..

خرجت الشابة من الخيمة بخيبة لترى مجموعة من الرجال والنساء سجداً ورؤوسهم مدفونة في الرمال فقالت محدثة نفسها باستغراب :

«ما الذي يحدث؟ .. من أنتم؟»

أجابتها إحدى النيران المشتعلة أمام خيمة أبيها قائلة : «هؤلاء عشيرتكِ يا هجدانية ..»

(رافدة) : عشيرتي؟ .. ولمَ يضعون رؤوسهم تحت التراب هكذا؟

(النار المشتعلة) : العار الذي لحق بهم بسببك يطاردهم كل يوم ..

جلست البدوية على الرمال عند النار المشتعلة بقلب منقبض وسرحت في الجمر المتوهج فحدثتها النار مجدداً وقالت :

«اسرقي الوقت قبل أن يسرقكِ .. لا تمتهني الانتظار .. كفري عن ذنبكِ ..»

(رافدة) : الوغد (سياج) وأبوه استحقا ما حل بهما ولست نادمة ..

(النار المشتعلة) : قبيلة الشيخ (شبل بن مطنب الهجداني) أصبحت أضحوكة بين القبائل بسببكِ ..

(رافدة) : بنو هجدان لا يحتاجون شهادة من أحد .. رأس الأنف وقاع القدم لا يلتقيان .. نحن شيوخ الشمال شاء من شاء وأبى من أبى ..

(النار المشتعلة) : لا تأخذكِ العزة في غير موضعها .. كل هذا يمكن أن ينتهي يا هجدانية .. يمكنك أن تعيدي الشرف لقبيلتكِ

(رافدة) : كيف؟

(النار المشتعلة) : مدي كفك وسطي والتقطي جمرة باليد التي قتلت الشيخ (ثغر) وابنه (سياج) وعندها سيزول العار ويخرج إخوتك رؤوسهم من الأرض

(رافدة) بنبرة مشككة : لست مصدقة لحديثك .. أنا أحلم .. وهذا كابوس مزعج فقط

(النار المشتعلة) : إذاً فلا ضير من المحاولة .. احملي الجمرة وكفري عن ذنبكِ يا ابنة (شبل)

بعد تردد لم يدم طويلاً مدت البدوية يدها نحو النار ..



فتاة في الحادية عشرة تستيقظ وسط حظيرة للنياق .. ترفع رأسها المنكب من على الأرض الملوثة بالبول والروث .. تمسح وجهها بكفها متثائبة .. تسمع منادياً ينادي عليها من الخارج .. تجري مسرعة نحوه ..

«أين كنتِ يا حمقاء؟»

قالها فارس متجهم من فوق جواده ..

أمسكت الفتاة بلجام الجواد وقالت : «المعذرة يا سيدي كنت نائمة»

(الفارس) بعبوس : نائمة؟ .. ماذا لو سرق اللصوص النياق؟!

(الفتاة) : وماذا كنت سأفعل لهم؟

ركل الفارس وجه الفتاة بقدمه وقال ساخطاً : اذهبي وأحضري بعض اللبن بدل مجادلتي!

مسحت الفتاة وجهها وقالت : أمرك يا سيدي

دخلت الحظيرة وبدأت بحلب إحدى النياق وخلال قيامها بذلك سمعت الفارس في الخارج يتحدث مع شخصٍ آخر لكنها تجاهلت ذلك وأكملت ما كانت تقوم به حتى انتهت وخرجت بقربة جلدية مملوءة باللبن وسارت نحوه لترى أنه يقف مع فتى صغير لم يتجاوز



الثانية عشرة يلبس هندامًا جميلاً ونظيفًا ويشير إليها قائلاً : هذه هي!

(الفارس) : هل أنت واثق؟

تبسم الصبي ناظراً لوجه الفتاة الباسم له وقال : نعم واثق

(الفارس) : هل فقدت عقلك أيها الصبي؟ .. تريد الزواج من هذه القذرة؟

تجهم الصبي في وجه الفارس وقال : أطبق فمك وأخبرني كم تريد ثمناً لتحريرها

أجابت الفتاة وقالت : أنا حرة ولست أمة عنده .. أنا أعمل هنا فقط لأجمع قوتي

مد الصبي يده لها قائلاً : إذاً تعالي ولنترك هذا المكان

ضرب الفارس بكفه يد الصبي الممدودة لها وقال : تذهبان إلى أين؟! .. هذه الفتاة تعمل عندي ولن تترك المكان!

الفتاة رامية بقربة اللبن ساكبة محتواها على الرمال : بل سأرحل! .. لا حكم لك عليّ!

سل الفارس سيفه وقال ساخطاً : لو تحركتِ من مكانكِ فسأقتلكِ وأقتله!



أخرج الصبي خنجرًا من جيب صدره وقال مهدداً : ابتعد عنها!

صرخت الفتاة في الصبي مطالبة إياه بالعدول عن الدفاع عنها لعلمها المسبق بمهارة الفارس القتالية لكنها لم تلحق منعهما من الاشتباك بعضهما مع بعض وشاهدت الفارس يوجه طعنة قاتلة للصبي سقط على إثرها بجانب قربة اللبن المسكوب لتهرع نحوه واضعة رأسه على حجرها محاولة إيقاظه وهي تبكي بحرقة. وقف الفارس المتجهم فوقها وقال بلا اكتراث : «اذهبي واجلبي المزيد من اللبن ..»

تجاهلت الفتاة طلبه واحتضنت الصبي باكية ..

دفع الفارس برأس سيفه كتفها وقال ناهراً : انهضي!

رفعت الفتاة رأسها وصرخت صرخة قوية في السماء بأعين دامعة مغمضة وقالت : «اقتلني! .. اقتلني!»

(الفارس) باسماً بخبث : كل هذا لأجل الزواج؟ .. حسناً .. لكِ ذلك يا (سديرة) ..

تبعد (عوراء) يديها عن وجهها محتضنة أكتافها لشعورها بالبرد الشديد ..

ترى نفسها تقف عارية وسط بركة كبيرة من الدماء ..

يرتجف جسدها رعباً وبرداً ..



تبحث بعينيها عن مخرج من ذلك المكان الذي بدا وكأنه يقع في وسط كهفٍ عميق ..

هدوء مزعج .. فقط صوت قطرات تقطر بانتظام ..

لا يوجد مصدر للنور سوى شعلة مثبتة في السقف ..

تنادي الصبية الخائفة مستنجدة : عمة (نافجة)! .. أين أنتِ؟!

لا يجيبها أحد ..

تبقى مكانها محتضنة لبدنها المنتفض برداً وسط الدماء اللزجة ..

يخرج فجأة أمامها من تحت الدماء رأس جدي أسود مخيف ..

تصرخ مرعوبة ..

يحدثها مطمئنًا : «لن يصل إليكِ هنا ..»

(عوراء) بوجه مرعوب ومصدوم وشفتاها ترتجفان : من أنت؟

يجيبها بصوتٍ أجش : «أنا الحارس ..»

فتحت الحجازية عينيها الرماديتين ذواتي الحدقتين السوداوين الصغيرتين عندما شعرت بيد تمسح على جبينها لترى أباها (باجد العرقوبي) يتبسم لها قائلاً :

«استيقظتِ أخيراً يا قطة ..»



همت (كُميت) بالنهوض مفزوعة لكن أباها شد أكتافها معيدًا رأسها لحجره وقال بنبرة حانية : «ابقي بجانبي .. فأنتِ لا تزالين متعبة ..»

(كُميت) وهي مصدومة من طريقة حديث ومعاملة أبيها لها : ما الذي يحدث أيها القائد؟

(باجد العرقوبي) : قائد؟ .. أنا والدكِ .. ناديني بأبي

(كُميت) بتوتر : لكنك لا تحب أن أناديك بذلك

(باجد العرقوبي) : كان ذلك في الماضي قبل أن أفقدكِ .. لم أعرف أني كنت مخطئاً إلا عندما ..

(كُميت) مقاطعة : أنت ميت .. لقد اخترق سهمي صدرك .. هل أنا ميتة أيضاً؟

(باجد العرقوبي) مقبلاً جبينها : سهمكِ لم يسلب روحي .. رحيلكِ فعل بي ذلك يا ابنتي .. وها أنت قد عدتِ لي

(كُميت) : هناك شيء خاطئ ..

(باجد العرقوبي) محتضناً رأسها بكفيه محدقاً بعينيها : خطئي الوحيد كان إقصاءكِ من حياتي لكني أعدكِ بأن هذا لن يتكرر

(كُميت) وهي غير مرتاحة : هل يمكنني الجلوس؟



(باجد العرقوبي) مبعدًا يديه عن وجهها باسماً : بالطبع يا عزيزتي

نهضت الحجازية وظهرها لأبيها وأمعنت النظر في المكان أمامها وحولها لترى مجموعة من الجبال والصخور تحيط بهما فقالت : «أين نحن؟»

(باجد العرقوبي) : لقد جلبتكِ إلى هنا لمقابلة أمكِ

(كُميت) ملتفتة نحوه : أمي؟

(باجد العرقوبي) باسماً : نعم ..

(كُميت) : هذه جبال الحجاز وأمي من الشمال

(باجد العرقوبي) : لقد انتقلت للعيش هنا

(كُميت) واضعة يدها على خنجر في خاصرتها : العيش؟ .. هي ميتة منذ زمن طويل .. مثلك تماماً .. من أنت؟

وقف (باجد العرقوبي) باسطاً ذراعيه قائلاً : إن كنتِ لا تصدقينني فاقتليني ..

نهضت (كُميت) وأمعنت النظر فيه لثوانٍ ثم شدت سهماً على قوسها ووجهته مباشرة لصدره قائلة : «أنا لا أعرف من أنت لكني متيقنة من أنك لست من تدعي ..»

(باجد العرقوبي) كاشفاً عن صدره مظهرًا ندبة وبنبرة جادة :
اقتليني مرة أخرى كي تتيقني بنفسكِ .. أطلقي سهمكِ لصدري كما فعلتِ في السابق

(كُميت) رافعة رأس السهم نحو وجهه قائلة :

«لا حاجة للتيقن .. سهمي السابق اخترق وجهك وليس صدرك يا أبي ..»

(باجد العرقوبي) بخليط من التعجب والارتباك : لكنك قلتِ ..

(كُميت) وهي تشد السهم أكثر مغمضة إحدى أعينها :

«أعرف ما قلته .. حيلتك لم تنطلِ عليّ أيها المتنور ..»

أطلقت الحجازية سهمها ليرتكز بين أعين (زومر) الذي أطلق صرخة مدوية خرج على أثرها شعاع أبيض من فمه غطى المكان بالكامل ..



عين الصواب وكبد الحقيقة



انقشع الوهج ..

أنزلت (كُميت) قوسها ..

استيقظ الجميع من غيبوبتهن ..

الأرنب الأبيض الصغير يقفز ويلعب بين الأعشاب ..

جثة (زومر) ملقاة أمامهن وسهم الحجازية مغروس في رأسه ..

(رافدة) ساحبة يدها المفتوحة في الهواء ناهضة من جلوسها : ما الذي حدث؟

(هند) مغلقة فكيها المتباعدين : كنا في وهم من نسج المتنور ..



(نافجة) تضم كفها الممدودة لصدرها وهي ممتطية صخرة صغيرة :
لقد أجاد خداعنا

(دعجاء) ونظرها لـ (كُميت) باسمة : لم يخدعنا جميعاً ..

بادلت (كُميت) الممسكة بقوسها الدعجاء النظر دون أن تقول شيئاً ..

(عوراء) وهي لا تزال محتضنة نفسها : أين عجوز القدر؟

بحث الجميع بأنظارهن حولهن حتى وجدن (القيقبون) تجلس عند شجرة محتضنة قدرها ..

سارحة بأعين دامعة ..

اقتربت (رافدة) واضعة كفها على كتف (القيقبون) السارحة قائلة :
هل أنتِ بخير؟

(القيقبون) وسرحانها ينقطع بأعين محمرة : لقد كنت هناك .. كنت معه مجدداً

(نافجة) : كان مجرد سراب يا (سديرة)

نهضت (القيقبون) مستعيدة تركيزها ثم قالت : أي جحيمٍ قدتِنا إليه يا ابنة أملِج ..؟



(هند) : الرحلة لن تزداد إلا سوءًا من هنا كما قالت الدعجاء ..

(زومر) كاهن متمكن وقد وقعنا في فخه لكن الحجازية لم تنخدع بألاعيبه

(القيقبون) : وماذا لو انخدعت مثلنا؟

(دعجاء) : كنا سنموت .. هيا لنكمل طريقنا بدل إضاعة الوقت في الحديث

وضعت (رافدة) ذراعها حول (القيقبون) وقالت بنبرة مطمئنة : لا تقلقي .. لن يتمكنوا منا ونحن متكاتفات

همت (نافجة) بالنزول عن الصخرة لكنها شعرت بأن قدمها المبتورة لا تعاونها فقالت بخليط من العجب والقلق : انتظرن .. (زمجد) ليس هنا

(عوراء) بقلق : أين ذهب؟

(دعجاء) : هل تمكن منه المتنور؟

(نافجة) ساحبة عكازها المعلق وراء ظهرها متكئة عليه : يبدو ذلك

(عوراء) بانفعال : لا! .. لا تقولي ذلك يا عمة ! .. يجب أن نبحث عنه!

(رافدة) : لا وقت لذلك .. يجب أن نستمر بالتحرك



(عوراء) وهي تدمع : لكن ..

(نافجة) : أختكِ محقة .. إن كان لا يزال على قيد الحياة فسيتمكن من إيجادنا .. هذا ما يجيده الجن الأزرق

استمرت المجموعة بالسير وسط الغابة الكثيفة لكن سيرهن كان أبطأ من السابق لأن العرجاء وجدت صعوبة في المشي بعكازها بسبب التضاريس الوعرة وقد لاحظ الجميع ذلك لكنهن لم يحاولن معاونتها كي لا يعطينها أي إحساس بأنها تعيق تقدمهن ومع اقتراب حلول الليل وجهتهن الدعجاء بالتوقف للراحة والمبيت لبضع ساعات لكن (القيقبون) اعترضت قائلة : «يمكننا التقدم أكثر .. لا أريد البقاء في هذا المكان مدة أطول مما يستوجب ..»

(دعجاء) ونظرها على (نافجة) المرهقة جدًّا : لا .. يجب أن نرتاح

(هند) : أتفق مع العمة .. لو أرهقنا أنفسنا بعدم التوقف فلن نكون قادرات على صد أي هجوم مفاجئ

(القيقبون) بتجهم : نحن لم نقطع أي مسافة تستحق .. كل هذا بسبب ..

(رافدة) مقاطعة : أنا متعبة وأريد النوم!

(كُميت) : وأنا كذلك



(القيقبون) بسخط : نمن! .. لعلها تكون آخر مرة تغمضن أعينكن فيها!

بدأت كل واحدة من العصبة تهيئ لنفسها مكانًا للنوم بينما وضعت (القيقبون) قدرها الصغير على الأرض وأشعلت من تحته نارًا كبيرة وأخرجت من حقيبتها بعض اللحوم المجففة ورمت بها وسطه بعد ما ملأت نصفه ببعض الثلج المتراكم حولهن. أخذ الجميع يجلسن واحدَةً تلو الأخرى حول القدر يراقبن (القيقبون) بصمت وهي تعد لهن الطعام.

(عوراء) بتقرف : الثلج الذي حملتِه به تراب

(القيقبون) مقلبة محتوى القدر بغصن خشبي : لا تأكلي إذاً ..

(نافجة) هامسة للصبية الجالسة في حضنها : لا تزعجيها

(القيقبون) مفرغة محتوى صرة صغيرة وسط القدر مستمرة في تقليبه : كنَّ ممتنات بأنكن ستتناولن بعض الطعام بدل التذمر

(هند) متكئة بظهرها على جذع شجرة : ألم يكن من الأجدر إذابة الثلج للحصول على الماء قبل طهي الطعام؟

(دعجاء) : الحساء يقوم مقام الماء

رفعت (القيقبون) قدرها الساخن من فوق النار مستعينة بوشاحها ووضعته جانباً على كومة من الثلج وقالت : لقد نضج الطعام .. هيا تناولنه قبل أن يبرد

(كُميت) : وكيف سنأكل منه؟

(القيقبون) غارسة العصا في قطعة لحم طافية على السطح : كل واحدة منكنّ لها قطعة واحدة

(رافدة) : وماذا سنستخدم للحساء .. هل سنحتسيه بالعصي؟

ضمت (القيقبون) كفيها وغمستهما في القدر وملأتهما بالحساء ثم قربتهما من شفتيها آخذة رشفة قائلة : استخدمي عقلك يا مدللة ..

تناوب الجميع على تناول الطعام حتى انتهين وجلسن في دائرة عند النار المشتعلة ..

(دعجاء) محركة كفوفها أمام النار : سلمت يداك يا (سديرة) .. الطعام كان له مذاق مستساغ

(القيقبون) باحثة وسط حقيبتها : لو أني طهوته بشحم السنام لكان مذاقه ألذ بكثير

(نافجة) محركة بعض الجمرات بطرف عكازها : أمي كانت تطهو البلح به ..



(هند) باسمة : نحن نخلطه بالعسل والحبوب ونعد أقراصاً للخبز

(كُميت) : أتذكر أني تناولت شيئاً مشابهاً من قبل عندما ذهبت مع أبي لسوق الحجاز أول مرة

(رافدة) : نحن نتناول البعير بما حمل ولا نفرق بين سنامه وخفه

ضحك الجميع عدا (عوراء) التي قالت : أنا لم أتذوق الشحم من قبل ..

(القيقبون) : ألا يكفي ما تحملينه على جسدكِ؟

(عوراء) بتجهم : أنا لست سمينة!

(هند) لـ (عوراء) ممازحة : إنها تحسدكِ على قوامكِ الجميل فلا تكترثي لها

(عوراء) تخرج قطعة حلوى من جيبها وتضعها في فمها بعبوس : أعرف!

(دعجاء) : ستتاح لكِ الفرصة لتناوله يوماً ما يا صبية فتقديم الشحم من مظاهر الكرم عند العرب

(نافجة) : وبعض الفرسان يدهنون سيوفهم به قبل القتال

(دعجاء) : صحيح ..

(رافدة) : أنا فارسة ولم أسمع بذلك من قبل



(القيقبون) بتهكم : ومن نصبكِ فارسة يا هجدانية؟

(رافدة) بثقة : أنا فارسة ابنة فارس .. وجميع إخوتي فرسان

(القيقبون) : فارسة بالنسب إذاً .. هذه ليست فروسية بل هبة موروثة

(رافدة) عاقدة حاجبيها واضعة كفها على مقبض سيفها وبنبرة تحدٍّ : هل تريدين اختباري يا عجوز القدر؟!

(دعجاء) : لكل قوم من العرب معيار للفروسية .. وليس كل من سل سيفاً يصبح فارساً

(عوراء) : وكيف نعرف الفارس من غيره يا عمة ؟

(نافجة) : عرب الشمال يعتبرون أن من يغرس نصل سيفه في الظهر دون الصدر لا يعد فارساً حتى وإن كان عدوك

(القيقبون) : عربنا مختلفون .. فهم يرون أن الفارس هو من يؤوي ويحمي من يحتمي به حتى وإن كان في عنقه دم

(نافجة) وهي تنظر لـ (هند) : وعرب الجنوب لا يرون الفروسية فيمن يتخلى عن ثأره ..

(دعجاء) واضعة كفها على رأس (كُميت) الجالسة بجانبها : وعرب الحجاز فرسانهم لا يكونون فرسانًا إذا قبلوا بمن يستبيح أرضهم

(رافدة) : وعرب الشرق يا عمة؟

(دعجاء) : فرسان ((هجر)) لا ينكثون عهداً عاهدوه ولا ولاءً أقسموا عليه ومن يفعل لا يعتبر فارساً وتسقط فروسيته إن كان يحملها ..

(عوراء) : هل يوجد فرسان في مدينة البركة؟

(رافدة) : أنت لستِ عربية فلمَ تسألين؟

(عوراء) بحزن : كنت أسأل فقط

(نافجة) محتضنة (عوراء) الجالسة في حجرها : فيها فارسة واحدة فقط!

(عوراء) : حقّاً؟! .. لم أرها من قبل!

(نافجة) مقبلة قمة رأس (عوراء) : لكننا جميعاً نراها ..

(عوراء) بحزن : مدينة البركة لا يوجد فيها شيء .. لهذا لم أتذوق الشحم مَن قبل

(القيقبون) : عندما تتزوجين سيجبرونكِ على تناوله لا تقلقي

(عوراء) : لماذا؟

(دعجاء) : من عادات العرب كذلك أن يقدموا الشحم في ولائمهم خاصة في الزيجات



(عوراء) : هل الزواج شرط لتناول الشحم؟

(نافجة) باسمة ماسحة على رأس الصبية : لا يا حبيبتي .. يمكنك تناوله وأنتِ عزباء

(عوراء) : الجميلات هنّ فقط من يتزوجنَ أليس كذلك؟

(نافجة) : من قال لكِ ذلك؟

(عوراء) : لا أعرف هذا ما أراه وأظنه .. فهنّ من يحظين بكل ما يردن ولا ينقصهنّ شيء

(القيقبون) : قالت العرب قديماً ..: « كل جميلة تملك شيئاً يستحق السرقة ..»

(دعجاء) : وقالوا أيضاً ..: «كلما ازدادت المرأة جمالاً ازدادت جنوناً ..»

(عوراء) : هل معنى ذلك أن عجوز القدر أعقلنا؟

(القيقبون) بغيظ مكظوم : أخرسن هذه البغيضة وإلا ..!

(عوراء) متراجعة للخلف لصدر (نافجة) بجزع : ماذا قلت؟! .. لقد امتدحتكِ!

(رافدة) ضاحكة : لا تقلقي ستتناولين كفايتكِ من الشحم .. أنا تناولته ولم أتزوج بعد



(كُميت) : وأنا كذلك

(عوراء) لعجوز القدر العابسة في وجهها : هل أكلتِ الشحم يوم زواجكِ؟

(القيقبون) وملامحها تتغير للحزن : نعم .. كنت في الحادية عشرة من عمري وقتها

(عوراء) بتعجب : كنتِ أصغر مني؟ .. هل كنت تحبينه؟

(القيقبون) : لم تكن تلك أول مرة أتناول الشحم فيها يا حمقاء

(عوراء) بحدة وتهكم : كنت أقصد زوجكِ يا عجوز القدر!

(نافجة) ملاحظة الحزن على وجه (القيقبون) موجهة حديثها للصبية : حديثكِ غير لائق يا عوراء

(عوراء) موجهة نظرها لـ (نافجة) : أريد معرفة كيف وقعت في الحب فقط!

(رافدة) : عن أي حب تتحدثين؟ .. من الواضح أنها كانت مجبَرة في ذلك العمر الصغير

(القيقبون) : كنت مجبَرة نعم لكن هذا لا يعني أني لم أقع في الحب

(كُميت) : كيف كنتِ مجبَرة ووقعتِ في حبه



(القيقبون) : أنا لم أقع في حب من تزوجني بل من مات على يده ..

(عوراء) وهي مدهوشة : هل قتل زوجكِ حبيبكِ؟!

لم تجب عجوز القدر وكان واضحاً عليها أنها مستاءة جدًّا من استذكار تلك الفترة من حياتها والحديث عنها واكتفت بإنزال رأسها والتحديق بالنار المشتعلة أمامها لكن الفتيات استمررن بالنقاش ولم يتوقفن.

(عوراء) : الزواج يبدو مخيفاً

(كُميت) : لهذا السبب لا أريد الزواج أبداً

(رافدة) لـ (القيقبون) المكتئبة : كيف سمح أهلكِ بوقوع هذا الظلم عليك؟

(دعجاء) : عن أي ظلم تتحدثين .. ؟

(رافدة) : ألم تسمعي ما قالته يا عمة؟

(دعجاء) : بلى سمعت لكن لا أفهم ما علاقة الظلم بما قالت

(كُميت) : لقد تزوجت في عمر صغير بشخص لا تحبه

(دعجاء) : وأين المشكلة؟ .. أنها صغيرة أو أنها لا تحبه

(عوراء) : أن زوجها الحقير قتل من تحب

(نافجة) : ماذا لو لم يقتله؟ .. هل كانت ستكون مظلومة في أعينكن؟



(رافدة) : بالطبع .. أهلها ظالمون لها بتزويجها في ذلك العمر

(دعجاء) : ماذا لو كانوا قد زوجوها ممن تحب في العمر نفسه؟ .. هل ستكون مظلومة وقتها أيضاً؟

(رافدة) بشيء من التردد : نعم .. لا .. على الأقل كانت ستعيش بسعادة

(نافجة) بشيء من التهكم : لكن عمرها صغير

(كُميت) : صحيح .. ستكون تعيسة ..

(هند) : أنا تزوجت في عمر كبير ولم أكن سعيدة

(رافدة) : ربما لأنكِ لم تحبيه

(هند) : بل أحببته أكثر من نفسي

(عوراء) : لمَ لم تكوني سعيدة إذًا؟

(هند) : أجبن أنتن .. تتحدثن عن الزواج وكأنكنّ تعرفنَ كل شيء عنه

(رافدة) ملتفتة على (نافجة) : ما رأيكِ يا عمة؟ .. أنتِ لم تتزوجي من قبل أليس كذلك؟

(نافجة) باسمة : من قال لكِ هذا؟



(كُميت) وهي مصدومة : متى حدث هذا؟ .. وهل كنتِ سعيدة معه؟

(نافجة) : سعادة لم تستمر طويلاً ..

(رافدة) : إذاً فلا يوجد شيء اسمه سعادة في الزواج

(نافجة) : لا توجد سعادة أبدية في أي شيء ..

(عوراء) : لمَ كل الزيجات تعيسة هكذا؟

(نافجة) : أمي وأبي لم يكونا تعيسين

(كُميت) : هل لأن زواجهما كان عن حب أم أنهما لم يكونا طفلين حين تزوجا؟

(هند) : المسألة ليست بتلك البساطة التي تحاولن إقناع أنفسكنّ بها

(رافدة) : بل هي كذلك .. زواج أي فتاة في عمر صغير هو حكم مؤكد عليها بحياة بائسة .. جسدها وعقلها لن يكونا مستعدين لهذا النوع من الارتباط لذلك تتحول حياتها لجحيم

(كُميت) : وأنا أتفق مع أختي

في تلك اللحظة نهضت (القيقبون) وابتعدت عنهن واستلقت عند شجرة مديرة ظهرها لهن بعد ما أشعلت ناراً أخرى ..



(دعجاء) لـ (رافدة) : أخبريني يا بدوية .. متى بدأتِ بالتدرب على السلاح؟

(رافدة) : وأنا في العاشرة

(دعجاء) للحجازية : وأنتِ متى حملتِ القوس والسهم؟

(كُميت) : عندما أتممت التاسعة

(دعجاء) : ماذا عن ركوب الخيل؟

(رافدة) بفخر : منذ أن كنت في الثامنة من عمري

(دعجاء) : وأنتِ يا حجازية ؟

(كُميت) : قبلها بسنة يا قائدة ..

(دعجاء) : إذاً فكلتاكما وفي عمرٍ أصغر من عمري وعمر (سديرة) حينما تزوجنا سللتما الحديد وقاتلتما به وركبتما ظهور الدواب القاسية ومع هذا تقولان بأنكما في ذلك العمر لم تكونا لتستطيعا ركوب ..

(نافجة) مقاطعة وملوحة بيدها للفتاتين بالنهوض والابتعاد : كفى! .. لا تضايقا العمة! .. اذهبا للنوم!

(رافدة) : لماذا يا عمة؟

(كُميت) : نحن لم ننتهِ من الحديث



(نافجة) بصرامة : لا تناقشاني واخلدا للنوم!

نهضت الفتاتان وسارتا نحو النار الأخرى التي استلقت أمامها (القيقبون) واستلقتا هما كذلك بجانبها ..

(هند) باسمة : لمَ لم تتركي العمة تستأنف حديثها معهما فهما بحاجة لسماع كلامها

(نافجة) : نحن بحاجة للراحة فقط لقد تحدثنا كثيراً

استلقت (هند) بأعين مغمضة متوسدة كفيها قائلة : أراكما في الصباح إذاً ..

بعد مضي بعضِ الوقت غفت (عوراء) في حجر (نافجة) التي بقيت تراقب النائمات حولها بمن فيهن الدعجاء التي أغمضت عينيها لكنها لم تستلقِ على الأرض فحدثتها العرجاء بصوت خفيض قائلة : «هل نمتِ يا عمة؟»

(دعجاء) دون أن تفتح عينيها : نعم ..

(نافجة) باسمة : لمَ لم تنامي؟

(دعجاء) وهي تفتح عينيها : يجب أن تبقى إحدانا مستيقظَةً ..

(نافجة) : سأقوم أنا بذلك .. نامي أنتِ



(دعجاء) موجهة نظرها للقدر : (سديرة) لم تنظف قدرها ورائحة اللحم قد تجذب وتجلب لنا السباع المفترسة

(نافجة) رافعة رأس (عوراء) عن حجرها ساحبة عكازها هامة بالنهوض : سأقوم بغسله

(دعجاء) واضعة يدها على ساعد العرجاء مانعةً إياها من الوقوف : لا .. البرد قارس في هذا الوقت وقد تصابين بالمرض .. اتركي الأمر للفتيات حين يستيقظنَ في الصباح

(نافجة) وهي تجلس مكانها : هل لي بسؤال يا عمة؟

(دعجاء) سارحة بالنار المشتعلة أمامها : يمكنكِ أن تسأليني ما تشائين يا جدعاء ..

(نافجة) : عندما كنا في مواجهة المتنور اليوم .. لمَ طلبتِ مني أخذ الفتيات والابتعاد؟ .. هذه ليست أول مرة تقومين فيها بذلك ..؟

(دعجاء) : كنت أريد تشتيت انتباهه فقط كي يتسنى لي الهجوم عليه

(نافجة) : اصدقيني القول .. ماذا تحاولين فعله؟

(دعجاء) : عن ماذا تتحدثين؟

(نافجة) : هل تحاولين حمايتنا؟

(دعجاء) : لن أستطيع حتى وإن حاولت ..



(نافجة) : ماذا إذاً؟ .. لمَ أشعر بأنكِ تحاولين تجنيبي أنا وبناتي الدخول في أي مواجهة خطرة؟

(دعجاء) ملتفتة إليها : ألا تشعرين بالتعب؟ .. حاولي أخذ قسطٍ من الراحة فأمامنا يوم طويل غداً

(نافجة) : أنا لا أحتاج حماية يا عمة .. لقد أتيت هنا وأنا مستعدة للموت

(دعجاء) محدقة بأعين العرجاء : وإن كان هناك من هو غير مستعد لموتكِ؟

صمتت (نافجة) لكن عينيها المحدقتين بالدعجاء قالتا الكثير ..

(دعجاء) مستلقية على الأرض متوسدة كفها مغمضة عينيها : نامي يا جدعاء .. نامي ..

(نافجة) : ماذا عن الحراسة؟

(دعجاء) : بما أنكِ مستعدة للموت فلا فائدة من البقاء دون نوم ..

تبسمت (نافجة) واستلقت ملصقة ظهرها لبطن الدعجاء فقامت الأخيرة بوضع ذراعها حول خصر العرجاء قائلة : «لن أخسر أحدًا مجددًا يا جدعاء .. ولا أريدكِ أن تشعري بالشعور ذاته»



مضى بعض الوقت ولم تتمكن (نافجة) من النوم وبقيت مستيقظة تحدق بالنار أمامها إلى أن رأت (عوراء) تقف بوجهٍ ناعس وتقترب منها فتبسمت لها ورفعت كفها وأشارت لها بالاستلقاء أمام بطنها ففعلت وعانقتها بالطريقة نفسها التي احتضنتها بها الدعجاء وخلال دقائق غفا الجميع وغططن في نوم عميق.

مضت الساعات واقترب الفجر وقبل أن تشرق الشمس تسلل من بين الأشجار من عدة اتجاهات ما يشبه الدخان غطى بسحابته الكثيفة الجميع حتى استنشقن كمية كبيرة منه قبل أن ينقشع ليهبط وسط المكان من قمة إحدى الأشجار امرأتان جالتا بأنظارهما على العصبة النائمة تتبادلان الضحك.

«الأمر كان أسهل مما ظننت ..!»

قالتها امرأة ذات شعرٍ أبيض وأعين سوداء موشومة بدائرتين على زندها ..

أجابتها صاحبتها الموشومة بثلاث دوائر على نحرها كشفت عنها عندما أماطت اللثام عن وجهها قائلة : «الدخان أغرقهن في سباتٍ عميق لن يستيقظن منه إلا بعد ما تخرج أرواحهنّ من أجسادهنّ ..»

أخرجت المتنورة ذات الوشمين خنجرًا من جيب صدرها ثم قالت :



«هيا لنحصد رؤوسهنّ ونعدْ بها للسيد (آغ) .. سيكون مسروراً جدّاً حين يراها ..»

أشارت المتنورة ذات الوشوم الثلاثة لـ (عوراء) وقالت : لنبدأ بتلك الصغيرة فشخيرها مزعج ..

سارت رفيقتها وقبضت على شعر الصبية الغارقة في النوم وهمت بسحبها لوسط المكان لكنها زفرت قائلة : إنها ثقيلة!

- اذبحيها في مكانها إذاً .. لن نحمل معنا إلا رأسها الصغير ..

حررت المتنورة ذات الوشمين شعر (عوراء) من قبضتها رامية برأسها أرضاً ثم قامت بوضع كفها تحت ذقنها رافعة إياه للأعلى وباليد الأخرى قربت نصل خنجرها من عنقها البارزة والمتنورة الأخرى تراقب ما يحدث باسمة وتقول :

«ستفوح من هذا المكان رائحة نتنة بعد ما ننتهي منهنّ جميعاً وتشرب الأرض كفايتها من الدماء ..»



نداء الموت



تفتح عجوز القدر عينيها ..
على صوت نعيق بعض الغربان ..
ترى أمامها رماد نارها المطفأة ..
تنهض بتكاسل باحثة بنظرها من حولها ..
الجميع نائمات .. تلتقط بأنفها رائحة نتنة ..
تنهض وتقف بوجهٍ عابس بسبب تلك الرائحة القوية ..

سارت (القيقبون) نحو (كُميت) و(رافدة) النائمتين بعضهما بجانب بعض وركلت قدم كل واحدة منهما برفق قائلة: «كفاكما نوماً .. هيا انهضا ..»

تستيقظ الفتاتان وتجلسان بوجوه ناعسة ..

(كُميت) رافعة لثامها مغطية أنفها : ما هذه الرائحة الكريهة؟

(القيقبون) : أعتقد أنها قادمة من القدر .. لقد نسيت غسله بالأمس ولا بد أن الطعام قد فسد

(رافدة) بتقرف : كل هذه الرائحة النتنة من مجرد حساء؟

(القيقبون) تسير مبتعدة عنهما متثائبة : املأا القدر بالثلج ريثما أشعل ناراً لأطهره بالماء المغلي

صوت نعيق بعض الغربان يأتي من قمم الأشجار المحيطة بهن ..

(رافدة) ماسحة بكفها على وجهها : تريدين منا العمل منذ بداية الصباح؟

(كُميت) تربت على ظهر أختها قبل أن تهم بالنهوض : أنا سأقوم بذلك

سارت الحجازية حتى بلغت القدر وقبل أن تجلب بعض الثلج أنزلت لثامها وأدخلت رأسها وسطه مستنشقة بقوة ..

(رافدة) تراقبها باستغراب : ماذا تفعلين؟

(كُميت) مخرجة رأسها من القدر : الرائحة ليست آتية منه .. الطعام لم يفسد .. لا بد وأن برودة المكان أبقته على حاله



(القيقبون) مقتربة منها : من أين تأتي هذه الرائحة النتنة إذاً؟

صوت نعيق الغربان يتعالى ويزداد ..

(رافدة) بتهكم رامية حجراً تجاه شجرة أمامها : هل أنت متيقنة أنها ليست منك يا عجوز القدر؟

(القيقبون) متجاهلة البدوية موجهة حديثها لـ (كُميت) : الرائحة تذكرني برائحة أحشاء البعير حين نفرغ بطنه بعد نحره ..

(نافجة) وهي تفتح عينيها وتجلس : في ماذا تتحدثن؟

(القيقبون) : ألا تشمين ما نشمه؟

(هند) مستيقظة هي الأخرى : ما بكن؟

نهضت (نافجة) وهزت (دعجاء) المستلقية خلفها وأيقظتها لكنها لم توقظ (عوراء) ليجتمع الكل حول القدر ليسمعن من (القيقبون) والفتاتين حكاية الرائحة التي أفقن عليها بينما استمرت الغربان بالنعيق فوق رؤوسهن.

(دعجاء) : لعل حيواناً ما قد نفق في الجوار .. لا تهتممن للأمر كثيرًا وهيا لنستعد للرحيل كي لا نضيع النهار علينا

أصوات الغربان تتعالى ..



رفعت (القيقبون) نظرها لأغصان الأشجار الكثيفة والمتشابكة والتي لـم تظهـر إلا جـزءاً بسيطـاً من السماء الملبدة بالغيوم وقالت : عن أي نهار تتحدثين؟ .. نحن لم نرَ الشمس منذ وصولنا لهذه الأرض الكئيبة

(رافدة) تشاركها النظر للأعلى : ما حكاية هذه الغربان؟ .. لمَ هي هنا؟

(دعجاء) لـ (هند) : هل هي من الغربان الراصدة؟

(هند) رافعة رأسها : لا أرى أيّاً منها بوضوح لكن أستبعد ذلك فغربان الرصد لا تحلق في ((الغابة الزرقاء))

(نافجة) لـ (كُميت) : أيقظِي أختك الصغيرة

(كُميت) : حاضر يا قائدة

ذهبت الحجازية وجثت عند الصبية النائمة تهز زندها حتى أيقظتها ..

(عوراء) وهي تدعك عينها بقبضتها : أين العمة؟

(كُميت) تومئ برأسها وراءها : هناك .. هيا انهضي كي نرحل

(عوراء) متثائبة بتكاسل : حاضر



(كُميت) مشيرة لوجه (عوراء) بعد ما انتبهت لبقعة حمراء صغيرة في ركن فمها : ما هذا الجرح؟

(عوراء) متحسسة شفتيها بأناملها : أي جرح؟

مسحت (كُميت) البقعة اللزجة بطرف أصبعها وقربتها من أنفها بعد ما فركتها بسبابتها وإبهامها ثم قالت : هذا دم .. هل عضضت على لسانكِ خلال نومكِ؟

(عوراء) مديرة لسانها وسط فمها : لا

صمتت (كُميت) وبقيت تحدق بـ (عوراء) بشيء من القلق ..

(عوراء) : ما بكِ يا أختي؟

(كُميت) وسرحانها ينقطع : لا شيء .. هيا بنا

انتهى الجميع من الاستعداد لاستئناف رحلتهن بعد ما قامت (القيقبون) بغسل قدرها بالماء المغلي وخلال إخمادها للنار برمي بعض الثلج فوقها لاحظت بعض نقاط الدم المتجمد على الأرض وكانت تلك النقاط تسير في خط لوسط الغابة.

نهضت عجوز القدر وتتبعت خط الدماء لوسط الغابة ..

(هند) منادية عليها : إلى أين؟!



لم تجب (القيقبون) عليها واختفت بين الأشجار ..

(هند) باستغراب : ما بها؟

(نافجة) تعكز مقتربة من (هند) وتشاركها النظر : لعلها ذهبت لقضاء حاجتها

(عوراء) تشد لباس (نافجة) : أنا أريد قضاء حاجتي كذلك يا عمة!

(نافجة) : وما شأني أنا؟ .. اذهبي وتواري خلف تلك الأشجار وافعلي ما تشائين

(عوراء) بتحرج : أخاف أن أذهب وحدي .. تعالي معي!

(نافجة) مشيرة لها برأس عكازها : حسناً .. اذهبي وسألحق بكِ

جرت الصبية للجهة الأخرى ودخلت بين مجموعة من الأشجار والعرجاء تسير خلفها ..

(كُميت) : الرائحة لا تزال قوية ..

(رافدة) : انتظري حتى تنتهي (عوراء) و(سديرة) مما تقومان به وسترين معنى القوة

(دعجاء) منتبهة لعجوز القدر وهي تخرج من بين الأشجار بوجه مصدوم وسارح : ما بلكِ يا (سديرة)؟



(القيقبون) وسرحانها ينقطع وبنبرة متوترة : لقد وجدت مصدر الرائحة ..

سارت المجموعة نحوها وحينما وصلن إليها واستفسرن منها لم تجب عليهن واكتفت بالإشارة بسبابتها وراءها ..

انطلقت الأربع حيث أشارت (القيقبون) وبعد بضع خطوات صدمن هن كذلك بعد ما رأين امرأتين معلقتين على شجرة كبيرة وهما عاريتان بوجوه مقضومة وبطون مشقوقة وأمعاء تتدلى إلى الأرض ومجموعة من الغربان تنقر لحومهما وأحشاءهما وتنعق بقوة.

(رافدة) واضعة كفها على فمها : ما هذا؟

(هند) منتبهة للدوائر المصمتة عليهما : كاهنتان قاتلتان .. لا بد وأن (آغ) أرسلهما

(دعجاء) : ومن قتل القاتلتين ..؟

(هند) بريبة وقلق : لقد أتتا خلال نومنا لاغتيالنا .. لكن ..

(دعجاء) : شخص أو شيء ما تصدى لهما ..

(كُميت) متمتمة لنفسها بصوت مسموع لـ (رافدة) فقط : «عوراء ..»

وجهت البدوية نظرها لأختها بأعين مصدومة لكنها لم تقل شيئاً ..



(دعجاء) عائدة أدراجها : البقاء هنا ازداد خطورة .. سوف يأتي غيرهما .. يجب أن نخرج من هذه الغابة اليوم

بعد عودتهن ولقائهن بـ (نافجة) والصبية لم تتحدث أيٌّ منهن لهما عما رأينه حتى بعد استفسار العرجاء عن سبب دخولهن الغابة وقامت الدعجاء بحث الجميع على التقدم في الحال وعدم التقاعس. سارت العصبة عدة ساعات بهمة وعزيمة استجابة لأوامر الدعجاء وبالرغم من تخلف (نافجة) وتذيلها المسيرة مع (عوراء) الملاصقة لها إلا أنها لم تتقاعس وجارت وتيرة سيرهن السريعة. مضى نصف النهار لم تتوقف خلاله المجموعة للراحة أو لأي سببٍ آخر ولم ينغص أو يعترض طريقهن أي أمرٍ سوى تلك الغربان الناعقة فوق رؤوسهنّ من وقتٍ لآخر وكأنها تلاحقهن وتتبع خطواتهنّ لكنهن تجاهلنها ولم يعطينها أي اهتمام حتى بدأت كثافة الأشجار تتضاءل من حولهن والمسافة بين جذوعها تزداد في التباعد مما جعل العرجاء تسير بسهولة أكبر وأثار فضول (دعجاء) التي قالت لـ (هند) :

«هل اقتربنا من تجاوز الغابة؟»

(هند) : لا .. نحن فقط شارفنا على الوصول لـ ((النهر المقدس))؟

(القيقبون) : سنحصل على بعض الماء بسهولة إذًا

(دعجاء) : وسنرتاح عند ضفافه لوقتٍ وجيز فقط



(القيقبون) : أنتِ عاقدة العزم على إرهاقنا حتى الموت يا ابنة وصبان

(دعجاء) : يجب ألا نمضي وقتًا طويلاً في هذه الغابة فهي تصيبني بشعور غير مريح

(هند) : بعد ما نتجاوز النهر لن يتبقى لنا سوى مسيرة يوم وسنكون عند بداية سفوح ((جبال الملح))

(دعجاء) : لن نتوقف إذاً إلى أن تغرب الشمس

(القيقبون) : إذا لم ترفقي بحالنا فارفقي بحال العرجاء فهي تكاد أن تفقد وعيها

أدارت الدعجاء نظرها لمؤخرة المسيرة وشاهدت (نافجة) وهي تتكئ على كتف (عوراء) والتعب والإرهاق باديان عليها وقالت : «من لا يرحم نفسه لن ترحمه الناس ..» هي أدرى باختيارها ..

لم يمضِ وقت طويل حتى خرج الجميع على ساحة مفتوحة كبيرة مغطاة ببساطٍ ثلجي أبيض قطعت الغابة من منتصفها ..

(رافدة) بصوتٍ مرهق : هل وصلنا لـ ((جبال الملح))؟

(هند) : لا ليس بعد ..

(دعجاء) : أين النهر الذي تحدثتِ عنه؟



(هند) : نحن نقف عليه .. لقد تجمد بالكامل

(القيقبون) بحسرة : لن نحصل على الماء إذاً

(دعجاء) : أوقدي نارك وأذيبِي الثلج ..

(القيقبون) واضعة قدرها الصغير أرضاً : وهل كنتِ تظنين أني لن أفعل؟

(كُميت) وعيناها مرتكزتان على الأشجار البعيدة أمامهن : هناك شخص يقترب منا .. قادم من الطريق الآخر للغابة

في اللحظة نفسها خرجت (نافجة) المرهقة من بين الأشجار بمعاونة (عوراء) الساندة لها وما أن رأت أن عصبتها توقفت حتى جثت على الأرض تلتقط أنفاسها ..

(دعجاء) ممعنة النظر في الأفق موجهة حديثها للحجازية : هل يمكنك تحديد هويته؟

(كُميت) : ليس بعد .. هو مستمر في التقدم وسنعرف بعد قليل حينما يخرج من وراء الأشجار ..

(هند) متأهبة : كان الأجدر بنا أخذ قسط من الراحة قبل ذلك .. نحن الآن متعبات جدًّا وقد نجد صعوبة في مقاومة هذا المعتدي



(التيقبون) وهي تضع الثلج في قدرها بعد ما أشعلت النار أسفل منه : هذه مشورة ابنة وصبان

(دعجاء) وعيناها على معالم الشخص المجهول التي بدأت بالظهور من بين الأشجار : اهتمي بتحضير الماء فقط

(رافدة) ممعنة النظر أكثر : إنه وحده .. قد تكون لدينا فرصة للتغلب عليه

(هند) لـ (كُميت) : هل يمكنكِ وصف شكله قبل أن يقترب أكثر؟

(كُميت) محدقة بأعينها الرمادية : إنه لا يحمل أي وشوم ظاهرة ..

(رافدة) : جيد هذا يعني أنه ليس متنوراً

(كُميت) مكملة وصفها شكل الرجل المجهول : شابٌّ صغير .. شعره أسود قصير.. يلبس قرطًا ماسيًا في إحدى أذنيه ..

(نافجة) من ورائهن : هذا (شاور) ..

(دعجاء) مديرة نظرها نحو (نافجة) المقتربة منهن : الذي أخبرتنا عنه في منزل (سديرة)؟

(نافجة) : نعم .. الفتى الذي مد لي يد العون في الماضي

(هند) : والمساعد الأول للوزير (روشني) ..



(القيقبون) وهي جالسة عند قدرها والنار تشتعل تحته : هل هو ند يستحق الحذر؟ .. هل أتوقف أم أكمل إذابة الثلج؟

(هند) : هو ليس من ضمن فرقة القتلة .. لكن .. الحذر واجب ..

(دعجاء) معيدة نظرها للأمام لترى أن (شاور) قد وقف على بعدٍ يسيرٍ منهن : «لنرَ ما يريد إذاً ..»

(شاور) باسماً لـ (نافجة) وبعربية ركيكة : نلتقي مجدداً يا عربية

(نافجة) : نعم أيها الأعجمي ..

(شاور) : كيف حال (الغبساء)؟

(نافجة) : كما هي شامخة

(شاور) موجهاً حديثه لـ (هند) بنبرة بشوش : سيدة (هند) .. لم أظن أني سأقابلك مع هذه المجموعة .. وفي .. مثل هذا الموقف ..

(هند) : عن أي موقف تتحدث؟

(شاور) واضعاً باطني كفيه بعضهما أمام بعض موجهاً حديثه للجميع باسماً : «لقد قطعتن مسافة طويلة ورحلة شاقة وبلغتن مبلغاً لم يكن ليبلغه أحد آخر لولا رحمة السيد الكبير ..»

(دعجاء) باستنكار : رحمته؟



(شاور) : بالطبع .. هل تظنُنَّ أنكنّ كنتنّ لتصلنَ إلى هنا لولا أننا كنا رفقاء بكن ونريد رؤية لأي مدى يمكنكن الاستمرار .. حلمكن بالوصول لـ ((عرين الأسد)) هو أمر يدعو للتقدير .. وللضحك في الوقت نفسه .. أنا حقّاً متعجب من أنكن ما زلتن تتقدمن .. نحن لم نبدأ بعد وأنتن لم ترين شيئاً لكن لا يزال لديكنّ فرصة

(نافجة) بتجهم : فرصة ماذا؟

(شاور) : للمغفرة .. سنغفر لكنّ كل ما بدر منكن في حال استدرتن الآن وعدتن أدراجكن بأقدامكن الحافية لأرضكن القاحلة ..

(هند) : السيد الكبير لا يغفر لأحد شيئاً ونحن لا نريد مغفرته من الأساس ..

(شاور) : ماذا تردن إذًا؟

(دعجاء) : أن نطأ بأقدامنا الحافية على عنقك وعنق سيدك ..

(شاور) واضعاً كفه على صدره باسماً متظاهرًا بالإحباط : خيبة .. خيبة حقيقية ..

(نافجة) : ارحل الآن وعد لأسيادك

(شاور) : للأسف لا أستطيع القيام بذلك .. أنا هنا لغرضٍ محدد ولن أرحل دونه



(نافجة) : وأي غرضٍ هذا؟

رفع (شاور) ذراعه وكفه المفتوحة عالياً وبنبرة جادة وصارمة :

«قطف أرواحكن وحصدِ رؤوسكن لوضعها عند أقدام أسيادكن ..»

خرج من بين الأشجار خلفه شاب وامرأة ..

الشاب كان هزيلاً شاحب البشرة بملامح أنثوية وأعين خضراء لامعة يلبس رداءً من الحرير الأبيض ببطانة وزخارف ذهبية ويغطي نصف قمة رأسه بخمارٍ من القماش نفسه مخفياً جزءاً من شعره الأسود الناعم المتدلي على أكتافه .. وشم على فخذه المكشوف من وراء لباسه الفضفاض أربع دوائر مصمتة وخمس نجوم ..

أما المرأة فكانت تلبس لباساً يشبه ما يلبسه الفرسان في أرض المعركة لكنه كان من الجلد المَحُوك ببعض القطع القماشية وأعينها الرمادية الجاحظة وشعرها الخمري الطويل لم تزد ملامحها إلا حدة وصلابة .. وشمت هي الأخرى على صدرها بثلاث دوائر مصمتة بجانب نجومها العشر ..



(دعجاء) ونظرها المتفحص للمتنورين المتقدمين نحوهما وحديثها لـ (هند) : ماذا عنهما؟ .. هل يستحقان أن نحذر منهما؟

(هند) بنبرة قلقة بعض الشيء وهي تشاركها النظر إليهما وحديثها لـ (القيقبون) : انهضي الآن يا (سديرة) .. سنحتاجكِ

(نافجة) مستديرة نحو (رافدة) و(كُميت) وبنبرة خالطها التوتر والانفعال : خذا (عوراء) وتوارين خلف الأشجار في الحال!!

(رافدة) : لكننا نريد المساعدة يا عمة

(نافجة) ناهرة البدوية بقوة : لا تجادلي وامتثلي لأمري!!

نفذت الفتاتان أمر عمتهما التي وقفت بجانب الدعجاء وبنت معناد وعجوز القدر وقالت :

«نحن أربع وهم ثلاثة ..»

(هند) : هذان من السباع السبعة .. (كمشل) و(مرناصة) .. من حرس السيد الكبير .. لا تقللي من شأنهما

(القيقبون) : ذلك الفتى الناعم لا يبدو لي كمصدر للخطر

(هند) : وهذا هو سر خطورته .. لا تقمن بالتقدم قبلهم

(شاور) بعد ما وقف المتنوران على جانبيه : كيف تردن أن تمتن؟ .. دفعة واحدة أم كل واحدة منكنّ على حدة ..؟



(دعجاء) : ماذا تقصد؟

(شاور) : أنا أرى أن الأمر لا يستحق أن نشتبك جميعاً ونحدث فوضى في المكان .. فلتتقدم إحداكنّ وسيتقدم أحدنا في المقابل شريطة ألّا يتدخل أيٌّ منا في النزال حتى ينتهي

(نافجة) بصوت مسموع لمجموعتها فقط : إنه يختار هذه الطريقة لأننا نفوقهم عدداً .. أرى ألّا نقبل بل نهجم عليهم الآن

(دعجاء) : لا .. سنتبع طريقته ..

(نافجة) : لكن يا عمة ..

(هند) : العمة معها حق .. نحن متعبات والفوضى ستكون في مصلحتهم أكثر منا فهم أدرى بقدراتهم

(دعجاء) منادية على (شاور) : لك ذلك .. فليتقدم أحدكم

أشار (شاور) لـ (كمشل) بالتقدم بينما تراجع هو و(مرناصة) للوراء تاركين مساحة كافية للقتال ..

همت (هند) بالتقدم لكن (القيقبون) أمسكت ذراعها قائلة : اتركي لي هذا يا ابنة معناد

(هند) : هل أنتِ واثقة؟



(القيقبون) وهي تتقدم نحو (كمشل) : كنت أتمنى فقط أني لحقت شرب بعض الماء ..

وقفت عجوز القدر فوق سطح النهر المتجمد أمام المتنور الشاب الذي قال بالفارسية متهكماً بصوتٍ مخملي : «.. هيا .. أريني ما عندكِ يا بدوية ..»

وضعت (القيقبون) سبابتها على طرف أنفها وقالت بالفارسية : «بكل سرور أيها الأعجمي .. ستعرف الآن أيها المتنور الهزيل لِمَ يلقبونني بكبيرة السحرة في اليمامة ..»

شعر المتنور فجأة بأنه يختنق فوضع كفه على عنقه وبدأ يسعل بشدة و(القيقبون) تراقبه ضاحكة : هل رأيت أنك لا تستطيع مجاراة سحر البدو!

تبسم (كمشل) الحاني لرأسه والقابض على رقبته وقال : «نعم .. ألاعيب بسيطة .. دوري الآن يا عجوز..»

رفع المتنور جذع جسده وتمايل كالأفعى واضعاً قبضتيه عند أذنيه لتهب ريحٌ قوية في المكان محدثة ما يشبه الصفير المتصاعد ..

(القيقبون) بتهكم : هل سترقص لي؟

ازدادت وتيرة الصفير حدة وشعرت عجوز القدر بألم صاعق في



أذنيها مما دفعها لتغطيتهما بكفيها لتشعر برطوبة تنساب على أناملها وما أن نظرت إليهما حتى اكتشفت أنهما تنزفان بغزارة فقالت متجهمة : «حسناً .. لنبدأ ..»

عقدت عجوز القدر أصابعها الدامية بعضها ببعض وقرأت طلسماً تشكل على أثره صقر عملاق في السماء غطى بظلال أجنحته المبسوطة جميع الواقفين مما دفع (كمشل) لإبعاد قبضتيه عن أذنيه رافعاً رأسه لذلك المنظر المهيب وخلال سرحانه بالصقر الكبير سمع دويّاً قادماً من ورائه وما أن التفت خلفه حتى شاهد أكواماً من الصخور الضخمة تتدحرج نحوه فقام بالقفز عالياً لتحاشيها وهنا انطلق الصقر تجاهه وغرس مخالبه في أكتافه وبدأ ينقره بمنقاره الحاد و(القيقبون) في الأسفل تضحك ساخرة : «ما بك أيها الهزيل؟!»

لمعت أعين (كمشل) ببريقٍ أصفر واشتعل ككتلة من اللهب وأحرق الصقر منطلقاً كالنيزك الساقط نحو (القيقبون) التي أُخذت على حين غرة ولم تلحق أن تتحاشى تلك الضربة ليصطدم بها مباشرة مخترقاً سطح النهر المتجمد ساحباً بها للقاع البارد.

بعيدًا من وراء الأشجار كانت (رافدة) و(كُميت) تتابعان ما يحدث باهتمام و(عوراء) تقف خلفهما متسائلة بتوتر بعد ما سمعت صوت اصطدام النيزك المشتعل بالأرض :



«ما الذي يحدث؟؟! .. هل أصيب أحد بمكروه؟!»

(رافدة) وهي تتابع باهتمام وقلق: أعتقد أن عجوز القدر خسرت النزال ..

(كُميت): ماذا سنفعل لو انتصر المتنورون؟

(رافدة): لا تستبقي الأحداث ..

خرج (كمشل) قافزًا من وسط الثقب الذي أحدثه في سطح النهر المتجدد وهبط برشاقة بجانب (شاور) الذي صفق باسماً وهو يقول: سقطت واحدة .. من الساقطة التالية!

شدت (نافجة) على عكازها وهمت بالتقدم لكن (دعجاء) رفعت ذراعها أمامها قائلة: «لا .. دعي ابنة معناد تذهب ..».

(نافجة) باستياء: «إلى متى ستحمينني يا عمة؟ .. دعيني أتقدم!»

وجهت الدعجاء نظرها لوجه العرجاء ورأت أنها عازمة على المضي قدماً فأنزلت ذراعها قائلة: «حسناً يا ابنة هجر .. لكِ ما تريدين ..»

عكزت العرجاء حتى وقفت أمام المتنورين الثلاثة وقالت بالعربية: من خصمي ..؟

(شاور) ضاحكاً: تراجعي وأعطي الفرصة لمن هنّ مكتملات البنية والأقدام كي تكون فرصتكن أكبر!



(نافجة) بصرامة وعزم : تقدم أنت إذاً وأثبت لي كمالك أيها الأعجمي

(شاور) متقدماً ومشيرًا للمتنورين بفسح المجال : أنا حقّاً لا أفهم كيف تفكرن .. لمَ تعرضن حياتكن للخطر .. أنتن مجرد بدويات حافيات لا فرصة لهن أبداً في النجاة .. ألم تشتاقي للعودة لأرضك بدل الهلاك بعيداً عنها؟

(نافجة) : شوقي لـ ((هجر)) لا يزيدني إلا تأججاً وإصراراً في الذود عن نخليها وعيونها من كل سافر معتدٍ .. هيا أيها الأعجمي تعال لأريك سخط من أسميتها بدوية حافية ..

(شاور) : لقد وهبتكِ الحياة في السابق وسأنتزعها اليوم ..

انطلق المتنور الشاب بسرعة خارقة تجاه العرجاء التي بالكاد تمكنت من تفاديه بالتنحي جانباً لكن (شاور) لم يعطها فرصة لتجنب ضربته التالية والتي أتت بسرعة أكبر وجهها لبطنها بقبضته المغلقة مما دفعها للنزول على ركبها من الألم.

وقف (شاور) فوق رأسها رافعاً قبضته وبنبرة ساخرة : «كنت أظنكِ ستقاومين أكثر ..»

(نافجة) قبل أن تقرأ طلسماً وهي جاثية : لا تحتفل مبكراً أيها الفتى ..



تممت (نافجة) ببعض الطلاسم ونفخت عند أقدام (شاور) لتتشكل كتلة ثلجية غطته حتى خاصرته وقبل أن يحاول تحرير نفسه نهضت العرجاء وضربته على وجهه بطرف عكازها السميك وخلال فقدانه للتركيز من تلك الضربة ضمت كفيها وقرأت طلسماً آخر شكل سحابة دخانية سوداء ووراءه خرج على إثرها مارد ضخم يحمل مطرقة حديدية كبيرة رفعها عالياً بنية إنزالها على المتنور الشاب الذي تمكن من الابتعاد عن المكان بسرعة حين حطم الجليد المقوض له بصاعقة أطلقها من أنامله.

لم يتوقف المارد عن مطارة (شاور) ورفع مطرقته مجدداً لتكرار هجومه لكن سرعة المتنور الخارقة مكنته من الالتفاف وراء المارد وبتر أقدامه بحركة خاطفة من سيف ماسي تشكل بين يديه أتبعها بفلق رأسه بضربة مباغتة ليسقط المارد الضخم ميتاً.

قبل أن يرفع (شاور) نظره للبحث عن العرجاء وجد أنها سبقته وشكلت هي الأخرى سيفاً في قبضتها متكئة على عكازها قافزة عالياً شاهرة حده اللماع لضرب المتنور الغافل لكن اتزانها اختل وسط الهواء حينما تعرضت لضربة مباغتة من شعلة نارية أتت من خلفها لتقع مباشرة على الأرض مسقطة سيفها وعكازها.

(هند) صارخة : من تدخل في القتال؟!



وجه الجميع عدا (نافجة) المنكبة على وجهها أنظارهم لمصدر الضربة ليروا ما يقارب العشرين متنوراً ومتنورة يقفون متأهبين للهجوم عند طرف النهر ..

(شاور) ماسحاً بكفه على لباسه : لمَ تأخرتم؟ .. هيا أبيدوا هؤلاء الهمج

اندفع المتنورون صارخين بصوت واحد تجاه (هند) و(دعجاء) بينما تحرك (شاور) ومن معه للإجهاز على (نافجة) الواقعة أرضاً ..

(هند) لـ (دعجاء) وأنيابها تزداد طولاً ووهج أحمر يغطي جسدها بالكامل : سأصدهم بقدر استطاعتي! .. خلصي (نافجة) لو استطعتِ وانضما إليّ!

(دعجاء) موجهة نظرها لـ (شاور) ومن معه قبل أن تتقدم نحوهم : لن يطول انتظاركِ ..

انطلقت ابنة معناد نحو مجموعة المتنورين ودخلت معهم في صدام دامٍ وفي اللحظة نفسها رأت (دعجاء) أن (شاور) قد وقف فوق (نافجة) ويهم بطعنها بسيفه و(مرناصة) و(كمشل) يقفان بجانبه. رفعت الدعجاء كفيها المفتوحتين عند رأسها وحين لامس إبهاماها شحمتي أذنيها هبط من السماء مجموعة كبيرة من جذوع النخل



الكبيرة والسميكة تساقطت على رؤوسهم وكأنها برد. تفرق الثلاثة هرباً من ذلك الرجم المباغت لكن الجذوع طاردتهم وأخذت تضربهم بلا هوادة وخلال انشغالهم بتحطيمها واحداً تلو الآخر سارت (دعجاء) بهدوء ملتقطة عكاز العرجاء في طريقها حتى وصلت إليها وأنهضتها قائلة: «هل يمكنكِ الإكمال؟»

(نافجة) بأعين زائغة ورأسها ينزف من جرحٍ غزير: «نعم.. سوف أستمر..»

وضعت (دعجاء) كفها فوق أعين (نافجة) ونفخت على رأسها وأفقدتها الوعي قائلة: «ليس اليوم يا ابنتي..»

وضعت الدعجاء جسد (نافجة) الفاقد للوعي على الأرض برفق ثم نهضت وشاهدت المتنورين الثلاثة قد استعادوا تنظيمهم بعد ما تخلصوا من جميع جذوع النخل. التفتت وراءها لترى أن (هند) قتلت الكثير من المتنورين لكن قواها بدأت تخور.

(شاور) صارخاً في الدعجاء بعربيته الركيكة: لا مجال للنجاة أبداً!

(دعجاء) عاقدة أصابعها: أتفق معك أيها الفارسي..

قرأت الدعجاء طلسماً رفع المتنورين الثلاثة في الهواء لتخرج حولهم مئات من السيوف والحراب التي انطلقت نحوهم دفعة واحدة ليبدؤوا بصدها تباعاً في حالة من الرهبة والجزع الشديدين.



(دعجاء) مستديرة وراءها : ابقوا هنا حتى أعود ..

سارت الدعجاء نحو (هند) لمعاونتها وحين وصلت إليها وجدتها مغطاة بالدماء تلهث بأنياب بارزة وأعين حمراء كالذئب المسعور يقف أمامها تسعة متنورين امتلأت أعينهم بالخوف الشديد.

(دعجاء) : هيا لنتم الأمر يا ابنة معناد ..

قضت الاثنتان على من تبقى من المتنورين بعد قتالٍ ضارٍ لكن (هند) وبعد قضمها لعنق آخر متنور سقطت أرضاً وهي في حالة من الانهيار التام. جثت الدعجاء عند رأسها ماسحة على جبينها المبتل بالدماء وقالت : «ابقي مكانكِ .. لقد بذلتِ ما في وسعكِ ..»

(هند) بصوت مرهق ومتقطع : هل انتهينا ..؟

(دعجاء) موجهة نظرها للمتنورين الثلاثة الذين علقتهم وترى أنهم قد أوشكوا على الانتهاء من صد جميع السيوف والحراب : سننتهي الآن ..

وقفت الدعجاء وعادت أدراجها نحو (شاور) ومن معه
والحجازية مع البدوية تراقبان ما يحدث برفقة الصبية الخائفة
وتتجادلان فيما بينهما ..

(رافدة) بخليط من الحماسة والانفعال : يجب أن ندخل للمساعدة!



(كُميت) : الأوامر واضحة ولن نخالفها ثم إن القائدة (دعجاء) و(هند) تبليان بلاءً حسناً وليستا في حاجتنا حتى الآن

(رافدة) مستلة سيفها : لا! .. لن أقف مكتوفة اليدين!

(عوراء) بقلق شديد : لا تخالفي كلام العمة يا (رافدة)!

(رافدة) وهي تهم بالذهاب : لا شأن لكِ!

شدت (كُميت) على معصم يد البدوية القابض على السيف وقالت لها بصرامة : لن تذهبي!

دفعت (رافدة) بكف يدها الأخرى صدر (كُميت) وأسقطتها لتنطلق مسرعة تجاه (شاور) ..

(عوراء) ملتقطة الحجازية قبل أن تقع بالكامل على ظهرها : لا تتشاجرا!

(كُميت) ناهضة بسرعة ساحبة سهماً من جرابها وتشده على قوسها : تلك الحمقاء!

(عوراء) صارخة فيها : ماذا ستفعلين؟!

خلال سير الدعجاء نحو المتنورين الثلاثة كانت تستطيع رؤية الجزع في أعينهم لكنها ارتبكت عندما رأت (كمشل) يتبسم فجأة حين حرك عينيه جانباً لوهلة فوجهت نظرها حيث كان ينظر لترى



(رافدة) تجري نحوهم رافعة سيفها وقبل أن تحاول نهيها وتحذيرها انطلق (كمشل) وقبض على عنق البدوية وتوارى خلفها وأطبق على أنفاسها حتى سقط السيف من يدها وبدأت في الصراع بحثاً عن النفس.

توقفت (دعجاء) عن سيرها رافعة كفها وبنبرة قلقة ومتوترة جدّاً:

لا تمسها!

تبسم (شاور) حين شاهد عجز وضعف (دعجاء) وقال بالفارسية:

هل تهمكِ حياتها لتلك الدرجة؟

(دعجاء) وكفها المرفوعة ترتجف كعينيها وشفتيها: أرجوك .. اتركها

(شاور) مشيرًا لـ (مرناصة) بالتقدم تجاه الدعجاء قائلاً بالعربية:

سلمي نفسكِ لها وسنترك الشابة

نزلت الدعجاء على ركبتيها واضعة كفوفها على سطح النهر المتجمد ..

(شاور) ضاحكاً وبالعربية:

«مهما بلغت قوتكم تهزمكم العاطفة .. حمقى .. كنتم وستبقون دوماً رهائن لقلوبكم الهشة!»



وقفت (مرناصة) عند رأس (دعجاء) مخرجة سيفاً كبيرًا وعريضاً من غمدها ..

(شاور) لـ (دعجاء) :

«يسقط رأسك ونترك الفتاة ..»

هزت الدعجاء رأسها بالموافقة ونظرها للأرض ..

(رافدة) صارخة في الدعجاء بأعين دامعة :

«لا تفعلي يا عمة!! .. أرجوكِ لا تفعلي!!»

رفعت (مرناصة) سيفها لإنزاله على عنق الدعجاء الخانعة و(شاور) مع (كمشل) المطبق على البدوية يراقبان باهتمام وترقب وقبل أن يحدث ذلك بلحظات سمع الجميع دوي انفجار قوي آتيًا من خلفهم ليوجهوا أنظارهم نحو مصدر الصوت ليروا غبار سحابة ثلجية ناجماً عن انشقاق أرض البحيرة خرج منه بعيرٌ أسودُ عملاق وقف خلف (كمشل) مباشرة.

انبهر الجميع من ذلك المنظر خاصة عندما رفع البعير رقبته عالياً مطلقاً هديرًا ورغاءً قويين اهتزت لهما الأرض المتجمدة تحتَهم أتبعها بنزول خاطف بفكٍّ مفتوح مطبقاً بأسنانه على (كمشل) ملقياً بجسده بعيداً بعد ما فصل رأسه عن عنقه. بقي البعير يلوك رأس



المتنور بأسنانه البارزة أسفل فكه والدماء تسيل من فمه و(القيقبون) مستقرة فوق سنامه مطبطبة عليه قائلة :

«بالهناءة والعافية أيها الفحل ..»

استغلت (دعجاء) ذهول وصدمة المتنورة الواقفة بجانبها وقرأت طلسماً سريعاً وبصقت بين أقدامها لتخرج مجموعة من الحراب مخترقة جسد (مرناصة) منهية حياتها في الحال. وقف (شاور) يلتفت يميناً وشمالاً برهبة وجزع وهو يصرخ قائلاً :

«ستدفعون الثمن يا همج! .. ستهلكون جميـ..!»

انقطع صراخ المتنور الشاب حين ارتكز سهم (كُميت) في عينه وقبل أن يستوعب ما حدث له ارتكز سهم ثانٍ في عينه الأخرى وثالث ورابع في صدره وعنقه ليسقط على ركبه بفم مفتوح مغرغرًا بدماء فاضت من فمه وأنفه.

اختفى البعير العملاق بعد ما صرفته (سديرة) لتنزل على أقدامها وتعاون (رافدة) على النهوض بينما سارت (كُميت) ومن خلفها (عوراء) لوسط المكان ونظرات الدعجاء الراضية تحيط بها حتى وصلت إليها ومدت يدها لها وأوقفتها.

(دعجاء) : أحسنتِ يا حجازية ..



(كُميت) : أنا شاركت فقط

صوت اختناق (شاور) بدمائه يتعالى من خلفهما خلال احتضاره ..

(كُميت) موجهة نظرها إليه : هل أنهي حياته يا قائدة؟

(دعجاء) وهي تشاركها النظر للمتنور المحتضر : أحضري سيف البدوية ..

نفذت (كُميت) أمر الدعجاء بينما قامت هي بإيقاظ (نافجة) من غفوتها وإيقافها على عكازها وحينما أفاقت بالكامل وضعت سيف (رافدة) في يدها بعد ما مدته الحجازية لها وقالت : «خذي يا ابنتي ..»

(نافجة) بوجه مغطى بالدماء الجافة : ما هذا يا عمة؟

(دعجاء) مشيرة لـ (شاور) المنتصب على ركبتيه وعلى وشك الموت : أنهي حياته ..

(نافجة) بتجهم رامية السيف جانباً : لمَ تهينينني يا عمة!

(دعجاء) : أنا أمنحكِ شرف قتله

(نافجة) تعكز مبتعدة بوجه عابس : الشرف لا يهدى يا عمة وأنتِ أدرى بذلك!

(القيقبون) مقتربة منهن : هل أقتله أنا .. صوت غرغرة حلقه مزعج

لحقت الدعجاء بالعرجاء تاركة البقية مجتمعات حول (شاور) الموشك على الهلاك ..



(رافدة) ملتقطة سيفها من الأرض : أنا من سيقتله ..

(عوراء) واضعة كفها على فمها : لمَ لم يمت بعد؟

(القيقبون) : الأضحية لا تموت إلا بنحر أوداجها ..

(كميت) لـ (رافدة) : أنهيه يا أختي .. ليس من المروءة تركه بهذه الحالة

بحركة خاطفة فصلت البدوية رأس المتنور الشاب عن عنقه ليسقط مع جسده والدماء الساخنة تنبع بغزارة على السطح المتجمد ..

(القيقبون) رافعة نظرها : أين ابنة معناد؟

(كُميت) منتبهة موجهة نظرها للأفق : لقد وقعت هناك .. هيا لنطمئن عليها!

نزعت الحجازية أسهمها المغروسة في رأس وجسد (شاور) وجرت نحو (هند) المستلقية ..

(رافدة) لعجوز القدر قبل أن تلحق بأختها : شكراً يا (سديرة) ..

(القيقبون) : اشكريني بعدم مناداتي بهذا الاسم



(رافدة) باسمة مهرولة تجاه (هند) و(كُميت) : حاضر يا عجوز القدر!

(القيقبون) صارخة فيها وهي تبتعد عنها : ولا بهذا الاسم!

وقفت (القيقبون) صامتة و(عوراء) تراقبها بأعين حذرة ومترقبة ..

(القيقبون) بتجهم : ما بك؟!

(عوراء) بحذر : لدي سؤال لكن أخشى أن تغضبي

(القيقبون) : بما أنكِ السائلة فسأغضب في كل الأحوال .. لذا اسألي

(عوراء) : ما معنى فحل؟

ضحكت عجوز القدر ووضعت كفها على رأس (عوراء) وهزته بحركة مداعبة ولم تجبها وسارت معها للحاق بـ (رافدة) و(كُميت) للاطمئنان على (هند) ..



غروب الغربان



عكزت العرجاء الغاضبة حتى وصلت لضفاف النهر المتجمد وجلست مسندة ظهرها لجذع شجرة كبيرة واضعة عكازها في حجرها منزلة رأسها النازف باكية ..

« هل كُسرتِ يا جدعاء ..؟»

رفعت العرجاء نظرها لترى الدعجاء تقف أمامها بوجهٍ متسائل .. مسحت (نافجة) دموعها النازلة على خدها والتي اختلطت ببعض دماء جرحها وبنبرة مقهورة قالت :



«توقفي عن محاولة حمايتي! .. ولا تعامليني كعاجزة! .. الموت أهون من الشعور بالعجز!»

اقتربت الدعجاء منها وجلست بجانبها موجهة نظرها لمكان تجمع بقية العصبة حول (هند):

«هل تظنين أن هذا ما أحاول القيام به ؟»

(نافجة) محدقة بعكازها في حجرها : «إذا لم تقدمي لي الفخر فلا تجلبي لي العار ..»

(دعجاء) ملتفتة إليها بملامح متفاجئة : ماذا تقولين يا ابنة أملج؟

(نافجة) رافعة رأسها بوجه صارم اختلطت فيه الدموع بالدماء : «يفصلنا مسيرة يوم عن نهاية الغابة .. سأكمل بقية الطريق وحدي .. سأتوارى عن الأنظار إلى حين رحيلكن ولو قدر لنا أن نلتقي مجدداً فسيحدث ذلك ..»

(دعجاء) : لن أسمح لكِ .. حتى وإن منعتكِ بالقوة

(نافجة) ملتفتة إليها وخمارها يسقط خلف رأسها : «هذا ليس قراركِ يا (دعجاء) ..»



وقفت العرجاء مستعينة بعكازها وقالت قبل أن تسير مبتعدة : سأثبت لكِ ولنفسي أني لست عاجزة .. اعتني بالفتيات .. وبالصبية .. كما اعتنيتِ بي

عكزت (نافجة) ودخلت الغابة ولم ينتبه إليها أحد سوى (القيقبون) التي صمتت حين نظرت للدعجاء الجالسة بوجه مهموم. نهضت ابنة معناد بعد ما مسحت عجوز القدر على لسانها ما يشبه الطحين الأسود بطرف إصبعها وحينها شعرت بتجدد عافيتها لتنهض متسائلة : ما الذي أطعمتني؟

(القيقبون) : مسحوق كبد أنثى الضبع ..

(هند) : أشعر بدقات قلبي تتسارع وتطرق بقوة

(القيقبون) : سيمنحكِ بعض الدفء كذلك

(كُميت) باحثة بنظرها من حولها : أين القائدة لا أراها؟

(رافدة) : لقد كانت مع العمة (دعجاء)

(عوراء) بقلق : لنذهب ونسألها

جرت الفتيات الثلاث نحو (دعجاء) التي لا تزال جالسة عند الشجرة وحينما سألنها عن (نافجة) قالت : «عمتكنّ تحتاج بعض الوقت مع نفسها ..»



(عوراء) بعبرات مخنوقة : ستعود لـ ((عربستان))؟

(كُميت) : هل إصابتها بالغة؟ .. هل فقدت القدرة على الاستمرار؟

(رافدة) : كيف تخلت العصمة عنا هكذا؟

(دعجاء) : هي لم تتخلَّ ولن تتخلى عنكنّ أبدًا .. لكن لا يمكن للإنسان أن يفيد غيره بإهمال نفسه .. وهي تعرف ذلك جيداً .. الخيار الذي اتخذته متاح لكنّ أيضاً ..

(كُميت) : نحن هنا لأجلها

(عوراء) بحزن : لو كنت أعرف الطريق الذي سلكته للحقت بها

(رافدة) : لا أعرف ماذا أقول ..

(دعجاء) ناهضة من مكانها : العصبة ستكمل طريقها .. والخيار لكنّ

سارت الدعجاء وشقت طريقها بين الفتيات نحو (القيقبون) و(هند) الواقفتين تراقبان من بعيد وحين وصولها إليهما حكت لهما ما حدث وكلتاهما لم تبدِ أي اعتراض أو تغيير في عزيمتها على المضي قدماً في مسعاهن الذي أتين من أجله.

(رافدة) مراقبة العصبة وهي تتوجه للطرف الآخر من ضفاف النهر المتجمد نحو الغابة : لقد بدأن بالتحرك ..



(عوراء) : هل سنتبعهن؟

(كُميت) تشد جراب سهامها على ظهرها متقدمة للأمام : أنا سأفعل ..

(رافدة) لاحقة بأختها : وأنا كذلك

(عوراء) سائرة بتردد خلفهما : لن أبقى وحدي هنا ..

سارت العصبة ما تبقى من ساعات النهار ولاحظن أن الغابة أصبحت أقل كثافة من السابق ونور السماء الشحيح شع من بين أغصانها المتباعدة لكن ذلك مكن الثلوج المتساقطة من وقت لآخر من التكدس بشكل أكبر على الأرض ما زاد من برودة المكان حولهن.

(دعجاء) السائرة في المقدمة وإلى جانبها (هند) : كم تبقى لنا ونتجاوز هذه الغابة اللعينة يا ابنة معناد؟ .. نحن نسير منذ ساعات ولم نرَ أي نهاية للطريق

(هند) معانقة نفسها وبخار أبيض يخرج من فمها وأنفها : لقد اقتربنا .. أظن أننا بهذه الوتيرة سنصل لمخرج الغابة مع حلول الليل

(دعجاء) ملاحظة شحوب وجه (هند) والإرهاق البادي عليها : ما بكِ؟



(هند) : أشعر أني فقدت الكثير من طاقتي .. جسدي يئن ألماً وأشعر بالوهن

(دعجاء) : هل يمكنكِ الاستمرار بالمشي؟

(هند) : نعم .. لا تقلقي عليّ .. سأرتاح حينما نجتاز الغابة

(دعجاء) : لن نتوقف حتى نصل إذاً ..

(عوراء) معانقة دُفها وشفتاها ترتجفان : لمَ تزداد البرودة كلما تقدمنا؟

(القيقبون) مقتربة من وراء الصبية واضعة فراءها على ظهرها : حين نصل سأشعل لكِ نارًا كبيرة عندما يحن قلب ابنة وصبان ونتوقف للراحة

(عوراء) ملتفتة لعجوز القدر بوجنتين محمرتين : ألن تشعري بالبرد إذا تخليتِ عن فرائكِ؟

(القيقبون) محتسية قنينة صغيرة : لدي ما يدفئني!

(عوراء) باسمة مشيرة لوجه (القيقبون) بسبابة تهتز بردًا : حاجباكِ اكتسيا بالثلج ..

(القيقبون) ضاحكة : ورأسكِ الأحمر كذلك يا صبية!



(كُميت) السائرة بجانب (رافدة) في نهاية المسيرة : الطريق يزداد قساوة كلما تقدمنا وأشعر بأننا نفقد الكثير من همتنا وطاقتنا

(رافدة) : هل تظنين أن هذا هو سبب انسحاب العمة (نافجة)؟

(كُميت) محتضنة نفسها : القائدة لم تنسحب ..

(رافدة) : ماذا تسمين ما قامت به إذاً؟

(كُميت) : أنا متفهمة رغبتها بالاختلاء بنفسها ولو لوقتٍ قصير .. كنت أفعل الشيء ذاته حينما أفقد قدرتي على إصابة الأهداف بدقة كما اعتدت .. الضجيج ليس دائماً أصواتًا نسمعها أو مشاهد نراهـا .. ضجيج أنفسنا يمكن أن يدمرنا إذا لم نصغِ إليه من وقتٍ لآخر ونحاول التعامل معه

(رافدة) : كان يمكنها القيام بذلك وهي معنا .. كنا سنعطيها كل الهدوء الذي تحتاجه لو طلبت منا ذلك

(كُميت) منزلة رأسها محتضنة نفسها بسبب ريحٍ قوية هبت : لن تفهمي ما أعنيه دون أن تجربيه .. القائدة ستعود .. ستعود أقوى من السابق ..

(رافدة) رافعة كفها في وجه الريح القارسة : لنأمل أن تجدنا أحياء حين تقرر ذلك ..



(كُميت) منتبهة أمامها : لقد توقفت القائدة (دعجاء) ..

(هند) مقتربة بوجه شاحب ومرهق من الدعجاء التي وقفت تحدق أمامها : ما الأمر؟

(دعجاء) بأعين مترقبة بنظرات حادة وخصلات غرتها البيضاء تتراقص مع الريح :

«بعض الشر يمكننا الإحساس به .. هناك شيء مظلم يقترب منا .. شيء مختلف .. روح فاسدة ..»

(هند) موجهة نظرها حيث كانت الدعجاء تنظر : لا أرى شيئاً سوى طريق أبيض وأشجار ذابلة ..

(القيقبون) تدنو منهما : جيد أنكما قررتما التوقف كي نأخذ قسطاً من الراحة أعتقد أن الصبية الصغيرة مصابة بالحمى

(هند) ملتفتة وراءها لترى (عوراء) مستلقية و(كُميت) و(رافدة) تغطيانها بفراءيهما لتمنحاها المزيد من الدفء : أقترح أن نتوقف قليلاً ..

(دعجاء) وهي تسمع نعيق غراب يصدح في الأرجاء : أعتقد أن ذلك لم يعد خيارًا الآن ..

اهتزت الأغصان ليخرج منها سرب كبير من الغربان الناعقة حلقت بشكل دائري أفزعتهن لوهلة لكنهن تماسكن رافعات رؤوسهن



يراقبن تلك الطيور السوداء وهي تطير في حلقة من فوقهن تنعق بصوت عالٍ. انقطع تركيزهن حين عادت تلك الغربان فجأة على الأغصان وتوقفت عن النعيق تبعه حديث صوت أتى من أمامهن قائلاً بالفارسية :

« لا تبدين في أحسن أحوالكِ يا (هند) ..»

وجه الجميع أنظارهن لمصدر الصوت ليرين فتاة بشعرٍ أسود كثيف وقصير تحدق بهن بأعينها الواسعة جدّاً بوجه باسم مخطط ببعض الخطوط الحمراء وغراب يقف على كتفها يداعب شعرها بمنقاره ..

(هند) متجهمة : .. (خمود) ..

(خمود) مطعمة الغراب بفمها وبالفارسية : كنت أعرف أنكِ ستخونين الطائفة يوماً ما .. أخبرت الوزير (فايو) بذلك في أكثر من مناسبة لكنه لم ينصت لي

(هند) بالفارسية : لا أحد ينصت للمعاتيه ..

ضحكت (خمود) بقوة خلال رفرفة الغراب بأجنحته على كتفها ..

(القيقبون) تدنو من (هند) : هل هي متنورة؟

(هند) بصوت مسموع لعجوز القدر فقط : بل أسوأ ..



(القيقبون) متأملة (خمود) وهي تداعب غرابها : لمَ تطعم ذلكَ الغراب بفمها؟

(دعجاء) : هكذا تطعم الطيور صغارها ..

(القيقبون) : فلنتخلص من هذه المجنونة إذاً ونكمل طريقنا

(هند) : خذي حذركِ يا أختي فهذه القاتلة ليست كالبقية ..

(دعجاء) : سنتجاوزها كما تجاوزنا من قبلها

(خمود) متأملة أظافرها السوداء الطويلة محدثة غرابها بالفارسية : هل تعتقد أني سأكسر أحدها اليوم؟ .. سأحزن كثيراً لو حدث ذلك ..

تقدمتِ (القيقبون) بوجهٍ عابس وقالت : اتركنها لي ..

وقفت عجوز القدر أمام (خمود) المتبسمة لها بينما تراجعت (هند) والدعجاء تراقبان بحذر ..

عقدت (القيقبون) أصابعها وهمت بقراءة طلسمٍ ما لكن (خمود) رفعت كفها ذات الأظافر السوداء الطويلة وقالت : «شتات ..»

نزلت الغربان المستقرة على الأغصان دفعة واحدة وأخذت تنعق وتنقر في (القيقبون) كالجراد الهاجم على عشبة يانعة لتبدأ هي بالصراخ والتلويح بأذرعها في محاولة فاشلة لإبعادهم عنها.



انطلقت (هند) ناحية عجوز القدر لمساعدتها لكن (خمود) وجهت كفها تجاهها قائلة : «ثبات ..»

حلقت الغربان مبتعدة عن (القيقبون) التي سقطت متأثرة بذلك الهجوم وبدأت تحوم حول بعض الأشجار التي اهتزت وارتفعت وقلعت من جذورها وبحركة سريعة وخاطفة سقطت جميعها دفعة واحدة على (هند) وثبتتها بالأرض.

(دعجاء) بالعربية : «أنتِ لستِ كالبقية ..»

لم تفهم (خمود) كلام الدعجاء لكنها تبسمت وقالت بالفارسية : «أنا لست عدائية بطبيعتي لكن حينما يستلزم الأمر أستطيع التعامل مع أعدائي ..»

دعجاء واضعة كفها اليسرى على مرفقها الأيمن دون أن تفهم ما قيل لها : «سنرى مدى قوتكِ الآن ..»

انشقت الأرض أسفل (خمود) التي قفزت متراجعة للوراء ليخرج من القاع نبع ماء قوي تفجز للأعلى أمطر المكان بقطرات كبيرة ساخنة سقطت واحدة تلو الأخرى على رؤوس الغربان وفي كل مرة تقع قطرة على غراب يُصعق ويقع ميتاً.

صرخت (خمود) بخليط من الغضب والقهر عندما رأت معظم غربانها يتساقطون أمامها كالذباب ..



دعجاء محركة أناملها موجهة نبع الماء الساخن والفائر نحو (خمود):
لا تجزعي ستلحقين بهم الآن..
تجهمت (خمود) وهي تشاهد كتلة ضخمة من الماء الساخن تندفع نحوها لتقفز عالياً ممسكة بأحد الأغصان وبحركات رشيقة وسريعة تنقلت بين الأشجار حتى أصبحت فوق (دعجاء) التي تفاجأت من سرعتها ولم تلحق صد نزولها عليها وتوجيه ضربة مباغتة لها أسقطتها على وجهها.
(خمود) رافعة كفيها ونظرها لـ (دعجاء) الواقعة أمامها وبالفارسية:
ستدفعين ثمن قتل غرباني يا عجوز!
قبل أن تطلق (خمود) أي هجوم نحو الدعجاء الغافلة التفتت وراءها بسرعة وأمسكت سهماً كاد أن يصيب ظهرها لترى (كُميت) على ركبتها تنظر لها مصدومة حين تمكنت من تفادي هجمتها.
كسرت (خمود) السهم بشد قبضتها عليه وانطلقت جرياً نحو الحجازية المصدومة ولطمتها بضربة رمت بها بعيداً تجاه شجرة كبيرة اصطدمت بها بظهرها بقوة لتقع عند قاعها ويقع من يدها قوسها. انتبهت (خمود) لـ (رافدة) التي لم تزل جاثية عند (عوراء) المستلقية وقالت لها وهي تشير لها بأناملها الأربع بالتقدم نحوها:
«بيا إينجا..»



نهضت البدوية وسلت سيفها لكنها وقبل أن تتقدم خطوة خطف غراب كبير السيف من قبضتها وحلق به بعيداً..

(خمود) بنبرة ساخرة وبالفارسية:

«ماذا ستفعلين الآن دون سلاحكِ؟»

حبل الوريد



بقيت العرجاء تراقب عصبتها من وراء الأشجار حتى اختفين خلف الغابة في الجهة المقابلة قبل أن تبدأ هي بالسير في الاتجاه المعاكس لمسافة قصيرة قبل أن تتوقف وتجلس أرضاً بوجه مهموم متفكر تتحسس جرح رأسها النازف.

«سيدة (نافجة)..؟»

شدت العرجاء على العكاز في حجرها رافعة نظرها بانتباه خالطه الحذر والتوتر قائلة :



ظهر أمامها سحابة دخانية تشكلت بهيئة رجل اتضحت معالمه لها ..

(نافجة) بتعجب : (زمجد)؟ .. أين كنت؟

(زمجد) منزلًا نظره بوجه مستاء : أشعر بالعار لأني خذلتكن ..

(نافجة) : أنا لم أسمع سبب اختفائك كي نحكم بأنك خذلتنا

جلس الجني الأزرق متربعاً أمامها ثم قال : عندما دخلت في غيبوبة المتنور معكن رأيت أمورًا لم أرَها من قبل ..

(نافجة) : أمور ماذا؟

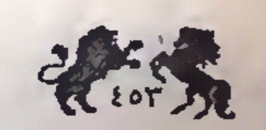
(زمجد) : أهلي .. شعبي .. مملكتنا المنهارة ..

(نافجة) : لذلك هربت؟ .. بحثاً عن مملكة الجن الأزرق؟

(زمجد) : نعم .. حين أخرجتنا السيدة (كُميت) من غفوتنا وجدت نفسي تواقة للبحث عن بني جنسي لذا رحلت في الحال .. رحلت بحثاً عن مملكتنا .. مملكة الجن الأزرق في ((جبال البرز))

(نافجة) : وهل وجدتها؟

(زمجد) : ما تبقى منها .. ركاماً فقط ..



(نافجة) : ألهذا عدت إلينا الآن؟ .. لأنك لم تجد شيئاً يستحق البقاء؟

(زمجد) : أنا لم أجد مملكتنا لكني وجدت بعضَ شعبنا .. كنت أظن أنهم اختاروا الفناء وأن يدفنوا في طي النسيان واكتشفت أني كنت مخطئاً عندما تحدثت معهم .. لهذا السبب عدت .. عدت لأطلب الإذن بالرحيل .. للعودة لشعبي ومعاونتهم في البناء .. في النهوض .. ما زال هناك من عرقنا من يحاول إعادة أمجادنا .. أعدادنا قليلة لكننا سنحاول ..

(نافجة) : أنت لم تطلب الإذن سابقاً فلمَ الآن؟

(زمجد) : لأن رحيلي هذه المرة قد يكون بلا عودة ..

(نافجة) : أنت حر .. (عوراء) منحتك حريتك وحررتك من قيدك وعبوديتك ..

(زمجد) : لكنها لم تحررني من قيد قلبها .. لا يمكنني الرحيل دون توديعها

(نافجة) : هي ليست برفقتي الآن كما ترى ..

(زمجد) : أعرف .. لذا قررت الحديث معكِ الآن

(نافجة) : هل تريد توديعي أم توديع (عوراء)؟

(زمجد) : أريد أن أودعها دون أن ألتقي بها ..



(نافجة) : هل هذه أحجية؟

(زمجد) : أرجوكِ يا سيدة (نافجة) .. عاونيني .. قيدي معها أقوى من أي قيد ولا أقدر على كسره .. لن أنام قرير العين وأنا أشعر بأنها قلقة عليّ

صمتت (نافجة) لثوانٍ ثم قالت : ارحل يا (زمجد) .. ارحل ولا تلتفت وراءك ..

(زمجد) بحزن : والسيدة (عوراء)؟

(نافجة) : إذا افتقدتك يوماً فسأخبرها بما أخبرتني به الآن .. سأخبرها بأنك تحبها وتشتاق لها .. وربما يوماً ما تجمعكما الأقدار مجدداً .. (عوراء) ستكون سعيدة لك .. أعدك بذلك

(زمجد) باسماً : شكراً .. شكراً يا سيدتي

وقفت العرجاء مستعينة بعكازها ومدت يدها لمصافحة الجني الأزرق قائلة :

«أنت سيد نفسك الآن .. ابدأ حياة جديدة مع من تبقى من شعبك ولا تحمل همّاً غيرهم ..»

نهض زمجد وعانق (نافجة) بوجه حزين قائلاً :

«سأفتقدكِ أنت أيضاً يا سيدة (نافجة) ..»



بالرغم من تفاجؤ (نافجة) بما فعله الجني الأزرق إلا أنها مسحت مطبطبة على ظهره خلال عناقه لها وقالت باسمة : «سأفتقدك أنا أيضاً ..»

فك الجني الأزرق عناقه للعرجاء واضعاً كفه على جرحها صاحبه شعورها بحرارة قوية على رأسها ..

(نافجة) : ماذا تفعل؟

(زمجد) باسماً : أطبب جرحكِ مثلما طببتِ جرحي ..

تبسمت (نافجة) وهي تتأمل أعين الجني الأزرق وهو يعالج جرحها وحينما انتهى رفع كفه وقال : سأرحل الآنَ لجبـ..

انقطع حديث (زمجد) بعد ما اخترق نصلٌ حاد رقبته من الخلف ملطخاً وجه (نافجة) بدمائه ليتهاوى جسده عليها لتلتقطه معانقة وهي في صدمة كبيرة. وجهت العرجاء نظرها برأسها المسند على كتف جسد الجني المستلقي عليها لترى رجلاً ضخماً كثيف الحاجبين والشارب يقف متأهباً وشم أسفل عينه اليسرى ثلاث دوائر مصمتة يلبس عباءة بيضاء مزركشة بخطوط ذهبية كلون السيف الكبير الذي شده بيديه والتي تلطخت قمتها بدماء الجني الأزرق. وضعت (نافجة) جثة (زمجد) الهامدة جانباً وهزته في محاولة لإيقاظه



لكنها تيقنت من موته لتدمع عينها وهي تمسح على صدره قائلة :

«ارحل بسلام أيها الفارسي النبيل ..»

حدث المتنور (نافجة) بالفارسية بنبرة متحدية قائلاً : «هيا انهضي كي تلحقي بصاحبكِ!»

شدت (نافجة) عكازها الملقى بجانبها بوجه متجهم وقالت خلال نهوضها بسخط :

«حسناً أيها الموت .. خذني اليوم إن استطعت ..»

ما أن وقفت العرجاء على عكازها حتى أنزل المتنور سيفه الذهبي على رأسها لكنها تمكنت من الابتعاد عن طريقه بالاستدارة وراءه وقراءة طلسم سريع دفع به للأمام دون أن يوقعه.

ضحك المتنور وهو يستعيد توازنه قائلاً بالفارسية :

«طلاسمكِ هذه لن تجدي معي نفعاً يا عربية!»

حركت(نافجة) أناملها مشكلة هي الأخرى سيفاً بيدها رفعته في وجه المتنور قائلة :

«بارزني ..»

دخل الاثنان في قتال محموم بالسيوف وكانت مهارة المتنور في المبارزة عالية جدّاً فاقت قدرات العرجاء لكن ومع ذلك لم يتمكن



من إصابتها مرة واحدة بالرغم من محاولاته المتكررة. أصيبت (نافجة) بالإنهاك وشعرت أنها لو استمرت في هذا النزال فستكون الغلبة لخصمها لذا وحين صدت إحدى هجماته قفزت للوراء مستعينة بعكازها ثم قامت برميه مع السيف عالياً فوق رأسها وضمت كفيها بعضهما ببعض بأعين مغمضة وهي تتوازن على قدم واحدة وبدأت تتمتم ببعض الكلمات. قبل أن يهبط العكاز التحم مع السيف وتحول لرمحٍ ذهبي طويل انطلق نحو المتنور الذي دخل في صراع معه وكأنه يقاتل محارباً محترفاً.

بالرغم من مهارة المتنور في صد هجمات وطعنات الرمح الذهبي إلا أنه شعر بدنو هزيمته بعد ما تلقى عدة طعنات ناجحة في أماكن متفرقة من جسده لذا وفي حمية المعركة فتح عباءته البيضاء ليخرج منها قطة سمينة بفراء أبيض كثيف وأعين زرقاء انطلقت مباشرة تجاه (نافجة) الواقفة على قدمها وصعدت عليها وغرست مخالبها في أعينها المغمضة وأخذت تصدر مواءً حاداً وتخربش وجه العرجاء بشراسة مما أرغمها على قطع تركيزها والقبض على عنق القطة ورميها جانباً.

سقط الرمح الذهبي بعد ما تشتت ذهن (نافجة) واستغل المتنور ذلك وانطلق مسرعاً نحوها موجهاً سيفه تجاه العرجاء التي لم



تلحق صد هجمته السريعة لأنها لم تنتبه له إلا بعد فوات الأوان.

وحين أصبحت المسافة بين صدرها ورأس السيف قيد أنملة كسر رأس السيف ولم يصب هدفه ..

وقف المتنور متعجباً يتأمل سيفه المكسور ..

العرجاء تراقبه بالعجب نفسه ..

لأنها لم تكن من قام بذلك ..

صوت أنثوي يتحدث بالفارسية يصدر من جانبهما :

«أنت تقاتل بقذارة أيها المتنور..»

وجه الاثنان أنظارهما لمصدر الصوت ليريا امرأة بلباسٍ أزرق ممزق تشهر وتشد سيفاً بنصلٍ براق تلبس قناعاً ذهبيّاً ..

تجهم المتنور واستدار نحوها رامياً بسيفه المكسور وقال وهو يمد يديه داخل عباءته مخرجاً سيفين آخرين : «من أنتِ؟»

(أنهار) من وراء قناعها بالفارسية : «أنا عاقبتك المؤجلة أيها الوغد..»

اندفع المتنور تجاه الساحرة الهجينة واشتبك معها في قتالٍ محموم بالنصال لكن ذلك الصدام لم يدم طويلاً لأن ضرباته لم تثنِ (أنهار)



عن تمزيقه بسيف السماء وتقطيع أطرافه واحدًا تلو الآخر قبل أن توجه ضربتها الأخيرة لقمة رأسه قسمته بها لنصفين ليسقط كل نصفٍ جانباً بيد قابضة على سيف.

(نافجة) وهي مبهورة بما شهدتِ للتو : أنا ممتنة لكِ ..

(أنهار) موجهة وجهها المقنع تجاه العرجاء وبعربية ركيكة : أنتِ عربية ..

(نافجة) : وأنتِ لستِ كذلك ..

(أنهار) وعينها تلمح قدمها المبتورة : هل أتيتِ لـ ((فارس)) برفقة أحد؟

(نافجة) بشيء من التوجس : لمَ تسألين؟

(أنهار) : لا يوجد سبب .. انسي الأمر

(نافجة) : لمَ غدرتِ بإخوتكِ؟

(أنهار) بخليط من التساؤل والعجب : إخوتي؟

(نافجة) : المتنورين ..

(أنهار) : هؤلاء أعدائي وليسوا إخوتي ..

(نافجة) : وأعدائي أيضاً



(أنهار) : لقد ساعدتكِ فقط لأني لا أحب الظلم وهؤلاء الأوغاد طغوا في الأرض ويجب أن يوقفهم أحد

(نافجة) : أتفق معكِ يا أختي ..

(أنهار) : لكن هل أستطيع أن أدير أنا ظهري لكِ ..؟

(نافجة) : ليس من المروءة مقابلة الإحسان بالغدر .. يمكنكِ الوثوق بي ..

(أنهار) وهي تهم بالرحيل : اهتمي بنفسكِ أيتها العربية ..

(نافجة) تستوقفها : مهلاً .. ما اسمكِ؟

وقفت (أنهار) للحظات تتأمل جثة المتنور المقسومة ثم وجهت نظرها للعرجاء وقالت بأعين تلمع بالدموع من وراء ثقوب القناع :

«أنا؟ .. أنا لا أحد .. مجرد فتاة فقدت براءتها منذ زمنٍ بعيد .. لتصبح روحاً مشتعلة تبحث عمن تحرقه أو يُخمدها للأبد ..»

سارت الساحرة الهجينة حتى اختفت بين الأشجار تاركة (نافجة) تفكر في كلامها ..





فِراقٌ ومُفترق

«ماذا ستفعلين الآن دون سلاحكِ؟»

قالتها (خمود) بالفارسية وبنبرة ساخرة للبدوية الواقفة بوجهٍ ارتسمت عليه نظرات الرهبة لكن ذلك لم يمنعها من محاولة حماية (عوراء) المستلقية عند أقدامها من تقدم المتنورة نحوها لتقف شاهرة قبضتيها عاليًا حائلاً أمامها.

(خمود) بتهكم رافعة كفها ذات الأظافر السوداء الطويلة في وجه (رافدة) :

«شجاعة حمقاء .. لكنها تبقى شجاعة .. اهلكي الآن .. تمزيق! ..»

انطلق ما تبقى من الغربان بمناقيرهم الحادة تجاه البدوية الواقفة والمستسلمة لأمرها لكن تلك الغربان لم تلحق أن تصل إليها قبل أن تشتعل جميعها وتتحول لرماد لتلتفت (خمود) بوجه غاضب وراءها وترى الدعجاء تنظر إليها بحدة بأصابع معقودة وتقول بالعربية :

«نحن لم ننتهِ بعد يا أم الغربان!»



قبل أن توجه (دعجاء) هجومًا آخر سمعت صوت أنين (هند) آتياً من تحت جذوع الأشجار التي وقعت عليها مما شتتها لوهلة وسمح لـ (خمود) باستغلال الفرصة والانطلاق بسرعتها الخارقة وتوجيه ضربة مباغتة بأظافرها لبطن الدعجاء ممزقة جزءاً من لباسها وجلدها أتبعتها بحركة أخرى مماثلة عبر وجهها متسببة لها بثلاثة جروح سطحية. اختل توازن الدعجاء وسقطت على جانبها لكنها وقفت في الحال لتشن هجومًا معاكسًا لتتفاجأ بأن (خمود) قد اختفت من أمامها. تلفتت (دعجاء) حولها بحثاً عن خصمها ولم ترَ لها أثرًا في الجوار. لم تشاهد سوى عصبتها المتساقطة في كل ركن من أركان المكان.

(القيقبون) ناهضة بتثاقل بوجه امتلأ بالخدوش منادية على (دعجاء):

«هل تخلصتِ من تلك اللعينة؟ ..»

(دعجاء) وهي لا تزال متأهبة وعيناها تجولان بحذر وترقب شديدين من حولها:

«لا .. هي لا تزال هنا .. اعتني بـ (هند) واتركي أمرها لي .. وأنتِ يا بدوية اهتمي بأمر الحجازية ..»



جرت (رافدة) بعد ما سمعت كلام الدعجاء وتوجهت لـ (كُميت) لتفقدها بينما بدأت (القيقبون) بتفحص الأشجار الواقعة فوق (هند) في محاولة لتخليصها ..

نعيق قوي يُسمع من بين الأغصان ..

ترفع (دعجاء) نظرها للأعلى بشيء من التوتر ..

النعيق يستمر .. ويتعالى ..

يتحول تدريجياً لضحكاتٍ بصوت (خمود) ..

تتحدث من ظلام الأغصان بالفارسية :

«ما بكِ يا عجوز؟ .. هل فقدتِ القدرة على الرؤية»

(القيقبون) وهي تسحب جسد ابنة معناد من تحت جذع الشجرة الوقع عليها : «ما بك يا ابنة وصبان؟!.. لِمَ أنت واقفة هكذا؟!»

(دعجاء) ونظرها يمعن أكثر في الأغصان فوقها وبنبرة مرتبكة :

«هذه الفتاة .. ليست كالبقية كما قالت (هند) ..»

(القيقبون) واضعة رأس (هند) الفاقدة لوعيها في حجرها : ابنة معناد إصابتها بالغة ..

(دعجاء) دون أن تحيد بنظرها عن الأغصان : قومي بما تستطيعين لتطبيبها



(القيقبون) باحثة في حقيبتها المعلقة على كتفها : سأحاول ما أستطيع

في الوقت نفسه الذي قامت به عجوز القدر بالعناية بـ (هند) كانت (رافدة) تتفحص جسد أختها بحثاً عن أي إصابات وخلال قيامها بذلك أفاقت (كُميت) وقالت بصوت مشتت : «هل قضينا عليها؟»

(رافدة) مبتهجة بإفاقة أختها : أنتِ بخير .. لا تتحركي

صرخت الدعجاء متألمة حينما نزلت)خمود(فجأة على ظهرها غارسة جميع أظافرها السوداء الطويلة في أكتافها وقبل أن تلحق مهاجمتها قفزت مجددًا وتوارت بين أغصان الشجر ..

(كُميت) لـ (رافدة) وهي تحاول الوقوف منزلة لثامها كاشفة عن أنفها النازف : أحضري قوسي في الحال!

حملت البدوية القوس ومدته لأختها التي شدت عليه سهماً بيد راجفة لكنها بدأت تدمع وهي تبحث عن هدف تصيبه فلاحظت (رافدة) ذلك وقالت : ما بكِ؟

(كُميت) وسبابتها وإبهامها ممسكان بوتر القوس المشدود عند خدها : لا أستطيع الرؤية بشكل واضح .. رأسي لا يزال يلف وتركيزي مشتت

مدت (رافدة) يديها وأنزلت القوس قائلة : لا ترهقي نفسكِ .. العمة (دعجاء) ستتخلص منها



صرخة أخرى تطلقها الدعجاء بعد ما كررت (خمود) هجومها من الأعلى بالطريقة نفسها قبل أن تقفز لتختبئ بين الأغصان ..

تكررت الهجمات وفي كل مرة تعجز الدعجاء عن تفاديها أو الانتباه لها قبل حدوثها لسرعة (خمود) الخارقة ..

خارت قواها في النهاية وسقطت على ركبتيها تتنفس بثقل ..

صوت نعيق قوي يصدر من الأعلى ..

يتبعه صوت (خمود) يصدح في الأرجاء قائلاً بالفارسية:

«آن الأوان لتهلكي يا عجوز!»

لم تفهم (دعجاء) فحوى حديث (خمود) لكنها استشعرت من نبرة صوتها أنها تنوي توجيه ضربتها الأخيرة فرفعت نظرها تجاه (القيقبون) ورأت في عينيها العزم على التدخل لكن الدعجاء أشارت لها بهز رأسها بالنفي والدماء تقطر من أكتافها وأمرتها بعدم ترك (هند) وحدها ..

راقب الجميع عاجزات هبوط (خمود) الأخير فوق الدعجاء بعد ما أطلقت نعيقاً قويّاً أتبعته بصرخة أقوى استمرت دون انقطاع خلال نزولها ..



جسد ورأس يسقطان ..

أمام الدعجاء الجاثية على ركبتيها ..

يتبعه هبوط (نافجة) وبيدها سيف مبتل بدماء (خمود) ..

زفرت (دعجاء) باسمة واضعة كفيها على أفخاذها المثنية قائلة : عدتِ إذاً يا جدعاء ..

(نافجة) تبادلها الابتسام والسيف يختفي من يدها : أنا لم أرحل كي أعود ..

أمضت العصبة الساعة التي تلت تلك المواجهة الدامية في لم شتاتها وتفقد خسائرها فقد ارتفعت الحمى أكثر على (عوراء) وبدأت تهذي وترتجف وفشلت كل المحاولات لتدفئتها و(كُميت) لم تدرك مدى خطورة إصابتها إلا حينما فحصتها (القيقبون) واكتشفت أنها أصيبت بكدمات شديدة في ظهرها بعد ما رأته مزرقّاً بالكامل وأمرتها بالاستلقاء بعد ما سقتها شراباً لتخفيف إحساسها بالألم. ابنة معناد لم تكن بحالٍ أفضل فقد كُسر مجدداً ضلعها المصاب سابقاً في مواجهتها مع (فايو) لأنه لم يكن قد تماثل للشفاء تماماً وزاد عليه كسور ورضوض أخرى تفرقت بين أصابعها وعظام أكتافها.



بذلت (القيقبون) مجهوداً كبيراً في محاولة التخفيف عنهنّ واستهلكت الكثير من مؤونتها التي جلبتها معها فقط كي تستقر حالتهنّ وحين اطمأنت إلى أنهنّ تجاوزنَ المرحلة الحرجة أشعلت نارًا كبيرة ووزعتهن حولها كي لا يصبن بالبرد الذي كان في تزايد مستمر بسبب الريح الثلجية الباردة التي هبت في المكان مع حلول الليل.

جلس البقية حول نار أخرى قريبة أشعلنها وبدأن يناقشن وضعهن الحالي ..

(رافدة) غارسة سيفها الذي استعادته أمام النار : لا يمكننا الاستمرار بالتقدم والبقية بهذه الحالة

(دعجاء) : ولا يمكننا البقاء كذلك .. ثباتنا في مكانٍ واحد سيجعل منا هدفاً سهل الاقتناص وسنكون لقمة سائغة لأي هجوم آخر ووقتها لن تنجو أيٌّ منهنّ

(نافجة) : وما العمل؟

(القيقبون) : نفترق ..

(نافجة) بخليط من العجب والاستنكار : نفترق؟



(القيقبون) : سأبقى أنا معهنّ لأعتني بهنّ حتى يستعدن بعضَ عافيتهنّ لكن أنتنّ يجب عليكنّ الاستمرار في التقدم وسنلحق بكن حالما نكون قادرات على التحرك

(رافدة) : ولو تعرضتن لهجوم؟

(القيقبون) : بقاؤكن معنا يجعل فرصة الهجوم علينا مؤكدة لكن لو رحلتن فقد يكون ذلك مدعاة لإغفال الأعين عنا .. هم لن يهتموا بنا إذا رأوكن تقتربن أكثر من سيدهم وسيكون جل اهتمامهم هو إيقاف تقدمكن نحوه

(دعجاء) : (سديرة) محقة .. لو بقينا معاً فسنهدر الكثير من الوقت قبل أن نصل لسيدهم الكبير وخلالها سيتمكنون من تنظيم صفوفهم وحشد المزيد من المتنورين ضدنا .. لقد سقط الكثير منهم والخسائر التي تلقوها حتى الآن لم تكن في حسبانهم وربما لم تصلهم أخبارها بعد .. عنصر المفاجأة كان حليفنا لفترة وجيزة لكننا الآن يجب أن نستغل عامل السرعة والوقت

(رافدة) : هل ثلاثنا فقط قوة كافية لتحقيق ذلك يا عمة؟ .. لقد أصابنا الإرهاق ونحن لم نصل بعد لأصعب مواجهة .. سيدهم هو رأس الهرم .. هو الأقوى بينهم



(نافجة) : عندما تقف أمام جبلٍ شاهق ستكون أشد مراحل قوتك هي وأنت تتسلق نحو القمة لكن ما أن تتربع فوقها ستفقد مع مرور الوقت تلك العزيمة والشراسة اللتين تمتعت بهما خلال صعودك .. القمة غفلة تُهلك من يثق بها .. وسقوطك وقتها يصبح هيناً مع أول ريحٍ بسيطة تهب وتعصف بك لتزل معها قدمك نحو القاع ..

(رافدة) : هل تقصدين أن قائد الطائفة هو ذلك الشخص الغافل على القمة؟

(دعجاء) : ونحن الريح التي ستعصف به في غفلة منه ..

(نافجة) : ولسنا بريح هينة يا بدوية .. ما قولكِ .. هل ستعصفين معنا؟

(رافدة) موجهة نظرها لـ (كُميت) النائمة مع بقية أفراد العصبة المستلقيات حول النار الأخرى : «سأفعل أي شيء لصد الخطر عنهنّ حتى يتعافين ..»

(نافجة) لـ (القيقبون) : اصدقيني القول يا (سديرة) .. هل سيقدرن على الاستمرار؟



(القيقبون) ناظرة للمجموعة المصابة بشيء من الإحباط : لا .. هن بالكاد سيتمكَّنَّ من الوقوف فقط للعودة للديار سالمات .. هذا إن استطعن تجاوز هذه الليلة القاسية .. لكن ..

(دعجاء) : لكن ماذا؟

(القيقبون) معيدة نظرها نحوهن : لقد جلبت معي عشبة من أرضنا .. زهور بيضاء بمياسم حمراء كلون الدموع القاطرة منها حين تُقطف وهي لا تنمو إلا في ظروف خاصة جدّاً .. مرة كل عشر سنوات وفقط في الأماكن التي أريق فيها دم وسقط موتى وبعد ما تنبت لا تزهر إلا إذا ضربت السماء الأرض حولها بصاعق .. اكتمال نموها مرهون بتلك المصادفات النادرة مثلها ..

(دعجاء) : زنابق الدم ..

(القيقبون) : هي بعينها .. والبعض يسميها لآلئ الصحراء لجمالها الأخاذ تحت ضوء القمر .. بالرغم من أنها لا تنبت إلا من وسط الجثث المهترئة

(رافدة) : كيف لجمالٍ كهذا أن ينبت من القبح ..؟

(القيقبون) مكملة حديثها : مغلي أوراقها قد يرمم حطامهن



بالكامل خلال ليلة واحدة .. لم أظن أننا سنحتاجها لكن وضعهنّ لا يبشر بالخير

(نافجة) : لمَ التردد إن كانت تلك الأزهار ذات فائدة؟

(دعجاء) : لأن زنابق الدم مثلما تهب الحياة يمكن أن تسلبها ..

(رافدة) بقلق : تسلبها؟

(القيقبون) : نعم .. إن أسقيتهن من مغليها فسيكنَّ عند مفترق طريقين .. أحدهما يقود للموت والآخر للنجاة ..

(نافجة) : ألا يوجد خيار ثالث؟

(القيقبون) : لا خيار سوى أن أترك الأقدار تتولى أمرهنّ لكن في تلك الحالة لن يتمكنَّ من إكمال الرحلة حتى إن نجون

(رافدة) : اسقيهن ..

(نافجة) : لا! .. نجاتهن أهم من قدومهنّ معنا

(القيقبون) : ماذا عنكِ يا ابنة وصبان .. ما رأيكِ؟

(دعجاء) : هذه معضلتكِ أنتِ يا (سديرة) .. القرار الفيصل بيدك

صمتت عجوز القدر تحدق بالنار بوجه متفكر..

(دعجاء) مستأنفة حديثها لـ (القيقبون) : ابنة معناد أخبرتني أن مخرج الغابة قريب وسيتبعه سفح يمر بـ ((جبال الملح)) ونهايتها



غابة صغيرة سيكون أمامها الجبل الذي يستقر على قمته ((عرين الأسد)) .. سنتوقف هناك وننتظركن يومًا كاملاً وإذا لم تلحقن بنا فسنكمل الطريق دخولاً للجبل دونكن

هزت (القيقبون) رأسها بالموافقة والتأييد ..

لاحظت (دعجاء) أن وجه (رافدة) تغير وهي تنظر للنار المشتعلة ..

بدت وكأنها على وشك البكاء ..

(دعجاء) : ما بكِ يا بدوية؟

(نافجة) منتبهة هي الأخرى لحال (رافدة) الذي تبدل فجأة واضعة كفها على ظهرها وبنبرة مطمئنة : لا تقلقي سنكون بخير ..

(رافدة) كاظمة نوبة بكاء باغتتها وبصوت مختنق : أخاف ألّا أموت بشكلٍ لائق ..

(دعجاء) : المرء لا يختار يوم مماته لكنه يستطيع اختيار الطريقة ..

(رافدة) ودموعها تهرب من عينيها : لا يهمني كيف حييت لكن من المهم أن أرحل تاركة أثرًا لا ينسى ..

تبسمت (نافجة) وضمت رأس البدوية لصدرها قائلة : هذا أحد همومي أيضاً .. أن أموت على فراشي ..



(القيقبون) : الموت هو الموت يا ابنة املج ..

(نافجة) موجهة نظرها لعجوز القدر وهي لا تزال تحتضن رأس

(رافدة) : لا .. أريد الموت شهيدة لشيء أومن به ..

(رافدة) : هل من المعيب أن أخاف من الموت يا عمة؟

(نافجة) مقبلة رأسها مطبطبة عليه بكفها : لا أبدًا يا عزيزتي فالموت له هيبة كبيرة

(رافدة) : ألا يجعلني ذلك أقل شجاعة منكن؟

(دعجاء) : اعترافكِ بالخوف من الموت شجاعة بحد ذاتها .. شجاعة لا يملكها الكثير .. المتنورون لن يهزموا فارسة مثلكِ .. ستهزين عرش سيدهم يا ابنة الشمال .. مثلما تهز ريحكم عظامنا من البرد

(نافجة) سارحة في النار وهي تمسح على رأس البدوية برفق : نحن في أرضٍ غير الأرض وسماء غير السماء لكننا لن نرحل قبل أن نترك ندبة على جبينهم ..

(القيقبون) : لو كان الأمر بيدي لاخترت ألا أدفن فيها ..

(رافدة) ورأسها لا يزال مسِنداً على كتف (نافجة) : وأين تريدين أن تدفني يا (سديرة)؟



(القيقبون) : وما غيرها أرضي وأرض أجدادي .. أرض ((اليمامة))

(رافدة) : أعدك بأن ذلك سيتحقق .. سنعود جميعاً لأرضنا ونمضي ما تبقى من أعمارنا هناك

تبسمت عجوز القدر وهزت رأسها دون أن تعلق ..

رفعت (رافدة) رأسها عن كتف العرجاء وقالت : متى سنتحرك؟

(دعجاء) : قبل شروق الشمس بقليل ..

(القيقبون) : نمن أنتنّ وأنا سأبقى ساهرة وسأوقظكن حينها

(نافجة) : أنتِ بحاجة للراحة كذلك

(القيقبون) ناهضة من مكانها متوجهة للمجموعة الأخرى : ليس قبل أن يتجاوزن هذه الليلة وأطمئن عليهنّ

(رافدة) : هل قررتِ سقيهن مغلي الزنبقة؟

توقفت عجوز القدر لثوانٍ ثم أكملت طريقها ولم تجب ..

خلد الجميع للنوم عدا (سديرة) التي أشعلت ناراً ثالثة ووضعت قدرها فوقها بعد ما ملأته ببعض الثلج وأخذت تقلبه بصمت حتى غلى الماء ..



قبل أن تشق الشمس السماء الرمادية أحست الدعجاء بيد تهز كتفها برفق ففتحت عينيها لترى (القيقبون) تقول بوجه صارم :

«لقد حان الوقت يا ابنة وصبان ..»

نهضت (دعجاء) وقبل أن توقظ (نافجة) و(رافدة) النائمتين بعضهما بجانب بعض سارت تجاه (القيقبون) التي عادت وجلست عند قدرها وحين وقفت فوقه أطلت وسطه ثم قالت :

« متى سقيتهنّ؟»

(القيقبون) سارحة أمامها : قبل ساعتين .. وتناولت أنا كذلك نصيبي منه ..

(دعجاء) : ولمَ قمتِ بذلك؟

(القيقبون) : هذا هو الشيء الوحيد الذي مكنني من فعل ما فعلته .. نحن الآن جميعاً نواجه المصير نفسه .. أيّاً كان ..

(دعجاء) : ومتى سيسري أثره بالكامل؟

(القيقبون) : عندما تتوسط الشمس السماء ستتضح الرؤية .. وحينها يكون الموت قد اختار من اختار وعفا عمن عفا عنه ..

(دعجاء) : وقتها إذاً الحقي بنا مع من سينجو منهنّ .. هذا إذا نجوتِ أنتِ معهنّ



(القيقبون) موجهة نظرها للدعجاء : هل تظنين أني سأفوت فرصة الانتقام من هؤلاء السفلة؟ .. سأعود حتى وإن خطفني الموت .. انتظرنني فقط ولا تتقدمن بدوني ..

(دعجاء) قبل أن تهم بالتوجه لإيقاظ العرجاء والبدوية : لم أكن أنوي حرمانكِ من ذلك يا كبيرة سحرة اليمامة .. لكِ عهدي بأننا سننتظر إلى أن يستيقظ المشرق الجديد

تحركت العصبة المكونة من ثلاثة أفراد فقط وحثثن سيرهن نحو مدخل ((جبال الملح)) مروراً بآخر جزء من ((الغابة الزرقاء)) ..



حِلف الضباع

الوزير (روشني) يدخل عابساً إلى المعبد الكبير ..
يسير وسط التجويف ذي السطح المفتوح ..
يقف عند الحوض المملوء بالماء الصافي ..
حيث جلس الوزير (آغ) على صخرته ..
بومة بيضاء تقف على كتف وزير الكهنة ..
تراقبه وهو يداعب سطح الماء بسبابته بصمت ..
وعينه على التيارات الصغيرة التي أحدثتها حركة أصبعه ..

هم (روشني) بالحديث لكن كبير الكهنة استوقفه مقاطعاً وقال : أعرف .. لقد وصلتني أوامر السيد الكبير مثلما وصلتك

(روشني) بعصبية : كيف علم بالهزائم التي لحقت بنا مؤخراً؟!

(آغ) رافعاً يده عن سطح الماء : أنا أخبرته ..

(روشني) بسخط : ماذا؟! .. لمَ تفعل شيئاً كهذا؟!

(آغ) بهدوء : هذا واجبي .. ورفع التقارير للسيد الكبير أمر لا يمكنني التلاعب به مهما كان مضمونها .. والأوامر التي أصدرها سيدنا هي قانون سنتبعه وننفذه شئنا أم أبينا

(روشني) بتجهم : ماذا يعني هذا الكلام؟! .. كيف يأمرنا بالتوقف



عن استهداف العربيات .. ألا يعلم بأنهنّ اقتربن من تجاوز ((الغابة الزرقاء)) وعلى مشارف الوصول إلينا

(آغ) : لقد فقد كل الثقة بنا ولا يريد إلحاق المزيد من العار بالطائفة .. أنا متفهم لقراره

(روشني) وصوته يرتفع أكثر : وما الفرق إن استهدفناهن هنا أو هناك؟! .. سيدك يتخبط كالعادة في قراراته وسيقودنا للدمار! .. لقد حان الوقت أن ننفذ خطتنا!

(آغ) : عن أي خطة تتحدث؟

(روشني) : الإطاحة به وتسليمك العرش مكانه

(آغ) : أنا لم أوافق على تلك الخطة من الأساس .. كنت منصتاً لهذيانك فقط

(روشني) : إذا لم تقف معي فستكون ضدي يا (آغ)!

(آغ) : لن أكون الوحيد ضدك

(روشني) ومجموعة من المتنورين يخرجون من ورائه : بل ستكون وحدك ..

(آغ) بخليط من العجب والاستنكار والبومة البيضاء تطير من على كتفه خروجاً من السقف المفتوح : ما هذا ..؟



(روشني) : فرقة القتلة تشاركني الرأي ونحن عازمون على التغيير

(آغ) فاقداً لهدوئه وأعصابه : هل جننت؟! .. تنقلب على الطائفة في مثل هذا الوقت؟!

(روشني) : هذا هو أنسب وقت قبل أن تنهار الطائفة تحت قيادة سيدك الضعيف!

دخل القاعة مجموعة من الكهنة القتلة لم يتجاوز عددهم العشرين ووقفوا وراء (روشني) وفرقته تقودهم امرأة بشعر بنفسجي طويل كلباسها ذي الأكمام الواسعة ممسكة بيدها عصا خشبية برأس مدبب ووجهها امتلأ بالنقوش والرسومات أبرزها خمس دوائر مصمتة وشمت فوق حاجبيها تقف على كتفها البومة البيضاء التي حلقت سابقاً من المكان وقالت بتجهم ونبرة صارمة لمن معها : «احموا السيد (آغ)!»

نهض (آغ) باسطاً ذراعيه جانباً : لا! .. دعوهم ..

نفذ الكهنة القتلة أوامر سيدهم لكنهم توزعوا في المكان وأعينهم تراقب بحدة (روشني) وأتباعه من فرقة القتلة وهم في حالة من التأهب الشديد ..

سارت المرأة ذات اللباس البنفسجي ووقفت بجانب (آغ) قائلة :

«ما هذا الانتهاك الذي يحدث للمعبد يا سيدي؟»



(آغ) : الوضع تحت السيطرة يا (مجوس) .. حافظي على هدوئكِ

(مجوس) محدقة بـ (روشني) بحدة وصرامة : أمرك يا صاحب البركة ..

(آغ) مستأنفاً حديثه : اعدل عن قرارك هذا يا (روشني) فالعاقبة ستكون وخيمة

(روشني) : ستكون وخيمة بالفعل لو لم نتحرك الآن ونسقط ذلك المدعي الواهن .. وبعدها سيشرق فجرٌ جديد على الطائفة الجنتية معلناً عهداً من القوة والهيبة

(آغ) : بقيادتك؟

(روشني) : بقيادة من هو أهل لذلك المنصب .. سنجري انتخاباً وتصويتاً وســ..

(آغ) مقاطعاً : لقد فقدت عقلك ..

(روشني) : بل قررت استخدامه .. عهد الهمجية انتهى .. لقد عرضت عليك قيادتنا لكنك رفضت واخترت المضي عكس مشيئة الأغلبية

(آغ) : فلتذهب أنت وأغلبيتك للجحيم .. السيد الكبير سيبيدكم!

(روشني) ضاحكاً : يبيدنا؟! .. أراهنك أنه سيقع من أول ضربة يتلقاها من أقل متنور بيننا وسترى ..



سار الوزير (روشني) خروجاً من المكان بعد ما أشار بكفه لأتباعه باللحاق به ..

(مجوس) وهي تشد على عصاها : ألن يحتاجنا السيد الأعظم للدفاع عنه؟

جلس (آغ) على صخرته باسماً بشيء من القهر والإحباط وقال :
«يحتاجنا؟ .. لمَ أنا الوحيد هنا من يدرك مدى قوة السيد الكبير .. سيحتاجنا بالفعل .. لكن فقط لتنظيف قاعته من أشلاء هؤلاء الخونة ..»

دخل (روشني) ومجموعته للقاعة الكبرى بـ ((عرين الأسد)) بوجه متجهم ووقف أمام السيد الكبير الجالس على عرشه الرخامي المحاط بمجموعة من السباع والنمور البيضاء وعقد أذرعه نافخاً صدره بنظرات متحدية دون أن يقول شيئاً وكأنه يريد إرسال رسالة من خلال مجموعة القتلة الواقفين وراءه والذين تجاوز عددهم المائتي مقاتل.

(مهرناز) الواقفة بجانب السيد الكبير وقد انتابها بعض الفضول : ما الذي جاء بكم إلى هنا؟



(السيد الكبير) بنبرة ساخرة ومتهكمة واضعاً ساقاً على ساقٍ : أتوا ليقتلوني يا حافية ..

(مهرناز) بتعجب : يقتلوك؟

(روشني) : أتينا نعرض عليك التنحي عن قيادة الطائفة بسلام وإلا ..

(مهرناز) مقاطعة بسخط : وإلا ماذا أيها الأحمق؟!

ضحك السيد الكبير من ردة فعل (مهرناز) وهو يداعب رأس ليث صغير في حجره ..

(روشني) لـ (مهرناز) بعبوس : من سمح لكِ بالحديث؟! .. أنت مجرد حارسة لا أكثر!

السيد الكبير ونبرة صوته الغليظة تتغير للحدة : هذه الحارسة أوفى منك أيها الضبع النجس ..

(روشني) بشيء من التهكم : وهل ستتمكن حارستك من حمايتك أمام فرقة القتلة بأكملها؟ .. تنحَّ عن عرشك بهدوء أيها الأسد العجوز .. أنا أعرف أنك لا تملك القدرة الكافية على مواجهتنا ولا حتى هذه الحمقاء الحافية تستطيع حمايتك



(السيد الكبير) متجاهلاً حديث (روشني) مداعباً رأس الليث موجهاً حديثه لـ (مهرناز) التي تجهمت بأعين توهجت من حديث الوزير المستفز : أنا أو أنتِ؟

وهي تنطلق كالشهاب الملتهب نحو (روشني) ومن معه : أنا!!

صرخات انطلقت .. آهات ترددت ..

أجساد احترقت .. وأخرى تبخرت ..

عظام تحطمت .. ولحوم تمزقت ..

رؤوس تفجرت .. وأحشاء تبعثرت ..

وقف (روشني) يرتجف مصدوماً ومدهوشاً وهو يراقب (مهرناز) تتنفس بثقل وهي تقف فوق كومة كبيرة من الأشلاء البشرية الممزقة والمحترقة ..

يلتفت مفزوعاً حين سمع تصفيق السيد الكبير الذي قال :

«(كلكامش) كان محقّاً .. الهالة النجمية شيء لا يستهان به ..»



همت (مهرناز) بالتوجه نحو (روشني) المرعوب لتجهز عليه لكن السيد الكبير رفع كفه واستوقفها قائلاً بشيء من التهكم على وزيره المهزوم:

«يكفي يا حافية .. ألا ترين الرجل حزيناً على خسارة جيشه العظيم؟ .. دعيه يستوعب ما حدث للتو ..»

هم (روشني) بالهرب لكن (مهرناز) أطلقت تجاهه شعاعاً وهاجاً من عينيها جمده في مكانه ..

(السيد الكبير) بازدراء: في أي مواجهة وصدام غير متكافئين .. الأسود تبقى لتموت بعزة، أما الكلاب فتهرب ذليلة نابحة .. الشجاعة تكمن في الثبات وقت الهزيمة وليس الفرار أيها الخائن ..

(روشني) صارخاً ساخطاً بأعين محمرة دامعة وهو عاجز عن الحركة:

«لا يهم! أنا المنتصر هنا! .. لقد أثبت كلامي وقناعتي عنك! .. أنت بالفعل لا تستطيع الدفاع عن نفسك! .. لا تجرؤ حتى على النهوض من مكانك! .. تستعين بمن حولك ليحموك لتخفي عجزك وتستمر في مسرحيتك الهزلية!»



(السيد الكبير) مشيراً بسبابته لـ (مهرناز) ببرود : «السباع لا تنهض للكلاب ..»

انفجر رأس الوزير الأشقر ليسقط جسده أرضاً والدخان يتصاعد من عنقه المبتورة ..

(السيد الكبير) ماسحاً بعض الدماء وقطع اللحم التي سقطت فوق صدره وعلى شبله الصغير : ألم يكن بإمكانكِ قتله بطريقة أخرى ..؟

(مهرناز) وعيناها تعودان لطبيعتهما : أعتذر يا سيدي

(السيد الكبير) بتململ : استدعي (آغ) وأتباعه لينظفوا المكان فالرائحة بدأت تفوح بطريقة مزعجة ..

(مهرناز) حانية رأسها وهي تهم بالخروج من المكان : أمرك ..

بعد فترة وجيزة عادت (مهرناز) مع (آغ) وفرقة الكهنة القتلة الذين صعقوا من المجزرة التي وقعت وأصابهم بعض الجزع حين رأوا السباع والنمور تنهش فيما تبقى من فرقة القتلة عدا (مايزك) الذي قال بانبهار : «منظر بديع ..»

(مهرناز) هامسة في أذنه من ورائه بعد ما سمعته : «هذا سيكون مصيرك يوماً ما ..»



(مايزك) دون أن يلتفت إليها : سيكون ذلك يوماً بهيجاً ..

تقدم (آغ) بخطوات حذرة بين الأشلاء المتناثرة والسباع المزمجرة والمنشغلة بالافتراس حتى وصل عند عرش سيده ووقف أمامه بخوف ووجل ..

(السيد الكبير) حاملاً الليث الصغير من على حجره ليضعه على الأرض قائلاً : صاحبك حاول الانقلاب علينا

(آغ) حانياً رأسه : أعرف .. ولم يكن صاحبي ..

(السيد الكبير) ضارباً برفق على قفا الليث الأبيض برفق : اذهب لأمك وتناول غداءك معها..

راقب (آغ) الليث وهو يجري تجاه مجموعة السباع المنكبة على كومة الأشلاء تنهش فيها بنهم ووجوهها تحولت للاحمرار التام بسبب انغماسها بالدم ..

(السيد الكبير) واضعاً قبضته على خده : لمَ لم تحاول منعه وثنيه؟

(آغ) معيدًا نظره لسيده : أنا مسؤول عن تصرفاتي فقط .. ولم يخالجني الشك لوهلة بأنك ستحتاج مساعدة مني يا سيدي ..

(السيد الكبير) باسماً : ساعد أتباعك في تنظيف المكان

(آغ) : أمرك ..



أمضى الكهنة القتلة ما يقارب الساعة مع كبيرهم في تنظيف القاعة وبالرغم من استمرار السباع والنمور بالأكل إلا أن لا أحد منها تعرض لهم لأنها لا تهاجم إلا بأمر من السيد الكبير الذي بقي يراقب بهدوء و(مهرناز) تقف بجانبه تقوم بالمثل حتى انتهى الجميع وعاد المكان كما كان.

صرخ السيد في سباعه وأمرها بالخروج من المكان ففعلت ولم يتبقَّ سوى (آغ) ومن معه من كهنة قتلة يقفون أمام سيدهم وملابسهم ملطخة بالدماء ..

(السيد الكبير) لـ (آغ) الواقف بوجل: كم بقي من أفراد الطائفة؟

(آغ) : أنا وخمسة من كهنة المعبد بالإضافة لخمسين من القتلة في مهام خارجية .. والكهنة القتلة الذين يقفون خلفي

وقف السيد الكبير وجال بنظره في وجوه من تبقى من أتباعه ثم قال :

«الدماء التي تلطخكم الآن هي دماء فاسدة فُصدت من جسد الطائفة .. نحن اليوم أقوى .. أكثر تلاحماً .. أيامنا القادمة ستكون أكثر ازدهاراً ونموّاً .. سنجدد الدماء ونغير النهج والمنهاج وسنهجر ((جبال الملح)) ..»



(آغ) : نهجرها إلى أين يا سيدي؟

(السيد الكبير) : «شمالاً .. أقصى الشمال .. حيث ولدت ونشأت .. مكان بارد ومظلم لا يرحم قاطنيه .. سنعتزل الناس هناك .. ومن ينجو منكم ويتحمل قساوة هذه العزلة سيولد من جديد وسيعود أقوى .. أصلب .. أشرس ..»

(مهرناز) : وهل سأهاجر أنا معكم؟

السيد الكبير دون أن يلتفت إليها : نعم ..

(مهرناز) : وماذا عن أختي ..؟

(السيد الكبير) : ما بها؟

(مهرناز) : هل ما زلت ستعفو عنها؟

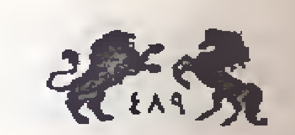
(السيد الكبير) : كما أخبرتكِ.. إذا تمكنت من الوصول والوقوف أمامي فسأفعل عدا ذلك سيبقى دمها مهدوراً

(مايزك) متقدماً من بين الواقفين : الهجينة يجب أن تموت يا سيدي كي أكمل مهمتي ..

(السيد الكبير) متجهماً : مهمتك انتهت بفشلك .. لا تقترب منها!

(مايزك) حانياً رأسه كاظماً حنقه : أمرك

(آغ) : متى ترغب منا شد الرحال يا سيدي؟



(السيد الكبير) : بعد ما تنجزون وتنتهون من آخر مهمة لكم .. قتل العربيات .. لن نبارح مكاننا قبل أن نغسل بدمائهن العار الذي ألحقنه بنا

(آغ) : هن الآن على الأرجح تجاوزن ((الغابة الزرقاء)) وسيصبح اقتناصهن أسهل .. سأرسل القتلة حالاً لتعقبهن

(السيد الكبير) جالساً على عرشه : لا .. اتركوهن يأتين إلينا .. انشر قتلتك في الجبل أريد أن تراق دماؤهن هنا .. في ((عرين الأسد))

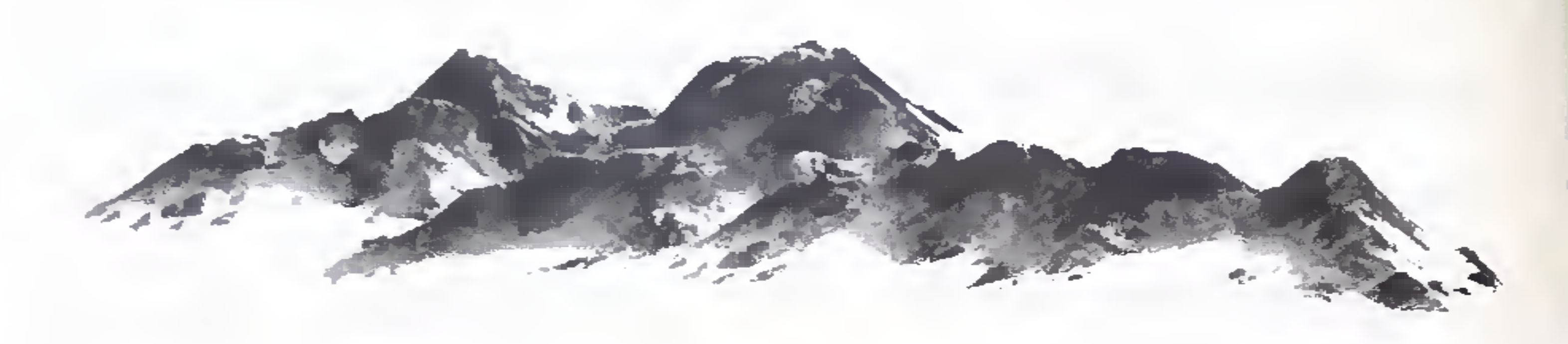
حنى كبير الكهنة رأسه قبل أن يهم بالخروج مع أتباعه وقال :

«أمرك يا صاحب الحكمة ..»



دفوف الغضب

«أخيراً .. تجاوزنا الغابة ..»



قالتها البدوية المرهقة من السير المستمر في الأجواء الباردة ..
حين خرجت مع الدعجاء والعرجاء من بين الأشجار الكثيفة ..
ورأين أرضاً مفتوحة مفروشة ببساط ثلجي أبيض ..

(دعجاء) : سنكون مكشوفات أكثر الآن بعد ما فقدنا غطاء الغابة لذا توخين الحذر

(نافجة) : أين الجبل؟ .. هل ضللنا الطريق؟

(دعجاء) مشيرة أمامها : لا .. نحن على المسار الصحيح .. نحتاج فقط أن نتجاوز هذه الأرض وسنصل لسفوح ((جبال الملح))

(رافدة) : لا أرى جبالاً في الأفق

(دعجاء) وهي مستمرة بالتقدم : سترينها قريباً ..



(رافدة) ناظرة للسماء الملبدة بالغيوم : كم تبقى من النهار؟

(نافجة) مغطية فمها بوشاحها تجنباً للريح الباردة : الشمس ستغرب بعد قليل

(رافدة) : كيف تعرفين يا عمة؟.. الشمس مختفية خلف الغيوم

(دعجاء) : الغمام قد يحجب الأنظار لكنه لن يمنع الأقدار..

لم يمضِ وقت طويل حتى أقبلت الثلاث بعد نزولهن إلى سفح عميق على مجموعة من الأشجار الكثيفة فقالت (رافدة) بإحباط : غابة أخرى؟

(نافجة) ونظرها للأفق باسمة : ارفعي رأسك يا بدوية

وجهت (رافدة) نظرها حيث كانت عمتها تنظر وشاهدت سلاسل ممتدة من الجبال الثلجية البيضاء الشاهقة الارتفاع استقر أسفلها حزام أخضر من الأشجار المتشابكة فقالت مبهورة : هل هذه..؟

(دعجاء) وهي تشاركهما النظر : نعم .. ((جبال الملح)) ..

دخلت العصبة الصغيرة بين الأشجار ولم يتوقفن حتى بلغن نهايتها التي انتهت إلى ما يشبه الحائط الممتد بالعرض أمامهنّ والمكون من سفح جبل لقممٍ شاهقة ..

(نافجة) : أي هذه القمم هي هدفنا؟



جالت الدعجاء بأعينها الواسعة للقمم العالية من حولهنّ بصمت ..

رفعت (رافدة) سبابتها نحو طرف جبل قريب منهن وقالت : انظرا .. هناك شخص يقف على طرف ذلك الجبل ..

(دعجاء) مشيرة لهما بالابتعاد عن مجال نظره والتراجع للغابة خلفهنّ : إنه مستطلع .. لا بد وأن هدفنا هناك

(نافجة) مختبئة خلف شجرة مطلة برأسها : هل شاهدنا؟

(دعجاء) : لا .. سننتظر حتى يرحل ثم نسير تحت غطاء الأشجار ونتفحص المكان

اختفى الرجل وكأنه دخل تجويفاً وسط الجبل ليسرن بعدها بمحاذاة الغابة وأعينهن تراقب بحذر طرف الجبل الذي اختفى وراءه ذلك الغريب وعند وصولهنّ لسفح المكان المنشود اتسعت أعينهن دهشة حين شاهدن مدخلاً حجريّاً مهيباً نحتت حوله منحوتات باهرة لرؤوس أسود ونمور وأفيال بأفواه مفتوحة اتقد وسط كل منها شعلة نارية كبيرة وفوقه اصطفت مجموعة من الشرفات الحجرية المتوازية ارتفعت لأعلى الجبل.

(رافدة) بانبهار : أين نحن؟

(دعجاء) : لقد وصلنا .. وصلنا لـ((عرين الأسد)) ..



(رافدة) : كيف نحتوا الجبل هكذا؟

(نافجة) ممعنة بنظرها للعمران الباهر : تلك الشرفات .. هل هي مساكنهم؟

(دعجاء) : سنعرف حين نكون في بطن الجبل ..

(رافدة) : هل سندخل الآن؟

(دعجاء) ملتفتة إليهما : لقد عاهدنا (سديرة) أننا سننتظرها مع البقية .. سنمهلهنّ حتى الصباح وإذا لم يأتِ أحد منهنّ فسنتقدم ..

(نافجة) : لكن يا عمة ماذا لو بلغهم خبر وصولنا؟ .. قد يباغتوننا بهجوم في أي لحظة

(دعجاء) معيدة نظرها للشرفات العالية باسمة : حتى وإن كان خبر وصولنا قد بلغهم فاحتمال أن يهاجمونا ضئيل جدّاً ..

(رافدة) : ولِمَ لا؟

(دعجاء) : كبرياؤهم وأنفتهم ستمنعانهم من أن يخرجوا لمواجهتنا .. سيكون ذلك إقراراً منهم بأنهم خائفون منا .. سينتظروننا في الداخل .. لقد اكتفوا من العار الذي ألحقته بهم الهزائم في العلن .. لنتوارَ خلف الأشجار وننتظر حتى الصباح



جلست الثلاث عند أطراف الغابة الصغيرة وخلال وقت وجيز هبط الظلام بأستاره وحل الهدوء ونزلت السكينة في الأرجاء وبعد مضي عدة ساعات وانتصاف الليل اشتد البرد وبدأت الثلوج بالتساقط.

(رافدة) واضعة كفوفها على أكتافها : ألن نشعل ناراً؟

(نافجة) : لا نريد لفت الانتباه .. سنصبر إلى أن تشرق الشمس

(رافدة) : لا فائدة من ذلك يا عمة فذلك الشخص الذي لمحناه سابقاً لا بد وأنه تمكن من رؤيتنا

(دعجاء) : ومن أين أتيتِ بذلك اليقين؟ .. هل رأيتِ وجهه أو عينيه وهي تنظر إلينا؟

(رافدة) : لست واثقة فقد كان يلبس قناعاً لكن ما أنا واثقة منه أن نظره كان مداراً نحونا

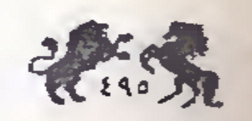
(نافجة) باستغراب : قناع؟

(رافدة) : نعم .. قناع ذهبي ..

صمتت (نافجة) متفكرة بوجه تجلى عليه الحيرة ..

(دعجاء) : ما بكِ يا جدعاء؟

(نافجة) : أعتقد أني أعرف..



انقطع حوارهنّ حينما سمعن صوت حركة قريبة منهنّ أتت من وسط الغابة ..

(رافدة) واضعة يدها على مقبض سيفها بخليط من الحذر والترقب : ما هذا الصوت؟! .. هل أرسلوا أحداً لنا؟!

(دعجاء) : كونا مستعدتين لأي شيء ..

تزايدت الأصوات وقد بدا واضحاً أنه شخص يسير بين الأشجار ويشق طريقه نحوهنّ وخلال ثوانٍ معدودة ظهرت معالم ذلك الشخص ..

(رافدة) واقفة بوجه مبتهج : عجوز القدر!

(القيقبون) مكملة طريقها نحوهنّ حاملة قدرها الصغير على ظهرها وحقيبتها الجلدية على كتفها والإرهاق بادٍ عليها وبصوت متعب : نعم أنا .. من كنت تتوقعين؟

(نافجة) باهتمام وقلق بعد ما جلست (القيقبون) أمامهنّ تلتقط أنفاسها : أين البقية؟

(القيقبون) واضعة قدرها جانباً : لمَ لم تشعلن ناراً؟

(نافجة) وصبرها ينفد : أجيبيني يا (سديرة)!



رفعت (نافجة) نظرها لمصدر الصوت لترى (عوراء) تجري نحوها حاملة دفها بين يديها وتعانقها بقوة قائلة : اشتقت إليكِ!

(نافجة) تبادلها العناق محتضنة الصبية بقوة مطلقة تنهيدة قوية : وأنا كذلك يا عزيزتي!

(دعجاء) لـ (القيقبون) خلال انشغال (نافجة) بتقبيل (عوراء) : هل تخفين علينا شيئاً يا (سديرة)؟

(رافدة) وهي لا تزال واقفة بأعين مترقبة وبنبرة مشبعة بالترقب والتوتر : أين (كُميت) ..؟

(القيقبون) مشيرة بيدها للبدوية بالجلوس بهدوء : اجلسي ..

(رافدة) ناظرة لـ (القيقبون) بوجه خالطه التساؤل والقلق الشديد : أين (كُميت)؟

(نافجة) بعد ما أجلست (عوراء) في حجرها : وأين (هند)؟

(القيقبون) : ابنة معناد نجت لكن ..

(رافدة) وقد فقدت هدوءها وبدأت عيناها تدمعان : لكن ماذا يا عجوز القدر؟!



نهضت الدعجاء من مكانها وضمت البدوية المنفعلة لصدرها وأجلستها في محاولة لتهدئتها وتهيئتها لسماع ما ستقوله (القيقبون) ..

(القيقبون) : سأخبركنّ بكل شيء .. بعد رحيلكنّ بدأ الفتيات يستيقظنَ واحدة تلو الأخرى ..

(عوراء) رافعة يدها بحماس : أنا كنت الأولى!

(نافجة) تلف أذرعها حول بطنها وتضمها لصدرها هامسة في أذنها بنبرة حانية : من المعيب مقاطعة الناس وهم يتحدثون

(عوراء) منزلة رأسها : أنا أسفة

(القيقبون) زافرة مستأنفة كلامها : جميعهنّ وقفنَ على أقدامهنّ متعافيات بالكامل وكأن لم يمسهنّ سوء عدا الحجازية بقيت مستلقية .. ولم تفتح عينيها ..

أغمضت (رافدة) عينيها الدامعتين وأخذت تهز جسدها للأمام والخلف مصدرة نحيبًا مكتوماً و(دعجاء) ممسكة بها تقبل وتمسح على رأسها وعيناها تلمعان بدموع حزينة.

(القيقبون) : قمت بتفقدها مع ابنة معناد ووجدنا أنها لا تزال تتنفس لكنها لم تفق وكأنها غطت في نوم عميق لا تستطيع الاستيقاظ منه

(نافجة) بصوت مختنق : وماذا فعلتن؟



(القيقبون) : شرحت لبنت معناد ما دار بيننا فطلبت مني أخذ الصبية واللحاق بكنّ وهي ستبقى مع الحجازية لعلها تفيق في وقتٍ لاحق فنحن لم نكن نستطيع الرحيل وتركها في ذلك المكان وحدها

(رافدة) تحاول النهوض وبانفعال شديد : سأذهب لأختي!

(دعجاء) تشدها إليها وتمنعها من الوقوف : لن تبارحي مكانكِ!

(رافدة) صارخة محاولة التفلت منها : اتركيني!

وضعت الدعجاء كفها على أعين (رافدة) ونفخت على رأسها وأدخلتها في سبات ..

استلقت البدوية على الأرض ونامت بهدوء والجميع يراقبن ما يحدث بصمت ووجوهٍ حزينة ..

(دعجاء) محدثة (القيقبون) : هل ما زلنا على عهدنا يا ساحرة اليمامة؟

(القيقبون) : أنا هنا يا ابنة وصبان .. أليس كذلك؟

(دعجاء) : سنتحرك إذاً في الصباح كما نوينا .. نمن الآن

(عوراء) محتضنة دفها : كيف ننام في هذا البرد؟ .. أشعلن نارًا

(نافجة) محتضنة الصبية أكثر : لا نستطيع يا عزيزتي .. النار ستلفت انتباه أعدائنا لنا .. أنا سأمنحكِ الدفء لا تقلقي



(عوراء) بخوف : حسناً .. لا أريد أن يعرف المتنورون أننا هنا .. سأصبر

نهضت (دعجاء) بوجه متجهم ثم قالت : لا .. سنشعل ناراً

(نافجة) : ماذا عن المتنورين يا عمة؟ .. سيعلمون بقدومنا

وجهت الدعجاء نظرها لـ (نافجة) وحدقت بها لثوانٍ ثم أدارت عينيها لـ (عوراء) والدف بين يديها وقالت وهي تمد يدها :

«ناوليني الدف ..»

مدت (عوراء) الدف لـ (دعجاء) التي وجهت نظرها لـ (القيقبون) وقالت :

«أشعلي ناراً كبيرة يا (سديرة) ..»

صفقت (القيقبون) وأعينها تحدق بأعين الدعجاء الصارمة لتشتعل بينهما نارٌ كبيرة تصاعدت ألسنتها وكادت أن تلامس أوراق الشجر بالأعلى ..

قلّبت الدعجاء سطح الدف الجلدي فوق أهداب النار المتراقصة بوجه متجهم و(عوراء) تراقبها وتقول بقلق : «لا تحرقيه يا عمة..»

رفعت الدعجاء الدف وأعادته لـ (عوراء) وناولتها إياه وقالت :

«دقي الدف يا صبية ..»



(عوراء) آخذة الدف الساخن وهي غير مستوعبة لما سمعته : أدقه؟

(دعجاء) : نعم .. اضربيه بكفكِ المفتوحة بكل قوتكِ

(عوراء) ملتفتة ناحية (نافجة) : هل أفعل يا عمة؟

(نافجة) وقد فهمت مقصد الدعجاء فقالت باسمة : اضربي عليه يا (عوراء) .. اضربيه ..

رفعت الصبية الدف من طرفه بيد وباليد الأخرى بدأت تضرب سطحه بكفها المفتوحة بضربات خفيفة محدثة نغمات متتابعة ومنتظمة ..

(القيقبون) تقف وتصفق : أقوى يا صبية! .. أقوى!

رفعت (نافجة) الصبية من حجرها خلال دقها للدف وأوقفتها ناهضة بعدها مستعينة بعكازها وأخذت هي الأخرى بالتصفيق بينما سارت الدعجاء حتى خرجت من بين الأشجار ووقفت تحت الثلوج المتساقطة أمام مدخل ((عرين الأسد)) والبقية وراءها يصفقن محدثات جلبة في المكان.

زادت حماسة (عوراء) وأخذت تضرب على الدف بقوة أكبر وبدقات ذات نغمات حماسية فأغمضت (دعجاء) عينيها تهز برأسها وشيئاً فشيئاً انتقلت الاهتزازات لأطرافها لتتراقص متمايلة



يميناً وشمالاً بعد ما رمت خمارها وحلت رباط شعرها الأبيض ونثرته على أكتافها.

التقطت (القيقبون) غصناً سميكاً متيبساً من على الأرض وتقدمت نحو الدعجاء المندمجة رقصاً على أنغام ضربات الدف المتسارعة ومدته لها باسمة. أخذت (دعجاء) الغصن ولوحت به عالياً وكأنه سيف بين يديها وهي مستمرة بالتمايل بجسدها وشعرها الفضي اللماع يتمايل معها. فكت (سديرة) هي الأخرى اللفافة حول رأسها وأطلقت شعرها بهزه بقوة مطلقة صرخات متقطعة رافعة كفها اليسرى وقدمها اليمنى قافزة عدة قفزات حتى وقفت بجانب ابنة وصبان لتبدأ بالرقص والتمايل محاكية حركاتها.

(عوراء) بعجب محدثة (نافجة) الواقفة بجانبها وهي مستمرة بضرب الدف : ما بهما يا عمة؟

(نافجة) باسمة تتأمل الدعجاء تتمايل وتتراقص بالعصا بشعرها المفتوح مع (القيقبون) على أنغام الدف : ترقصان ..

(عوراء) بقلق : وهل هذا وقت الرقص؟ .. المتنورون سيشعرون بنا

(نافجة) : هذه رقصة الحرب يا عزيزتي .. إنها رسالة ..



(عوراء) وعيناها تراقبان حولها بحذر : رسالة ماذا؟ .. ولمن؟

(نافجة) رافعة نظرها عالياً نحو الشرف الحجرية وبصوت مشبع بالثقة والعزة :

«رسالة تريد الدعجاء إيصالها لهم ولكبيرهم .. بأنها لا تكترث له أو لقوته وأنها ترقص فرحاً في وجه الموت .. المتنورون يجهلون مع من سيتواجهون .. سخط أرض العرب يقف عند بابهم وسيكتوون بنارها قريباً .. العمة تنوي تمزيق سيدهم الكبير وهي تريده أن يعرف ذلك ..»

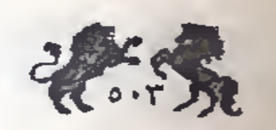
حلت (نافجة) شعرها هي الأخرى ورمت بخمارها أرضاً ثم عكزت نحوهما وحين وقفت بجانب الدعجاء وضعت ذراعها على كتفها وشاركتها الرقص رافعة عكازها في الهواء ملوحة به بجانب العصا التي حملتها عمتها.

في الأعلى ..

عند أعلى شرفة مطلة من ((عرين الأسد)) ..

وصلت نغمات الدف الصاعدة والمتصاعدة لمسامع السيد الكبير الجالس على عرشه بأعين مغمضة ..

تتساءل (مهرناز) الواقفة بجانبه ..:



«ما هذا الصوت؟»

يفتح السيد الكبير عينيه وبعد لحظات من الإنصات نهض وسار متقدماً للأمام ومن ورائه (مهرناز) حتى وصلا للشرفة الكبيرة المطلة على قاع الجبل حيث كان المدخل الرئيس وجال بنظره إلى أن وقعت عينه على المجموعة في الأسفل وهن يرقصنَ ويتمايلنَ ..

مهرناز تشاركه النظر باستغراب :

«من هؤلاء؟»

السيد الكبير يراقب الدعجاء باسماً وهي تلوح بشعرها الأبيض يميناً وشمالاً وتحرك العصا عالياً ببطء : «الند الذي طال انتظاري له ..»

(مهرناز) ممعنة النظر بـ (دعجاء) البعيدة : تلك العجوز التي تتوسطهن ..

(السيد الكبير) : ما بها؟

(مهرناز) : أشعر بأني رأيتها من قبل؟

(السيد الكبير) ملتفتاً إليها : هل زرتِ ((عربستان)) من قبل؟



(مهرناز) سارحة في المجموعة الراقصة : مرة .. في الماضي .. لكن لا أظنها من ضمن من التقيت بهنّ فجميعهنّ متن

(السيد الكبير) معيداً نظره للأسفل : سنعرف قريباً .. أنا هنا بانتظارك يا عربية .. لا تتأخري ..

توقفت العصبة عن الرقص وعدن أدراجهن نحو الغابة ونارهن المشتعلة ففعل السيد الكبير الأمر ذاته وجلس على عرشه وعلى محياه ارتسمت ابتسامة عريضة ..

(مهرناز) بعد ما لحقت به ووقفت أمامه : هل أخرج لهن؟ .. هذه فرصة لمباغتتهن

(السيد الكبير) : منذ متى يخرج السباع لملاقاة النعاج؟ .. تتحدثين وكأنكِ خائفة منهنّ ..

(مهرناز) : أنا لا أخشى أحداً ..

(السيد الكبير) : إذاً لا تكرميهن بخروجكِ لهنّ .. دعيهن ينعمن بليلتهنّ الأخيرة ..

قوطع حديثهما بدخول وزير الكهنة (آغ) على عجالة بوجه متوتر ونظرات قلقة جدّاً ..



(السيد الكبير) : ما بك يا (آغ)؟

(آغ) ملتقطاً أنفاسه : هناك دخيل في الجبل!

(السيد الكبير) : عن ماذا تتحدث؟

(آغ) واضعاً كفه على صدره الصاعد والهابط بأنفاس سريعة : شخص ما اشتبك مع كهنتي في المعبد وقتلهم! .. لكني هربت في الوقت المناسب

(السيد الكبير) ببرود ونبرة ساخرة : هربت يا كبير الكهنة؟

(آغ) : لقد تصديت لها لكن هذه المرأة لا تصاب بأي أذى مهما هاجمتها ..

(مهرناز) : هل هناك عربيات أخريات غير اللاتي رأيناهنّ بالأسفل؟

(آغ) مبتلعاً ريقه : الدخيلة ليست عربية .. كانت تصرخ بجنون بالفارسية وهي تقتل الكهنة وقد أرسلت القتلة لتعقبها حين تمكنت من الفرار منها وقد أتيت للاطمئنان إلى أنها لم تصل إلى هنا!

(مهرناز) : امرأة فارسية؟ .. هل كانت تلبس قناعاً؟

(آغ) : نعَم .. وتحمل معها سيفاً وهاجاً لم أرَ مثله من قبل .. هل واجهتِها؟



تغيرت معالم وجه (مهرناز) عندما علمت أن تلك المرأة ما هي إلا (أنهار) ..

(السيد الكبير) بتهكم : هدئ من روعك أيها الكاهن الأعظم .. لو كانت قد وصلت إلى هنا لوجدت جثتها تحت أقدامي

وجهت (مهرناز) نظرها بوجه قلق تجاه السيد الكبير الذي قال حينما رأى عينيها المتوترتين : أختك؟

هزت (مهرناز) رأسها بالإيجاب دون أن تقول شيئاً ..

(السيد الكبير) : لديكِ فرصة أخيرة لإقناعها بالعدول عما تفعله قبل أن تصل إلى هنا

حنت (مهرناز) رأسها وقالت قبل أن تهم بالرحيل : شكراً لكرمك يا سيدي

جرت الحافية مبتعدة عن العرش الرخامي وحين توسطت القاعة استوقفها السيد الكبير قائلاً: «لا تتعرضي للكاهن (مايزك) .. دمه محرم عليكِ .. لو حدث له مكروه على يدكِ فستهلك أختكِ حتى وإن بايعتني ..

وقفت (مهرناز) لثوانٍ دون أن تلتفت وراءها ثم أكملت طريقها خروجاً من المكان ..



بقي وزير الكهنة ينظر حوله بتعجب مما سمع وشاهد إلى أن حدثه السيد الكبير وقال :

«انسَ أمر الفارسية الهجينة واهتم بالعربيات .. سيدخلن الجبل أول الصباح ..»

(آغ) : نحن مستعدون لهن وسنوقفهن .. لا تقلق يا سيدي لن يتمكنَّ حتى من تجاوز الطابق الأول

(السيد الكبير) بخليط من العجب والسخرية : أقلق؟ .. وصولهنّ إلى هنا يعني أنكم جميعاً قد هلكتم .. أنت من يجب عليه القلق وليس أنا .. وفي الحقيقة لدي رغبة دفينة بأن يحدث هذا ويقفن أمامي ..

نظر (آغ) لسيده باستغراب لكنه لم يعلق ..

لوح السيد الكبير بيده لوزيره بالانصراف ..



سيدة الحزن والهموم



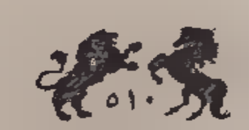
استمرت (مهرناز) بالنزول عدة أدوار عبر السلالم المنحوتة وسط الجبل الكبير وخلال نزولها كانت تتنقل وتتفقد الثغور والحجر بين طوابقه بحثاً عن أختها لكنها لم تلتقِ سوى بالكهنة القتلة المنتشرين والمتأهبين في كل طابق تتجاوزه وحين كانت تسألهم عنها تتلقى الإجابة نفسها بأنهم لم يروها وأنهم مسؤولون عن تأمين موقعهم فقط حسب أوامر كبير الكهنة.

الجبل الذي تمركز وتحصن فيه آخر من تبقوا من الطائفة الجنتية في ((فارس)) هو أحد أكبر ((جبال الملح)) وأعلاها قمة وعبر السنوات قامت الطائفة بتحويله لصرح معماري باهر بحفر ونحت



جوفه وإعادة بناء معظم جوانبه وكهوفه وتطعيمها بالمجسمات والأحجار الرخامية والجيرية وكذلك بناء القصور والقاعات للسيد الكبير ووزرائه بالإضافة للمعبد الخاص بكهنة الطائفة. يتكون هذا الجبل المتجمد من سبعة طوابق شاسعة أعلاها خصص لقاعة وعرش السيد الكبير والمعروفة بـ ((عرين الأسد)) وليس له سوى طريق واحد قادم من الطابق السادس حيث البهو الذي يتكون من ثلاثة ممرات أحدها مؤدٍّ لقصر الوزير السابق (روشني) والآخر لقصر (فايو) الذي أصبح خاوياً والأخير يقود لقصر (آغ) والمعبد الكبير. ذلك الجبل المتشعب لمرتاديه أول مرة يكون كالمتاهة لأنه يتفرع من وقتٍ لآخر لعدة سلالم كلما مر بدور من الأدوار حسب عدد القاعات والحجرات وهذا التفرع يكون مشتتاً لمن لا يكون ملمّاً بالطرق التي يقود إليها. وتلك الطوابق لا تكون مفتوحة بعضها على بعض دوماً.

تجاوزت (مهرناز) الطابق الرابع نزولاً للدور الثالث مرورًا بالسلالم الحجرية المنارة ببعض الشعل المعلقة على جنباتها وهذا الطابق يعتبر أكثر الطوابق تشعباً وأكبرها حجماً وعدداً في الحجرات والقاعات لذا أمضت فيه وقتاً أطول بالبحث بين جنباته عن أختها وقد أثار استغرابها أن ذلك الطابق خلا من الحراسة تماماً بعكس



التي تجاوزتها لكنها لم تهدر وقتاً في التفكير بالأمر وقررت التوجه لأكبر قاعة في المكان عرفت بـ «مرقد الأفاعي» وقد سميت بذلك الاسم لأن المتنورين من فرقة القتلة اتخذوها مكانًا للتدريب وتجربة قدراتهم بعضهم على بعض خاصة المنتسبين الجدد.

ومع اقترابها من مدخل القاعة بدأت تسمع بعض الأصوات التي شدت انتباهها. سمعت ما يشبه الصراع أو الاشتباك فزادت من وتيرة سيرها مهرولة دخولاً لـ «مرقد الأفاعي» لتفاجأ بمنظر صدمها.

شاهدت (أنهار) المقنعة تُنزل سيفها الوهاج على رأس أحد الكهنة القتلة وتنهي حياته. رفعت الساحرة الهجينة نظرها حين أحست بدخول أحد عليها ونظرت لأختها بأعين راجفة ونظرات تفجرت جنونًا وهي تتنفس بثقل ولباسها الأزرق الممزق تلطخ بالكثير من الدماء غطاها من أعلى رأسها لأخمص قدميها.

(مهرناز) بخيبة : هل ارتحتِ الآن؟

تجاهلت الساحرة الهجينة أختها ولم ترد عليها وبدأت بمسح نصل سيفها على ساعدها بهدوء وهي تحدق بجثة المتنور ..

تقدمت الحافية نحو الهجينة التي بدت في حالة عقلية غير مستقرة



وقالت بنبرة خالطها التساؤل والقلق : كم عدد الذين قتلتهم حتى الآن؟

(أنهار) وهي لا تزال تراقب الجثة بأعين متسعة مشبعة بالجنون : فقط مجموعة من الكهنة وهذا القاتل الذي تمكن من رصدي وأنا أحاول التسلل للطابق الرابع ..

حين وصلت (مهرناز) لجثة المتنور ألقت عليه نظرة وقالت بهدوء وهي سارحة في وشم الدائرتين المصمتتين على عنقه : إلى متى ستستمرين في هذا؟

(أنهار) موجهة عينيها المحمرتين من وراء ثقوب القناع لأختها قائلة: إلى أن أجده .. إلى أن أجد (دوسر) ..

التفتت (مهرناز) بأعين غاضبة تجاه الهجينة وقبضت على زنديها وهزتها بقوة صارخة فيها : (دوسر) من يا حمقاء؟! .. توقفي عن هذا الجنون! .. لقد انتهى الأمر!

(أنهار) متفلتة من أختها بهز جسدها بعنف : لم ينتهِ شيء!!

(مهرناز) بشفقة وأعين دامعة رافعة كفيها محاولة لمس أختها مجدداً: ماذا تريدين؟ .. ما الذي يرضيكِ؟ .. أخبريني وسأحققه لكِ



(أنهار) متراجعة للوراء شاهرة سلاحها في وجه أختها وبصوت خالطه الغضب والبكاء : رأس (دوسر)! .. هو وأسياده!

(مهرناز) : لقد أخذتِ مقابله الكثير من الأرواح .. ألم تكتفي وتهدأ نارك؟

(أنهار) بانفعال : هل هدأت نار الخالة طيلة سنوات عمرها قبل أن تنتقم لأبيها؟! .. روحي لن تهدأ إلا بموتي أو موته!

(مهرناز) : توقفي الآن وسيعفى عنكِ .. أعدكِ بذلك

(أنهار) : ومن سيعفي روحي من عذابها؟! .. من تزل قدمه في الهاوية لا يرتجي بعد السقوط سوى الارتطام ..

(مهرناز) : السيد الكبير قال بأنه سيمنحكِ فرصة لو انضممتِ لنا

(أنهار) بتهكم وأعين دامعة : لقد اكتفيت من خدمة الأسياد يا حافية ..

(مهرناز) : أرجوكِ يا أختي .. أعطيني فرصة

(أنهار) ضاربة بكفها المفتوحة على صدرها عدة ضربات صارخة بانفعالٍ باكٍ : جسدي ملكي أنا فقط!!

صمتت (مهرناز) بوجه حزين وأعين دامعة وهي تراقب (أنهار) تنهار أمامها ..



(أنهار) صارخة مهددة ملوحة برأس السيف في وجه أختها: ابتعدي عن طريقي! .. ولا تظني لوهلة أني لن أقتلكِ!

(مهرناز): اقتليني إذاً .. لكنكِ لن تتجاوزيني وأنا حية

رفعت الساحرة الهجينة سيف السماء عالياً فوق رأسها وهمت بإنزاله على (مهرناز) لكن قبضتها على السيف اهتزت ورجفت وعاودت مكررة تهديدها قائلة بصوت أقل حدة لكن أكثر صرامة: «ابتعدي عن طريقي ..»

(مهرناز) مسلّمة مستسلمة: «أبعديني أنتِ بيدكِ .. اقتليني يا أختي .. اقتلي الشخص الوحيد الذي يكترث لأمركِ في هذه الدنيا .. امنحيني فرصة واحدة .. واحدة فقط وأعدكِ بأني سأهبكِ حياة جديدة .. حياة مختلفة .. معي .. ستجدين الراحة والسكينة اللتين تبحثين عنهما بين أحضاني وفي قلبي .. أنا بحاجتكِ مثلما أنت بحاجتي ..»

بقيت الساحرة الهجينة واقفة مكانها تصارع نفسها بأعين راجفة كقبضتها على سيفها وبصوت مختنق بالدموع والقهر قالت: «لا أريد أن أكون خادمة لأحد ..»

ردت (مهرناز) باسمة بأعين فاضت دموعاً: ستكونين سيدتي وسيدة الجميع يا هجينة .. أنا خادمة تحت أقدامكِ إن كان ذلك سيسعدكِ .. لكن امنحيني فرصة ..



رمت (أنهار) بالسيف جانباً ونزلت على ركبتيها خالعة قناعها باكية بقهر وحسرة ..

جثت (مهرناز) أمامها واضعة كفها على كتف أختها تحدثها بحزن وتشاركها البكاء :

«أعدكِ بأن لا أحد سيمسكِ بعد اليوم .. فقط تعالي معي ..»

هزت الساحرة الهجينة رأسها بالموافقة ونهضت لتجد (مهرناز) تعانقها زافرة بقوة وتنهيدة عالية وكأن همّاً ثقيلاً قد انجلى من على صدرها وهمست في أذنها قائلة : «آه يا هجينة .. كم اشتقت لكِ!»

تبسمت (أنهار) ومسحت ما تبقى من دموعها بكفها وسارت مع أختها نحو مخرج «مرقد الأفاعي» تاركة قناعها وسيفها خلفها ..

قبل أن تخرج الاثنتان من القاعة توقفت (أنهار) فجأة وشهقت بفم مفتوح وأعين متسعة فقالت (مهرناز) المتفاجئة : «ما بكِ يا أختي؟!»

أتى لها الجواب حينما أنزلت نظرها ورأت سيف السماء قد اخترق صدرها من الخلف حيث كان يقف (مايزك) الممسك بمقبضه لابساً القناع الذهبي ..



فجعت (مهرناز) عندما سحب الكاهن القاتل السيف من ظهر أختها وهو يقول بفخر واعتزاز: «الكهنة لا يفشلون أبداً في مهامهم ..»

خرت الساحرة الهجينة أرضاً وسقطت على ظهرها واضعة كفها على مكان الجرح في صدرها ..

جثت الحافية المصدومة عند جسد أختها ورفعت رأسها ووضعته على حجرها وهي تمسح الدماء النابعة من فمها وحدثتها بكلمات متقطعة مشحونة بالعبرات الخانقة:

«لا! .. لا يا هجينة! .. ابقي معي!»

وضعت (أنهار) كفها على خد أختها المفجوعة وفي شهقاتها الأخيرة المختنقة بالدماء قالت باسمة: «لا تفزعي يا أختي .. أنا مستعدة للرحيل .. مستعدة منذ زمن طويل ..»

(مهرناز) والجنون يصيبها وهي تشاهد (أنهار) ترحل ببطء: لا تجرئين على تركي مجدداً !!

(أنهار) منزلة كفها مغمضة عينيها بوجه باسم: لأول مرة أشعر بالراحة ..



(مهرناز) وقد تقبلت رحيل أختها : «أحبك يا هجينة .. أحبكِ بقدر جنونك ..»

(أنمار) بنفس وبسمة أخيرة : «وأنا كذلك يا حافية ..»

رحلت ذات الرداء الأزرق الممزق تاركة الحافية تنظر إليها بوجه مفزوع وأعين اشتعلت بنور أحمر وهاج ..

(مايزك) يشد على قبضة سيف السماء متأهباً : «لا تحزني .. ستلحقين بها بعد قليـ ..»

لم يكمل الكاهن جملته لأن شعاعاً أحمرَ انطلق من كف (مهرناز) التي لا تزال جاثية عند جثة الهجينة وحولته لغبار في لمح البصر ليسقط السيف والقناع فوق كومة من الرماد الأسود ..

وضعت (مهرناز) رأس (أنمار) برفق على الأرض ..

نهضت وعيناها الحمراوان المشتعلتان تتأملان وجه أختها الباسم ..

توجهت لكتلة الرماد ..

لبست القناع .. حملت السيف ..

استدارت .. وسارت ..

نحو «عرين الأسد» ..



دخلت (مهرناز) المشتعلة جسداً وغضباً على السيد الكبير الواقف عند أحد جوانب القاعة يداعب بعض سباعه وحين رآها تلبس القناع الذهبي حاملة سيفاً متوهجًا بيدها قال متهكماً وهو يداعب رأس نمر أبيض :

«وجدتِ أختكِ إذاً؟»

رفعت الحافية كفها وهي مستمرة بالسير بوجه ساخط وأعين دامعة مشتعلة من وراء ثقوب القناع وأطلقت وهجاً كبيراً تجاه السيد الكبير الذي تدحرج جانباً تحاشياً لذلك الشعاع الذي أصاب سباعه وأحرقها جميعاً. نهض السيد الكبير ماسحاً التراب من على صدره باسماً :

«فليكن إذاً ..»

بلمح البصر وجدت (مهرناز) السيد الكبير يقف خلفها منتصباً بقامته التي فاقها بها طولاً بمرة ونصف المرة وعيناه تضيئان بنور أزرق متوهج وهو يقول :

«لنرَ الآن مدى قوة هذه الطاقة النجمية التي يقسم عليها (كلكامش) ..»



وجه السيد الكبير ضربة قوية لظهر (مهرناز) بكلتا قبضتيه دافعاً بها للأمام حتى ارتطمت بعرشه الرخامي محطمة بعض أجزائه مسقطة السيف من يدها وسط مجرى النهر البارد المحيط به ..

(السيد الكبير) : لا تخيبي أملي وأظهري بعض المقاومة ..

استدارت (مهرناز) والتقطت السيف وجسدها يتغطى بطاقة مشعة كالشمس بخرت الماء الجاري تحتها وحولته لسحابة بيضاء كبيرة شقتها الحافية اندفاعاً صارخة بجنون ناحية السيد الكبير الذي وقف بوجه غير مكترث حتى وصلت عنده ومدت رأس السيف نحو بطنه في نية لطعنه لكنه تنحى جانباً بكل رشاقة وخفة لتتعثر هي أمامه وقبل أن تقع أطبق هو على شعرها ورفعها للأعلى فما كان منها إلا أن لوحت بالسيف تجاهه بنية إصابته في مقتل لكنه أمسك بنصل السيف بيده وانتزعه منها قبل أن يرميها أرضاً تحت أقدامه.

(السيد الكبير) مقلباً وممعناً النظر بالسيف اللماع : سيف باهر .. ليس من هذه الدنيا

(مهرناز) تنهض فجأة واقفة بكفوف متوهجة : وسأغرسه في قلبك ..



(السيد الكبير) رامياً بالسيف جانباً بقوة ليرتكز في الجدار بجانبه :
لا أسمع سوى الكلام منكِ

دفعت (مهرناز) صدر السيد الكبير بكفوفها المتوهجة بقوة ليتراجع بضع خطوات للوراء قبل أن يباغتها ويندفع هو نحوها قابضاً على عنقها رافعاً إياها مقرباً وجهها المقنع عند وجهه الباسم قائلاً :

«جيد .. شعرت بوخزة في صدري هذه المرة ..»

قبضت (مهرناز) يديها على قبضته الخانقة ثم صرخت مطلقة شعاعاً وهاجاً من تجاويف أعين القناع تجاه وجه السيد الكبير الذي اكتفى برفع كفه لصد ذلك الشعاع ثم قام بقلبها رأساً على عقب وضرب قمة رأسها بالأرض عدة مرات حتى شجه ثم رفعها وقال :

«هل تظنين حقّاً أنكِ تملكين القَدرة على هزيمتي ..؟»

(مهرناز) بصوت مختنق باحثة عن الأنفاس : «بل أنا واثقة ..»

أطبقت الحافية بكفيها على رقبة قائد الطائفة الجنتية وبدأت هي الأخرى بخنقه وخلال قيامها بذلك استمرت بتوجيه أشعة عينيها لوجهه مما دفعه لرميها أرضاً وتغطية عينيه.

نهضت (مهرناز) وجَرت تجاه السيف المغروس بالجدار الحجري



وأمسكت بمقبضه لسحبه وقبل أن تفعل ظهر السيد الكبير خلفها قائلاً :

«دعيني أساعدكِ ..»

وضع السيد الكبير كفه الضخم على رأسها من الخلف ودفع به نحو مقدمة مقبض السيف ولم يتوقف حتى غرسه بالكامل في ثقب عين القناع الأيمن وتركها معلقة والدماء تقطر أسفل منها. وقف يتأملها باسماً لكن ابتسامته ذابت حين رآها ترفع يديها وتمسك بالنصل وتسحب رأسها للوراء إلى أن أخرجته.

(السيد الكبير) : أثرتِ فضولي الآن ..

استدارت (مهرناز) نحوه وقبل أن توجه له ضربة أطبق هو بكفه على وجهها المقنع ورمى بها في الجهة الأخرى بكل يسر وسهولة بعد ما خلع القناع عنها لتصطدم بظهرها في عمود رخامي تشقق من قوة ارتطامها به.

(السيد الكبير) مطبقاً قبضته محطماً القناع وعيناه تتأملان (مهرناز) المتضعضعة : هل نهضت من مكاني لهذا؟ .. أريني شيئاً يستحق

وقفت (مهرناز) بوجه دامٍ وعين مفقوءة باسطة كفيها جانباً ليتغطى جسدها بالكامل بنور أبيض وقالت : «قاوم هذه ..»



ضربت الحافية كفيها بعضهما ببعض مطلقة كرة كبيرة من الوهج الأبيض المشع حفرت في طريقها الأرض أسفل منها فرفع السيد الكبير سواعده وصد الضربة بهدوء ويسر ..

وقفت (مهرناز) متعجبة مما تراه بينما أنزل السيد زعيم الطائفة الجنتية سواعده الضخمة عن وجهه كاشفاً ابتسامة ساخرة وهو يقول :

«خيبتِ ظني يا حافية .. تأملت منكِ أكثر »

(مهرناز) مستجمعة قواها وعزيمتها بوجه عابس : أنا لم أفرغ بعد!

(السيد الكبير) بهدوء وبرود مخيف بصوته الغليظ :

«لكن أنا اكتفيت من اللعب .. حان الوقت لأبلعكِ وأطفئ نوركِ لتغرقي في ظلماتي للأبد ..»

اندفع السيد الكبير تجاهها بسرعة خارقة وبدأ يكيل لها مجموعة من الضربات المتلاحقة والسريعة حطم فيها مع كل ضرب عظمة أو مزق لحمة وبعد انتهائه أطبق بيد على عنقها من الخلف وباليد الأخرى قبض على فخذها ورفعها عالياً وباعد بين يديه وفصل (مهرناز) لنصفين ليفور الدم عليه كالشلال المنهمر من وسطها المقسوم.

حرك السيد زعيم الطائفة الجنتية رأسه للوراء وأخذ يهز وجهه بفم مفتوح تحت الدم المنهمر وكأنه يستحم أو يغتسل وحين انقطع التدفق رمى بهما جانباً وسار نحو عرشه المحطم جزئيّاً وجلس عليه محدقاً أمامه بصمت ..

في تلك اللحظة دخل (آغ) مع مجموعة من كهنته القتلة وشاهدوا الفوضى في المكان فقال بخليط من التوتر والقلق وهو يرى الدماء تغطي سيده : هل أنت بخير يا سيدي؟

(السيد الكبير) بوجه وشعر ملطخين بالدماء : وهل عهدتني غير ذلك ..؟

(آغ) حانياً رأسه راجفاً بوجل : لا أبداً، العفو ..

(السيد الكبير) دون أن يحيد بنظره : ما الذي أتى بك؟ .. ألم أحذرك من العودة إلى هنا قبل تصفية العربيات؟

(آغ) بارتباكٍ شديد : لقد وجدنا الساحرة الهجينة مقتولة بجانب جثة (مايزك) في «مرقد الأفاعي» و ..

(السيد الكبير) مقاطعاً وهو يشير لجثة (مهرناز) المقسومة : ارمِ هذه معهما ..



(آغ) مشيراً للكهنة المصاحبين له بالتخلص من الجثة وتنظيف المكان : حاضر

نهض (السيد الكبير) وقال متجهماً :

«سأكون عند الشلال خلف الجبل لأغتسل وحينما أعود لا أريد رؤية أحد منكم هنا . . »



عرائس الموت



شمس اليوم الجديد ستطل من الأفق ..

نور السماء في أوله ..

نهاية الفجر ..

سواد السماء يتبدد شيئاً فشيئاً ..

(عوراء) نائمة .. فراء يغطيها وآخر أسفل منها ..

هدوء مهيمن لا يكسره سوى شخير الصبية من وقتٍ لآخر ..

تجلس بجانبها (نافجة) تحدق بما تبقى من نارهن ..

جمر أحمر متوهج نابض ..



(القيقبون) تمسح كفوفها فوقه بوجه ناعس وفم متثائب ..

رأس (رافدة) مستلقٍ عند ركبتها ..

لا تزال غارقة في غفوتها ..

الدعجاء مسندة ظهرها لجذع شجرة ..

تطبطب برفق على شفتيها بقطعة من لحاء الجوز ..

تفتح (عوراء) عينها ..

ترفع الغطاء وخدها المسند من على الفراء الكثيف ..

تزفر نفساً عميقاً باسمة لشعورها بالدفء ..

(نافجة) ماسحة على رأسها باسمة : «هل اكتفيتِ من النوم يا جميلة ..؟»

(عوراء) : هل كنتن تنتظرنني؟

(القيقبون) بتهكم : نعم فالمتنورون رفضوا استضافتنا دون حضوركِ

(نافجة) مشيرة لقدر (القيقبون) المنصوب على بعد يسير منهن : اذهبي واشربي بعض الماء

(عوراء) : متى سنرحل؟



(نافجة) واضعة كفها على ظهر (عوراء) مطبطبة : بعد قليل .. هيا انهضي

وقفت الصبية وسارت نحو القدر بتكاسل ..

(القيقبون) لـ (دعجاء) السارحة في (عوراء) السائرة وهي مستمرة بطرق شفتها بلحاء الجوز : ماذا عن البدوية؟

(دعجاء) وسرحانها ينقطع ملتفتة لعجوز القدر : الفتاة ستهلك لو أتت معنا ..

(القيقبون) بَاسمة : أليس هذا مصيرنا جميعاً في النهاية؟

(نافجة) : ذهن (رافدة) منشغل بأختها ولن تكون مستعدة لأي مواجهة

(القيقبون) : ما معنى هذا الكلام؟

(دعجاء) تمد قطعة اللحاء لـ (نافجة) قائلة : لن يدخل الجبل إلا أنا والجدعاء ..

(القيقبون) بعبوس : ماذا؟! .. عن ماذا تتحدثين؟! .. أنا لم أقطع كل هذه المسافة كي أتخاذل الآن وأعود أدراجي! .. هذا لن يحدث يا ابنة وصبان!



(نافجة) وهي تدق شفتها بقطعة اللحاء : هذا ليس تخاذلاً يا (سديرة) ..

(القيقبون) : وما الذي تريدين مني القيام به؟! .. إن كانت البدوية تريد الانسحاب فهذا شأنها!

(دعجاء) ناهضة من مكانها : هي تحتاج لرؤية أختها فقط

(نافجة) ساحبة عكازها لتقف : خذيها إليها ..

(القيقبون) بغضب مكتوم وصوت غير مسموع لـ (عوراء) : وماذا عن الصبية؟! .. لمَ لا تريدان منها مرافقتكما؟!

(نافجة) ناظرة بحزن لـ (عوراء) وهي تحاول إدخال رأسها في القدر : لأنها ..

(دعجاء) : لأنها ستذهب معكما وليس معنا ..

(القيقبون) بنبرة مستنكرة ومشككة : اصدقاني القول .. ما الذي تخططان له؟

(نافجة) : لا شيء يا (سديرة) ..

(القيقبون) مشيرة بسبابتها لقطعة لحاء الجوز بيد (نافجة) : من أين أحضرتِ هذه يا ابنة وصبان

(دعجاء) : جلبتها معي ..



(القيقبون) : لِمَ لم أرَها بيدك من قبل؟ .. ولمَ تستخدمينها الآن وفي هذا الوقت بالتحديد؟

(نافجة) رامية بقطعة اللحاء وسط النار باسمة : هل ارتحتِ الآن؟

(القيقبون) : لا .. هناك شيء يحدث ولكني لا أستطيع فهمه

(دعجاء) : فقط الحقي بنا حينِ يكون الجميع مستعدات هذه هي الخطة الآن

(القيقبون) : أنتِ أعلم الناس بأني لن أدرككما .. العودة للمكان الذي تركت فيه ابنة معناد والحجازية سيستغرق وقتاً طويلاً وحينها ستكونان قد هلكتما

(عوراء) قافزة وسط المكان : أنا جاهزة!

(دعجاء) واضعة كفها على رأس الصبية وحديثها لـ (القيقبون) : أليس هذا مصيرنا جميعاً في النهاية؟

سارت الدعجاء خارجة من بين الأشجار نحو مدخل الجبل تاركة (نافجة) تنزل على ركبتيها أمام (عوراء) وتحدثها بنبرة حانية وأعين امتلأت حزناً وهي تلعب بخصلات شعرها : «سأرحل أنا وعمتك (دعجاء) فقط ..»

(عوراء) بصوت مقهور : لماذا؟!



(نافجة) مستمرة بالمسح على شعر (عوراء) الأحمر تتأمله بأعين تدمع : عمتكِ (سديرة) تحتاجكِ ..

(القيقبون) بتجهم وسخط : أنا لا أحتاج أحدًا! .. لا تلقي باللوم عليّ!

التفتت (عوراء) نحو عجوز القدر الغاضبة لكن (نافجة) وضعت كفها على خدها وأعادت نظرها أمامها وقالت : اعتني بأخواتكِ ..

(عوراء) وقد بدأت بالبكاء : لكن يا عمة ..!

غطت (نافجة) فم الصبية بكفها وأسكتتها ثم عانقتها بقوة قبل أن تنهض وتلحق بـ (دعجاء) و(القيقبون) تراقبها بوجهٍ عابس ..

وقفت الدعجاء أمام فوهة الجبل المنقوشة تتأملها ..

(نافجة) تشاركها تأملها قائلة :

«ما بكِ يا عمة؟»

(دعجاء) : زارني أبي بالأمس في منامي ..

(نافجة) : وصبان ..؟

(دعجاء) : كان يعاتبني ..



(نافجة) : على ماذا؟

(دعجاء) : يقول بأني لم أسقِ النخلة وبسبب إهمالي ذبلت أغصانها وثمارها فقدت حلاوتها ..

(نافجة) : أي نخلة؟ .. ماذا يقصد؟

(دعجاء) ملتفتة إليها : لا أدري .. لكن لدي إحساس بأننا سنعرف بعد قليل ..

تقدمت الدعجاء لوسط الجبل ومن ورائها العرجاء ..

بعد سير يسير أقبلت الاثنتان على بداية سلم حجري كبير يقود للطابق الثاني ولم تريا من حولهما أي مداخل أخرى. السلم انقسم في منتصفه لطريقين وكأن كل واحد منهما يقود لجانب مختلف من جوانب الجبل.

(نافجة) : أين الطريق الصحيح؟

(دعجاء) : لا فرق .. كلاهما يقودان للأعلى وهذه هي وجهتنا

(نافجة) : وأيهما سنسلك؟

(دعجاء) مستأنفة تقدمها نحو الطريق الأيسر : لعل اليسار أيسر ..

صعدت الاثنتان درجات السلم الأيسر وحين ولجتا في الطابق



الثاني كان في استقبالهما عملاق أصلع أشعر الجسد يحمل في يده مطرقة برأس مدبب كالإزميل. تجهم المتنور ذو الدائرتين المصمتتين الموشومتين على رأسه حينما رآهما وقال بالفارسية : «الوجود هنا محرم ..»

(دعجاء) : ماذا يقول؟

(نافجة) : لا يريد منا الوجود هنا ..

(دعجاء) : ولا نحن نريد وجوده ..

رفع المتنور الضخم مطرقته عالياً وضرب بها بقوة على سطح الأرض الرخامية أمامه فانطلقت العرجاء عكزاً تجاهه وقفزت فوق رأس المطرقة أتبعتها بقفزة أخرى في الهواء لتهبط برأس عكازها على صدره وهي تقرأ طلسماً ما نجم عنه اشتعال جسده بلهب أحرق معظم ملابسه وشعر جسده لكنه لم يبدِ أي إحساس بالألم ولم يفلت قبضته عن المطرقة وقام برفعها مجدداً لتمر بجانب (نافجة) دون أن يصيبها. هبطت العرجاء على الأرض لترى أن المتنور العملاق بدأ يدور بمطرقته كالمروحة ويتقدم نحوهما.

وجدت (نافجة) صعوبة في توجيه ضربة له وهو يدور بتلك السرعة العالية في ذلك المكان الضيق فعكزت للخلف دون أن تحيد بنظرها



عنه ووقفت بجانب (دعجاء) تفكر في طريقة لمهاجمته وخلال تفكيرها قالت لها بهدوء:

«لا يمكن ذبح البعير قبل عقر سيقانه ..»

في اللحظة نفسها اتسعت أعين (نافجة) لفكرة طرأت ببالها فقامت برفع طرف عكازها عند فمها وأخذت تتمتم ببعض الكلمات أنهتها بنفخة حولت عكازها لنصل حاد ومثني كالهلال وفي الحال رمت به تجاه العملاق الدائر على نفسه ليدور النصل منطلقاً أسفل رأس المطرقة الملتفة ويمر من عبر ركب المتنور ويبترها ليطلق العملاق صرخة مدوية خلال سقوطه وإفلاته لمطرقته التي ولسوء الحظ اندفعت بعد تحررها نحوهما فما كان من (دعجاء) إلا أن قفزت جانباً محتمية على الأرض لكن (نافجة) لم تلحق أن تقوم بالمثل واضطرت للقفز عالياً بقدمٍ واحدة لتمر المطرقة من أسفلها وتضرب الجدار خلفها لتتساقط قطع كبيرة من الحجارة عليها.

قبل أن تهبط تلك الصخور الكبيرة فوق العرجاء تفتتت جميعها لتراب بعد ما رفعت (دعجاء) المستلقية كفها تجاهها قارئة طلسماً سريعاً. نهضت (نافجة) وعكزت نحو عمتها بعد ما استعادت نصلها وعاونتها على النهوض والمتنور يصرخ متألماً وسط المكان.

(نافجة) تراقبه وهو يتلوى ويصرخ: صوته مزعج



(دعجاء) رافعة كفها مجدداً : سيصمت الآن ..

تحول المتنور لكتلة من اللهب وبدأ بالاحتراق لكن صرخاته لم تتوقف بل ارتفعت أكثر مما اضطر الدعجاء لرفع كفها الأخرى مسقطة السقف بأكمله على رأسه.

توقف الصراخ وحل الهدوء في المكان الذي تصاعدت فيه الأتربة جراء سقوط السقف ..

(نافجة) لامحة مفترقاً جديداً من السلالم المؤدية للطابق الثالث : «هيا لنكمل الطريق لليسار يا عمة ..»

في تلك الأثناء كانت عجوز القدر جالسة مع (عوراء) عند النار التي أعادت إشعالها و(رافدة) لا تزال نائمة بجانبهما ..

(عوراء) بقلق : هل تظنين أن عمتي بخير؟

(القيقبون) بسخط : أتمنى أن تهلك هي والعجوز ابنة وصبان

(عوراء) بغضب : لا تقولي ذلك!

(القيقبون) محدثة نفسها بوجه متجهم وهي ترمي بحجر وسط النار : تباً لكِ يا ابنة وصبان .. تبّاً!



فتحت (رافدة) عينيها بسبب الصراخ المتعالي ونهضت بتكاسل واضعة كفها على رأسها قائلة : أين نحن؟

(القيقبون) بسخط وتذمر : في ملجأ (سديرة) للعناية بالفتيات!

ضحكت (عوراء) واضعة كفها على فمها ..

(القيقبون) مشيرة لها بسبابتها مهددة : لا تزيدي من سخطي يا صبية!

(رافدة) وقد جلست واستعادت بعضَ تركيزها : أين البقية؟

(القيقبون) بعبوس ونظرها للنار : رحلتا!

(رافدة) : رحلتا الى أين؟

(القيقبون) : إلى الجحيم!

(رافدة) موجهة نظرها لـ (عوراء) : ما بها؟

(عوراء) مشيرة بوجه ممازح بأنها لا تريد الحديث ..

(رافدة) واضعة سبابتها على كتف (القيقبون) دافعة به عدة مرات بوجه ناعس : (سديرة) .. (سديرة) ..

(القيقبون) صارخة بها : لا تناديني بهذا الاسم!

(رافدة) : حسناً .. حسناء اليمامة .. أين العمة و(دعجاء)؟



زفرت (القيقبون) كل غضبها بنفس ثقيل في النار وتبدل محياها من العبوس للكآبة وقالت : أرجوك يا بدوية اتركيني وشأني الآن!

(رافدة) متربعة بجانبها : لن أتركِكِ حتى أعرف ما الذي يجري؟

شرحت عجوز القدر للفتاتين ما حدث على قدر ما فهمت وسمعت وأخبرتهما بأنها تشك بأن (دعجاء) و(نافجة) تيقنتا أن الموت هو المصير المحتوم وأن فرصة هزيمة السيد الكبير شبه معدومة هذا إن تمكنا من الوصول إليه لذا قررتا في اللحظة الأخيرة عدم الزج بنا في هذه المواجهة لقناعتهما بالخسارة.

(عوراء) بحزن شديد : لماذا ذهبتا إذًا؟ .. لمَ لم تبقيا معنا؟

(رافدة) سارحة بالنار : كانتا تعلمان من البداية بأنهما ستموتان هنا ..

(القيقبون) باسمة بأعين سارحة : كان يجب أن أفهم حينما رأيتهما تدقان لحاء الجوز على شفتيهما كالعروس ليلة زفافها .. اللعينتان تزفان أنفسهما للموت زفّاً

(عوراء) بأعين دامعة : لا أفهم

(القيقبون) : عمتاكِ لم تكن نيتهما بالقدوم إلى (فارس) قتلَ السيد الكبير .. قائد الطائفة الجنتية لا يقهر وأنا كنت مثلهما على علم مسبق بذلك ومستعدة للموت إيماناً مني بمسعاهما وأن سكوتنا



سيكون مذلة أكبر لكني لم أتوقع أبداً أن تنفردا بأنفسهما في النهاية وتهجرانا هكذا .. دب الشك بقلبي في كل مرة رأيت فيها نظرات (دعجاء) حين يقترب الموت من إحدانا .. كان قلبها يؤلمها لمجرد الإحساس بأن أحداً سيهلك وهو يقاتل بجانبها .. هذه المرأة تحمل إحساساً عظيماً بالذنب لموت بنات عصبتها ولم تستطعْ حتى اليوم التخلص منه

(عوراء) : لمَ أتينا إذاً؟! .. لمَ تدخلان الجبل إن كانتا متيقنتين من موتهما!

(رافدة) سارحة أمامها : لأن هدفهما منذ البداية لم يكن الانتصار بقتل قائد الطائفة الجنتية وإنهاء حياته بل بقتل كبريائه وإنهاء غطرسته فقط .. لذلك كانتا دائماً تردادن أنهما هنا لتوجيه رسالة .. رسالة فقط

نهضت (عوراء) من مكانها وقالت بقهر ممزوج بالسخط : سألحق بعمتي!

(القيقبون) ببرود ملوحة بيدها لها بالجلوس : اجلسي يا صبية .. كفي عن الجنون

(رافدة) ملتفتة لعجوز القدر : وأين الجنون في حديثها؟ .. نحن نملك قرار مصيرنا أيضاً!



(القيقبون) بتساؤل : ألا تريدين رؤية أختكِ الحجازية؟ .. هذه كانت حجة ابنة وصبان لتركنا هنا

(رافدة) : (كُميت) لو كانت مكاني لما تراجعت .. أختي ستكون بخير وإن لم تكن فنحن هنا للأخذ بثأرها .. ما قولكِ؟

صمتت عجوز القدر بوجه متفكر ..

(عوراء) ضاربة بقدمها بعصبية : أنا لن أنتظر يا (سديرة)!

(القيقبون) باسمة : القطة الصغيرة نمت مخالبها ..

«لا يوجد سوى قطة واحدة في هذه العصبة ..»

وجهت الثلاث أنظارهن تجاه المتحدث ليرين (كُميت) تقف بجانب (هند) الباسمة ..

نهضت (رافدة) قفزاً وجرت نحو أختها وعانقتها متحسسة رأسها وجسدها قائلة :

«أنت بخير أنت بخير!»

(كُميت) باسمة : ولِمَ لا أكون بخير؟

وقفت (القيقبون) أمام (هند) وقالت : أرى أن زنابق الدم أتت بثمارها ..



(هند) : وحان الوقت لنقطف نحن ثمار رحلتنا الطويلة ..

(عوراء) من ورائهن : هيا!

بعد ما شرحت عجوز القدر لـ (هند) و(كُميت) ما حدث خلال غيابهما اتفقت العصبة على التقدم نحو الجبل بأسرع وقت للحاق بـ (دعجاء) و(نافجة) وبعد دخولهن الطابق الأرضي ووصولهن لمفترق الطرق عند السلالم الأولى قالت (القيقبون) : «ماذا الآن؟»

(رافدة) : أي اتجاه سلكتا؟

(عوراء) : اخترن طريقًا بسرعة!

(هند) : سنقسم .. لو اخترنا الطريق الخطأ فسنتيه عنهما

(القيقبون) : ومن سيذهب مع من؟

(هند) : جميعكنّ ستذهبن معاً وأنا سأسير وحدي

(كُميت) : وما الحكمة من ذلك؟

(هند) : أنا أعرف هذا المكان جيدًا وأعرف الطرق الأكثر أماناً دون غيرها

(القيقبون) : وأي الطريقين أقل أمناً كي نسلك الآخر؟

تبسمت (هند) موجهة نظرها لمفترق الطرق وقالت : سأختار أنا الأيسر ..



(كُميت) : ألا تعتقدين أن بقاءك معنا فكرة أصوب؟

(هند) : لا .. تقدمي وحدي سيكون أسهل وأكثر سلاسة وفي كل الأحوال الجانبان في النهاية يلتقيان عند الطابق السادس .. وهناك سنجتمع جميعاً .. أسفل ((عرين الأسد)) مباشرة

(القيقبون) : هذا لو تمكنا من قطع المسافة بأكملها .. حسناً .. سنسلك نحن الطريق الأيمن .. رافقتكِ السلامة يا ابنة معناد

همت (هند) بالتحرك لكن (القيقبون) أمسكت بذراعها وقالت : انتظري ..

أدخلت عجوز القدر يدها في حقيبتها وأخرجت خمس قناني صغيرة وزعتها على الجميع ..

(هند) مقلبة القنينة بين أصابعها : ما هذا؟

(القيقبون) وهي تشرب محتوى القنينة : «عرق الصبر» ..

(عوراء) محتسية قنينتها بتقرف : عرق ماذا؟

(كُميت) : ولمَ تريدين منا احتساءه؟

(هند) : هذه عصارة لنبتة جبلية تخفف الشعور بالألم

(القيقبون) رامية قنينتها الفارغة : وتزيل الرهبة من القلوب

(رافدة) رافعة القنينة عند فمها : جيد إذاً أنا بحاجتها



(كُميت) تقوم بالمثل ..

(هند) معيدة القنينة لحقيبة (القيقبون) : لا رغبة لي بها

(القيقبون) بتعجب : ماذا تفعلين؟ .. هل أنت ممن يستمتعون بالألم؟

(هند) : لا لكن أختي شعرت به حين ماتت وهي ليست بأشجع مني ..

(القيقبون) : خذي القنينة ولا تكوني عنيدة يا ابنة معناد!

(هند) بهدوء وصرامة : لن يحدث ذلك ..

(القيقبون) ملوحةً بيدها بتذمر قبل أن تسير تجاه السلم الأيمن : لن أضيع وقتي في جدال جنوبية!

لحقت الفتيات بعجوز القدر بعد ما ودعن (هند) بطريقتهنّ ..

الصبية عانقتها ..

البدوية ربتت على كتفها باسمة ..

الحجازية وقفت أمامها قائلة : «شكراً لعنايتكِ بي ..»

(هند) باسمة : ردي الجميل لي بالاعتناء بهنّ



(كُميت) ملتفتة نحو مجموعتها التي بدأت بصعود السلالم : هنّ من سيعتنين بي ..

جرت الحجازية للحاق بعصبتها بينما خطت (هند) على السلمة الأولى من الطريق الأيسر ..

أكملت ابنة معناد صعودها للطابق الثاني وحين دخلت للمكان الذي انتهت إليه السلالم الرخامية رأت حجرًا كبيراً مستقرّاً في وسطه والسقف أعلى منه متهدم بالكامل فقالت محدثة نفسها :

«لقد مرتا من هنا إذاً ..»

جالت (هند) بنظرها حتى وقعت عيناها على الطريق الأيمن فتقدمت نحوه قائلة :

«أرجو أن تكونا قد سلكتا هذا الطريق ..»



سدرة وَأَثَافيٌّ ثلاث

بلغت عجوز القدر ومن معها الطابق الثاني من الجهة اليمنى وبعد عدة خطوات أخذنها للأمام اكتشفن أن المكان يتكون من ثلاث غرف وسلم واحد فقط يقع في المنتصف يقود للطابق الثالث فقالت :

«هيا اتبعنني تجاه السلالم ..»

(كُميت) : ماذا عن تلك الأبواب؟

(القيقبون) : ماذا عنها؟

(رافدة) : ألن نفتحها؟

(القيقبون) : نحن لسنا هنا لتفتيش الجبل .. هدفنا هو القمة .. لا تنشغلن بشيء آخر

(عوراء) : ماذا لو كانت العمة محبوسة وراء أحدها؟

(القيقبون) : عمتكِ لن تحبس لو وقعت في أيديهم .. عمتكِ ستهلك

(عوراء) : لا تقولي هذا!

(رافدة) متوجهة لأحد الأبواب الثلاثة : أنا سأفتحها

(القيقبون) : افعلن ما تشأن .. من ترِدِ اللحاق بي فلتفعل

سارت عجوز القدر متجاهلة الفتيات اللاتي توجهنَ للأبواب المؤصدة وفتحن أولها وقبل أن تصعد السلم سمعت (عوراء) من ورائها تقول ببهجة وعجب : ما هذا المنظر الجميل!

(رافدة) : شيء عجيب

(كُميت) : منظر أخاذ فعلاً

تملك الفضول من (القيقبون) وعادت أدراجها نحوهنّ وهنّ واقفات عند عتبة الباب يراقبنَ وسط الغرفة بانبهار وحين وصلت إليهنّ دفعتهنّ وأطلت برأسها قائلة : عن ماذا تتحدثن؟

شاهدت (القيقبون) ما أثار إعجابهنّ وهي تلة كنوز كبيرة من الذهب والفضة محاطة بكم هائل من الجواهر والأحجار الكريمة بكافة الأشكال والأحجام والألوان.

(القيقبون) : أعتقد أنهم يجمعون غنائمهم هنا؟

(رافدة) : حسناً .. لقد فتحنا الباب .. لنكمل طريقنا الآن

(عوراء) : ماذا عن البابين الآخرين؟

(القيقبون) : نحن لسنا في السوق يا صبية! .. يكفي ما أضعناه من وقت!

(كُميت) سائرة نحو الباب الآخر : لن يستغرق الأمر وقتاً لو توقفتما عن الجدال

فتحت الحجازية الباب الثاني وبقيت تنظر لمحتوى الغرفة بصمت حتى انضم إليها الأخريات وشاركنها النظر ..

الغرفة كانت أكبر بكثير من الأولى وامتلأت بكمية كبيرة ومتنوعة من الأسلحة بكافة الأشكال و الأنواع ..

تقدمت (رافدة) ورفعت أحد السيوف المعلقة وقالت بانبهار : لم أرَ صناعة متقنة كهذه من قبل في حياتي

(القيقبون) : كل القطع هنا من النوادر

(كُميت) لامحة قوساً مصنوعًا من العاج : أعتقد أنها فرصة لنرفع من قدراتنا بالتسلح

(القيقبون) : خذا ما تريدان بسرعة

رمت البدوية بسيفها على الأرض وأخذت بديلاً عنه سيفاً نقش نصله بالكامل بحروف ورموز هندية ومقبضه العظمي رصع



بمجموعة من الأحجار الزرقاء اللماعة وقلبته باسمة وهي تقول :

«هذا الجميل سيرافقني ..»

حملت (كُميت) القوس العاجي وتفحصت صناعته المتقنة قائلة :

إنه مصنوع بما يشبه القرن أو الناب الكبير .. شيء باهر

حملت الحجازية معها القوس دون أن تتخلى عن قوسها السابق ..

(القيقبون) خارجة من المكان : هيا لنفتح الباب الثالث لأني متيقنة أن الصبية لن تدعنا نرحل دون القيام بذلك

(عوراء) قافزة مصفقه لاحقة بها : هيا! .. هيا!

فتحت (القيقبون) الغرفة الثالثة وحين رأت محتواها تبسمت وقالت لـ (عوراء) الواقفة بجانبها : «أعتقد أننا وجدنا ما يناسبكِ ..»

تلك الغرفة كانت مخزناً كبيرًا للأطعمة المتنوعة من لحومٍ وفاكهة وحتى الحلوى ..

(عوراء) بفم مفتوح وأعين متسعة بعد ما لمحت شوالاً امتلأ بالسكاكر الملونة : هل يمكنني ..؟

(القيقبون) : تناولي ما يكفيكِ فقط كي لا تصابي بالمرض فأنا لم أحضر قدري معي كي نحمل لكِ المزيد



انطلقت (عوراء) تجاه الشوال وغرست كفيها فيه وبدأت تتناول محتواه بنهم ..

(كُميت) مطلة من عند مدخل الغرفة : ألا يريد أحد منكن تناول شيء؟

(القيقبون) : لا أريد أي طعام

(رافدة) باسمة مراقبة (عوراء) تتناول السكاكر بنهم : إذا لم نوقفها فسوف تتقيأ

(القيقبون) : أوقفاها أنتما ... أنا لا أملك قوة لسحبها من هنا

(رافدة) ممازحة : اسبقينا عند بداية السلم وسوف نحضرها معنا بعد ما نتناول شيئاً

بعد وقتٍ وجيز شاهدت عجوز القدر (رافدة) و(كُميت) تخرجان من الغرفة وكل واحدة منهما تشد (عوراء) من إحدى أذرعها وتجرانها جرًّا خارج المكان وهي تقول متوسلة : لقمة أخرى فقط !

لم تنصت الاثنتان لتوسلات أختهما وساقتاها حتى وقفن أمام (القيقبون) التي قالت : كان لدي ناقة شرهة مثلكِ لا تبقي غصناً أخضرَ إلا والتهمته ولم تترك أي شيء لبقية القطيع .. لكني وجدت لها حلًّا في النهاية



(رافدة) ضاحكة : وكيف تصرفتِ معها كي نقوم بالمثل مع (عوراء)؟!

(القيقبون) مستديرة تجاه السلم وهي تهم بصعوده : نحرتها ..

بعد ما قطعت المجموعة المسافة صعودًا على السلالم الحجرية نحو الطابق الثالث خرجن لممرٍّ واسع وطويل جدّاً ذي سقف مرتفع انتشرت على أحد جوانبه مجموعة من النوافذ المفتوحة. أنير المكان بأشعة الشمس البسيطة التي اخترقت تلك الفتحات الكبيرة والمطلة على منظر جميل وباهر من سلاسل الجبال البيضاء.

(كُميت) : ما هذا المكان؟

(القيقبون) مشيرة لبداية السلم المؤدي للطابق الرابع نهاية المكان : إنه مجرد ممر

(رافدة) : المكان أكبر من أن يكون مجرد ممرٍّ .. كأنه نفق طويل

(عوراء) : لمَ هو خالٍ هكذا؟

(القيقبون) متقدمة : هل كنت تريدين أن يكون مخزناً آخر للطعام؟

تبع الثلاث عجوز القدر حتى انتصفن الطريق وسط ذلك الممر الطويل والكبير وحينها استوقفتهن (كُميت) وقالت : انتظرن ..

توقف الجميع بوجوه متسائلة ..



(كُميت) باحثة بنظرها من حولها بصمت ..

(القيقبون) : ما الحكاية يا حجازية؟

(كُميت) مشيرة لأحد أحجار الأرضية المصفوفة أمامهن بشيء من الحيرة والشك : «ذلك الحجر ..»

(رافدة) : ما به؟

(كُميت) وهي تشد سهماً على قوسها العاجي : ليس كالبقية ..

أطلقت الحجازية سهمها تجاه الحجر وقبل أن تصيبه قفز وسط انبهار الجميع وهبط أمامهن وتشقق كقشرة البيض ليخرج منها شاب بشعر أبيض طويل وجلد شاحب أبهق وأعين خلت من السواد يلبس رداءً أبيضَ حريريّاً واسعاً نُقش عليه رسومات لمجوعة من النساء وهنّ يحترقنَ ويصرخنَ وسط نارٍ كبيرة.

(القيقبون) بتجهم : كان ينصب لنا فخّاً ..

شدت (كُميت) سهماً آخر ووجهته لوجه المتنور الأبهق الموشوم بدائرتين مصمتتين على خده الأيسر ..

(رافدة) تشد على مقبض سيفها قائلة : لكنه كُشف وسيندم الآن

خرج من التجويف الأرضي الذي قفز منه المتنور الأبهق رجلٌ آخر حنطي البشرة مفتول العضلات يلبس سترة جلدية بنية اللون



بأطراف صوفية وحول خصره رُبط حزام تدلت منه مجموعة من القرون الكبيرة وعلى صدره المكشوف وشمت دائرتان مصمتتان كذلك وقال للمتنور بجانبه : كنت أظن أن حيلك لا تكشف يا (مسنار)

(مسنار) ناظرًا لـ (كُميت) بأعينه البيضاء : تلك الملثمة تملك نظراً حاداً يا (ماكرو)

(ماكرو) مشيرًا بيده لمتنور آخر للخروج من الحفرة : نظرها هذا لن يفيدها الآن ..

خرج متنور ثالث بجسد أملس مدهون بما يشبه الزيت الأسود السميك وجلس على قوائمه الأربع يحرك لسانه الأحمر تجاه العصبة التي بدأت تتوتر وهي تشاهد أعداد المتنورين الذين سيواجهونهم في ازدياد.

(ماكرو) لـ (مسنار) : (صرناخ) يبدو متحمساً لهذه المواجهة

أجابه صوتٌ أنثوي من وسط الحفرة قائلاً : جميعنا متحفزون لإثبات أن الكهنة القتلة هم الأفضل ..

(ماكرو) وهو ينظر للحفرة باسماً : «عندما يفشل القتلة ..»



قفزت من وسط الحفرة امرأة تلبس فراءً مصنوعًا من جلد نمر أبيض كبير ذي رأسٍ محنط تحمل بيدها سوطاً أسود التف حول قبضتها وهبطت بأقدامها الحافية ذوات الأظافر الطويلة مثل يديها بجانب (صرناخ) وقامت برفع الرأس المحنط كاشفة عن وجهها الممتلئ بالوشوم والرسومات المنتهية بثلاث دوائر مصمتة عند عنقها وقالت : «يتدخل الكهنة ..»

(مسنار) بتهكم وتململ : هل انتهيتِ من استعراضكِ يا (عشتار)؟

(عشتار) ضاربة بسوطها جانباً محدثة صوتاً صاعقاً : نحن لم نبدأ بعد!

(كُميت) محركة رأس سهمها الفضي يميناً وشمالاً بين المتنورين الأربعة الواقفين على بعد منهنّ وقالت بارتباك : من سيواجه من؟!

(رافدة) تشد على سيفها وبصوت قلق : أنا سأشتبك مع الأبهق وأنتِ مع .. مع ..

(كُميت) بقلق وهي تراقب بحذر : لا تشغلي بالكِ .. سنتصرف وقتها

(عوراء) : وأنا ماذا سأفعل؟



(رافدة) ونظراتها المتوترة تتابع المتنورين المراقبين لهم باسمين : ابقي خلفنا فقط ولا تتدخلي ونحن سنتولى أمرهم

(القيقبون) بهدوء مخاطبة الفتيات دون أن تحيد بنظرها عن المتنورين الأربعة : «لا يا بنياتي .. »

(كُميت) : لا ماذا؟

(القيقبون) : لن تتقدمن لموتكن وأنا هنا ..

(رافدة) : هل ستقومين بما قامت به العمة وتحاولين حمايتنا ومنعنا من الاشتباك؟

تجاهلت عجوز القدر تعليق البدوية وتقدمت نحو المتنورين الأربعة حتى أصبحت على بعد يسير منهم وقالت لهم بالفارسية :

«قطيع باهر ..»

(عشتار) ضاحكة : العربية القذرة تتحدث بلساننا!

(مسنار) باسماً : لم أكن أظن أن جاهلة مثلها يمكنها ذلك .. يبدو أن تعليم الناقة الرقص ليس بالأمر المستحيل ..

(ماكرو) بتجهم : لا تفكري بالتوسل إلينا ..!

(القيقبون) بهدوء وبرود : سيكون يوماً أسودَ حين أتوسل لفارسي ..



(عشتار) وملامحها تتحول للعبوس : ماذا تريدين إذاً يا عجوز؟

(القيقبون) : شيئاً قد يكون صعباً على أمثالكم تنفيذه لكنني سأقوله

(صرناخ) يفح كالأفعى ..

(مسنار) : هاتي ما عندكِ ولا تطيلي

(القيقبون) : أريد عهدًا منكم ..

(ماكرو) : عهد ماذا؟

(القيقبون) : بألا تمسوا أو تتعرضوا لمن معي قبل أن تقتلوني

(عشتار) بسخرية : هذا فقط؟

(القيقبون) تهز رأسها بأعين مغمضة : هذا فقط

(ماكرو) بتهكم : هل تريدين منا كذلك ألا نهجم عليكِ دفعة واحدة ونراعي تقدمكِ في العمر ونتقدم فرادى؟

(القيقبون) : اهجموا بكل ما أوتيتم من قوة لكن لا تمسوا واحدةً منهن قبل أن أفارق الحياة وهن لن يمسسنكم في المقابل

ضحكت (عشتار) بقوة وهي تضرب بسوطها جانباً محدثة صوتاً صاعقاً وقالت : شكرًا لكرمكِ يا بدوية!

(مسنار) : أنت لن تصمدي لوقتٍ طويل كي تطلبي مثل هذا الطلب لكن لكِ ذلك

قبل أن تهم (القيقبون) بالعودة لعصبتها قالت : البدوية ستعود لكم بعد قليل ..

سارت عجوز القدر تجاه عصبتها وضحكات المتنورين المتندرة بها تتعالى وراءها وحين وصلت للبنات قالت بعد ما وضعت كفها اليمنى على كتف (كُميت) واليسرى على رأس (عوراء) : أنا لن أحرمكن شرف القتال والموت بعزة لكن لي رجاء واحد فقط ..

(رافدة) وهي غير مرتاحة : رجاء ماذا يا (سديرة)؟

(القيقبون) محدقة بأعين البدوية : أن تذهبن وتقفن في أقصى المكان وألّا تتدخلن مهما حدث .. حتى وإن رأيتنّني على مشارف الموت .. هذا عهدي مع هؤلاء السفلة فلا تنقضن عهدي وعاهدنني ..

(عوراء) بضيق وحزن : وإذا قتلتِ؟

(القيقبون) باسمة : وقتها افعلن ما تشأن .. اتفقنا يا بنياتي؟

همت (رافدة) بالاعتراض لكن (كُميت) رفعت كفها أمام أختها ونظرها لـ (القيقبون) وقالت: «فهمنا يا أمي ..»

(القيقبون) وهي متفاجئة : كنت أظنك لا تنادين أحداً إلا بـ «قائد»؟

(كُميت) : القادة عقولهم قاسية وقلوبهم رحيمة على من يهتمون لأمرهم أما الأم فعقلها وقلبها يقسوان فقط على من تحب وترحم ..



ضمت (القيقبون) الفتيات الثلاث في عناق كبير وحين فكت عناقها الحميم والمحموم لهنّ قالت بأعين محمرة وبسمة ذابلة : «تبّاً لكن كم أحببتكن ..»

استدارت عجوز القدر ورمت بخمارها مع وشاحها مطلقة شعرها الفضي ليتدلى على أكتافها ثم سارت بصدر يضيق حزناً لكن بوجهٍ صارم تجاه المتنورين الأربعة وحين وصلت إليهم ووقفت أمامهم قالت (عشتار) ساخرة : هل ودعتِ نياقك؟

رفعت (القيقبون) كفها بوجه المتنورة الباسمة المتهكمة وأطلقت من بطن يدها زوبعة سوداء انفجرت بوجهها وألقت بها بعيداً أقصى المكان ..

فزع البقية ليصرخ (ماكرو) فيهم : تفرقوا!!

رمت عجوز القدر بحقيبتها الجلدية جانباً ثم وقفت مكانها بهدوء تراقب تراكض المتنورين وتوزعهم حولها في أهبة واستعداد ..

نهضت (عشتار) بوجه متجهم ولفت سوطها الأسود قائلة :

«حسناً يا عجوز .. ستذوقين وقع سوطي الآن وسيحرق جلدكِ بناره وستعرفين معنى الألم ..»

(القيقبون) محركة أناملها العشر بعضها فوق بعض :



«لن تكون أقسى من النار التي اكتويت بها حينما كنت فتاة صغيرة ترعى الإبل .. لا أظن أن أحداً منكم يعرف معنى الألم الحقيقي .. فجلودكم الناعمة لم ترَ شمس صحرائنا المحرقة ولم تسرْ تحت حرها .. لذا دعوا راعية الإبل البسيطة تقدم شيئاً من سخط أرضها لكم وتنزله علىَ رؤوسكم ..»

اشتعل سقف الممر بنار باهرة جدّاً تدلت ألسنتها فوق الجميع ما عدا (القيقبون) والفتيات المحتميات في أقصى المكان وبدأت تلك النار تحرق رؤوس المتنورين الذين أخذوا بالصراخ ألماً ولم ينقطع ذلك العويل إلا حينما لفت (عشتار) المتألمة سوطها حول أقدام (القيقبون) وسحبتها بقوة وأسقطتها على ظهرها لينقض (صرناخ) في الحال عليها ويثبتها بأطرافه الأربعة لتختفي النيران في الحال.

اجتمع المتنورون حول عجوز القدر المثبتة أرضاً ومن فوقها (صرناخ) يفح في وجهها بفم يقطر لعاباً لزجاً ..

(ماكرو) : هل انتهيتِ من ألاعيبكِ؟

(القيقبون) ناظرة لـ (عشتار) بوجه غير مكترث وبالفارسية : «نحن لم نبدأ بعد ..»



وكما اشتعل السقف سابقاً اشتعلت من تحتهم الأرض وحاصرتهم بنارٍ زرقاء دفعتهم للجري هرباً عدا (صرناخ) الذي لم يصبْ بها لأنه استقر على جسد (القيقبون) لكن ذلك لم يحمِه منها حين قرأت طلسماً وبصقت في فمه المفتوح ليشعر بأن جوفه يشتعل فما كان منه إلا أن غطى فمه متراجعاً يصرخ ويتلوى ولم يتوقف حتى فارق الحياة.

وقفت (القيقبون) تراقب بوجه عابس من تبقى من المتنورين يتألمون ويئنون في زوايا متفرقة من المكان والنار الزرقاء متعلقة بأبدانهم ..

وقف (ماكرو) صارخاً بغضب وسخط : هذا يكفي!!

جرى بعدها المتنور برأسه كالثور الهائج تجاه (القيقبون) الواقفة وسط الممر وقبل أن يصطدم بها قفزت ليمر أسفل منها وتهبط هي على ظهره وتشد ياقة سترته الصوفية من الخلف وتمتطيه وتقوده لأقرب جدار ليرتطم به بقوة هادماً بنيانه فوقه قبل أن تقفز هي عنه وتهبط على أقدامها قائلة : «بسرجٍ مناسب ستكون دابة جيدة ..»

شعرت في تلك اللحظة عجوز القدر بأن شيئاً ما قد أصابها من الخلف انتشر معه شعور وخزاتٍ مؤلمة في ظهرها فقدت معها جزءاً من قدرتها على الحركة لكنها تمكنت من الالتفات لرؤية ما أصابها



لترى (مسنار) يقف على قرب منها باسماً وهو ينتف شعره من حاجبه قائلاً : «كل شمسٍ لا بد وأن تغرب مهما طال توهجها ..»

شعرت (القيقبون) بالعجز وبدأت تتمتم بطلسم ما لكنها لم تلحق إكماله لأن المتنور الأبهق نفخ على الشعرة التي نتفها من حاجبه لتشعر عجوز القدر بوخزة أخرى في بطنها فاقمت من عجزها عن الحركة. حاولت عجوز القدر رفع كفها لإطلاق هجوم على (مسنار) لكن سوط (عشتار) التف على ساعدها وسحبها بقوة مسقطاً جسدها المتألم أرضاً.

وقف (مسنار) فوق (القيقبون) شبه العاجزة عن الحركة وهم بتوجيه هجمة أخرى لها لكن (ماكرو) الذي نهض من بين الركام الحجري صرخ فيه متقدماً نحوهما قائلاً : اتركها لي!!

بدأ المتنور ذو السترة البنية بركل (سديرة) ورفسها بقوة في بطنها وظهرها وهي تزحف محاولة الابتعاد عنه لكنها وجدت سوط (عشتار) يجلدها ممزقاً ملابسها مع كل وقعة من طرفه المحرق. (مسنار) بتذمر وهو يراقبهما منهمكين في تعذيبها : «هلا انتهيتما كي أقتلها ..؟»

(ماكرو) موجهاً رفسة قوية لرأس (القيقبون) الزاحفة والنازفة من ضربات السوط : ليس بعد!



(عشتار) ضاحكة موجهة ضربة أخرى بسوطها لرأس (سديرة) محدثة جرحاً عميقاً في وجهها : العجوز شارفت على الهلاك!

في ذلك الوقت كان الفتيات يراقبن ما يحدث ويصارعن رغبتهنّ في التدخل لكن (كُميت) أنهت الجدال وقالت بأعين دامعة : لقد أعطيناها عهدًا ولن نحنث به ونلحق بها العار في آخر لحظاتها ..

(رافدة) بعصبية وحزن مماثلين : لكنها ستموت!!

(كُميت) : ونحن سنلحق بها .. لكن لا تفكري بتدنيس تضحيتها هذه بتدخلنا

صمتت البدوية كاظمة قهرها ..

(عوراء) متأملة القتال بحزن شديد : أعتقد أن (سديرة) ماتت ..

وقف المتنورون الثلاثة حول (القيقبون) المنكبة على بطنها يتفحصون بأطراف أقدامهم جسدها الذي توقف عن الحركة للتحقق من موتها ..

(مسنار) : هل ارتحتما الآن؟

(عشتار) تلف السوط الأسود حول ساعدها : نحن هنا لقتلها وهذا ما حدث؟



(مسنار) : قتلها كان من حقي أنا ..

(ماكرو) ملاحظاً حركة من أنامل (القيقبون) : ربما لا تزال لديك فرصة .. انظر

(مسنار) مبتهجاً : جيد .. ابتعدا الآن كي أقضي عليها

تراجع المتنوران خطوتين للخلف بينما قام المتنور الأبهق بوضع قدمه تحت كتف (سديرة) وقلبها على ظهرها ليجد أنها قد أمسكت بحقيبتها الجلدية بعد ما وصلت إليها خلال زحفها فقال لها متأملاً وجهها الدامي والنازف : «حقيبة جميلة .. سنضع رأسكِ فيها ..»

مدت عجوز القدر يدها داخل الحقيبة وأخرجت منها صرة حلت رباطها بأناملها اللزجة بدمائها ..

(عشتار) ضاحكة ساخرة : يبدو أنها ستتناول بعض التمر كي تستعيد عافيتها؟

نثرت (سديرة) تراباً أحمرَ على الأرض بجانبها ثم وضعت كفها الدامي عليه وقبضت حفنة منه ومسحته على وجهها ..

(ماكرو) مشاركاً عشتار سخريتها : لا لا .. إنها تستحم .. هؤلاء الهمج يستحمون بالتراب



نزل (مسنار) على ركبته وأمسك بعض التراب الأحمر بإبهامه وسبابته ورفعه عند أنفه مستنشقاً وقال متسائلاً بشيء من التهكم: هذا فعلاً تراب.. هل تعطرونه قبل الاستحمام به؟

(القيقبون) محتضنة حقيبتها وهي ترتجف وكأنها مصابة بالبرد وبكلمات متقطعة بالفارسية:

«هذا.. تراب الدهناء.. أيها الأعجمي الأبرص..»

(مسنار) محركاً أصابعه للتخلص من التراب العالق بأنامله رامياً ما تبقى منه في وجه (القيقبون): «التراب هو التراب يا عجوز..»

بدأت (سديرة) بترديد بعض الكلمات بالعربية وقالت:

«خفيفة الخف.. ثقيلة السنام..

عفيفة عذراء.. معنقة عنقاء..

حمراء كالدهناء.. شامخة كالهيماء..»

(عشتار): المسكينة بدأت تهلوس..

(ماكرو): هيا اقتلها كي نقتل الأخريات ونرحل من هنا

أخرج (مسنار) إبرة طويلة وحادة من شعره وقال: أمهلوني بعض الوقت لأنها ستكون ميتة بطيئة..



أنهت (القيقبون) كلماتها وهي لا تزال ترتجف وتحدق بالسقف وقالت بصوت أشبه بالنداء : «عرب! عرب! .... قارنا يطلي الجرب! .. ونارنا تكوي من تولى وهرب!»

هم (مسنار) بغرس رأس الإبرة الحاد في عين (القيقبون) لكنه توقف حين سمع صوتاً يشبه مجموعة من الحيوانات تهدُرُ خلفه. وقف والتفت وراءه موجهاً نظره لمصدر الصوت مثلما فعل المتنوران الآخران ليروا مجموعة كبيرة من النياق الحمر قد ظهرت في المكان يتوسطها بعير أبيض أكبر منها بكثير.

(عشتار) متأملة النوق الحمر المصطفة والمحدقة بهم بصمت : ما الذي يحدث؟

أطلق البعير الأبيض هديرًا قويّاً انطلق على إثره قطيع النياق الحمر فاتحات أفواههن نافثات منها نيراناً كبيرة ومحرقة وهجمن على المتنورين الثلاثة الذين فجعوا وبدؤوا بالجري هرباً منها لكن أعدادها الكبيرة ونيرانها المحرقة حاصرتهم وأسقطتهم واحدًا تلو الآخر وفي كل مرة يسقط أحدهم تقوم ناقة بالجلوس على جسده وتقويض حركته حتى يأتي البعير الأبيض ويطأ بخفه الكبير على رأسه ويهشمه. بعد ما هشم البعير رأس المتنور الأخير أطلق بفمٍ امتلأ زبدًا خوارًا قويّاً تحولت على إثره جميع النياق لرمالٍ حمراء



كست أرض الممر عدا ناقة واحدة سارت نحو (القيقبون) ووقفت فوقها لتجلس عجوز القدر أسفل منها وتشد حلمة من ثديها وترضع منه والفتيات يراقبن ما يحدث وهنّ مدهوشات.

جلست (القيقبون) ماسحة فمها بكمها بعد ما اكتفت من حليب الناقة وكان بادياً عليها أنها استعادت بعضَ عافيتها فربتت على ضرعها الممتلئ وقالت: «عودي لفحلكِ ..»

سارت الناقة نحو البعير الأبيض وحين وقفت أمامه أنزل عنقه الطويلة وقبل جبينها لتتحول هي الأخرى لرملٍ أحمر مثل بقية القطيع ..

(القيقبون) ملوحة بيدها للبعير باسمة وهي لا تزال جالسة على الأرض: ارحل أنت كذلك ..

تبخر البعير وتحول لريحٍ ترابية خرجت من إحدى النوافذ الكبيرة في الممر ..

جرت الفتيات بعد رحيل البعير الأبيض نحو (سديرة) وأنهضنها بوجوه قلقة لكنها طمأنتهن قائلة بنبرة متعبة: «أنا بخير .. بخير ..»

(عوراء): لا تبدين بخير

(رافدة): اوتريدين منها أن تقفز وتجري بعد ما مرت به؟



(كُميت) : هل تحتاجين لشيء؟

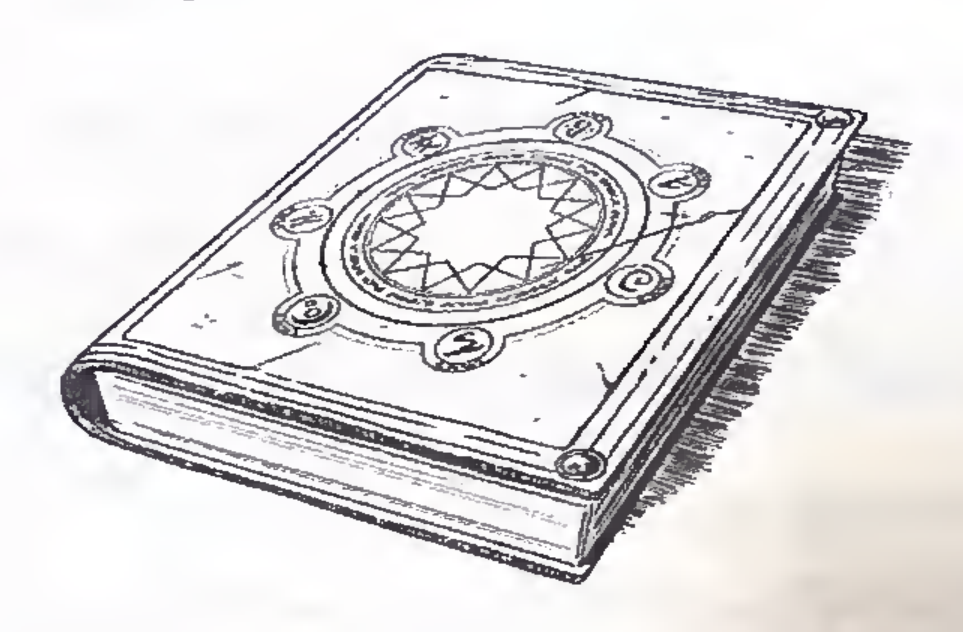
(القيقبون) دافعة بهنّ بكفوفها : لا أحتاج سوى لبعض النفس ابتعدن عني!

تبسمت الفتيات وتراجعن عن عجوز القدر التي حملت حقيبتها وقالت :

«هيا .. بقي طابقان فقط وسنصل لمكان التجمع ..»

طامة الطوطم

في قصر وزير الكهنة جلس (آغ) على صخرته عند حوضه المائي
وعلى محياه ارتسمت معالم الضيق والهم ..
تدخل عليه (مجوس) تطرق بعصاها على الأرض وعلى
كتفها بومة بيضاء ..
يرفع كبير الكهنة رأسه لها بعد ما وقفت أمامه ..
ويرى في وجهها أنها تشاركه الضيق نفسه ..



(آغ) : العربيات يتقدمن ..

(مجوس) : وأتباعنا يتساقطون ..

(آغ) وكأنه متردد في قول شيء ما : أنا أثق بالسيد الكبير لكن ..

(مجوس) : لكنك تخشى على علمنا من الاندثار ..



(آغ) مكملاً حديثه بنبرة قلقة ومنزعجة: المخطوطات التي بحوزتنا جمعناها على مدى سنين طويلة ولو وصل إليها هؤلاء الهمج الجهلة فسيحرقونها حتى وإن انتصرنا عليهم في النهاية

(مجوس): أمرك سيمر .. حتى وإن عارض مشيئة صاحب العظمة

(آغ) زافراً: كم تبقى من فرقتنا؟

(مجوس): القليل ..

صمت (آغ) بوجه متفكر..

(مجوس): عددهم كافٍ لنقل محتوى المعبد من كتب ومخطوطات لمكانٍ آمن خارج الجبل

(آغ): لكن هذا يعني أن لا أحد سيبقى لمقاومة العربيات ومنعهن من الوصول لـ (عرين الأسد)

(مجوس): سأبقى أنا وأتصدى لهن لكن الكتب والمخطوطات يجب أن تنجو..

صمت كبير الكهنة مجددًا متفكرًا في حديث (مجوس) متأملاً الدوائر الخمس المصمتة الموشومة فوق حاجبيها ..



(مجوس) : هذا هو القرار الأصوب والسيد الكبير سيتفهم

(آغ) : السيد الكبير سيقتلنا جميعاً لو علم

(مجوس) : بقاء الطائفة الجنتية أهم من بقائه ..

نظر (آغ) بتعجب لـ (مجوس) لكنه هز رأسه بالتأييد وقال : «وجهي جميع الكهنة القتلة للعودة للمعبد في الحال للبدء في نقل علومنا لخارج الجبل وأرسلي رسلاً من الغربان لأتباعنا خارج ((فارس)) بأن يجمدوا كل مهامهم إلى أن يصلهم علمٌ آخر ..»

(مجوس) : لم يعد هناك غربان بعد موت (خمود) .. لقد تفرق ما تبقى من سربها ولم يعد للجبل

(آغ) : والبوم الأبيض؟

(آغ) : لا يمكنهم السفر لمناطق خارج ((فارس)) لكني سأحاول

(آغ) : إذا انتصرتِ على العربيات فالحقي بي ..

(آغ) : ألن تبقى؟

(آغ) : لا .. سأطلب اللجوء عند كبير السحرة في ((تخت سليمان)) فهو يدين للطائفة ولي شخصيّاً بمعروف كبير

(مجوس) : وهل سيتمكن سحرة تخت سليمان من حمايتنا من سخط السيد الكبير؟



نهض كبير الكهنة من على صخرته وقال :

«حينها سنرى ماذا يمكن أن نفعل .. هيا نفذي ما أمرتكِ به في الحال ..»

العصبة العصية



في الجانب الأيمن للجبل دخلت الدعجاء والعرجاء بحذرٍ شديد بعد ما صعدتا السلالم المؤدية للطابق الخامس بعد ما تجاوزتا الثالث والرابع بلا عوائق وحين تحققتا من خلوه هو الآخر من أي متربص تقدمتا أكثر حتى وجدتا بداية السلم الحجري الذي سيقودهما للطابق السادس فقالت (نافجة) :

«ما يحدث شيء غريب ..»

(دعجاء) : تقصدين أننا لم نواجه أحداً في الطوابق السابقة؟

(نافجة) : نعم .. كنت أتوقع الكثير من المقاومة

(دعجاء) : لا ترخي تأهبك فقد نتعرض لهجوم في أي وقت

(نافجة) : أعرف يا عمة لكن ينتابني شعور أن هناك أمراً ما قد طرأ



(دعجاء) : أياً كان فنحن مستمرتان بالتقدم حتى نصل لرأس الأفعى كبيرهم المزعوم

«صوت خفيض أشبه بالنحت يصدر من حولهما ..»

(نافجة) رافعة رأسها منصتة باهتمام : هل تسمعين ما أسمع؟

(دعجاء) : نعم .. كأنه شخص يسعل ..

«الصوت يتكرر ..»

(دعجاء) : أنت محقة يا عمة .. هذا شخص يكح وبقوة .. هل تعتقدين أنه متنور يقترب منا؟

(دعجاء) : إن كان كذلك فلن يكون ندًّا قويّاً فصوت سعاله يدل على أن مرضه شديد وعلته مستفحلة ..

في الوقت نفسه كانت (هند) قد دخلت للتو في الطابق الرابع للجانب الأيمن من الجبل وبعد ما جالت بنظرها تمكنت من تحديد مكان السلم المؤدي للطابق الخامس وقبل أن تهم بالسير نحوه توقفت حين شعرت فجأة بألم في صدرها صاحبه ضيق في أنفاسها وشعور باختناق وتحشرج لحلقها تبعه نوبة سعال قوية وكأن كومة من الشعر تراكمت داخلها ولم تتوقف حتى بصقت بعضَ قطع الدم المتجلط على الأرض بين أقدامها ..



فزعت ابنة معناد من منظر ما لفظته من جوفها والتي كانت كقطع الكبدة النيئة مما دفعها للتراجع لأقرب جدار مسندة ظهرها له والجلوس لأخذ بعض الراحة وهي متعجبة مما يحدث لها وتحدث نفسها قائلة وعينها على تلك القطع الدموية : «ألم أتعافَ بالكامل؟»

في الطابق الرابع للجانب الأيسر للجبل أمضى بقية العصبة وقتهن يجلن بين القاعات والغرف بحثاً عن السلالم المؤدية للطابق الخامس لكن سيرهن كان بوتيرة بطيئة لأن (القيقبون) وبالرغم من استعادتها لبعضِ عافيتها بعد نزالها مع المتنورين الأربعة إلا أنها خسرت الكثير من قوتها واحتاجت لمعاونة (رافدة) و(كُميت) في المشي وسندها بأكتافهما لتسير بشكل جيد بالرغم من ممانعتها لذلك.

(كُميت) مشيرة بسبابتها أمامها : هناك .. أرى السلم المؤدي للطابق التالي

(رافدة) زافرة : أخيراً ..

(عوراء) سائرة بجانبهن وبقلق شديد : هل ستكونين بخير يا (سديرة)؟

(القيقبون) رافعة ذراعيها عن أكتاف الفتاتين : أنا بخير لكن هاتين الحمقاوين تصران على مضايقتي



(رافدة) : لا تكوني عنيدة .. أنتِ مصابة

(القيقبون) بوجه مجروح ونازف من ضربة سوط (عشتار) وحديث مشبع بالتعب : «المُصاب ليس ميتاً يا بدوية ..»

(كُميت) : لِمَ لا نرتاح قليلاً؟

(القيقبون) : ارتاحي أنتِ .. أنا سأكمل الطريق

سارت (سديرة) بخطوات مترنحة نحو السلم المؤدي للطابق الخامس والبقية واقفات يراقبنها بحزن ..

توقفت عجوز القدر عند بداية السلالم والتفتت تجاههنّ وأشارت لهن بيدها للتقدم واللحاق بها وقالت بصوت مرهق : «هيا لا تتكاسلن ..»

قبل أن تتحرك أيٌّ منهنّ انفجر وهج أخضر كبير حيث كانت تقف (القيقبون) ورمى بها بعيدًا أقصى المكان وقبل أن تستوعب الفتيات ما حدث شاهدن ظلًّا ينزل من أعلى السلم وحين وصل صاحبه إلى أسفله ودخل الطابق رأين أنها امرأة بشعر بنفسجي طويل كلباسها ذي الأكمام الواسعة تمسك بيدها عصا خشبية برأسٍ مدبب ووجهٍ امتلأ بالنقوش والرسومات أبرزها خمس دوائر مصمتة وشمت فوق حاجبيها تقف على كتفها بومة بيضاء.



جرت (عوراء) نحو (القيقبون) وجثت عندها للاطمئنان عليها بينما شدت (رافدة) على مقبض سيفها و(كُميت) على قوسها العاجي ..

(رافدة) : أعتقد أنه حان دورنا الآن ..

(كُميت) تهز رأسها بالتأييد وهي تشد سهماً على قوسها : أتفق معك!

قبل أن تشتبك الفتاتان مع الكاهنة التي بدأت بالتحديق بهما متجهمة سمعتا صراخ (القيقبون) من على يسارهما بعد ما نهضت متألمة بمعاونة (عوراء) وقالت بسخط : اخرجنَ من هنا على الفور! .. انزلن للطابق الأسفل!

(رافدة) تجيبها بسخط مماثل : لن نترككِ وحدكِ!

دفعت عجوز القدر (عوراء) التي كانت تحاول سندها وتقدمت بخطوات أشبه بالزحف ووقفت بين الكاهنة والفتاتين وقالت لهنّ بعصبية ساخطة وعينها مرتكزة على (مجوس) :

«تنحين واغربن عن وجهي .. لا أريد وجود أحد منكنّ هنا! .. هيا!!»



لم تنفذ الفتاتان أمرها وبقيتا خلفها متأهبتين بينما جرت (عوراء) واختبأت خلفهما ..

رفعت (مجوس) عصاها وتمتمت ببعض الكلمات لتتشكل كرة نارية خضراء على قمتها المدببة ازدادت في الحجم تدريجياً حتى انطلقت بسرعة فائقة تجاه (سديرة) وأصابتها مباشرة في وجهها دون أدنى مقاومة منها محرقة خمارها والجزء العلوي من لباسها بالكامل وكذلك معظم شعرها لتجثو عجوز القدر بوجه محترق وصدر مكشوف على ركبتيها والأدخنة تتصاعد منها.

تقدمت الكاهنة القاتلة بوجه متجهم إلى أن أصبحت أمام (القيقبون) التائهة وتأملت ملامحها وشعرها المحترق لثوانٍ ثم قامت بالمسح على رأسها برفق قائلة بالفارسية :

«تبدين أجمل من السابق ..»

(القيقبون) ترتجف محتضرة بوجه ذاب جلده وبالعربية : «أنهي الأمر ..»

تبسمت (مجوس) ثم طبطبت على رأس (القيقبون) قائلة بالفارسية :

« أنتِ في عداد الموتى ولا جدوى من إهدار طاقتي عليكِ ..»



تحركت الكاهنة من حول عجوز القدر متوجهة للفتيات من خلفها وبعد عدة خطوات سمعتها تصرخ فيها قائلة بالفارسية :

«لا تديري ظهركِ لي يا فارسية! .. أنا القيقبون!»

استدارت الكاهنة بوجه عابس ونظرات محتقرة لترى عجوز القدر تقف على قدميها بركب راجفة وأعين مغمضة واضعة كفها اليمنى على كتفها الأيسر وكفها اليسرى على بطنها وشفتاها تتحركان وترددان بعض الكلمات ..

توهجت أعين الكاهنة بنور أخضر وقالت :

«حسناً .. سأمنحكِ الميتة التي تتوقين إليها .. بعد ما تطلقين هجومكِ الأخير ..»

توقفت (القيقبون) عن تمتماتها ثم تبسمت وقالت بالعربية وهي لا تزال مغمضة العينين :

«يحكى أن .. فتاة تتغنى ..

للموت تتمنى ..»

(مجوس) : وفري طلاسمكِ الهزيلة فقد حُسم الأمر ..

(القيقبون) مستأنفة التمتمة :

«أحلامها لم تتسنَ ..

لكن كوابيسها ستتجلى ..»

بعد ما أنهت عجوز القدر جملتها الأخيرة خرج من ورائها مارد رمادي ضخم بعين واحدة يقبض على سيفٍ عريضٍ فشعرت (مجوس) بشيء من الرهبة حين شاهدت ضخامته التي كادت أن تصل لقمة المكان وراقبته وهو ينزل رأسه مقرباً شفتيه السوداوين الكبيرتين عند أذن (سديرة) سائلاً :

«ما الهبة؟ .. وما الثمن؟»

فتحت (القيقبون) عينيها موجهة نظرها بوجهها الذائب المحترق للكاهنة المتوترة وقالت :

«الهبة عمري .. الثمن عمرها ..»

رفع المارد سيفه عالياً وأنزله بقوة على (القيقبون) وشقها لنصفين وسط صراخ الفتيات وانبهار الكاهنة التي أخذت بضع خطواتٍ للوراء عندما شاهدت المارد الرمادي ينفخ من فمه ناراً أحرقت جثة (سديرة) وحولتها لرمادٍ أبيض التقط بعضَه بأصبعه الكبير



ومسحه على لسانه لينطلق بعدها بسرعة خاطفه نحو (مجوس) حاملاً سيفه على كتفه.

أطلقت الكاهنة من رأس عصاها المدببة عدة طلقات مضيئة تجاه العملاق المندفع لكنه صدها جميعاً وقبض على جسدها بيده الضخمة ورفعها للأعلى أمام عينه الكبيرة وبدأ بالضغط عليها لتتوهج عيناها بوهجٍ أخضر انطلق على إثره شعاع أصاب عينه فحررها ورمى بها أرضاً بعد ما أطلق صرخة قوية. سقطت (مجوس) على الأرض لكنها نهضت مباشرة بحركة سريعة وانطلقت نحو بطنه كالسهم المشتعل واخترقته مخلفة وراءها تجويفاً دامياً.

وقفت الكاهنة تراقب المارد يصرخ ويتلوى ألماً بعد ما أسقط سيفه وهي تقول باسمة بفخر: «لا شيء يضاهي علمنا وقوتنا ..»

اختفت الابتسامة وتبدلت لجزع حينما رأت جرح المارد الغائر يلتئم ويعود جسده مكتملاً كما كان ..

استدار المارد الرمادي بفمٍ يقطر زبداً وعلى وجهه اعتلت ابتسامة كبيرة ..

(مجوس) : ما الذي يضحكك أيها المقزز؟ .. ستهلك مثل سيدتك!

اندفعت الكاهنة جرياً تجاه العملاق بسرعة كالبرق لكن وقبل أن تصطدم به ارتفع السيف من على الأرض وبسرعة مماثلة انطلق بنصله الحاد وارتطم رأسه برأسها وقسمها لنصفين. سار المارد ببطء والتقط سيفه المبتل بدماء الكاهنة وأحرق جثتها كما فعل مع (سديرة) وبعد ما مسح رمادها على لسانه تحول هو وسيفه لرماد مشابه لكنه لم يسقط بل تبخر كالسراب.

وقفت الفتيات الثلاث يحتضنّ أنفسهن بأعين دامعة ووجوه مصدومة يحاولنَ استيعاب ما حدث وكانت (عوراء) هي أول من أفاق من تلك الصدمة لتجري مسرعة وتجثو عند ما تبقى من رماد (سديرة) باكية بقهر. تبعتها أختاها وسارتا حتى وقفتا فوقها تراقبانها بحزنٍ شديد وهي تبكي بطريقة لم ترياها من قبل وخلال ذلك وضعت (رافدة) يدها على كتف الصبية المنهارة وقالت: «هيا بنا لـ..»

وقبل أن تكمل جملتها تحدثت (عوراء) بصوت غليظ ومخيف وقالت: «تراجعي ..»



سحبت البدوية يدها بجزع ونظرت لأعين (كُميت) الواقفة بجانبها والتي شاركتها الرهبة والفزع أنفسهما ولم تحاول أيٌّ منهما التحدث مع الصبية وتركتاها تكمل بكاءها عند رفات (سديرة) حتى توقفت فجأة ووقفت قائلة بكل برود وبوجه خدر : «أين نحن؟»

ضمت الحجازية أختها الصغيرة وقالت وهي تبعدها عن المكان :

«أنتِ بأمان .. هيا بنا ..»

(رافدة) : انتظرا ..

نزلت البدوية على ركبتيها وأشارت للحجازية بخلع لثامها ومده لها ففعلت ووضعته في يدها لتبدأ (رافدة) بجمع ما تبقى من رماد (سديرة) وسطه وحين انتهت عقدته بعقدة ونهضت ..

(كُميت) وهي محتضنة (عوراء) لصدرها : ماذا تفعلين؟

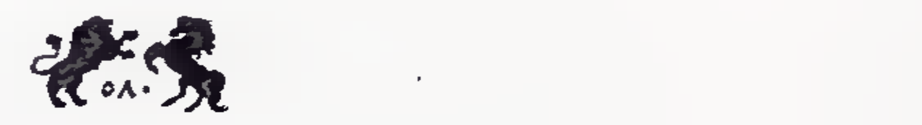
(رافدة) تدس الصرة في جيب صدرها بأعين دامعة : سيعود جزء منها لأرضنا ..

تفهمت الحجازية ما قامت به البدوية وهزت رأسها بالتأييد وقبل أن تسير الثلاث نحو السلم الحجري المؤدي للطابق الخامس من



الجانب الأيسر للجبل أجهشت (رافدة) فجأة بالبكاء بقوة فما كان من (عوراء) و(كُميت) المحتضنة لها إلا أن شاركتاها البكاء بالطريقة نفسها ليخيم حزن كئيب وخانق في المكان انقطع بقول البدوية بصوت مشبع بالنحيب :

«أقسم أن دمها لن يذهب هدراً ..»



عرين الأسد



الطابق السادس .. وسط الجبل ..

المكان خاوٍ تماماً .. هدوء صارخ ..

الدعجاء والعرجاء تقفان عند مفترق طريق قابعٍ أمامهما ..

سلم رخامي كبير بعتباتٍ عريضة ..

على جوانبه نصبت وانتصبت تماثيل مزخرفة بخطوط ذهبية وفضية ..



نساء ورجال .. بدوا وكأنهم ملوك سابقون ..

مياه زرقاء صافية تجري أسفلهم ..

شجيرات صغيرة مزهرة حولهم وعند أقدامهم ..

«نهاية الطريق يا (دعجاء) ..»

قالتها العرجاء وهي تشارك عمتها تأمل درجات السلم الرخامي الكبير فردت قائلة :

«بل أوله يا جدعاء ..»

تقدمت الاثنتان بخطواتٍ واثقة وأكملتا طريقهما نحو ((عرين الأسد)) ..

انتهى بهما المسير لمدخل قصرٍ باهر شُرع بابه الكبير لهما وحين تجاوزتاه أقبلتا على قاعة واسعة بسقفٍ مرتفع اكتست أرضها بقطع رخامية بيضاء كبيرة انتهت إلى عرشٍ مهيب يجلس عليه رجل أعور ضخم البنية طويل القامة مفتول العضلات بشعرٍ أبيض كحال شاربه ولحيته ينظر إليهما باسماً بعينه الزرقاء وكأنه كان في انتظارهما وخلال تحديقهما به رفع كفه وأشار لهما بالاقتراب وقال منادياً بصوت غليظ



صدح في أرجاء المكان وبالعربية :

«تعالا .. لا تخشيا شيئًا ..»

تقدمت الدعجاء والعرجاء بوجوه واثقة ووقفتا أمام السيد الكبير الجالس على عرشه والذي قال باسماً :

«وصولكما إلى هنا يعني أن الطائفة هلكت وأبيدت بالكامل على أيديكما .. يحق لكما الفخر بما قمتما به ..»

(دعجاء) : لسنا هنا للبحث عن الفخر ..

(السيد الكبير) بتهكم : أليس الفخر والاعتزاز والكرامة وهذه الأمور هي من اهتماماتكم؟

(نافجة) : لا تتحدث عن أشياء لا تملكها ولن تفهم معناها

(السيد الكبير) : أنا لا أعرف سوى القوة يا .. ما اسمكِ بالمناسبة؟

تجاهلت (نافجة) سؤال السيد الكبير الذي أردف قائلاً وبسخرية :

لا تجيبي .. سأسميك ذات العكاز والأخرى ذات الوجه المتجهم ..

(دعجاء) : هل أنت مستعد ..؟

(السيد الكبير) ضاحكاً مصفقاً بكفيه : أشعر بحماسٍ كبير جراء كل هذه الثقة!

(نافجة) وهي تشد على عكازها عابسة : وستشعر بأضعافه ألماً ..
اليوم ستذوق طعم الهزيمة والانكسار

(السيد الكبير) واضعاً ساقاً على ساق محركاً حذاءه الجلدي الأحمر أمام وجهيهما متحدثاً بطريقة متفكرة ومتهكمة ملوحاً بسبابته :
«هل تعرفين كم مرة سمعت هذه الجملة؟»

(نافجة) : ستكون هذه آخر مرة تسمعها .. أعدك بذلك

(السيد الكبير) باسماً : أنا واثق من ذلك يا صاحبة العكاز .. حسناً أي منكما تريد أن تبدأ بتسليتي؟

همت الاثنتان بالتقدم نحو السيد قائد الطائفة الجنتية لكن صوت صرخة صدرت من خلفهما أمرهما بالتوقف ..

وجه الجميع أنظارهم نحو الصارخ ليروا (هند) تسير نحوهم بوجه متجهم وبعض الدماء الجافة متيبسة عند ذقنها وحين وقفت بين (دعجاء) و(نافجة) قالت ونظرها على السيد الكبير :

«سأتولى أنا أمره ..»

بسط السيد الكبير كفيه بطريقة مرحبة وقال مبتهجاً : الآن يمكن أن يكون لديكن فرصة ضئيلة للمقاومة لوقتٍ أطول ..



(نافجة) : دعينا نعاونكِ

(هند) وهي لا تزال تحدق بالسيد الكبير المتبسم لها : لا .. هذا ثأري وثأر أختي .. أنا فقط من سيحصل عليه .. أرجوكما لا تتدخلا

همت العرجاء بمحاولة إقناعها لكن الدعجاء قاطعتها رافعة كفها في إشارة لـ (نافجة) بالصمت موجهة حديثها لـ (هند) : «لكِ ذلك .. لن نحرمكِ من رغبتكِ يا ابنة معناد ..»

تراجعت (نافجة) والدعجاء للخلف لمسافة بعيدة وتركتا (هند) توجه حديثها للسيد الكبير الذي نهض من مكانه ووقف أمام عرشه استعداداً للمواجهة وقالت :

«منذ اليوم الأول الذي التقيت فيه بك وأنا أريد قتلك ..»

(السيد الكبير) : المتنورة المنشقة .. إنها لشجاعة كبيرة منكِ أن تعودي بعد خيانتكِ لي وللطائفة

(هند) : أنا لست خائنة .. عهدي معك كان مشروطاً

(السيد الكبير) : آه نعم .. دعيني أتذكر .. «وسأقطع الأرحام لوصلكم ما لم تمسوا من شاركني رحماً أنجبني ..» هل تقصدين هذا الشق من عهدكِ؟

تبدل وجه (هند) للعجب لفهم السيد الكبير للرسالة المبطنة في عهدها الذي تلته أمامه ..

(السيد الكبير) مستأنفاً : وستلقين باللوم علينا فقط لأن من قتلت أختكِ فارسية .. (نزيم ابنة أفسار ابنة آشور) .. كبيرة السحرة بـ ((تخت سليمان)) .. أليس كذلك؟

(هند) : بلى .. بنات الجنوب لا ينسين ثأرهنّ .. أختي سبقتني وأنا اليوم أتيت لأكمل ما بدأَته ..

(السيد الكبير) : وثأركِ مع مَن يا منشقة؟

(هند) : ثأري مع جميع الفرس الآن!

(السيد الكبير) بتهكم : وهل ستقتلينا جميعاً؟

(هند) متأهبة : سأبدأ بأخبثهم!

(السيد الكبير) محركاً رقبته بأعين مغمضة مصدراً صوت فرقعة عظام :

«ماذا تنتظرين إذاً؟ .. خذي بثأر أختكِ الهالكة وأريني مدى تلك القوة المتفجرة .. لا تدخري شيئًا منها ..»

صرخت ابنة معناد واندفعت منطلقة نحو السيد زعيم الطائفة الجنتية الذي بدا غير مهتمٍّ من تقدمها السريع نحوه وحين لم يبقَ



بينهما سوى مقدار خطوة وجهت (هند) يدها المفتوحة لصدره وغرست أظافرها التي نمت كالمخالب في جلده فما كان منه إلا أن وجه ضربة خاطفة لذراعها وأبعدها في الحال لكنه لم يتراجع وقبض عنقها وبدأ يضغط على أنفاسها قائلاً :

«سرعتكِ باهرة .. لكن هل لديكِ قوة تجاريها ..»

توهجت أعين ابنة معناد بوهجٍ أحمر قانٍ ونمت أنيابها وقبضت بكلتا يديها على ذراع السيد الكبير وبدأت تضغط بقوة ..

(السيد الكبير) بتهكم : لن تخلصي نفسكِ بهذه الطريقة .. قبضتي لن تنفك عنكِ إلا بعد انفصال رأسكِ عن أكتافكِ

(هند) بأعين حمراء مصمتة وأنياب بارزة وصوت متوحش : «ومن قال بأني أحاول تخليص نفسي؟!»

فاجأت ذئبة الجنوب السيد الكبير بركلة قوية ومباغتة وجهتها لركبته أتبعتها بضربة ثانية بقدمها الأخرى لأضلاعه سببت له صدمة لشعوره بألم صاعق هز كيانه وأجبره على إرخاء قبضته وتحريرها وما أن حطت أقدامها أرضاً حتى انطلقت برأسها ناطحة إياه في بطنه مما دفعه للتراجع للوراء قليلاً من قوة تلك الضربة وقبل



أن تهم بتوجيه هجمة أخرى وجدت قبضته تصطدم بفكها ملقياً بها جانباً.

نهض السيد الكبير ماسحاً الدماء من جرح صدره قائلاً :

«لا بأس بك يا عربية ..»

في تلك اللحظة دخلت (رافدة) و(كُميت) بصحبة (عوراء) للقاعة وذهلن مما شاهدنه وحين لمحتهن (نافجة) جرت نحوهن واحتضنت الصبية وقالت لأختيها معاتبة : «ما الذي أتى بكما إلى هنا؟! وأين سديرة؟!»

هزت (رافدة) رأسها بالنفي بوجه حزين ففهمت (نافجة) أن (القيقبون) ماتت ..

(نافجة) : هل أصيب أحد منكن؟

لم ترد أي منهن لأن صوت (هند) الصارخ بالسيد الكبير قطع حوارهما ودفعهما للعودة بجانب الدعجاء المراقبة للنزال بوجه قلق ..

نهضت (هند) وشجت القماش المغطي لأكتافها مطلقة عويلاً كعويل الذئب صاحبه صرخات جنونية وهي تهز رأسها وشعرها أتبعتها بنزولها على أطرافها الأربعة وقفزت للأعلى نزولاً على السيد



الكبير وأخذت تنهش رقبته كالحيوان المسعور. قبض السيد الكبير شعرها في محاولة منه لنزعها عنه لكن فوجئ بأن قوة تمسكها به لم تكن هينة ولم يستطع إبعادها فما كان منه إلا أن اندفع جرياً لأقرب جدار وهي لا تزال متشبثة على كتفه تنهش في لحمه والدماء تتدفق من عنقه.

سقطت ابنة معناد بعد ما اصطدمت بجدار القاعة الرخامي وقبل أن تنهض انهال السيد الكبير عليها بسيل من الرَّفساتِ القوية والمتلاحقة حطمت بعض عظامها لكنها تمكنت من الإمساك بقدمه وغرس أنيابها في كاحله وبحركة خاطفة شدت ساقه ليختل توازنه ويسقط على ظهره أرضاً .. لأول مرة في حياته.

انقلب قائد الطائفة الجنتية على بطنه مصدوماً مما يحدث وهم بالنهوض لكن (هند) وبسرعتها الخارقة سبقته وانقضت عليه وبدأت تشق وتمزق لحم ظهره بأظافرها الطويلة والحادة كالمخالب حتى تغطت الأرض أسفله بالدماء. وقف السيد الكبير في حالة من الترنح الخفيف حينها لفت (هند) سيقانها حول خصره ورفعت كفيها وقبضتهما بعضاً ببعض لتتوهجا بوهجٍ براق في نية لإنزالهما على رأسه وتوجيه ضربتها القاضية والأخيرة لكنها لم تلحق لأنها

وجدته يقفز عالياً شاهراً قبضته نحو السقف الرخامي وهي متعلقة به. ضرب السيد الكبير سقف المكان لتتساقط مجموعة من القطع الرخامية الكبيرة والحادة عليهما كالمطر لتصيب إحداها (هند) في وجهها مباشرة وتنزلها من على ظهره وتثبتها أرضاً بعد ما هبطت على بطنها. نزل السيد الكبير على قدميه بهدوء ورشاقة وراقب ابنة معناد تصرخ متألمة تحت الصخرة الرخامية الكبيرة محاولة رفعها.

تقدم زعيم الطائفة الجنتية نحوها بظهرٍ يقطر دماً ودفع الصخرة الكبير بقدمه وأزاحها عنها قائلاً بتجهم:

«انهضي .. لا أريد حججاً ..»

همت (هند) بالنهوض وهي تسعل دماً لكنها لم تستطع وأدركت حينها أن معظم عظامها قد تهشمت وقد فقدت القدرة على الحركة ..

(السيد الكبير) بازدراء: «هل كان هذا كل ما عندكِ؟»

(هند) وعيناها تلمعان بشعاعٍ أحمر:

«ألم يخبرك أحد من قبل بأن الذئب المصاب يكون أخطر ..»



انتشر الشعاع الأحمر المتوهج من عينيها وغطى جسدها بالكامل لتنهض من مكانها وكأن لا شيء قد أصابها ووقفت أمام السيد الكبير تنظر إليه بحدة وأنياب بارزة قائلة بصوت غليظ ومخيف : «لا أحد يكسر عزيمة الذئاب ..»

(السيد الكبير) ببرود : «لقد أثبتِّ نفسكِ كأقوى خصم واجهت في حياتي .. لذلك ستنالين شرفاً لم ينلْه أحد قبلكِ ..»

توهج شعاع مماثل من أعين السيد الكبير لكنه كان بلونٍ أزرق وغطى جسده هو الآخر كما حدث مع (هند) ..

(السيد الكبير) بأعين تتوهج زرقة : «هيا لتموتي بفخر ..»

انطلق الاثنان في الوقت نفسه وبعد اصطدامهما بعضهما ببعض انفجر موقعهما بنورٍ أبيض معمٍ للأبصار غطى المكان بأكمله مخفياً النزال الدائر عن أعين الجميع لكن صوت الصرخات والضربات كان مسموعاً.

(عوراء) رافعة كفها لتحمي عينيها من الوهج القوي : ماذا يحدث؟

(نافجة) وعيناها تدمعان بسبب التركيز في الوهج : صرخات (هند) أوجعت قلبي .. يجب أن نتدخل

(دعجاء) : فات الأوان .. لقد حُسم الأمر ..

اختفى البرق الأبيض المتوهج فجأة وكأنه نارٌ أُخمدت بماءٍ مسكوب فوجه الجميع أنظارهن لوسط القاعة ليجدن السيد الكبير يقف أمام (هند) حاملاً شيئاً على سطح كفه المفتوحة ويرفعه عند وجهها.

أمعنت ابنة معناد النظر في كفه وهي تشعر بأن قواها تخور وقالت بفم يقطر دماً: ما هذا ..؟

(السيد الكبير): قلبكِ .. ألا ترينه ينبض أمامكِ؟

أنزلت (هند) رأسها ورأت صدرها مشقوقاً على مصراعيه وبركة غزيرة من الدماء تكونت تحت أقدامها ..

رفعت بعدها نظرها بفمٍ مفتوح وأعين زائغة تجاه السيد الكبير وجسدها الراجف يوشك على السقوط وهمت بالحديث لكنه سبقها وقال: «كنتِ نداً قوياً .. سأقر بذلك ..»

سقطت جثة ذئبة الجنوب وتزامن سقوطها مع صرخة أطلقتها (رافدة) وبكاء (عوراء) وصدمة اعتلت وجوه البقية عدا (دعجاء) التي حدقت بقائد الطافة الجنتية وهو يرمي بقلب (هند) على الأرض ويعود أدراجه نحو عرشه ويجلس عليه وكان بادياً على وجهه الاستياء الشديد من نتيجة نزاله معها ومقاومتها الشرسة له.



بعد ما استوعب الجميع الصدمة أمرت الدعجاء الحجازية والبدوية بسحب جثة ابنة معناد من وسط القاعة وخلال قيامهما بذلك راقبهما السيد الكبير بهدوء دون أن يعترضهما أو يتحدث معهما.

(نافجة) لـ (دعجاء) وهنّ جاثيات عند جثة (هند) : لم تحصل على مبتغاها ..

(دعجاء) متأملة وجه (هند) المغمض العينين : بل حصلت على ما هو أكثر

(نافجة) : ماذا الآن يا ابنة وصبان ..؟

(دعجاء) موجهة نظرها للسيد الكبير في أقصى المكان وهو ينظر أمامه بوجهٍ متجهم : «هذا الرجل خطر .. خطر جدًّا ..»

(نافجة) ماسحة على صدر (هند) المشقوق : أي نوع من السحر يستخدم كي يملك كل تلك القوة؟

(دعجاء) وهي لا تزال تحدق بالسيد الكبير : إنه لا يستخدم السحر أو أي شيء آخر ..

(نافجة) : كيف لا يستخدم السحر؟ .. لقد ..



(دعجاء) لامحة اهتزاز يد السيد الكبير الممسكة بذراع عرشه : ابنة معناد كسرت شيئًا بداخله .. لقد بدأ يشك بقدرته ..

انضمت الفتيات الثلاث حول عمتيهن وبقين صامتات ..

تقدمت (عوراء) واقتربت مخرجة صخرتها الخضراء من جيبها ..

ووضعتها مكان قلب (هند) المفقود ..

احتضنت (نافجة) الصبية وأجلستها في حجرها تراقب الحجر معها ..

بقي الجميع هادئين لفترة ولم يتحرك أحد منهم من مكانه ..

(عوراء) كاسرة حاجز الصمت محدثة (دعجاء) السارحة في حجرها :

«فيمَ تفكرين يا عمة ؟ ..»

الدعجاء رافعة نظرها بعينيها الواسعتين : تريدين الحقيقة يا صبية؟

هزت الصبية رأسها بالموافقة ..

(دعجاء) : لا أدري لكن نفسي تشتهي حليب ناقة ..

غطت (عوراء) فمها لكتم ضحكة ..

(نافجة) تتبسم بالرغم من دموعها ..

الدعجاء تبتسم كذلك وتقول :

«أنا لا أكذب .. أشتهي بالفعل حليب ناقة أنجبت حديثاً ..»

(عوزاء) : أنا لم أذقه من قبل .. هل هو لذيذ كحليب النعاج؟

(دعجاء) ملوحة كفها واصفة بعجب :

«بل ألـذ من ذلك بكثير .. ألـذ مـن أي حلـوى تناولتها في حياتكِ ..»

(عوراء) : حقّاً؟!

(دعجاء) : نعم حقّاً ..

(عوراء) : هل يمكننا أن نحصل عليه حينما نعود لـ ((عربستان))؟!

(دعجاء) : «أعدكِ بذلك .. أعدك ..»

التفتت الدعجاء لعصبتها المراقبات لذلك الحوار بوجوه باسمة وقالت : هل أنتنّ مستعدات؟

(نافجة) بثقة وكفاها حول بطن (عوراء) : منذ أول يوم ولدت فيه ..



(عوراء) بحماس : أنا مستعدة! .. مستعدة لقتل السيد الكبير!

(رافدة) مستلة سيفها : أدركت للتو أننا بالفعل لن نخرج اليوم من هنا حيات

(كُميت) تخرج سهماً من جرابها موجهة حديثها لـ (رافدة) : عندما تسمعين صفيري أنزلي رأسكِ ..

(رافدة) باستغراب : صفير؟

نزلت الحجازية على ركبتها وشدت السهم ذا الرأس الفضي على قوسها العاجي ووجهته تجاه السيد الكبير قائلة : «نعم .. صفير ..»

لم ترد البدوية لكنها هزت رأسها بالموافقة ..

وقفت الدعجاء ومن خلفها العرجاء وبقية الفتيات ..

(دعجاء) بنظرات حادة لقائد الطائفة الجنتية :

«من المهم ألّا تشتبكا معه عن قرب .. انقضا عليه من بعيد كالصقور الضارية وحلقا مبتعدتين عنه .. وإياكما أن تنفرد إحداكما بمهاجمته ..»

(عوراء) بتوتر : ماذا تردن مني أن أفعل كي أساعدكن؟

(نافجة) : ابقي مع (كُميت) فقط ولا تقتربي ..



(عوراء) : لكني أريد المساعدة

(كُميت) : أنا أحتاجكِ معي هنا كي تمدي لي السهام من الجراب.. هل تستطيعين القيام بذلك؟

(عوراء) باسمة : نعم بالطبع

(كُميت) تبادلها الابتسام برأسها المكشوف وأعينها الرمادية : ففي ورائي إذاً ..

جرت الصبية ووقفت خلف أختها بينما حدثت الدعجاء (رافدة) ونظرها لم يحدْ عن السيد الكبير وقالت : «تذكري يا بدوية ما قلته .. فقط اقتربي منه عندما يدير ظهره لكِ .. لا نريد ما حدث عند ((النهر المقدس)) أن يتكرر ..»

(رافدة) ممازحة : كنت أظن أن الفرسان لا يطعنون من الخلف ..

تبسمت الدعجاء وبدأت بالتقدم نحو العرش الرخامي ونافجة تعكز وراءها بينما أخذت (رافدة) بضع خطوات جانباً وعيناها المترقبتان تتابعانهما باهتمام ..

تحركت أعين السيد الكبير الغاضبة وتابعت تقدمهما نحوه حتى وقفتا أمامه وكان واضحاً على ملامحه أنه ساخط جدّاً ..

(دعجاء) لقائد الطائفة الجنتية : ابنة الجنوب هزت وشرخت كبرياءك أيها السيد العظيم .. وحان الوقت لبنات هجر أن يهدمنه

بالكامل على رأسك .. بحق عاشق نورة .. ستخضع .. وتركع .. وستقبل أقدامنا الحافية ..»

نهض السيد الكبير من على عرشه المبلل بدماء جروح ظهره وقال بصوته الغليظ وبنبرة ساخطة بالعربية :

«من تظنين نفسكِ لتقفي أمامي وتتحدثي معي بتلك الطريقة؟»

الدعجاء وعيناها تتحولان للسواد التام :

«دعجاء .. دعجاء ابنة وصبان ..»



حَمَلة النعش



انشقت الأرض تحت السيد الكبير لتخرج منها مجموعة من حبال العرجون قامت بالالتفاف حوله وتقييده بالكامل وقبل أن يحرر نفسه قفزت (نافجة) رامية بعكازها للأعلى والذي تحول لسيف قبضت عليه وهمت بإنزال نصله على رأس خصمها المقيد لكنه فرد ذراعيه ومزق الحبال موجهاً لكمة قوية ومباغتة للعرجاء ليسقطها في الحال أتبعها بانطلاقة سريعة تجاه الدعجاء بالقبضة نفسها لكنها وبالسرعة نفسها تبخرت كدخان أسود ليمر من خلالها ليجد سيف (رافدة) في استقباله يطعن بطنه.

سحبت البدوية سيفها رافعة نظرها أمام ضخامة السيد الكبير بفم مفتوح والذي وقف متجهماً بوجه يتفجر غضباً وحين هم بالهجوم



عليها سمعت الحجازية تطلق صفيراً من ورائها فأنزلت رأسها في الحال ليعبر من فوقها سهمٌ ارتكز في صدره. سحب السيد الكبير السهم ورمى به موجهاً نظره نحو (كُميت) و(عوراء) الواقفتين على بعد منه وانطلق جرياً نحوهما لتشد الحجازية سهماً آخر ناولته لها الصبية المرعوبة وقبل أن تطلقه تعثر السيد الكبير ووقع على وجهه بعد ما اعترضته (نافجة) بطلسمٍ مباغت أصابه في رأسه مباشرة.

نهض قائد الطائفة الجنتية وهو يستشيط غضباً ليجد (رافدة) تطعنه مجدداً في ظهره النازف وفي اللحظة نفسها ظهرت الدعجاء أمامه باسطة كفيها مطلقة عاصفة رملية كبيرة حملته عالياً لتنهال عليه (كُميت) بمجموعة من السهام ارتكزت كلها في أجزاء متفرقة من جسده. حاول السيد الكبير جاهداً التحرر من قبضة (دعجاء) التي علقته في الهواء لكنها ألحقت هجومها بطلسمٍ آخر خرج على إثره سرب كبير من الجراد الأصفر حلق عالياً وبدأ يقضم جلده وجروحه بشراهة.

احترق سرب الجراد دفعة واحدة بعد ما تحول السيد الكبير لشعلة كبيرة من اللهب حررته من طلاسم الدعجاء ليهبط بأقدامه قائلاً:



«هل انتهت طلاسمكِ الهزيلة؟»

(دعجاء) مقبلة باطن كفها اليسرى : «ما زال في جعبتي الكثير ..»

اهتزت جدران القاعة وكأن زلزالاً قد ضرب الجبل واختلت أقدام جميع الواقفين وكادوا أن يقعوا أرضاً عدا (دعجاء) الثابتة مكانها تراقب بأعين حادة السيد الكبير وهو يلتفت يميناً وشمالاً بحثاً عن اتجاه الهجمة المرتقبة فقالت له : «ما تبحث عنه حضر ويقف وراءك ..»

أدار السيد الكبير نظره ليشاهد خيمة كبيرة من الوبر نصبت خلفه وقبل أن يستوعب ما يراه خرجت يد سوداء ضخمة بسرعة خاطفة وسحبته لوسطها. تعالت أصوات صرخات السيد الكبير وكان واضحاً أنه يقاتل شيئاً مخيفاً وشرساً.

(دعجاء) لـ (نافجة) وهي تراقب مدخل الخيمة : استعدي يا جدعاء لتوجيه ضربتكِ حين يلفظه الساكن ..

عقدت العرجاء أصابعها قائلة : أمرك يا عمةُ!

توقف الصراخ وخرج السيد الكبير مدفوعاً على الأرض من وسط الخيمة التي تبخرت وكان على جسده عدد هائل من الخدوش



والجروح. وقف زعيم الطائفة الجنتية في حالة من الذهول والشتات محاولاً فهم ما يحدث له لكن طلسم (نافجة) باغته وانفجر بوجهه كالبركان ملقياً به للخلف على ظهره. سارت العرجاء نحوه ووقفت عند أقدامه وقبل أن يقف رفعت كفوفها محركة أناملها وهي تقول:

«سماء باسطة .. أرض قابرة ..»

انكسرت قطعة رخامية من السقف فوق السيد الكبير ونزلت هبوطاً تجاهه لكنه تدحرج جانباً متحاشيًا ارتطامها به ليقف مباشرة يتنفس بثقل بوجه متجهم لتفوق الدعجاء عليه.

تحولت ملامح السيد الكبير لخليط من التوتر والاستغراب حينما شاهد (دعجاء) تضع سبابتيها تحت عينيها المكتملتيِ السواد ساحبة جفنيها للأسفل لتزدادا اتساعاً وهي تردد:

«مقلة مقفلة مغلقة ..»

وضع قائد الطائفة الجنتية كفه على عينه حين تحولت للبياض التام مثل عينه العوراء وفقد الرؤية منها تماماً ليغرق في ظلامٍ دامس. فتحت الدعجاء فمها ليخرج منه سرب من الدبابير الزرقاء بأرجل مذهبة أحاطت بالسيد الكبير وأخذت تحلق حوله وتطن في أذنيه وتلسعه بشكل متكرر ليبدأ بلكم الهواء حوله بشكل جنوني.



(رافدة) مقتربة أكثر من وراء السيد الكبير وبابتهاج : نحن ننتصر!

(دعجاء) محذرة : لا تقتربي منه!

حرك السيد الكبير أذنه مستشعراً المكان الذي أتى منه صوت (رافدة) وفجأة التف وراءه وانطلق يشق سرب الدبابير المحيطة به ليقبض على عنق البدوية ويرفعها عالياً يشد من خناقه صارخاً في الدعجاء : أعيدي بصري وإلا فصلت رأسها عن أكتافها!!

غرست (رافدة) المعلقة في الهواء سيفها في صدره لكنه لم يكترث وضربه من يدها أتبعها بلطمة على وجهها أفقدتها الوعي.

(السيد الكبير) وهو يهز البدوية بعنف مهدداً بوجه تائه : الآن!

حركت (دعجاء) أناملها بوجه خالطه الانهزام والقهر وأعادت للسيد الكبير بصره وما أن رأى النور حتى رمى (برافدة) واندفع نحو (دعجاء) بسرعة خارقة وقفز للأعلى أتبعها بنزول أسرع هبوطاً بقبضتيه على رأسها ليسقطها أرضاً.

هم السيد الكبير بالإجهاز على الدعجاء الواقعة تحت أقدامه لكنه وقبل أن يفعل وجد (نافجة) تعترضه بحربة طويلة شكلتها ورمتها تجاهه. ضرب السيد الكبير الحربة بلا اكتراث لكن ذلك كان كافياً

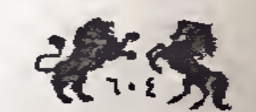


لتستعيد الدعجاء توازنها وتقف على أقدامها لتصيبه بطلسمٍ قوي أجبره على التراجع للخلف.

(دعجاء) منادية على العرجاء بالاقتراب منها وحين فعلت حدثتها بصوت مسموع لها فقط وقالت : أبعدي البدوية عنه!!

هزت (نافجة) رأسها بالموافقة وانطلقت عكزاً نحو (رافدة) المغشي عليها لكن السيد الكبير انتبه لما حاولت القيام به وانطلق هو الآخر نحوها لاعتراضها ومنعها لكن الدعجاء كانت له بالمرصاد وفتحت جيب صدرها بيد وباليد الأخرى ضربت نحرها بقوة لتخرج نخلة حجرية طويلة من تحته ضاربة أسفل ذقنه مباشرة خلال ارتفاعها ملقية به للوراء معطية فرصة للعرجاء للوصول للبدوية وإيقاظها من إغمائها.

نهض قائد الطائفة الجنتية بعد ما ضرب الأرض بقبضته سخطاً وأطلق شعلة كبيرة تجاه (دعجاء) التي تفادتها بسهولة بالابتعاد عن مسارها فاستغل السيد الكبير انشغالها ووجه نظره لـ (نافجة) وهي تتفقد (رافدة) بعد ما أنهضتها وأعادت لها وعيها وقبل أن يهم بالاندفاع نحوهما سمع صفيراً يأتي من على بعدٍ منه فالتفت نحو



مصدر الصفير ليرتكز سهم الحجازية في عينه العوراء ليصرخ ألماً وسخطاً.

انحنى السيد الكبير بركبته متألماً وهو ينتزع السهم من عينه العوراء ثم رفع رأسه ناظرًا بتجهم شديد للحجازية التي بادلته النظر بحدة وصرامة وهي تأخذ من يد (عوراء) سهماً آخر لتشده على قوسها. رفعت (كُميت) السهم لكن السيد الكبير تحرك بسرعة خارقة من أمامها وكأنه اختفى فجالت بوجه متوتر تبحث عنه غير مدركة أنه وقف متمركزاً خلفها وخلف الصبية دون أن تشعرا.

(نافجة) جارية نحوهما منادية عليهما : خذا حذركما!

دفع السيد الكبير بقدمه ظهر (كُميت) بقوة ليصطدم وجهها بالأرض وتفقد الوعي لتجري الصبية وهي تبكي جزعاً ..

توقفت (نافجة) عن التقدم وامتنعت الدعجاء عن إطلاق الطلاسم خشية إصابة الحجازية لكن (رافدة) التقطت سيفها وصرخت فيه قائلة : اترك أختي!

رفع السيد الكبير نظره ليرى البدوية تندفع نحوه شاهرة سيفها لتخليص (كُميت) ..

(دعجاء) صارخة فيها وعينيها تعودان لطبيعتهما : توقفي!

تبسم السيد الكبير وهو يراقب البدوية تقترب منه أكثر وأكثر وحين أصبحت المسافة بينهما لا تتجاوز بضع أقدام رفع كفه التي اشتعلت بوهجٍ أزرق وأطلق شعاعاً تجاهها لكن الضربة لم تصبها لأن الدعجاء انطلقت ووقفت حائلة بينهما ليصيبها الشعاع مباشرة وعلى مسافة قريبة جدّاً لتطير عالياً مصطدمة بالسقف تبعها نزول وارتطام قوي فقدت على إثره وعيها هي الأخرى. رفع السيد الكبير كفه مطلقاً شعاعاً آخر هادماً السقف فوق (دعجاء) لتتساقط كمية كبيرة من الحجارة الثقيلة عليها وتدفنها تحت أنقاضها.

توقفت (رافدة) بوجه مصدوم متراجعة بضع خطوات للوراء حين رأت أفراد العصبة يتساقطن واحدَةً تلو الأخرى مدركة خطأها بالتقدم وكسر تنظيمهن وراقبت السيد الكبير وهو يرفع (كُميت) الغارقة في غيبوبتها من شعرها عالياً بقبضته ويحركها بطريقة مستفزة أمامها قائلاً :

«تعالي وأنقذي أختكِ ..»

تسمرت البدوية مكانها بوجه مفزوع و(نافجة) مترددة هي الأخرى في إطلاق الطلاسم تجاه السيد الكبير خوفاً على الحجازية المعلقة بيده لذا آثرت الإشارة لـ (عوراء) الباكية للاحتماء بجانبها ففعلت.



(السيد الكبير) وهو يدلدل جسد (كُميت) الفاقد للوعي أمامهما:

«من يملك عاطفة لا يملك قوة ..هذا سر قوتي وسر ضعفكم أيها الأعراب»

رفع السيد الكبير قبضته الأخرى التي اشتعلت بوهج أزرق وقال:

«سترينها تهلك أمامكن وأنتن عاجزات بلا حيلة ..»

لم تتمالك (رافدة) نفسها وهي ترى أختها على وشك الموت وانطلقت جرياً بسيفها نحو السيد الكبير و(نافجة) تصرخ بها: لا! راقب السيد الكبير البدوية ولم يوقفها أو يعترضها إلى أن وصلت إليه وغرست سيفها في بطنه وهي تتنفس بثقل. انطفأ الوهج الأزرق من قبضته التي نزلت وانتشلتها من جيب صدرها وقربها عند وجهه قائلاً:

«هناك فرق بين الشجاعة والحماقة .. تريدين أختكِ؟ .. خذيها ..»

بدأ السيد الكبير يضرب رأس (رافدة) برأس (كُميت) حتى أدمى وجوههما وقبل أن يقتلهما بتحطيم رؤوسهما اندفع جسده للوراء مصطدماً بالجدار خلفه لتسقط الفتاتان على الأرض في حالة مزرية لكن على قيد الحياة. رفع نظره بعدها ليرى (نافجة) تقف أمامه مباشرة متوازنة على عكازها بكف مرفوعة ومفتوحة وأخرى

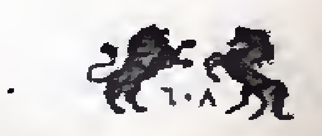


قابضة على أسفل ساعدها وعيناها تلمعان بوميض أصفر وهي تقول له بوجه متجهم:

«ابتعد عن بنتيّ!»

نهض السيد الكبير ورفع ساقه لرفس العرجاء بقدمه لكنها قفزت فوقه وأطلقت طلسماً في وجهه أتبعته بعد هبوطها بطلسمٍ آخر دفعه مرة أخرى ناحية الحائط وقبل أن يستعيد تركيزه وجد (نافجة) تعقد أصابعها تتمتم بأعين مغمضة ليخرج ثلاثة فرسان ملثمين يحملون سيوفاً بأنصال هلالية. هجم الفرسان على السيد زعيم الطائفة الجنتية وبدؤوا بضربه بسيوفهم محدثين به عدة جروح غائرة وفي كل مرة حاول الدفاع فيها عن نفسه بمهاجمة أحدهم تبدد كالدخان ليتشكل مجدداً ويستأنف هجومه.

استمر فرسان العرجاء بتمزيق جسد السيد الكبير بالضربات المتتابعة من سيوفهم الهلالية حتى انهار تماماً ونزل جالساً مسنداً ظهره للجدار من خلفه بسبب جروحه المتزايدة عددًا والمتفاقمة عمقاً. لم تبقَ (نافجة) تراقب مكتوفة الأيدي بل قرأت طلسماً ثالثاً شكل بجانبها جواداً أسودَ بأعين حمراء وحوافر فضية مثل لون لجامه المزين ببعض الفصوص الزرقاء لترمي بعكازها جانباً وتمتطيه ضاربة بكاحل قدمها الحافية على خاصرته مندفعة به إلى أن وقف



عند السيد الكبير المتهالك رافعاً قوائمه الأمامية مطلقاً صهيلاً حادًا وقوياً. شدت (نافجة) لجام الجواد الأسود الواقف على قوائمه الخلفية وعينها على وجه السيد الكبير المحطم.

اختفى الفرسان الثلاثة تزامناً مع نزول حوافر الجواد الفضية على وجه قائد الطائفة الجنتية والتي أخذت ترفسه بشكل متكرر وعنيف والعرجاء تصرخ حتى حطمت ملامحه بالكامل وحولتها لما يشبه قطعة اللحم الممضوغة.

لم توقف العرجاء هجومها حتى أغمض السيد الكبير عينيه وتوقف عن الحركة تماماً لتشد اللجام الفضي متراجعة للخلف متأملة وجهه وجسده الداميين وحين تيقنت من أنه هلك نزلت من على ظهر الجواد والتقطت عكازها وعكزت تجاه (عوراء) الجالسة تبكي عند (رافدة) و(كُميت) المستلقيتين على الأرض بلا حراك.

(نافجة) لعوراء الباكية : هل أختاكِ بخير؟!

(عوراء) وهي مستمرة بالبكاء : لا أعرف .. ولا واحدة منهما ترد عليّ!

نزلت العرجاء على ركبتها تتحسس أجسادهما بعيون دامعة تحاول إيقاظهما أو استشعار أي علامة بأنهما لا تزالان على قيد الحياة وخلال قيامها بذلك انسحب عكازها من جانبها فالتفتت وراءها



لترى السيد الكبير يقف فوقَها حاملاً عكازها بيده ووهج أزرق يحيط به ويشع من عينيه وقد استعاد عافيته بالكامل وكأن شيئاً لم يصبْه أو يمسه.

كسر السيد الكبير العكاز لنصفين بقبضته قائلاً :

«أنا لا أقهر ..»



يوم النحر

أطبق زعيم الطائفة الجنتية على شعر العرجاء من الخلف وسحبها جرّاً على الأرض كالأضحية التي تساق للذبح.

أمسكت (نافجة) يده المطبقة عليها وحاولت التملص منه والإفلات من قبضته وهي ترفس الهواء بقدمها صارخة بأعلى صوتها وحين عجزت عن ذلك همت بعقد أصابعها لقراءة طلسم ما فانقض السيد الكبير عليها وامتطى بطنها وثبت سواعدها أرضاً وقال وهو يراقبها تحاول التمتمة بطلسمٍ آخر: «لنخرس هذا الفم الثرثار للأبد ..»

حرك قائد الطائفة الجنتية رأسه للوراء ثم اندفع بجبينه وضرب وجه (نافجة) بقوة حطمت فكها وكسرت أنفها وبعضَ أسنانها ..

تبسم السيد الكبير بعينيه المتوهجتين زرقة وهو يتأمل العرجاء تختنق بدمائها الفائرة من فمها وأنفها المكسور وتغص بالأسنان التي سقطت في حلقها ليحكم قبضتيه أكثر على سواعدها مقترباً بوجهه من وجهها حتى كادت أطراف أنوفهما أن تتلامس وقال



بأعين متوهجة :

«الضربة التالية ستكون القاضية ..»

تراجع السيد الكبير برأسه للخلف وهم بإنزال جبينه مجدداً على وجه (نافجة) لكنه توقف حين سمع (عوراء) تصرخ فيه باكية :

«اترك عمتي وشأنها!»

انطفأ الوهج في أعين قائد الطائفة الجنتية وأرخى من قبضته على سواعد العرجاء ولف نظره خلفه ليرى الصبية تتنفس بثقل وأعين دامعة معاودة الحديث معه متوسلة :

«أرجوك .. لا تمسها بسوء..»

نهض السيد الكبير من فوق (نافجة) مستديراً تجاه الصبية ليقف أمامها بقامته الطويلة وجسده العريض قائلاً : هل يهمكِ أمرها؟

هزت (عوراء) رأسها بالإيجاب وهي تمسح خدها بظهر يدها مستنشقة دموعها ..

مد السيد الكبير يده الضخمة واضعاً إبهامه وسبابته على ذقنها محركاً وجهها الصغير يميناً وشمالاً قائلاً : ندبة جميلة .. من أين حصلتِ عليها ..؟



(عوراء) بنبرة متحشرجة بالعبرات : لا أذكر .. أرجوك يا سيدي .. اصفح عن عمتي

شد السيد الكبير على وجهها بعنف وبنبرة حادة قال : «ومن قال بأني أكترث بكِ أو بما تشعرين؟!»

بدأت الصبية بالبكاء بنحيبٍ وقهر بينما أكمل السيد الكبير تفحص ملامحها متذكراً ومتفكراً : «لمَ أشعر بأني رأيتكِ من قبل؟»

(عوراء) صارخة بأعين مغمضة وصوتٍ مشبع بالحزن والعجز : «أتوسل إليك! .. لا تمس عمتي!»

(السيد الكبير) دافعاً برأسها للخلف : عمتكِ يجب أن تموت .. لكني سأصفح عنكِ أنتِ

استدار قائد الطائفة الجنتية عائداً لـ (نافجة) ليقضي عليها ..

لكنه توقف ..

حين سمع صوتاً آخر يكلمه ..

صوتًا أجشَّ غليظًا مشبعاً بالزمجرة ..

حدثه بالفارسية قائلاً : «أخبرتك بألّا تمسها ..»

وجه قائد الطائفة الجنتية نظره نحو مصدر الصوت ليرى (عوراء) وعيناها تحولتا للبياض التام وفمها مشرع إلى أقصاه ورأسها يهتز للأمام والخلف لاهثة كالكلاب باسطة كفيها جانباً محركة أناملها وكأنها تملك مخالب.

عاد السيد الكبير أدراجه تجاه الصبية المتشنجة بوجه خالطه التساؤل وشيء من العجب وتابعها باهتمام وهي تنزل على أطرافها الأربعة ولسانها يخرج ويدخل من فمها بشكل سريع ومتكرر وكأنها أفعى.

توقفت (عوراء) فجأة وبقيت على حالها ساكنة بفم مفتوح ولسان متدلٍّ تحدق بأعينها البيضاء.

(السيد الكبير) : أي جنون تمارسينه يا صبية؟

في تلك اللحظة اتسع فمها أكثر وخرج منه ما يشبه الأصابع السوداء باعدت بين فكيها لأقصاهما مما فاجأ السيد الكبير ودفعه للتراجع عدة خطوات والبقاء مراقباً لما يحدث بخليط من الاستغراب والفضول حتى خرج من جوفها ماردٌ أسودٌ ضخم بقرون حمراء تشبه قرون الجدي ووقف منتصباً أمامه بقامته التي كانت أطول منه مرتين بعد ما رمى بجسد (عوراء) جانباً كما ترمى الملابس المنزوعة.



رفع السيد الكبير نظره للأعلى تجاه وجه المارد الأقرن المحدق به بأعين صفراء وهو ينفخ بأنفاس ثقيلة ساخنة كالزمجرة ثم قال باسماً :

«شيطان بابلي .. حاصدو الطاقات كما كانوا يسمونكم قديماً .. مفاجأة غير متوقعة .. لكنها جميلة ..»

لطم الشيطان الأقرن وجه السيد الكبير بقوة رامياً به جانباً ليتدحرج لمسافة بعيدة وقف بعدها وهو يمسح بساعده دم شفته التي شُجت وقال وعيناه تشتعلان بوهج أزرق :

«الآن سيبدأ المرح الحقيقي ..»

انطلق زعيم الطائفة الجنتية جرياً نحو الشيطان الأقرن وبسرعة خاطفة قفز موجهاً ركلة لرأسه لكن المارد لم يهتم أو يتأثر بتلك الضربة وقبض على عنق السيد الكبير قبل أن يهبط وأنزله بقوة ضارباً بوجهه على سطح الأرض ليرفعه بعدها من سيقانه حتى أصبح جسده عند مستوى نظره ليفاجأ بشعاعٍ قوي تفجر فيه من كفوف السيد الكبير مما دفعه لإفلاته والتراجع للوراء وحينما فتح عينيه الصفراوين تلقى لكمة مفاجئة أسفل ذقنه بعد ما قفز السيد



الكبير بقبضته المشتعلة ليطيح بالشيطان البابلي أرضاً وهو يصرخ مزمجراً بغضب.

هبط السيد الكبير على أقدامه وقال ضاحكاً بأعين تزداد توهجاً:

«ما بك؟ .. ألم ترَ بشرياً يقاومك من قبل؟»

نهض المارد مندفعاً بقرونه الحمراء الطويلة فما كان من السيد الكبير بعد ما اصطدم به إلا أن أمسكها ليزحف به الشيطان مسافة كبيرة للوراء جراء قوة ذلك الاندفاع وحينما أوقفه تماماً سحبه من قرنيه وصعد على عنقه موجهاً ضربة فتاكة بقبضتيه لرأسه من الخلف لفظ منها الشيطان بعض الدم.

مد الشيطان الأقرن ذراعه الطويلة ونزع خصمه من على ظهره ورمى به متراجعاً حتى وقف عند عرش السيد الكبير الذي نهض مشكلاً بين يديه سلاسل طويلة بحلقات ضخمة منتهية بكراتٍ حديدية امتلأت بالمسامير الحادة. بدأ قائد الطائفة الجنتية بتلويح السلاسل والكرات الشائكة رامياً بإحداها تجاه سيقان الشيطان البابلي لتلتف حولها وتقيدها بإحكام وقبل أن تكون له أي ردة فعل لفت السلسلة الأخرى حول جسده مقوضة حركة أذرعه.



(السيد الكبير) قبل أن يشد السلاسل ليوقع المارد على الأرض :

«ستخضع لي مثلما يخضع الجميع!»

في تلك اللحظة زأر الشيطان بصوت قوي ومخيف وقفز منطلقاً للأعلى محطماً السقف فوق العرش الرخامي خروجاً من المكان حاملاً السيد الكبير معه ..

استمر المارد الأسود بالتحليق عالياً في السماء بين الغيوم مبتعداً عن قمة الجبل فما كان من السيد الكبير إلا أن بدأ بشد السلاسل والتسلق نحو جسده المقيد والمستمر في الصعود وأكمل تسلقه إلى أن وصل لرأسه وتشبث فيه هامساً في أذنه : «لن تتخلص مني بهذه السهولة ..»

قبض السيد الكبير يده اليمنى لتشتعل بوهج أزرق وأخذ يضرب قرني المارد بعنف حتى نزفت جذورهما ثم أمسك أحدهما واقتلعه حينها صرخ الشيطان متألماً وبدأ بالهبوط للأسفل بسرعة أكبر.

مع اقترابهما من القاع انتبه السيد الكبير إلى أن المارد ينوي الاصطدام بقمة أحد الجبال الثلجية أسفل منهما فما كان منه إلا أن غرس القرن الذي فصل للتو في عنق الشيطان وتشبث بالقرن الآخر في محاولة لتوجيهه وإجباره على تغيير مساره لبحيرة كبيرة قريبة منهما إلا أن

المارد قاوم ممانعاً وأصر على إكمال طريقه تجاه الجبل المتجمد. مد السيد الكبير يده واقتلع أعين الشيطان الصفراء ليدخل الوحش البابلي في نوبة هيجان جنونية ويزأر صارخاً من السخط والألم مع اقترابهما من قمة الجبل.

شد السيد الكبير على القرن مرة أخرى محاولاً تغيير مسار الشيطان نحو البحيرة صارخاً فيه بأعين تشتعل بلهبٍ أزرق :

«هيا أيها اللعين!!»

استجاب المارد رغماً عنه بسبب الألم والعمى وتوجه للجهة التي قاده إليها زعيم الطائفة الجنتية وحينما ارتطما بالماء البارد غاصا غرقاً لكن السيد الكبير لم يتوقف عن مهاجمة الشيطان البابلي وقبض على السلاسل المتدلية أسفل أقدامه وعام به نزولاً للقاع حتى وصل لصخرة كبيرة قيده بها ملقياً عليه نظرة أخيرة قبل أن يحرك ذراعيه عائماً صعوداً نحو السطح.

خرج السيد الكبير من الماء ..

جلس عند ضفاف البحيرة بجسده وشعره المبتلين ..

مسح بكفه قطرات الماء الباردة من على وجهه ..



انطفأ وهج عينيه المتأملتين بسطح البحيرة ..

يشعر بكف دافئة تمسح على كتفه ..

تبعه جلوس امرأة وصبي صغير بجانبه ..

شاركته تأمله للبحيرة بصمت بينما جلس الصبي يلعب بالرمال ..

لم يبدِ السيد الكبير أي صدمة أو تعجب من وجودهما ولم يلتفت حتى إليهما ..

وكأنه معتاد على رؤيتهما ..

تحدثت المرأة باسمة ونظرها سارحِ في البحيرة : كيف حالك يا (إلياس)؟

السيد الكبير بوجه بارد كالريح التي هبت في المكان : حالي على حاله ..

- هل ما زلت تلوم نفسك؟

(السيد الكبير) : وأنتظر يوم حسابي ..

- يعاقب الناس على أفعالهم ويكافؤون على نواياهم .. وأنت بذلت كل ما في وسعك لحمايتنا

(السيد الكبير) : ولم يكن ذلك كافياً .. أنا من وقتها أعيش كابوساً لا ينتهي

- نخسر واقعاً جميلاً عندما نتعلق بحلمٍ أجمل ..

(السيد الكبير) : أي واقعٍ جميل؟ .. أنا أهيم في حياة فارغة كرجل بائس من بعدكما .. لم أعد أملك ذرة من الإحسان أو الشفقة للغير .. أنا أسوأ شخص يمكن لأي إنسان أن يلتقي به

- أفضل الناس هم من يرون أنفسهم أقل من غيرهم ..

(السيد الكبير) : ملتفتاً إليها باسماً : كنتِ دائماً ترين فيَّ شيئاً لا أراه في نفسي ..

وما زلت أراه يا (إلياس) .. القلوب لا تملك أبواباً كي ندخلها ولا غرفاً لنسكنها .. لكنك الوحيد الذي ملك روحي قبل جسدي وسكن عقلي ووجداني ..

(السيد الكبير) : ألهذا لم ترحلي عني حتى بعد موتكِ ..؟

بدأ خيال المرأة مع الصبي بالاضمحلال وقالت قبل أن تختفي تماماً :

«أنت الذي لم ترحل مني .. سأكون بانتظارك يا روحي المسروقة ..»



بعد زوال طيف المرأة برقت السماء وتساقط المطر وأعاد السيد الكبير نظره للأفق وبقي صامتاً حتى لاحظ حركة فوق سطح الماء تبعها خروج رأس الشيطان البابلي الذي سار بخطوات بطيئة إلى أن خرج من البحيرة ووقف أمامه مباشرة يتلفت يميناً وشمالاً مستنشقاً الهواء حوله بتجاويف عينيه الفارغة ..

تبسم السيد الكبير بحزن ملوحاً بكفه مشيراً له قائلاً :

«أنا هنا يا أحمق ..»

ما أن أحس المارد الأسود به وحدد موقعه حتى قبض على عنقه ورفعه عالياً عند وجهه ذي الأعين المجوفة وأخذ يزمجر فيه بأسنان تقطر لعاباً ساخناً.

لم يبدِ زعيم الطائفة الجنتية أي مقاومة واكتفى بالابتسام بلا اكتراث للشيطان البابلي حين أحكم قبضته أكثر وفصل رأسه عن جسده الذي سقط أرضاً برقبة تفور دماً تصاعدت أبخرته بسبب برودة المكان.

بقي الشيطان يتحسس بأنامله الرأس المفصول المستقر على راحة يده تحت المطر المنهمر ..

ممرراً لسانه اللزج حوله لثوانٍ قبل أن يقبض عليه ..

ليهشمه .. ويلتهمه بالكامل ..

لتنمو له أعين جديدة ..

زرقاء متوهجة ..

الشامخة والمخلدة

السماء تبرق وترعد بقوة فوق ((عرين الأسد)) ..

الغيوم الكثيفة تهطل على العرش الخاوي ..

غاسلة الدماء الملطخة لجوانبه ..

يتشكل سيل صغير من الماء المعكر ..

يجري على الأرض الرخامية حتى وصل لجسدٍ مستلقٍ ..

تفتح الحجازية عينيها بوجه متورم بعدما احست ببرودة الماء ..

تنهض ببدن متوجع .. ورأس ينبض ألماً ..

وجهت (كُميت) نظرها لـ (رافدة) المستلقية على ظهرها بجانبها لترى أن عينيها مفتوحتان فأخذت تحبو حتى وصلت إليها واضعة يدها على صدرها وقامت بهزها. تحركت أعين البدوية جانباً تجاه أختها التي تبسمت وقالت : ما بكِ؟

(رافدة) بوجه ممتلئ بالجروح والكدمات : هل انتهى كل شيء؟



رفعت الحجازية رأسها وجالت بنظرها في المكان من حولها لامحة السقف المفتوح فوق العرش و(عوراء) المنكبة على وجهها بالقرب منهما : أعتقد ذلك ..

نهضت (رافدة) وجلست تشاركها النظر لـ (عوراء) بصمت ..

(كُميت) : هل تظنين أنها لا تزال على قيد الحياة؟

حينها سمعت الاثنتان صوت شخيرٍ قوي ..

(رافدة) باسمة : أعتقد أنها ستكون بخير

(كُميت) : أين القائدتان؟

(رافدة) رافعة سبابتها بعد ما لمحت كومة الحجارة التي سقطت على الدعجاء سابقاً : العمة (دعجاء) هناك ..

(كُميت) وهي تبحث بنظرها : وأين القائدة (نافجة)؟

(رافدة) تهم بالنهوض : لنخرج العمة (دعجاء) أولاً

وقفت الحجازية ولحقت بأختها التي هرولت نحو كومة الصخور وحين مرتا بـ (عوراء) ركلتها (رافدة) بقوة على مؤخرتها دون أن تتوقف عن الجري وقالت لها منادية : هيا! .. انهضي!

جلست الصبية مفزوعة ورأت أختيها تركضان أمامها فقالت : إلى أين؟!



لم تجبِ الاثنتان عليها لتنهض هي الأخرى من مكانها وهي تدعك عينها بقبضتها متثائبة سائرة نحوهما ..

وقف الثلاث عند الصخور الكبيرة المتراكمة بعضها فوق بعض ينظرن إليها بحيرة وتفكر ..

(عوراء) : كيف سنحركها؟

(كُميت) محاولة زحزحة إحداها : إنها ثقيلة!

(رافدة) : هل تعتقدين أن العمة نجت؟

(كُميت) وهي مستمرة بالمحاولة : حتى وإن لم تنجُ لن نتركها هنا

(عوراء) مشيرة بسبابتها صارخة : انظرا!

وجهت الأختان أنظارهما حيث كانت تشير الصبية لتريا يد الدعجاء تشير لهن بالاقتراب من تحت صخرة كبيرة ..

هرع الجميع نحوها وجثون عند يدها التي احتضنتها (رافدة) بكفها وقالت بقلق : هل تسمعينني يا عمة؟!

قبضت الدعجاء على كف البدوية وهزتها بالإيجاب ..

(كُميت) : لا تقلقي يا قائدة سوف نحاول إخراجكِ

رفعت (دعجاء) كفها مشيرة بالنفي ..

(رافدة) بتعجب : ماذا تقولين؟ .. لن نتخلى عنكِ!

أشارت الدعجاء بيدها للفتيات بالتراجع للخلف ففعلن لترفع بعدها سبابتها وتحركها ببطء بشكل دائري وشيئاً فشيئاً بدأت الصخور ترتفع عن الأرض حتى وصلت للسقف. وقفت (دعجاء) بملابس ممزقة ووجه مصاب ببعض الجروح والكدمات واستمرت بتحريك أصبعها إلى أن أنزلت تلك الكمية الكبيرة من الحجارة في أحد أركان القاعة وما أن هبطت الكومة حتى شعرت بألم في جسدها حين عانقتها الفتيات الثلاث دفعة واحدة فقالت ضاحكة : هل تحاولن قتلي!

لم تفك الفتيات من عناقهن لها بل شددن عليها أكثر بين دامعَةٍ وباكية فقامت هي بالمسح والطبطبة على ظهورهنّ وهي تجول بنظرها من حولها قائلة : أين الجدعاء ..؟

(كُميت) رافعة رأسها من على صدر الدعجاء : لم نرَها بعد ما استيقظنا

(عوراء) وهي تفك عناقها : عمتي كانت معي قبل أن ..

(دعجاء) بخليط من القلق والاهتمام : أين؟

قادت الصبية العصبة حيث كانت (نافجة) مستلقية بعد ما جرها السيد الكبير ولم يجدن سوى بعضِ قطرات الدماء ..

(دعجاء) وقلقها يتزايد : ما الذي حدث بالضبط يا صبية؟

(عوراء) مستذكرة بنبرة متوترة : بعد أن فقدتن الوعي جميعاً بدأ السيد يضرب عمتي بقسوة وطلبت منه التوقف

(رافدة) : وماذا حدث بعدها؟

(عوراء) وقد بدأت بالبكاء : لا أذكر .. أعتقد أنه ضربني كذلك ولهذا فقدت الوعي

(كُميت) مشيرة لنقاط الدم : النزف لم ينقطع ..

(دعجاء) ممعنة النظر أكثر : نعم .. لقد زحفت من مكانها

(رافدة) : لكن إلى أين؟

(كُميت) متقدمة متتبعة خط الدماء البسيط : أعتقد أني أستطيع تعقب الاتجاه الذي سارت به

مشت الحجازية ونظرها الثاقب يحدق متفحصاً الأرض أمامها والبقية يسرن خلفها في ترقب حتى قطعت المسافة خروجاً من ((عرين الأسد)) عبر السلالم الحجرية التي تقود للطابق السادس وخلال نزولهن درجاته لمحن العرجاء مستلقية على ظهرها في القاع عند المفترق.



نزل الجميع على عجالة ووقفن حولها لكن (دعجاء) و(عوراء) جثتا عندها بوجوه مفجوعة ..

كانت (نافجة) مغمضة العينين والدماء الجافة تغطي وجهها وفمها المفتوح ..

ثلاثة من أسنانها الأمامية مفقودة ..

شعرها منثور .. أنفها مائل ومكسور ..

خصل غرتها البيضاء متيبسة بالدم الجاف ..

وضعت (دعجاء) كفها على صدرها متحسسة أنفاسها ..

الفتيات يراقبن بأعين دامعة ..

بعد لحظات من الهدوء والترقب لم تتمالك (عوراء) نفسها وقالت بصوت مختنق بالعبرات ويداها الراجفتان على صدرها : لمَ أنت صامتة يا عمة؟!

(كُميت) مستنشقة دموعها : هل القائدة بخير؟!

(رافدة) بحزن مماثل ودموع منهمرة: تحدثي يا عمة أرجوكِ!

دمعة ساخنة تنزل من عين الدعجاء الواسعة ..



العهد الجديد والوعد القديم

«نعم .. إنها لا تزال تتنفس .. اجلبا لي بعض الماء ..»

قالتها الدعجاء وسط سعادة كبيرة وبهجة عارمة غمرتا الفتيات اللاتي تفرقنَ للبحث عن مصدرٍ للماء ليجلبنه لها بينما نزلت هي برأسها عند وجه (نافجة) المغمى عليها ومسحت بكفها على خدها مقبلة جبينها قائلة بأعين دامعة ومحمرة :

«إياكِ وأن تحرقي قلبي عليكِ يا ابنة النخيل ..»

خلال الأيام التي تلت المواجهة الكبرى مع قائد الطائفة الجنتية بقيت العصبة في ((فارس)) واتخذت من إحدى القرى الصغيرة في سفوح ((جبال الملح)) ملجأً لها حتى تستعيد العرجاء جزءًا من عافيتها وقد كان أهل تلك القرية مرحبين بهنّ واستضافوهنّ طيلة المدة وأكرموهنّ بكل ما استطاعوا من مأكل ومشرب وملابس جديدة وعندما حان الوقت للرحيل ومع أول الصباح انتقلن بطلاسم الانتقال لواحة تقع على طريق التجارة بين ((اليمامة)) و((هجر)) وعلى عكس ما حدث سابقاً لم تجد الدعجاء صعوبة في ذلك بالرغم من وجود (عوراء) معهن ..





(نافجة) تنزل بوجهها على الرمال مقبلة الأرض : آه كم اشتقت ..

(عوراء) بحماس : المكان هنا دافئ!

(كُميت) وهي تخلع فراءها ولثامها الثقيل : لم نعد بحاجة هذه

(رافدة) ممازحة (عوراء) : بعد قليل ستشتكين من الحر

(دعجاء) متأملة صعود الشمس الحمراء في الأفق : «حر أرضنا بلسمنا ولهيب أنفاسها منبع أشواقنا ..»

(نافجة) مستعينة بعكازها الجديد لتقف : إلى أين سنرحل الآن يا عمة؟

رفعت الدعجاء كفها محركة أناملها ليخرج من الرمال مجموعة من الدواب ..

جواد أسود كالكحل وآخر أبيض كالثلج ..

فرس بلون مكدر كالرماد وأخرى صفراء كالشمس ..

يتوسطها بعير أبيض صغير ..

(عوراء) بأعين متسعة : هل هذه لنا؟!

(دعجاء) باسمة : نعم .. والبعير الصغير لكِ

(عوراء) وهي تجري تجاه دابتها : شكراً يا عمة!

(رافدة) : هل هذا يعني أننا لن نستخدم طلاسم الانتقال؟

(دعجاء) سائرة نحو الجواد الأسود ممتطية إياه : هذا يعني أن كل واحدة منا ستسير في طريقها ..

(كُميت) : كنت أظن ..؟

(نافجة) مقتربة من الفتاتين واضعة كفيها على أكتافهما : أجمل أيام حياتي هي التي قضيتها معكما .. لكن .. يجب أن تعيشا أنتما حياتكما أيضاً



(رافدة) : ماذا عن (عوراء)؟ .. هل ستعيش وحدها؟

(نافجة) ملتفتة نحو الصبية وهي تلاعب البعير الصغير : لا .. سآخذها معي

(كُميت) بحزن : خذينا نحن كذلك

(رافدة) منزلة رأسها .. : سأعود لقبيلتي .. ربما يصفح عني أبي

(كُميت) بنبرة غير راغبة : وأنا يمكن أن أعود لـ ((الحجاز)) .. أعتقد أنهم نسوا أمري الآن ولن يطاردوني بعد اليوم

(نافجة) تهز أكتافهما دامعة : لكني أنا لن أنساكما أبدًا وستبقيان في قلبي ما حييت ..

تعانق الثلاث عناقاً طويلاً وقوياً سرن بعدها تجاه الدواب وامتطت

(رافدة) الجواد الأبيض قائلة : هذا الأصيل لي!

(كُميت) ممتطية الفرس الشهباء : وهذه الجميلة لي

وقفت (نافجة) بجانب الفرس ذات لون الكُدْرة تتأمل الفتاتين تسيران بدوابهما جنباً إلى جنب حتى توارتا خلف هضبة رملية واختفتا عن أنظارها ..

(كُميت) من على دابتها ناظرة للأفق : ستذهبين للشمال إذاً؟

(رافدة) وعيناها تحدقان أمامها : نعم ..

(كُميت) : لكنكِ تسيرين تجاه الغرب .. هذا الطريق يقود لـ ((اليمامة))

(رافدة) مطبقة على صدرها باسمة : ستطاردني (سدرة) في كوابيسي إذا لم أدفن رفاتها هناك

ضحكت (كُميت) لكن ضحكاتها ذابت بسرعة وتحولت لوجه حزين وقالت وهي تشد لجام فرسها : رافقتكِ السلامة يا أختي ..

(رافدة) تستوقفها بنبرة مترددة بعض الشيء : لمَ لا ترافقيني .. طريق ((الحجاز)) يمر بالـ((يمامة))

(كُميت) : ومن قال بأني ذاهبة لـ ((الحجاز))؟

(رافدة) محاولة إخفاء خيبتها : أين تنوين الذهاب إذاً؟

(كُميت) باسمة : حيث تذهبين أنتِ ..

تبسمت (رافدة ابنة شبل بن مطنب المجداني) وضربت خاصرة جوادها الأبيض بأقدامها الحافية وانطلقت ومن ورائها (كُميت ابنة باجد العرقوبي) ..



في الطرف الآخر من التلة سارت الدعجاء بصحبة العرجاء والصبية الصغيرة تجاه الواحة وجلسن عند مجموعة من النخيل على ضفاف بحيرتها الصغيرة يراقبن رجال قافلة مع نسائهم وأطفالهم يتزودون ويغتسلون بالماء ويقضون فترة من الراحة.

جلست (عوراء) وتوسطت في مكان ضيق بين (نافجة) و(دعجاء) بعد ما ربطت بعيرها الصغير مع بقية الدواب عند جذع نخلة وسط الواحة وقالت : أين سنسافر الآن؟

(دعجاء) مسندة ظهرها لجذع النخلة زافرة : لقد اكتفيت من الترحال ..

(نافجة) باسمة بأسنان ناقصة : وأنا كذلك

(عوراء) : متى ستنمو أسنانكِ مجدداً يا عمة؟

غطت (نافجة) فمها بكفها بحرج وأدارت وجهها لتخفي ابتسامتها المشوهة ..

(دعجاء) ضاربة بيدها رأس (عوراء) : كفي عن الوقاحة يا صبية!

(عوراء) داعكة مؤخرة رأسها وبنبرة نادمة : لم أقصد كنت أريد المساعدة

(دعجاء) : ساعدينا بالصمت ..

تبسمت (نافجة) بحزن من وراء كفها اليمنى المغطية لفمها وأنفها الملتوي وهي تنظر للواحة متحسسة جدعة أذنها بأنامل يسراها سارحة في الأفق : «لا بأس يا عمة هي لم تقصد .. أنا متقبلة لحالي .. فهذه ليست المرة الأولى التي أخسر فيها جزءاً مني ..»

(عوراء) لـ (نافجة) بحماس : صدقيني يا عمة هناك من يستطيع إعادتها لك بالكامل وإصلاح أنفك كذلك! .. فقط أعطيني فرصة!

صمتت (نافجة) دون أن ترد أو حتى تدير نظرها إليها ..

(دعجاء) دافعة بسبابتها كتف (عوراء) بعبوس : عن ماذا تتحدثين؟

(عوراء) ملتفتة إليها بحماس لم ينقطع : أتحدث عن (السيد الألمعي)!

(دعجاء) : ومن يكون هذا؟

(عوراء) : معالج مشهور في ((مدينة البركة)) يجيد تطبيب العظام .. لقد رأيته أكثر من مرة يعيد الأسنان ويصلح الأنوف المكسورة للكثير من الناس!

(دعجاء) بملامح مقتنعة : بالرغم من أن تلك المدينة ملعونة إلا أننا لن نخسر شيئاً لو حاولنا

(عوراء) : بل سنربح أسنانًا جميلة للعمة وأنفاً مستلًّا كالسيف المهند!



(دعجاء) : عوراء ..

(عوراء) بحماسٍ متأجج : نعم يا عمة؟!

(دعجاء) : هل تجيدين دعك الأقدام؟

(عوراء) واضعة سبابتها على شفتيها متفكرة : نعم أعتقد .. لماذا؟

(دعجاء) مشيرة لأقدامها : ادعكي أقدامي إذاً ..

(عوراء) وهي تبدأ بالدعك : حاضر .. لكن لماذا؟ .. هل تؤلمكِ؟

(دعجاء) مغمضة عينيها بظهر مسند لجذع النخلة : لا .. لكن عمتي (عانكة) كانت حين تريد إسكاتي عن الحديث تأمرني بدعك أقدامها

(عوراء) متوقفة عن الدعك بوجه عابس : هل تقصدين أن كلامي مزعج؟!

(دعجاء) وهي على حالها : ادعكي يا صبية ادعكي ..

نظرت (عوراء) لـ (نافجة) المتبسمة لها ثم أكملت الدعك بتجهم وعنف ..

(دعجاء) بأعين مغمضة : برفق .. أقدامي بدأت تؤلمني

(عوراء) محاولة الحديث مع (نافجة) بصوتٍ غير مسموع للدعجاء

وبوجهٍ عابس : أعلم بأن أقدامها لا تؤلمها! .. العمة تريد إخراسي فقط!

(دعجاء) فاتحة عينيها ناظرة لـ (عوراء) : وقد فشلت المحاولة ..

صوت راعٍ ينادي مقترباً من بحيرة الواحة ..

يسير خلف قطيع من الجمال ..

(نافجة) مراقبة سير القطيع : هل لا تزال نفسكِ تشتهي حليب النياق يا عمة؟ .. هناك ناقة ترضع حوارها ..

(عوراء) : أنا أريد تذوق حليبها!

(نافجة) : تعالي معي إذاً لنسأل الراعي إن كان سيهبنا بعضَ حليبها

(عوراء) بسعادة : هل آخذ بعيري ليلعب مع صغيرها؟!

(دعجاء) : لا .. اتركيه مع بقية الدواب واذهبا أنتما وأنا سأبقى هنا بانتظاركما

(نافجة) ناهضة بعكازها مشيرة لـ (عوراء) : هيا بنا ..

سارت الاثنتان تجاه الراعي الذي جلس عند ضفاف البحيرة يراقب



بهائمه تشرب من مائها وحينما وصلتا حدثته (نافجة) قائلة : هل أجد عندك حليباً للبيع يا أخي؟

(الراعي) : لا .. ما أملك ليس للبيع

(نافجة) بنبرة متفهمة وهي تهم بالعودة : حسناً .. طاب يومك

(الراعي) مستوقفاً العرجاء : إلى أين؟

(نافجة) : سنعود من حيث أتينا

(الراعي) باسماً : هل تريدين إهانتي؟ .. كل ما أملك ليس للبيع لكنه هبة لكل سائل محتاج .. خذي ما تشائين منه

تبسمت العرجاء وقالت : ممتنة لكرمك

مد الراعي لـ (عوراء) إناءً وقال لها : خذي يا صبية ..

(عوراء) متناولة الإناء من يده : هل تريد أن نحضر لك بعض الحليب؟

(الراعي) ضاحكاً : استخدماه أنتما للشرب وستجدان قربة جلدية على ظهر الناقة املأاها بما يكفيكما وخذاه معكما

(عوراء) قافزة بفرح : شكراً! .. شكراً!

جرت الصبية بسعادة تجاه الناقة و(نافجة) تعكز وراءها باسمة ..

حينما وصلنا عندها وجدنا أن الحوار الصغير لا يزال يرضع من أمه فقالت (عوراء) : كيف سنحلبها وهو هنا؟

(نافجة) مشمرة ذراعيها آخذة الإناء من يد (عوراء) : لن يمانع مشاركتنا له ..

بدأت العرجاء بحلب ضرع الناقة وحينها أطلق الحوار هديرًا فضحكت (عوراء) وقالت له : لا تقلق لن نسرق طعامك!

(نافجة) وهي مستمرة بالحلب : لبنها غزير .. أعتقد أن هناك ما يكفي لإطعام حواركِ أيضاً

(عوراء) : هل أحضره؟

(نافجة) تمد الإناء المتلئ لقمته بالزبد الأبيض : اشربي أولاً

(عوراء) ناظرة للزبد الكثيف : ما هذا .. أين الحليب؟

(نافجة) باسمة نافخة الزبد بوجه (عوراء) : هذا أجمل ما فيه .. اشربي فقط ولا تسألي كثيرًا

شربت الصبية كفايتها وعندما أنزلت الإناء عن فمها ضحكت (نافجة) حين شاهدت الزبد الأبيض يغطي وجهها وقالت : سأملأ القربة لتأخذيها للعمة وبعيركِ!



(عوراء) باسمة : لا .. أريد العمة أن تشرب من الإناء كي يغطي الزبد وجهها مثلي!

(نافجة) مستأنفة حلب الناقة ضاحكة : إذاً انتظريني كي آتي معكِ .. أريد رؤية ذلك

في ذلك الوقت كانت الدعجاء تسمع ضحكاتهما وهما عند الناقة وحوارها وتتأملهما باسمة قابضة على حفنة من الرمال رافعة بها للأعلى مراقبة انسياب حبيبات الرمال من بين أصابعها وخلال قيامها بذلك لمحت شيئاً كالسراب يتشكل أمامها مشوشاً وحاجباً رؤيتها لـ (نافجة) و(عوراء). ازدادت كثافة الغمامة حتى اتضحت وشكلت شكلاً تعرفت عليه (دعجاء) في الحال فقالت بخليط من العجب والقلق : «ذو الفصين؟»

وقف أمام الدعجاء ثور أحمر برأس أبيض وقرون مذهبة انتصب على قوائمه الخلفية وقال : «نعم «ذو الفصين» .. وقد حان وقت تحصيل الدين ..»

(دعجاء) : وماذا تريد؟

(ذو الفصين) : وهبتكِ حياة وسآخذ حياة ..

(دعجاء) : حياة من؟

(ذو الفصين) : من تشائين وكما تشائين ..

(دعجاء) : ماذا تقصد؟

(ذو الفصين) : إما أن تهبيني المرأة العرجاء أو الصبية العوراء .. أو .. تهبي لي نفسك

(دعجاء) : وإذا لم أفعل؟

(ذو الفصين) : لا تتحدثي معي وكأن لكِ خياراً

(دعجاء) : ولا تفعل أنت الشيء ذاته ..

(ذو الفصين) : روحكِ إذًا؟

هزت الدعجاء رأسها بالموافقة وأردفت قائلة : لكن ليس هنا .. ليس أمامهما

(ذو الفصين) : أينما ووقتما تشائين يا ابنة وصبان ..

نهضت الدعجاء وأشارت لـ (ذي الفصين) باللحاق بها خلف أشجار النخيل ..



عادت العرجاء مع الصبية للمكان الذي تركتا فيه الدعجاء ولم تجداها فقالت (عوراء) متسائلة وهي تضع الإناء المملوء باللبن والزبد على الرمال : أين العمة؟

(نافجة) مسندة القربة على جذع نخلة منادية بصوتٍ مرتفع : عمة! .. عمة!

لم يصلهما أي رد ..

(عوراء) بقلق : أين ذهبت؟

(نافجة) بنبرة مطمئنة : لا تقلقي .. لعلها دخلت الواحة لقضاء حاجة أو تفقد الدواب ..

(عوراء) : وكيف سنتحقق؟

(نافجة) مشيرة لـ (عوراء) بالدخول وسط الواحة : ابحثي أنت هنا وأنا سأبحث عند الدواب

جرت الصبية واختفت بين الأشجار بينما عكزت العرجاء تجاه الطرف الآخر ..

في ذلك الوقت وبعد مسافة من السير وسط الواحة بين نخيلها توقفت (دعجاء) واستدارت نحو الثور الأحمر السائر خلفها على قوائمه الخلفية وقالت له : «هنا ..»



دنا (ذو الفصين) منها ووقف أمامها وهي مسلمة مستسلمة له وقال وهو يمد حافره مقترباً من وجهها :

«روح مقابل روح .. كما كان الاتفاق ..»

قبل أن يحط حافر (ذي الفصين) عليها سمع صوتاً يحدثه من جانبه قائلاً :

«لا تمس عمتي ..»

التفت الاثنان نحو مصدر الصوت ليريا (عوراء) تقف متجهمة بأعين تشع بوميض أزرق براق ..

وعين ثالثة شقت جبينها تومضُ بذات الوميض ..

قصة لم يدونها التاريخ

شمال الجزيرة ..
بعد مضي ما يقارب عشرة أيام ..
سلاسل جبلية طويلة وشاهقة الارتفاع ..
أحاطت بطريق ترابي أجدب ..
امتدت على جوانبه الكثير من الفتحات والثغور الكبيرة أشبه بالكهوف ..
انتشرت عند تلك المداخل الحجرية أعداد هائلة من التماثيل والمنحوتات بكافة الأشكال والأحجام
تشير (عوراء) بسبابتها للأفق ضاحكة بحماس وهي تمتطي بعيرها الأبيض :
«لقد وصلنا! .. وصلنا لـ ((مدينة البركة))!!»

(دعجاء) من فوق جوادها الأسود : لنأمل أن هذا «الألمعي» ماهر كما تقولين يا صبية
(نافجة) : حتى وإن لم يتمكن من تقديم شيء لي فلا تستائي يا عمة ..
(عوراء) ضاربة بأقدامها الحافية على البعير الصغير منطلقة للأمام : سأسابقكما!!
(دعجاء) وهي تراقبها تبعد عنهما : هذه الصبية لا تمنحنا وقتًا للراحة أبداً
(نافجة) باسمة بأسنانها الناقصة : ومنذ متى ارتحنا يا عمة ..؟

ريح ساخنة تهب في المكان مقلبة بعض الرمال والأتربة تحت الدواب ..
تنظر الدعجاء حولها بوجه خالطه التجهم والاستياء ..

(نافجة) ملاحظة عبوسها :
«ما بكِ يا عمة؟»

(دعجاء) ووجهها لا يزال مستاءً :
«لا شيء يا جدعاء .. لا شيء على الإطلاق ..»



العرجاء

الساحرة الهجينة

عرين الأسد

تمت ..



الليث الأبيض والأسد الأسود

شتاء قاسٍ وقارس ..

يعصف بأرض ((فارس)) ..

مجموعة من الرجال يشقون ((جبال الملح)) عبر عاصفة ثلجية هوجاء ..

يصلون عند مدخل جبلٍ متجمد كبير ..

((عرين الأسد)) ..

يرفع قائد المجموعة الغطاء عن رأسه كاشفاً عن وجهه المتأمل بمدخل مقر الطائفة الجنتية السابق ..

يحدثه أحد مرافقيه الموشوم بأربع دوائر مصمتة على أنفه قائلاً :

ما بكِ يا سيد (آغ)؟



(آغ) وعيناه تحدقان بمدخل الجبل والثلوج تغطي ملامحه : عودوا أدراجكم ..

- لكن ..

(آغ) : إذا كان السيد الكبير قد نجا فسأتحمل عاقبة ما قمنا به وحدي ولن أفشي سركم

- ولِمَ قدمنا إلى هنا من الأساس؟ .. الطائفة بدأت تنهض من جديد في ((تخت سليمان)) تحت ظل كبير السحرة هناك ولم نعد بحاجة أحد

استدار كبير الكهنة نحو أتباعه وقال : «أنا لست هنا لحاجتي للعون .. بل للغفران ..»

- الغفران ممن؟

الريح تشد والثلوج تتساقط بكثافة ..

(آغ) معيدًا نظره لمدخل الجبل : من سيدي ومولاي .. لا أستطيع العيش وأنا أشعر بذنب خيانته .. إن غفر لي وصفح عني فسيكون ذلك كرماً منه وإن لم يفعل فسيطهرني بعقابه ..

صمت أفراد المجموعة ولم يجادلوا سيدهم أكثر ..

(آغ) مغطياً رأسه متقدماً نحو وسط الجبل يشق طريقه عبر العاصفة الثلجية :

«هيا .. لا أريد أن يبقى أحدٌ منكم هنا ..»

رحل الرجال تاركين كبير الكهنة يدخل الجبل وحده ..

شق الوزير السابق للطائفة الجنتية طريقه عبر الأدوار السبعة صعوداً ومع كل طابقٍ يتفقده ويتجاوزه يزداد يقينه بأن فرصة نجاة السيد الكبير من هجمة العربيات شبه معدومة حتى وصل لـ ((عرين الأسد)) وشاهد الدمار والخراب اللذين حلا بالمكان حينها تيقن من أن سيده لم ينجُ وبعد ما وقف أمام العرش المحطم رفع نظره تجاه الثقب الكبير المُحدث في السقف وبقي يراقب الثلوج تتساقط وتكسو ما تبقى من ركامه وخلال قيامه بذلك سمع صوتًا رخيمًا ومديدًا يحدثه من خلفه قائلاً :

«هل أنت أحد أعضاء الطائفة الجنتية ..؟»

أدار كبير الكهنة نظره وراءه ليرى رجلاً ضخماً بلحية وشاربٍ أبيض كثيف تجلت عليهما هيبة الملوك يلبس رداءً طويلاً فخماً من الحرير الأزرق نقش على أكتافه بخيوط ذهبية وفضية رأسا أسدين متقابلين أحدهما أبيض والآخر أسود وعلى رأسه استقر تاجٌ كبيرٌ مرصعٌ بأحجار لامعة وباهرة.

وقفت بجانب ذلك الرجل المهيب امرأة لا تقل عنه هيبة ووقاراً في لباسها وهندامها وحليها التي تزينت واكتست بها.

اندهش (آغ) من هيبة حضورهما التي توهج بها المكان المظلم البارد لكن أكثر ما أثار انبهاره هو المرافقون لهما وهم مجموعة من الفرسان المكتسين بالدروع والخوذ الحديدية والمدججين بالسيوف الكبيرة والأسلحة الثقيلة نقش على أغلبها الشعار نفسه المنقوش على أكتاف الرجل الذي حدثه.

بعد صمتٍ قصير تحدث (آغ) وقال بصوتٍ مرتبك: «هل يمكن أن أخدمكم بشيء؟»

الرجل المهيب بلغة شمالية: نحن نبحث عن ابننا..

(آغ) يرد باللغة نفسها: هل هو متنور؟



(الرجل المهيب) : لا نعرف عنه شيئاً سوى ما توصلنا إليه بعد أعوامٍ من البحث وهو أنه استقر في ((جبال الملح)) والجميع أخبرونا بأن نلجأ للطائفة الجنتية ليعاونونا على إيجاده .. لقد ترك مملكتنا منذ سنواتٍ طويلة ولم نعلم إلا قريباً أنه قد يكون في هذه الأرجاء

(آغ) : لم يعد هناك طائفة ..

(الرجل المهيب) : هل تعرف من يستطيع مساعدتنا في إيجاده؟

(آغ) : أنا عائدٌ لـ ((تخت سليمان)) وهناك يوجد ساحر كبير قد يستطيع مساعدتكم .. ما اسم ابنكم؟

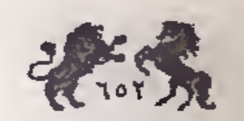
(الرجل المهيب) : الأمير (إلياس) ..

(آغ) : لم يمر عليّ هذا الاسم من قبل لكن في كل الأحوال سأقودكم لـ ((تخت سليمان)) ويمكنكم الحديث مع كبير السحرة هناك فهو يملك قدرات كثيرة من ضمنها تعقب أثر المفقودين

(الرجل المهيب) : شكراً أيها الرجل الطيب

(آغ) : لكن يستوجب عليّ تنبيهكم إلى أنه لا يقدم المساعدة بلا مقابل

تحدثت المرأة المرافقة للرجل المهيب وقالت بالفارسية : ونحن



لا نتوقع أو نريد ذلك .. ذهب مملكتنا كله مسخر لإيجاد ابني المفقود

بدا العجب على (آغ) حين تحدثت المرأة معه بلغة الفرس حيث كان واضحاً له أن الرجل الذي تحاور معه من ملوك الشمال والفارسية ليست من لغاتهم فلاحظ الملك تلك الحيرة وقال موضحاً بلغته : «الملكة (جلنار) زوجتي الثانية وابنة ملك من ملوك أرضكم وهي أم (إلياس) .. وأنا الملك (فانجر بن ايفان بن جاردر) وأمي الأميرة (هيلدا) حفيدة ملك الشمال العظيم (بيهارك)»

(آغ) حانياً رأسه : شرفٌ لي الحديث معكما يا جلالة الملك وأعدك بأني سأبذل كل ما في وسعي لتصل لمبتغاك

رافق وزير الكهنة الملك وحاشيته نزولاً حتى خرجوا من الجبل ليصدم (آغ) بمشهد أدهشه وأثار خوفه في الوقت ذاته فقد شاهد جيشًا كبيرًا من الجنود والفرسان رفرفت فوقهم أعلام ملكية بشعار الأسدين المتقابلين فقال منبهراً : ما هذا يا جلالة الملك؟

(الملك فانجر) : جيش مملكتنا العظيمة

(آغ) : ولِمَ أحضرتم معكم الجيش كله؟



(الملك فانجر) : ملوك الشمال لا يسيرون دون حماية .. ثم إن هذا جزء يسير من جيشنا .. فيلق واحد من عشرة فيالق

تقدم من بين حشد الجنود والفرسان فارس ضخم يلبس خوذة حديدية سوداء كلون سيفه والدروع المغطية لجسمه وترجل عن حصانه الأبيض العملاق وسار حتى وقف أمام الملك وانحنى على ركبته خالعاً خوذته كاشفاً عن شعره الأشقر الطويل وعينيه الزرقاوين.

(الملك فانجر) باسطاً كفه بفخر واعتزاز محدثاً (آغ) : أقدم لك قائد جيشي ووريثي الأمير (كاندمان) .. ابني الأكبر من زوجتي الأولى والأخ غير الشقيق للأمير (إلياس)

(آغ) حانياً رأسه بتوتر ووجل : تشرفنا سمو الأمير

نهض الأمير (كاندمان) وقال بصوتٍ غليظ : هل هناك أي أخبار عن الأمير (إلياس) يا جلالة الملك؟

(الملك فانجر) نافياً بشيء من الخيبة : لا ليس بعد لكننا نقترب .. هذا الرجل الطيب سيأخذنا لمن يستطيع مساعدتنا في العثور عليه

(كاندمان) : أخي (إلياس) عنيد وقد لا يوافق على العودة معنا



(الملكة جلنار) بالفارسية : لا يهم! .. المهم أن أراه مرة أخرى!

(الملك فانجر) ملوحاً بيده : هيا لنتحرك كي لا نضيع الوقت ..

تحركت الأسرة الملكية بعد ما أحاط بها فيلق جيشها الضخم مصطحبة معها وزير الكهنة قاصدين ((تخت سليمان)) لمقابلة كبير السحرة هناك ..



